

أطروحة الدكتوراه

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي



أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي موسومة بـ :

الجتابة ورهانات الإقناع

مقاربة تداولية لرسائل الجاحظ من خلال مفهوم التعدد

إشراف :

أ/د : جيلالي بن يشو

إعداد الطالب :

بشير دردار

أعضاء لجنة المناقشة

- أ/د. مرتاض عبد الجليل أستاذ التعليم العالي... جامعة تلمسان..... رئيسا
أ/د. جيلالي بن يشو أستاذ التعليم العالي... جامعة مستغانم..... مشرفا ومقررا
أ/د. بوروبة المهدي أستاذ التعليم العالي... جامعة تلمسان عضوا
د. بن جامعة الطيب أستاذ محاضر "أ"... المركز الجامعي تيسمسيلت..... عضوا
د. والي دادة عبد الحكيم أستاذ محاضر "أ"... جامعة تلمسان عضوا
د. سعدي محمد أستاذ محاضر "أ"... جامعة مستغانم عضوا

السنة الجامعية

2012 - 2013م

1433 - 1434هـ

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي



أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي موسومة بـ:
الكتابة ورهانات الإقناع

مقاربة تداولية لرسائل الجاحظ من خلال مفهوم التعدد

إعداد الطالب : بشير دردار
إشراف: أ. د. : جيلالي بن يشو

أعضاء لجنة المناقشة

- أ/د. مرتاض عبد الجليل أستاذ التعليم العالي... جامعة تلمسان... رئيسا
أ/د. جيلالي بن يشو أستاذ التعليم العالي... جامعة مستغانم... مشرفا ومقررا
أ/د. بوروبة المهدي أستاذ التعليم العالي... جامعة تلمسان... عضوا
د. بن جامعة الطيب أستاذ محاضر "أ"... المركز الجامعي تيسمسيلت... عضوا
د. وافي دادة عبد الحكيم أستاذ محاضر "أ"... جامعة تلمسان... عضوا
د. سعيدي محمد أستاذ محاضر "أ"... جامعة مستغانم... عضوا

السنة الجامعية : 1433-1434 هـ / 2012-2013 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

أوجه بالشكر والامتنان إلى من أعانني على شفط طريقي في هذا البحث، وأفادني بنصائحه الثمينة الغالية أساذي الفاضل الأستاذ الدكتور: جيلالي بن يشو.

وأقدم بالشكر أيضا إلى كل من قدم لي يد المساعدة خلال مرحلة إعدادي لهذا البحث.

كما أشكر لجنة المناقشة الموقرة على تجشمتها عناء قراءة الرسالة ونقدتها وتقويمها.

الإهداء

إلى روح والديّ العزيزين . أسأل الله أن يرحمهما كما ربياني

صغيرا، ورعياني بدعائهما كبيرا .

إلى زوجتي وأولادي: هدى، وحفصة، ونصر الدين، وعبد

القادر؛ عربون حب ووفاء .

إلى أهلي وأصدقائي وأحبائي جميعهم؛ عبارة مودة وإخلاص

.. أهدي عملي هذا

مقدمة

قيل عن كتب الجاحظ قديما إنها تعلّم العقل والأدب، وقيل عنه حديثا الكثير في الكثير الذي أُلّف حوله، ولا زال بمقدورنا أن نقول عن الجاحظ إنه معلم فكر وأدب، ومثير قضايا، وصاحب طروحات لا ينتهي البحث فيها إلى غاية، إلا ليعاود الانطلاق من جديد في بحث ما شقّقتَه مناقشة هذه القضايا وهذه الطروحات. يُسأل عن الجاحظ في حقل اللغة، فتُستحضر دراسات لا حصر لها رصدت جهده، واجتهدت في إحصائه وتحليله، والكشف عن استباقاته في عديد المفاهيم المتصلة بالنحو والصوتيات والصرف والمعجم؛ ويخاض في مسألة التنظير للبلاغة والبيان وما يتصل بهما من ميادين البحث المعاصرة، فتتمشهد أمامنا إسهامات الجاحظ واستباقاته في اجتراف المفاهيم وبلورة التصورات التي تلامس أشد الملامسة ما اهتدى إليه المعاصرون في حقول الدلالة والتداولية والسيميولوجيا؛ ويُتحدّث عن السرد وعن علم الكلام وعن السياسة وعن الإبستمولوجيا، فيأبى الجاحظ معلّم الفكر والأدب إلا أن يداخل خطاباتنا ويتناص معها، حاضرا حضورا قويا، ليس أبسط تجلياته قولنا كلما طرحت قضية مما ذكرنا: إن للجاحظ فيها رأي مُبتدأ، أو نظرة مستبقة.

هذا عن التلميح إلى الدوافع التي دفعتني لاختيار الجاحظ مادة لبحثي هذا، وهي دوافع لا نعدمها في أي عمل من أعمالنا، وخاصة في الأعمال ذات الطابع الأكاديمي التي تحتاج مَنّا دأبا وكدًا ومكابدة للمشاق. أما عن اختيار موضوع بعينه مما يتصل بهذا العلم العظيم، فقد اتَّجّهت تحديدا إلى آثاره المعروفة بـ"الرسائل" فوجدت أنها تستحق العناية كغيرها من آثار الجاحظ. وبعد القيام بما استطعت من استطلاع ببليوغرافي، تبين لي أن الاهتمام بها لدى الدارسين أقل بكثير من الاهتمام بالنصوص

"العليا" التي عرف بها الجاحظ، مثل : البيان والتبيين، والحيوان، والبخلاء؛ وهي الأعمال التي انصبّت عليها جل جهود الباحثين المعاصرين تحقيقا ودراسة، بصورة أدت إلى ركام من الدراسات التي لم تخل من التكرار والاجترار أحيانا، فزاد ذلك في تحفيزي على اختيار "الرسائل" موضوعا لرسالة الدكتوراه مرة أخرى، بعد أن كانت البداية بمذكرة الماجستير الموسومة بـ"قراءة ابستمولوجية جمالية للنص الحجاجي عند الجاحظ-الرسائل نموذجاً" تعرضت في فصلها الأخير لبلاغة الحجاج في الرسائل، من منظور التعدد الصوتي في المستوى اللساني الصرف. وجاءت رسالة الدكتوراه، فكان علي أن أكمل المتبقي من العمل، وأعمّق البحث في ظاهرة التعدد الصوتي كما تجلت في الخطاب الرسائلي عند الجاحظ؛ أكمل العمل والاشتغال على التعدد الصوتي، بأن أستوفي مستوييه الآخرين، المستوى النصي والخطابي، وأعمّق بحث مجمل القضايا التي يطرحها تصور البحث، بعد القراءات العديدة التي قمت بها لأعمال بحث نظرية وتطبيقية تتصل بالمقاربة التداولية للخطاب الأدبي عموماً، وبنظرية التعدد الصوتي خصوصاً، فانتهي بي التفكير إلى اختيار الموضوع الذي يتخذ من نص الرسائل مدونة ومن المقاربة التداولية الأصواتية منهجاً. ومن هنا وُسِمَ البحث بـ"الكتابة ورهانات الإقناع-مقاربة تداولية لرسائل الجاحظ من خلال مفهوم التعدد الصوتي".

أهداف البحث:

أسعى في هذا البحث إلى الكشف عما تحتزنه الرسائل كخطاب أدبي من مؤشرات دلالية تداولية، تساعد على تبني رؤية جديدة لهذا الكم من النصوص التي درج الباحثون على التعاطي الاختزالي معها، بحيث نتجاوز في النظر إليها مسلمة

الدونية التي ألصقت بها، وفتح آفاق البحث في إعادة تصنيفها من ناحية، ونثمن قيمتها الأدبية والفكرية انطلاقا من دراسة تستهدف استحضار المقامات التلفظية الترسلية التي أنتجتها، للوقوف على موثوقية النص ودلالاته على السياق الاجتماعي بمدلولاته الإيديولوجية المختلفة.

كما حاولت أن استثمر دراسة الخطاب الرئاسي من منظور تلفظي أصواتي لتهيئة معطيات قد تساعد على معالجة أفضل لقضايا منهجية أثرت حول منهج الجاحظ في الكتابة، واستطراداته وموسوعيته، وتأرجحه بين بلاغة الشفوي والكتابي، وتفسير تناقض آرائه من مؤلف إلى آخر، ومن موضع إلى آخر في المؤلف الواحد.

وأردت بهذا البحث أيضا أن أثير بعض الإشكالات المتصلة بموثوقية النص، والتي نرى أن التحليل التلفظي الأصواتي كفيل بحصرها، وإضاءة الكثير من جوانبها، فدراسة مستويات التلفظ كشفت لنا كيف أن الناسخ يتدخل مرارا في فضاء الرسالة الكتابي تدخلا صريحا أحيانا، مما يدفعنا إلى التساؤل: ما الذي يمنعه من أن يتدخل تدخلا غير صريح، أو تدخلا من أي نوع كان؟

فرضيات البحث:

ساعدني تصور الأهداف الذي تقدم بيانه على وضع فرضيات البحث وطرح ما يفترض من إشكاليات حوله، فكان أول ما افترضته هو أن تصنيف الرسائل تحت المسمى الجامع "الرسائل" أو تحت أي مسمى يلتصق به بالتبعية أو التقسيم، تصنيف اختزالي يكرّس تهميش "الرسائل" ويعطي الانطباع بأنها "أعمال أدبية من الدرجة الثانية" والدليل هو قلة الدراسات المنجزة حولها. فكانت الإشكالية التي يمكننا صياغتها

في السؤال التالي: إلى أي مدى يصح تصنيف "الرسائل" المعتمد إلى يومنا هذا من منظور تداولي؟ وهل يحفز ذلك التصنيف الاهتمام بالرسائل والكشف عن غناها المنهجي والمعرفي؟

يضاف إلى ذلك افتراض أن الرسائل تُقرأ عادة باعتبارها جنسا خطابيا واحدا أو نمطا نصيا متشابها، مما يدعو إلى طرح التساؤل التالي: ألا تدلنا الواسمات الأجنبية النصية والخطابية على تمايز الرسائل بعضها من بعض، من حيث فواتحها وخواتمها حضورا وغيابا، وتنوعا في صيغ الخطاب؟ ألا تدلنا المتون والخطابات المحمولة فيها على تباين في أجناس الخطابات التي يمكن أن تلحق بها كل رسالة من الرسائل؟

وفي جانب آخر، افترضت أن كل قراءة جديدة للخطاب الرسائلي هي إنتاج جديد لدلالته. فقد وقفنا على كثير من الآراء التي أفرزتها قراءات سابقة للجاحظ تحدثت عن التزامه المذهبي المعتزلي، وعن تحالفاته، وخصوماته، وتفاوتت في الحكم عليها، فأردت من خلال القراءة التداولية الأصواتية أن أجيب عن أسئلة مرتبطة بذلك، من قبيل: كيف تدلنا الواسمات التلفظية المختلفة على موقف الجاحظ ممن يستحضر خطاباتهم جماعات وأفراد؟ وما هي هذه الواسمات؟ وما مدى فعاليتها الإجرائية في تأكيد الآراء الشائعة حول موقف الجاحظ من الذوات الحقيقية التي يجاورها في نصوص رسائله؟

الوضعية الراهنة للبحث في الموضوع:

أشرت في موضع سابق من هذه المقدمة إلى قلة الدراسات التي تناولت "الرسائل" إجمالا، وقلة الدراسات التي تناولتها في ضوء المقاربة التداولية خاصة. فإذا

استثنينا الدراسة القيّمة التي أنجزها صالح بن رمضان حول الرسائل الأدبية في الأدب العربي القديم، والتي استفدت منها كثيرا في الفصل المخصص للتصنيف الأجناسي لخطاب الرسائل، ودراسات أخرى قليلة تناولت رسائل بعينها، وفق مناظير تحليلية مختلفة، فلم يقع بين يدي من المراجع ما يخفف عليّ عناء مضاعفة الجهد التوثيقي، ويغني سيرورات تحليل النماذج والأمثلة المختارة من الرسائل. هذا عن المراجع المتصلة بمادة البحث، أما عن المراجع الخاصة بالمنهج المعتمد، وهو المنهج التداولي الأصواتي، فليس الأمر بمختلف كثيرا، ذلك أنني لم أجد مشقّة في جمع عدد معتبر من المراجع في المقاربة التداولية باللغتين العربية والفرنسية، غير أنني صادفت صعوبات جمّة في الحصول على مراجع عربية ذات صلة بمفهوم التعدد الصوتي وتطبيقاته على النصوص، فكان جل اعتمادي على المراجع الفرنسية التي تعود إلى عدد من الباحثين المتمين لمدارس التحليل الأصواتي، كمدرسة الأصواتية اللسانية (أ.ديكرو)، أو مدرسة جنيف الحوارية (إ. رولي)، أو المدرسة الإسكندنافية المعروفة بـ"السكابولين" (هـ. نولكه وزملاؤه).

ورغم كل تلك الصعوبات، فلقد سعيت إلى الاستفادة من باقي الدراسات التي أنجزت حول آثار الجاحظ الأخرى، ولو على سبيل الاستئناس.

ولا يفوتني أن أشير إلى الجانب التطبيقي ونماذج التحليل المعتمدة فيه، فأقول إن الدراسات التطبيقية التي أنجزت في الفضاء الفرنكوفوني المشار إليه آنفا أمدّني بالكثير من الإضاءات التي ساعدتني على بناء نماذج التحليل التي اعتمدت عليها في التطبيق على الأمثلة المقتطفة من الرسائل.

ضبط المدونة:

اعتمدت في الأساس "رسائل الجاحظ، شرح وتقديم: علي بوملحم، في ثلاثة أجزاء" مدونة للبحث، وقد وقع اختياري عليها لعدة اعتبارات، منها: أنها تمثل أحدث عمل "تحقيقي" يقدم الرسائل للقراء، ضمّنه صاحبه فهارس مفصلة للمضامين الجزئية للرسائل، التي كان يتبع كل واحدة منها بهوامش توضح مسائل شتى، فضلا عن مقدمات للرسائل وضعها في بداية كل جزء من الأجزاء الثلاثة التي وسمها تباعا بـ "الرسائل السياسية"، "الرسائل الأدبية"، "الرسائل الكلامية". ورغم اعتماد هذا النص مدونة بصفة أساسية، كنت أعود عند الضرورة إلى باقي النصوص التحقيقية للمقارنة، والترجيح، وتأكيد المعلومات.

وكان التعامل مع المدونة خاضعا بطبيعة الحال لإكراهات البحث، ومقتضياته وأهدافه، إذ خضع استثمار نصوص الرسائل لما رسم للبحث من خطة، فتمّ انتقاء الأمثلة من الرسائل والإحالة إليها بحسب النمو التدريجي لفكرة البحث، وسيرورات التحليل التي استدعيت لإنضاجها والسير بها إلى نهايتها، فحضرت رسائل بمقتطفاتها بقوة في متن البحث، وقل حضور أخرى، وغاب عدد قليل من الرسائل لعدم توفرها على إمكانية الاستشهاد التمثيلي لظواهر التعدد الصوتي، أو ضعفه قياسا إلى رسائل أخرى.

ومن المفيد أن أشير هنا إلى الطريقة التي اعتمدها في الإحالة إلى نصوص

الرسائل:

- تُذكر الرسالة أول مرة بكل بيانات إصدارها

- تذكر الرسالة بعنوانها، وعنوان الجزء الذي توجد فيه إذا تكررت الإحالة إليها
- يذكر عنوان الجزء الذي توجد فيه فقط، إذا ذكر عنوان الرسالة في المتن

منهج البحث:

دللت في العنوان صراحة على المنهج الذي اعتمدته في هذا البحث، وهو المنهج التداولي الأصواتي، وخصّصت الفصل المدخلي من رسالتي هذه لتوضيح أسسه، وعرض نظرياته، وبسطت القول في التعريف بجهازه المفاهيمي واصطلاحاته. وما كان مني ذلك التفصيل -الذي طال رغما عني- إلا لأستوفي بيان المنهج الذي كنت سأعتمده في تحليل المدونة، لاسيما أن هذا المنهج في جانبه المتصل بنظرية التعدد الصوتي وتطبيقاتها، لم يتم نقله إلى اللغة العربية بشكل كاف، إذ يكفي أن أتبه إلى أنني لم أعثر على مرجع واحد، عربي أو مترجم يعرض نظرية التعدد الصوتي وجهازها المفاهيمي ومنظومتها الاصطلاحية، أو يطبق عليها، لا في قواعد البيانات الالكترونية، ولا في القوائم البيبليوغرافية للمكتبات التي زرتها. فاضطرت والحال هذه إلى الاعتماد بشكل يكاد يكون كلياً على المراجع الأجنبية التي أشرت إلى بعض مؤلفيها سابقاً، وتطلب مني ذلك أن أبذل جهداً إضافياً في الترجمة، كان أصعب ما فيه اقتراح ترجمات لمصطلحات لم أعثر عليها في الدراسات العربية التي اطلعت عليها، أصيلةً أو مترجمةً.

ومن المهم في هذه المقدمة أن أتبه إلى أنني سايرت المدرسة السكندنافية للأصواتية اللسانية في اعتمادها لمنهج يؤلف بين تيارات متعددة، تيار الأصواتية اللسانية لديكرو، وتيار الأصواتية النصية-الخطابية لكل من إ. رولي وزملائها في فريق البحث السويسري، وج.م.أدام؛ هذا التأليف الذي أريد به وضع نموذج تحليلي قادر على

الإحاطة بالظواهر الأصواتية المختلفة، سواء كانت ذات منشأ لساني جملي، أو نصي، أو خطابي.

طرائق التحليل:

فرض علي المنهج ذو الصورة التأليفية المبينة أعلاه أن أنواع طرائق التحليل، وأن أعتمد نماذج تحليل تعود إلى مناظير تداولية أصواتية من آفاق مختلفة، فكان التحليل اللساني قائما على استلهاهم تحليلات أ.ديكرو للملفوظات "المصطنعة" لغايات اختبارية، مع محاولة تكييفه ليكون فعّالا في دراسات ملفوظات أصيلة، ترد فيها الواسمات الأصواتية اللغوية من نفي واستفهام وروابط وموجهات وإحاليات. وكذلك صنعت في بناء النموذج التحليلي الخاص بالواسمات النصّية معتمدا على إ.رولي وج.م.أدام وغيرهما، وفي بناء النموذج التحليلي الخاص بالواسمات الخطابية مترسما خطى نولكه وزملائه في المدرسة السكندنافية في اهتمامها بظواهر التعدد الصوتي الخطابية.

خطة البحث:

لعله قد اتضح من خلال ما تقدّم التصور العام لخطة البحث. فما هي تفاصيلها؟

قسّمت البحث إلى مدخل و أربعة فصول، خصصت المدخل للمهاد النظري، وتولّيت في الفصول الأربعة تحليل المدونة اعتمادا على ما تقدّم عرضه في المهاد، مع إضاءات نظرية مضافة.

أدرجت في المدخل المخصّص للمهاد النظري الإضاءة النظرية الموسعة للبحث، من حيث أصوله التداولية الممثلة في النظريات التداولية الأكثر تأثيراً في الدراسات الأصواتية، وأعني بها: نظرية أفعال الكلام، ونظرية التضمينات التحادثية لغرايس، والنظرية التداولية العرفانية لسبربر وولسن، ثم نظرية التداولية اللسانية المندمجة عند ديكرو وأضرابه.

وأعقبت ذلك بعرض تعريفي بنظريات التعدد الصوتي، وما اعتمده من ترسانات مفاهيمية، ومنظومات اصطلاحية، انتصب فوق أرضيتها نموذج التحليل الأصواتي في أحدث تجلياته عند المدرسة السكندنافية.

وفي الفصل الأول تعرضت إلى تجنيس الرسائل من منظور تحليل الخطاب عامة، ومن المنظور التداولي خاصة، فوجدتني مضطراً إلى الخوض في التصنيف الأجناسي للخطابات في عمومها، ثم في إشكاليات التصنيف الأجناسي للخطاب الرسائلي، وفي البحث الأخير قمت بتطبيق مفاهيم التصنيف الأجناسي التداولي على الرسائل الجاحظية.

أما الفصول الثلاثة المتبقية، والتي تولّيت فيه تحليل المدونة بصورة فعلية، فقد اشتملت على محاولات لتطبيق المفاهيم النظرية السابق عرضها على رسائل الجاحظ، تدرجت فيها من المستوى اللساني في الفصل الثاني، إلى المستوى النصي في الفصل الثالث، لأنتهي إلى المستوى الخطابي في الفصل الرابع والأخير.

وبهذا اكتملت حلقات البحث، والتأمت أجزاءه، وردّ آخره على أوّله، فجاءت الخاتمة التي ضمنيتها خلاصة ما اجتهدت في الوصول إليه من نتائج.

الملاحق والفهارس:

زيادة على فهرس الموضوعات ومكتبة البحث، فرضت عليّ طبيعة البحث والخط الذي سارت فيه معالجة قضاياها أن أضمنه ملاحق وفهارس أخرى تعين على حسن تلقيه وتقويمه، وإضاءة ما لم يتيسر إضاءته في متن البحث وهوامشه. وقد أردت بهذه الملاحق والفهارس أن أحقق ما يلي:

- تقليص حجم الهوامش في صفحات البحث، فعمدت إلى تخصيص ملحق للنصوص المقتبسة التي قمت بترجمتها، وآخر لأهم الأعلام المتخصصين في حقل الدراسات الأصواتية والحوارية. وحقّ هذين الصنفين من البيانات أن يدرجا في هوامش البحث كما هو متعارف عليه.
- تيسير الوصول إلى شواهد المدوّنة من خلال وضع فهرس لمطابقة الإحالة بين المدونة المعتمدة، وهي رسائل الجاحظ، شرح وتقديم علي بوملحم؛ مع رسائل الجاحظ وكتاب العثمانية، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، وكتاب التربيع والتدوير، نشر وتحقيق شارل بيلات. ذلك ليتسنى للمتلقي المقوم الرجوع إلى أي مصدر من هذه المصادر.
- حصر المصطلحات المترجمة التي وردت في متن البحث، مع ذكر المقابل العربي لها، حرصاً على تجنّب الالتباس الذي قد يقع أحياناً في التعرف على دلالة المصطلح في نسخته العربية.

الصعوبات والآفاق:

لابد قبل إنهاء خطاب المقدمة من الاعتذار عن الكثير من العيوب التي شابته هذا العمل، والتي وقفت على بعضها أثناء إنجاز مباحثه واجتهدت في التخلص منها ما استطعت إلى ذلك سبيلا، وأخرى تكشفت لي بعد إنجازه، فعدت إلى مواضعها في البحث منقحا ومصححا ما وسعني الأمر. ومع ذلك ظلّ الإحساس الذي يسيطر عليّ، هو إحساس من قصر وهو قادر على الأفضل، أذكر بيت المتنبي:

ولم أرَ في عُيوبِ النَّاسِ شيئاَ
كنقصِ القادرين على التَّمامِ

فأراني معنيا به، وكأنني المؤاخذ بالتقصير وحده من دون الناس جميعا.

أقول في ختام هذه المقدمة: إن ما أنجز في هذا البحث لا يعدو أن يكون إثارة للمسائل والمشكلات المتصلة بالخطاب الرسائلي عند الجاحظ، وبالمنهج المقترح في دراسته، فقضايا من قبيل موثوقية النصوص الرسائية وتصنيفها الأجناسي ولا تجانسها الخطابي، منظورا إليها من منظار تداولي تلفظي أصواتي، تبقى بحاجة إلى البحث المعمق المستقصي الذي آمل أن يشتغل عليه الباحثون، وأن أوصل الاشتغال عليه في الآتي من الأيام إن مدّ الله في عمري.

أوجه الشكر الجزيل والعرفان الخالص إلى أستاذي الفاضل د. بن يشو جيلالي على كريم رعايته للبحث وصاحبه طوال المدة التي استغرقها إنجازها، واعتذر منه اعتذارا جميلا لما أكون قد قصرت فيه، صغيرا أو كبيرا.

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل

تيسمستيلت في 07 نوفمبر 2012

مدخل نظري

نظرية التعدد الصوتي

E الأصول التداولية لنظرية التعدد الصوتي

E نظريات التعدد الصوتي

E الجهاز المفاهيمي لنظرية التعدد الصوتي

توطئة:

نعمد في دراستنا لمدونة الرسائل مقارنة تداولية تستثمر مفهوم الأصواتية أو التعدد الصوتي، الذي يتم تبنيه على نطاق واسع اليوم في دراسة شتى أنواع الخطابات،⁽¹⁾ لاسيما في الخطابات ذات الطابع الحوارية، كالخطاب السياسي، والخطاب الإعلامي، والخطاب البيداغوجي، وغيرها من أنماط الخطابات.⁽²⁾ ويتأسس هذا المفهوم كما تبلور في النظريات التي سنعرض لها لاحقا على مبدأ التصاق خاصية الحوارية بكل خطاب طبيعي، وهو المبدأ الذي جاء به م. باختين (M.Bakhtine)، وطوره بعده باحثون كثيرون، توزّعوا على مدارس وتيارات أغنت البحث التداولي الأصواتي للخطاب، بما وضعت من نظريات، واجترحت من مفاهيم، وأرسته من منهجيات بحث ونماذج تحليل.

فمن بحوث باختين حول روايات دوستويفسكي وتولستوي⁽³⁾ وتطبيق مفهوم الحوارية عليها، إلى جهود ديكرود (O.Ducrot) وأنكومبر

(1) — اهتمت الدراسات القائمة على المقاربة الأصواتية بكل أنماط الخطابات، بما فيها الخطاب السردية، إذ من المعروف أن بداياتها عند م. باختين تأسست على تحليل الرواية، ثم تم توظيفها في دراسات الخطابات الأخرى، لا سيما الخطابات الجادة ذات الوظيفة التواصلية الاجتماعية، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود دراسات سردية أصواتية، مثل الأبحاث التي أجراها باحثون ينتمون إلى فريق البحث السكندنافي.

(2) — أمثلة: دراسات تداولية للخطاب الإعلامي: رويتمان (الأصواتية الحجاجية، دراسة في المقال الافتتاحي Roitman. Malin: polyphonie argumentative -Etude de la négation dans les éditoriaux du Figaro, de Libération, et du Monde

; وأوفيين جيسنارد (الأصواتية الخطابية: نحو حوارية مرساة في اللغة وفي التفاعل Gjestard. Øyvind: La polyphonie discursive _ Pour un dialogisme ancré dans la langue et l'interaction

و لمزيد الاطلاع تنظر خاصة أعمال الفريق السكندنافي ScaPoLine : Polyphonie littéraire et linguistique . Documents de travail. Roskilde: Samfundslitteratur.

(3) — في كتابه :

La poétique de Dostoïevski Esthétique du roman, Esthétique de la création verbale

(J.C.Anscombe) في التأسيس اللساني لمفهوم الأصواتية،⁽¹⁾ إلى إسهامات مدرسة جنيف الحوارية وفريق البحث السكندنافي،⁽²⁾ في توسيعها إلى التطبيقات الخطابية؛ استقر البناء النظري لهذه المقاربة التي ما انفكت تتطور، وتأتي بالجديد، وتقدم نموذجاً في التحليل غنياً بالاقتراحات، إن على المستوى النظري، أو التطبيقي. من أجل التمهيد النظري لتطبيق هذه النظرية على مدونة الرسائل، سنعمد في هذا الفصل إلى إيضاح الجوانب النظرية التي نراها ضرورية لإضاءة مسارات البحث التطبيقي فيما بعد، وقد اخترنا أن نتناول في هذا الفصل النظري المدخلي، أولاً تبيان الصلة بين التداولية والنظرية الأصواتية، لنُعقب ذلك باستعراض جهود الباحثين والمدارس ومساهماتها في تطور النظرية الأصواتية، ونخلص في الأخير إلى عرض الجهاز المفاهيمي الذي سنتكئ عليه في الفصول التطبيقية.

(1) _ خاصة في كتابهما المشترك: L'argumentation dans la langue
 (2) - سيتم التعريف بهذه المدارس لاحقاً عند تناول نظريات التعدد الصوتي، ص 52 وما بعدها

الأصول التداولية لنظرية التعدد الصوتي

لا بد لنا قبل أن نعرض الأصول التداولية لنظرية التعدد الصوتي من تقديم إيجاز تاريخي لنشأة المقاربة التداولية وتطورها، حتى يتسنى لنا مَوْقَعَة التيارات التي أسست للنظرية الأصواتية ضمن هذا الحقل الواسع المعروف بالتداولية.⁽¹⁾

يعود أول استخدام لمصطلح "تداولية" إلى الفيلسوف والسيماي الأمريكي ش. موريس⁽²⁾ (Ch.Morris)، والذي تحدّث عن ثلاث مستويات للدراسة اللسانية: المستوى التركيبي ويختص بدراسة علاقة العلامات بعضها مع بعض، والمستوى الدلالي ويخص علاقة العلامات مع ما تدل عليه، والمستوى التداولي ويعنى بالعلاقة بين العلامات ومستعملها.⁽³⁾ إلا أن النشأة الحقيقية للدرس التداولي كما يتفق على ذلك جلّ الباحثين ارتبطت بدراسات أقطاب الفلسفة التحليلية، وتحديدًا الاتجاه الذي عني بدراسة اللغة العادية.⁽⁴⁾ فقد كانت "محاضرات وليام جيمس" التي ألقاها ج. ل. أوستين (J.L.Austin) في جامعة هارفارد سنة 1955، فاتحة

(1) - يقسم موشلر ج. ر. روبول. آن النظريات التداولية إلى ثلاثة أنواع: - نظريات خطية ذات مترع منطقي (أتباع بيرس وش. موريس) - نظريات ذات الشكل Y (والتسمية لبيريندونير) وتضم اللسانيين المتحدريين من التقليد الأوربي (ديكرو و أنكومبر وغيرهما) - نظريات عرفانية: وتوصف بالجدرية، وتضع التداولية ضمن دائرة العلوم العرفانية (تمثلها نظرية د. سبرير ود. ولسن). ينظر: جاك موشلر وآن روبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الباحثين، ط2، دار سيناترا للنشر - المركز الوطني للترجمة، تونس 2010، ص 40-45

(2) - شارل موريس فيلسوف وسيماي أمريكي (ولد سنة 1901)، من أهم كتبه: Signs, Language and Behaviour (1946) ويعد من أتباع مؤسس علم السيميوطيقا ش. س. بيرس، الذي يعتبره الكثيرون المؤسس الحقيقي للتداولية، لكن لو انسقنا وراء عد كل محاولة لدراسة استعمال اللغة تأسيسا للتداولية، لوجدنا أنفسنا أمام آراء لا حصر لها في نسبة التأسيس لأعلام ينتمون إلى عصور مختلفة، وحقول معرفية متنوعة (ينظر في تتبع تناول جذور الدرس التداولي: ف. أرمغو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ص 14_40)

(3) - Mainguenu. D, 2005: Pragmatique pour le discours littéraire, éd Armand Colin, p3

(4) - مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب - دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر / بيروت 2005، ص 22

الدراسات التداولية،⁽¹⁾ وقد عنوانها بـ "كيف نصنع أشياء بالكلمات" **How to do things with words**،⁽²⁾ وتناول فيها موضوع أفعال اللغة، ثم جاء بعده ج. سيرل (J.Searle)، فطور صنفاته لأفعال الكلام بصورة جعلتها أكثر نجاعة وفعالية،⁽³⁾ وقد تقاطع الدرس التداولي للغة مع ازدهار اللسانيات التلفظية عند إ. بنفنيست (E.Benveniste)، لاسيما مفاهيمه حول التداوت وعلاقة الملفوظ بعملية التلفظ، ودور الإشارات في إرساء التلفظ في المقام،⁽⁴⁾ وهو ما هياً لتأثير نظرية أفعال الكلام في الدراسات اللسانية، على أيدي لسانيين مثل ديكرو (O.Ducrot) وأنكومبر (J.C.Anscombe) وك. ك. - أوركيوني (C.K-Orechionni)، وغيرهم ممن ساهموا في تطوير حقل التداولية اللسانية. وفي تلك الأثناء كان حقل الدراسات التداولية آخذاً في التوسع ليتحول إلى ملتقى لتيارات تنتمي إلى تخصصات متعددة ومتنوعة.⁽⁵⁾

(1) - يقول ليونز (J.Lyons) إنه ليس واضحاً ما إذا كان أوستن يسعى إلى وضع نظرية لأفعال الكلام كما فسرها تلاميذه وأتباعه. (ينظر: ليونز. جون: اللغة و المعنى و السياق، تر: عباس صادق الوهاب، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد-العراق 1987، ص191)

(2) - ترجمه إلى الفرنسية ج. لان (Gilles Lane)، تحت عنوان: (Quand dire c'est faire, Seuil 1970) وترجمه إلى العربية عبد القادر قينيني تحت عنوان (نظرية أفعال الكلام العامة - كيف نصنع الأشياء بالكلمات؟)

(3) - Moeshler. Jacques & Auchlin. Antoine, 2009: Initiation à la linguistique contemporaine, 3e éd, Armand Colin, Paris, p143,146

(4) - Benveniste. Émile, 1966: Problèmes de la linguistique générale II. Paris, Gallimard, p259-260

(5) - ينظر بعضهم إلى هذا نظرة سلبية بقدر ما يعتبره آخرون من مزايا التداولية، فهناك من يعتبر التداولية سلة مهملات للقضايا التي يتعذر معالجتها في حقل اللسانيات، مثل بار-هيلال Bar-hillel الذي سماها "سلة المهملات"، ومنهم من يأخذ عليها عدم استقرار جهازها المفاهيمي وتشنته بسبب تداخل الاختصاصات التي ساهمت في نشأتها مفاهيمها وبلورتها (لمزيد من التفصيل في نقد التداولية، ينظر: بلانشيه. فيليب: التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية-سوريا 2007، ص17-18؛ وينظر أيضاً:

(Encyclopaedia Universalis, France SA 2008, p759, 579, 582

1. نظرية أعمال اللغة:

مثّلت نظرية أعمال اللغة المحضن الذي نمت فيه التداولية اللسانية وترعرعت - كما تقدّم بيانه - وتقوم هذه النظرية على أطروحة أساسية، هي أن وظيفة اللغة ليست وصف العالم، حتى عندما نستخدم جملا تصريحية Déclaratives، بل إن وظيفتها هي إنجاز أعمال، مثل: الأمر، والوعد، والتعميد... إلخ.⁽¹⁾ وقد وضع أسس هذه النظرية الفيلسوف البريطاني ج.ل. أوستين (John Langshaw Austin)، وطورها بعده الفيلسوف الأمريكي ج.ر. سيرل (John R Searle)، وعرف عن هذه النظرية أنها كانت أقوى النظريات تأثيرا في أعمال التداوليين اللسانيين،⁽²⁾ وإن كانت هناك نظريات أخرى خالفتها في الرؤية، والمنهج، والمفاهيم، وبايبتها من ثم في النتائج.⁽³⁾ وقد ساهمت هذه النظريات، ونظريات أخرى كثيرة في إغناء حقل البحث التداولي الواسع، بما اجترحته من مفاهيم، وما وضعته من مصطلحات، وتمشيات تحليل.

يميل جل الباحثين إلى التأريخ لنشأة التداولية باعتماد سنة 1955، وهي السنة التي ألقى فيها ج.ل. أوستين "محاضرات وليم جيمس"، والتي تناول فيها مفهوما جديدا سماه (أعمال اللغة)⁽⁴⁾. وكان بذلك يؤسس لتصور جديد للغة ووظيفتها

(1) - ليونز. جون: مرجع سابق، ص 191

(2) - المفارقة أن أصحابها لم ينعتهوا بالتداولية. تقول ف. أرمنغو: "...ومع هذا تشاء سخرية التاريخ ألا يستعمل

(أوستن) و(سيرل) تسمية التداولية لصالحهما " ينظر : المقاربة التداولية ، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ص 60

(3) _ نلمح هنا خصوصا إلى نظريتي الضمنيّات لغرايس، والملاءمة لولسن وسيربر خصوصا، وهما اللتان اخترنا أن نعرض

لهما بشيء من التفصيل، لوجود كثير من التقاطعات بين جهازهما المفاهيمي، والتداولية المندجة المعتمدة كمنهج تحليل في بحثنا

(4) _ انقسم الباحثون العرب إلى فريقين عند ترجمتهم للمصطلح الأجنبي (Actes de langage (Speech acts) فترجمه

بعضهم بأفعال اللغة أو الكلام، وترجمه الآخرون بأعمال اللغة أو الكلام

يختلف جذريا عن التصور الذي لُقِّنه في المناخ الفلسفي الذي نما وترعرع فيه، المناخ الذي ساد فيه النظر إلى اللغة باعتبارها أداة لوصف العالم وموجوداته.⁽¹⁾

في مقابل هذا التصور التقليدي لوظيفة اللغة، والذي يقوم أساسا على مفهوم "شروط الصدق المنطقي"، عمد أوستين (Austin) إلى طرح تصوره الجديد ذي المتزح "الإجرائي العملي"، القائم على اعتبار وظيفة اللغة هي إنجاز أعمال، وهكذا خلّص أوستين الدراسة الفلسفية للغة مما سمّاه "الوهم الوصفي"⁽²⁾، فحصر نظريته في دراسة استعمال اللغة.⁽³⁾ وقد انطلق في التأسيس المفاهيمي لهذه النظرية من فحص ملفوظات إثباتية، تتضمن جملا أسندت إلى ضمير المتكلم المفرد "أنا"، مبنية للمعلوم، وتميزت بأنها لم تكن تصف شيئا، ولا تحمل الصدق أو الكذب، بل دلّت على إنجاز أعمال.

وهكذا انطلق أوستين في بداية الأمر من التمييز في فئة الملفوظات الإثباتية، بين ملفوظات إثباتية تصف العالم، وأخرى تنجزُ بواسطتها أعمال،⁽⁴⁾ نحو قولنا:

__ القط فوق الحصير

(1) _ Moeshler.Jacques & Auchlin. Antoine : op.cit ,p143

(2) _ موشر.ج. _ روبول. آن: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني، ط1، المنظمة العربية للترجمة- دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت - لبنان 2003، ص30؛ وينظر أيضا: موشر.ج. _ روبول. آن : القاموس الموسوعي للتداولية، ص56

(3) - هناك من يربط تأسيس نظرية أعمال الكلام و التداولية عند أوستين "بالتعليق على فرضية فينغانشتين (...). الشهيرة التي يتحدد بناء عليها "معنى الكلمة بأنه استخدامها"، أي أن العوامل الذرعية (التداولية) هي في النهاية التي تحدد المعنى الحقيقي للكلمات (و الوحدات اللغوية الأخرى)" فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالخ بن شبيب العجمي، سلسلة اللغويات الجرمانية الكتاب رقم115، النشر العلمي والمطابع - جامعة الملك سعود، الرياض - السعودية 1999، ص62

(4) _ بلانشيه. فيليب: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 53_54؛ وينظر أيضا ج. ل. أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة _ كيف نصنع الأشياء بالكلمات، تر: عبد القادر قنيني، ط2، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء - المغرب 2008، ص20_12

_ أعدك بأني سأخذك للتتره غدا (1)

فسمي الصنف الأول "وصفيات" **Constatifs**، والثاني "إنجازيات" **Performatifs**، بحيث يصح أن نعلق بالأولى قيمة الصدق؛ فيكون المثال الأول أعلاه صادقا، إذا وفقط إذا كان القط فوق الحصر، بينما لا يصح الحكم على الثاني "الإنجازيات" بواسطة قيم الصدق، إنما يصح أن نحكم عليها بالنجاح، إذا أنجز العمل (الوعد) وحصل توفيق، وبالإخفاق إذا لم ينجز العمل ولم يحصل توفيق. (2)

فكما أن الأعمال الوصفية تخضع لشروط الصدق في الحكم عليها بالصدق أو الكذب، فإن الأعمال الإنجازية تخضع لشروط النجاح التي تحدّد نجاحها أو إخفاقها، وتتحكم في شروط النجاح مواضع إجرائية، تكون أحيانا مؤسسية، كما هو الحال في الزواج، والتعميد، والبيع، والاجتماعات الرسمية... إلخ؛ وتكون أحيانا أخرى غير مؤسسية. (3) كما تتحكم في هذه الشروط درجة أهلية المتكلم ومخاطبه، ومدى ملاءمة حالتها الذهنية والنفسية، واستعدادهما لتنفيذ الأعمال على الوجه الصحيح والتام، وكذا مناسبة الظروف لإرسال القول، ومدى تطابق كل ذلك مع اشتراطات العمل اللغوي المنجز. (4)

وإجمالا، يمكن اختزال شروط النجاح في أمرين أساسيين هما:

(1) _ Moeshler.Jacques & Auchlin. Antoine : op.cit, p144

(مع تعديل بسيط للمثال الثاني. والمثالان في الأصل مقترضان من أوستين (ينظر: ج. ل. أوستين، مرجع سابق، ص 65 و 93، ويستشهد بهما معظم الباحثين عند عرضهم لمبادئ نظرية الأعمال اللغوية)

(2) _ المبخوت. شكري: دائرة الأعمال اللغوية، ط 1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2010 ص 90؛ وينظر أيضا:

ج. ل. أوستين: مرجع سابق، ص 23_37؛ و موشر.ج. _ روبول. آن: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 57، 60،

(3) _ ف. أرمنغو: مرجع سابق، ص 61

(4) _ Moeshler.Jacques & Auchlin. Antoine : op.cit, p144

وينظر أيضا للتفصيل: موشر.ج. _ روبول. آن: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 57-60

_ أن يتوجه المخاطب إلى مخاطب معين

_ ينبغي للمخاطب أن يكون قد فهم ما قاله له المتكلم في الملفوظ الذي أُنجز

بواسطته العمل اللغوي⁽¹⁾

التمييز بين الوصفيات والإنجازيات وأصناف العمل اللغوي (عمل القول،

العمل المتضمن في القول، وعمل التأثير بالقول)⁽²⁾:

لم يصمد التمييز بين الوصفيات والإنجازيات أمام النقد الذي سلّطه عليه

أوستين (Austin) نفسه؛ فالتمييز بينها على أساس خضوع الأولى لشروط الصدق،

وخضوع الثانية لشروط النجاح، لا يصدق على كل الملفوظات الإنجازية، إذ أن

هناك إنجازيات صريحة وأخرى ضمنية، فإلى جانب المثال السابق: "أعدك بأني

سأخذك للتره غدا" يمكننا أن نجد ملفوظا إنجازيا آخر يحمل الوعد نفسه، ويكون

حاليا من الفعل "وعد"⁽³⁾، كأن نقول:

_ سأخذك للتره غدا

وزيادة على ذلك، لاحظ أوستين أن الملفوظات الوصفية أيضا يمكن أن

تنجز بواسطتها أعمال لغوية ضمنية، أي أفعال إثباتية،⁽⁴⁾ مثل قولنا:

(1) _ المبخوت. شكري: دائرة الأعمال اللغوية، ص 90

(2) _ تباينت ترجمات الباحثين العرب للمصطلحات الثلاثة: Acte locutionnaire, Acte illocutionnaire, Acte, perlocutionnaire)، ولا سيما المصطلح الثاني، وفيما يلي بعض هذه الترجمات وأصحابها: سيف الدين

دغفوس ومحمد الشيباني (عمل القول، العمل المتضمن في القول، وعمل التأثير بالقول)؛ عبد القادر قنيني (فعل الكلام، قوة

الكلام، لازم فعل الكلام)؛ المبخوت. شكري (العمل القولي، العمل في القول، عمل التأثير بالقول)؛ صابر الحباشة (العمل

القولي، العمل اللاقولي، عمل التأثير بالقول) محمد يحياتن (الفعل اللغوي، الفعل الإنشائي، الفعل التأثري)؛ طه عبدالرحمن

(الفعل الكلامي، الفعل التكلمي، الفعل التكلمي) منذر العياشي (العمل الكلامي، العمل الكلامي التحقيقي، عمل الأثر غير

المباشر للكلام)؛ فالخ بن شبيب العجمي (فعل التلفظ، فعل الإنجاز النظري، فعل الإنجاز التام) وغيرها من الترجمات التي لم

نطلع عليها، وتعلقنا على هذه الظاهرة لن يضيف جديدا إلى ما قيل في استهجائها وتبيان ضررها البالغ.

(3) _ بلانشيه. فيليب: مرجع سابق، ص 57-58

(4) _ نفسه، ص 56_57

_ أنا أوكد أن القط فوق الحصير

ومن ثم يمكننا إخضاع هذه الملفوظات الوصفية لشروط النجاح، تماما مثل الملفوظات الإنجازية، ولا يكون هناك بينها من فارق يدعو إلى تمييز إحداها من الأخرى،⁽¹⁾ وهذا ما أدى إلى نفس التمييز (الوصفي/الإنجازي) من أساسه.

ولما تبين لأوستين أن التمايز بين شرط الصدق وشروط النجاح لا يكون دائما تاما وواضحا، وأنهما يمكن أن يجتمعا في الحكم على الملفوظ نفسه، انتهى إلى وجوب التخلي عن التصنيف الذي بناه على أساس هذا التمايز، وتبنى تمييزا آخر تُصنّف فيه مختلف الأعمال اللغوية (الملفوظات الوصفية والإنجازية على السواء)⁽²⁾ وفق ثلاثة أنماط تتحقق في كل ملفوظ، وهي:

1_ عمل القول Acte locutionnaire: وهو العمل الذي نحققه بمجرد

تلفظنا بأي قول، بغض النظر عن المعنى الذي يحمله.

2_ العمل المتضمن في القول Acte illocutionnaire: وهو العمل الذي

نحققه عندما نتلفظ بالقول، لأجل أن نبلغ معنى يحمله هذا القول.

3_ عمل التأثير بالقول Acte perlocutionnaire: وهو العمل الذي

يتحقق عبر تلفظنا بالقول، ويتعلق بالنتائج والتأثيرات التي يتركها القول.⁽³⁾

(1) _ Moeshler.Jacques & Auchlin. Antoine : op.cit, p145

(2) _ موشر.ج. _ روبول. آن: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص32

(3) _ ينظر تفصيل هذه الأقسام في: المبخوت. شكري: دائرة الأعمال اللغوية، ص21_86) من أجل تفصيل أكبر ودراسة نقدية معمقة، وبلايشيه. فيليب: مرجع سابق، ص59، وموشر.ج. _ روبول. آن، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص31_32 (لعرض موجز)؛ ج. ل. أوستين: مرجع سابق، ص123_201 (للاطلاع المفصل على التقسيم في مصدره الأصلي). وينظر أيضا:

Mainguenu. D: Pragmatique pour le discours littéraire, p 7

فبمجرد نطقنا بالجملة المستخدمة في الملفوظ وفق قواعد اللغة المعجمية والتركيبية والدلالية، وحتى في غياب المخاطب، يكون ذلك كافياً لإنجاز عمل القول. وبالمقابل، ننجز عملاً متضمناً في القول (الوعد بواسطة الجملة السابقة، مثلاً) عندما نتلفظ بها ونوجهها لمخاطب نفترض فيه فهم معناها. ولا يكفل هذا العمل بالنجاح (التوفيق) إلا إذا تمت تلبية كافة شروط نجاحه. وفي الأخير، ننجز بالملفوظ المكوّن من الجملة ذاتها عملاً مؤثراً بالقول، إذا أدى فهم المخاطب لمعناها، بعد تلقيه للملفوظ، إلى تغيير في اعتقاداته وقناعاته،⁽¹⁾ كأن يقتنع بأن المتكلم يحيطه بعناية خاصة،⁽²⁾ أو في حالات أخرى، كأن نطرح سؤالاً لمقاطعة شخص يتحدث، أو لمضايقته، أو للفت انتباهه إلى أننا موجودون بالمكان.⁽³⁾

ونظراً للالتباس الذي قد يحصل بين نتيجة العمل المتضمّن في القول وعمل التأثير بالقول، حرص أوستين (Austin) على التمييز بينهما مبيناً أننا «...بواسطة القول ننجز فعل الكلام (...) وهو اصطلاح مختصر يكافئ التلفظ بعبارة ما يكون لها معنى ومرجع، وهذان العنصران يكافئان تقريباً "الدلالة بمعناها القديم" (...) وبالإضافة إلى ذلك، إننا ننجز أيضاً قوى أفعال كلامية (...) كالإخبار وإصدار الأمر والتحذير، ومباشرة الأمور، وغير ذلك، (...) ثالثاً أنه يجوز أيضاً أن ننجز لازم أفعال الكلام (...) ويدل هذا على أن ما يُحدّثه الفاعل طبقاً لقوله شيئاً ما، يكون القيام به

(1) - يمثل أوستين لهذه الأعمال الثلاثة بالأمثلة التالية: 1- قال لي: "أطلق عليها النار" وهو يعني بـ "أطلق" معنى "أطلق عليها" ويجعل بالضمير "ها" على هي. 2- يحثني/ينصحي/بأمرني بأن أطلق النار. 3- أقنعني بأن أطلق عليها النار (موشلر.ج. - روبول. آن : القاموس الموسوعي للتداولية، ص65)

(2) _ Moeshler.Jacques & Auchlin. Antoine: op.cit, p145

(3) _ Mainguenu. D: Pragmatique pour le discours littéraire, p7

تماماً؛ وقع الفراغ منه كالحمل على الاعتقاد...»⁽¹⁾ والغاية من هذا التمييز تركيز الاهتمام على العمل المتضمن في القول، قطب الرحي في نظرية الأعمال اللغوية،⁽²⁾ المعني بتصنيف الأعمال الإنجازية عند أوستين (Austin)، ثم عند سيرل (Searle).

صناعة الأعمال المتضمنة في القول عند أوستين:

بعد تخليه عن التصنيف القائم على التمييز بين الوصفي والإنجازي، أقرّ أوستين أن التلفظ بأية جملة نحوية كاملة في ظروف عادية، ينتج عنه وفقاً لذلك كله إنجاز عمل متضمن في القول، وهذا العمل يمكن أن تحدّد قيمته حسب نمط العمل المنجز، وقد وضع أوستين خمسة أصناف كبرى تندرج ضمنها الأعمال المتضمنة في القول،⁽³⁾ وهي:

1. الحكميات Verdictifs: أو الأعمال القانونية (برأ، أدان، قرّر، إلخ)
2. التنفيذيات Exercitifs: (نزل، طلب، أمر، عفا، أوصى، إلخ)
3. الوعدييات Promissifs: (وعد، تعهد، ضمن، راهن، أقسم أن، إلخ)
4. السلوكيات Comportatifs: (اعتذر، شكر، أسف، نقد، إلخ)

(1) _ ج.ل. أوستين: مرجع سابق، ص 141

(2) _ يفسر شكري المبخوت التركيز على العمل في القول وإهمال العمل القولي وعمل التأثير بالقول، بسبب الاهتمام بالإحالة والحمل لدى أوستين وسيرل، و"انشداد نظريتهما إلى أصولها المنطقية" (دائرة الأعمال اللغوية، ص 21 و 65)، بينما يذهب بلانشيه. فيليب إلى ربط ذلك بالطبيعة الإنجازية التواضعية لآثار العمل المتضمن في القول التي يتحكم فيها المتكلم، قياساً إلى آثار عمل التأثير بالقول الذي لا يخضع للمواضعة، ويتأبى على التحديد (بلانشيه. فيليب: مرجع سابق، ص 60). ويرى ريكور أن "...الفعل التأثيري... هو أكثر جوانب الفعل الكلامي تعذراً على النقل، بقدر ما تكون الأولوية لللا-لغوي على اللغوي في مثل هذه الأفعال. فوظيفة الفعل التأثيري أيضاً أكثر تعذراً على النقل، لأنه فعل أقل قصدياً، ويستدعي قصدياً إدراك من لدن السامع، أكثر مما في نوع من "المثير" الذي يولد "استجابته" بالمعنى السلوكي." (ريكور. بول: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء- المغرب 2006 ص 46)

(3) _ موشلر. ج. _ روبرول. آن : القاموس الموسوعي للتداولية ص 66-67 ؛ وينظر أيضاً: بلانشيه. فيليب: مرجع سابق، ص 62 ؛ وج.ل. أوستين، مرجع سابق، ص 186_187 ؛ وف. أرمنغو: مرجع سابق، ص 62_63

5. العرضيات Expositifs: (أثبت، نفى، صادر على، لاحظ، إلخ)⁽¹⁾

نظرية أعمال اللغة عند سيرل:

أضاف سيرل (Searle) إلى نظرية الأعمال اللغوية مبدأ مهما هو: مبدأ القابلية للتعبير، الذي يكون بموجبه كل ما نريد قوله، قابلاً لأن يقال، ويعبر عن هذا المبدأ منطقياً بالصيغة التالية:

"لكل دلالة س وبالنسبة لكل متكلم م، كلما أراد أن يدل (له نية تبليغ، يرغب في أن يبلغ،... إلخ) على س، فإنه من الممكن أن توجد عبارة ع، بحيث إن ع هي العبارة الدقيقة عن س أو صيغتها الدقيقة"⁽²⁾.

يؤسس هذا المبدأ لرؤية جديدة في نظرية أعمال اللغة، تنبني على اعتماد مفهومين مركزيين، هما: القصد والقواعد (المواضعات)، فالمتكلم الذي يتوجه إلى مخاطبه يكون لديه قصد في تبليغه محتوى معيناً، وهذا المحتوى يبلغه إياه بواسطة معنى، اعتماداً على قواعد تحدد العبارات التي ينبغي التلفظ بها لتحقيق ذلك.⁽³⁾ غير أن التجديد الحقيقي الذي جاء به سيرل يتمثل خصوصاً في اجتراحه لمفهومين آخرين،

(1) - ترجمها ع. قنيني: القرارات التشريعية، الممارسات التشريعية، ضروب الإباحة، الأوضاع السلوكية، الإثباتات الموصوفة المفسرة، (ص 186-187، ينظر تفصيلها: ج.ل. أوستين، مرجع سابق، ص 186-200)؛ وترجمها الحباشة على التوالي بـ: الحكميات، التنفيذيات، الوعديات، السلوكيات، العرضيات (موشلر.ج. - روبول. آن: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 62)؛ ويعتمد سعيد علوش الترجمات نفسها، ماعدا التنفيذيات، فهو يسميها "التمرسية" (ف. أرمنغو: مرجع سابق ص 62)

(2) - موشلر.ج. - روبول. آن: القاموس الموسوعي للتداولية ص 66-67

(3) - المبخوت. شكري: دائرة الأعمال اللغوية، ص 46

مميز بهما بين مكونين للملفوظ، هما: مفهوم (واسم المحتوى القضوي)، ومفهوم (واسم القوة المتضمنة في القول).⁽¹⁾

ونوضح ذلك بالمثال التالي: "أعدك بالحضور غدا"، نلاحظ أنه من السهولة بمكان _ كما هو الحال في جل الملفوظات الإنجازية الصريحة _ أن نميز بين واسم المحتوى القضوي المتمثل في "الحضور غدا"، وواسم القوة المتضمنة في القول: "أعدك"،⁽²⁾ وإذا كان هذا التمييز متيسرا في حالة الملفوظات الإنجازية الصريحة، فإن الإنجازيات المضمرة _ كما هو الحال في المثال: "سأحضر غدا" _ يفترض فيها بناء على مبدأ القابلية للتعبير، أن تكون مكافئة في ذلك للإنجازيات الصريحة،⁽³⁾ ومن ثم تكون هي الأخرى قابلة لتمييز الواسمين؛ واسم المحتوى القضوي، وواسم القوة المتضمنة في القول.⁽⁴⁾

• صنف الأعمال اللغوية حسب سيرل: اقترح سيرل (Searle) بدوره

صنف الأعمال اللغوية سعى فيها إلى أن تكون قابلة للتطبيق على مختلف أصناف الأعمال اللغوية، معتمدا على شبكة من المعايير ينتظمها إثنا عشر نمطا سعى من

(1) _ موشر.ج. _ روبول. آن: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص33

(2) _ نفسه، ص33

(3) _ كان لهذا صدى عند عالم الدلالة روس Ross الذي اقترح مفهوم الفرضية الإنشائية القاضي بأن كل الملفوظات تنطبق عليها الفرضية الإنشائية، مما فيها الملفوظات الوصفية التي تحمل في بنيتها العميقة سابقة إنشائية تقدر بـ "أؤكد، أو أعتقد"، فلو أخذنا المثال الطقوسي (القطعة فوق الحصر) وطبقنا عليها الفرضية الإنشائية، لحصلنا على (أنا أؤكد أن القطعة فوق الحصر)، غير أن هذا الطرح المؤيد لسيرل، وجد اعتراضا شديدا من بوير ولايكن، اللذين نبها إلى وجود فارق بين الملفوظين في كونهما لا يتساويان عند تطبيق شروط الصدق عليهما، ففي الملفوظ الأول يخضع وجود القطعة فوق الحصر لاختبار الصدق والكذب، وفي الثاني يخضع اعتقاد وجودها لذلك الاختبار (للتفصيل، ينظر: موشر.ج. _ روبول. آن: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص35_36) بينما يذهب بنفيسست إلى وضع تواز "بين الفعل الإنشائي وفعل الاعتقاد موضع بدهاء.. إذ يلاحظ بنفيسست الدور غير الوصفي لمحددات الذاتية - أي للوسائل التي يعلق عبرها المتكلم عن موقفه مما يقول" (ينظر: صابر الحباشة: التداولية و الحاجاج، ص90)

(4) _ Moeshler.Jacques & Auchlin. Antoine: op.cit, p 146

خلالها إلى حصر الاختلافات التي يمكن أن توجد بين الملفوظات، والتي ينبغي مراعاتها عند تصنيف الأعمال اللغوية.⁽¹⁾

هذا المزيج من المعايير سمح لسيرل (Searle) باستخلاص خمسة أصناف كبرى للأعمال اللغوية، تتناسب حسب تحليل شكري المبخوت، مع «خمس طرق لاستعمال اللسان:

(أ) قد يخبر المتكلم الآخرين عن حالة الأشياء في الكون (الخبريات)

(ب) قد يسعى المتكلم إلى حمل الآخرين على فعل شيء ما (التوجيهات)

(ج) قد يلتزم المتكلم بفعل شيء ما (الوعديات)

(د) قد يعبر المتكلم عن مشاعره ومواقفه (الإفصاحيات)

(هـ) قد يغير المتكلم حالة الأشياء في الكون بواسطة القول (الإيقاعيات) «⁽²⁾»^(*)

وقد كان لنظرية أعمال اللغة في صورتها التي بلورها سيرل أثر كبير في التداوليات اللسانية، ولاسيما في الأعمال التي اضطلعت بشكلتها هذه النظرية، وضبط تقنياتها، واستكمال صياغة قواعدها وإجراءاتها التطبيقية. فقد اقترحت. فان

(1) هذه الأنماط هي: "1. اختلافات بالنسبة لغاية الفعل 2. اختلافات في توجيه الترتيب بين الكلمات والأشياء 3. اختلافات تمس الحالات السيكولوجية المعبر عنها 4. اختلافات في حدة الاستثمار أو الالتزام المعبر عنه في تقديم وجهة الإنجاز 5. اختلافات في مقياس أو وضعية المتكلم والمستمع في حدود حساسية قوة إنجاز الفعل 6. اختلافات في الطرق التي يرتبط بها القول بمصالح المتكلم والمستمع 7. اختلافات في العلاقة بمجموع الخطاب والسياق الخطابي 8. اختلافات في المضمون القضوي 9. اختلافات بين الأفعال، كأفعال لغة دائمة، و بين تلك التي تنجز كأفعال لغة دون أن تخضع لما هو مطلوب 10. اختلافات بين الأفعال التي تتطلب مؤسسات خارج لسانية، وتلك التي لا تتطلب ذلك 11. اختلافات بين الأفعال، أو الأفعال الإنجازية المطابقة لإنجاز ما، أو غير المتوافرة على ذلك 12. اختلافات في أسلوب إنجاز الفعل الإنجازي" (ينظر: أرمغو: مرجع سابق ص 63-66؛ وبلانشيه. فيليب: مرجع سابق، ص 63-65)

(2) _ المبخوت. شكري: دائرة الأعمال اللغوية: ص 153؛ وينظر أيضا: موشلر. ج. _ روبول. آن: القاموس الموسوعي للتداولية ص 75-76

(*)-يقترح سعيد علوش ترجمات مختلفة: التأكيدات Assertifs والأوامر Directifs الإلتزامات Commissifs التصريحات Expressifs الإدلاءات Déclarations (أرمغو: مرجع سابق، ص 66_68)

دايك (Teun. Van Dijk) توسيعها لتكون وظيفية في تحليل الخطاب، فاجترح مفهوم الفعل الكلامي الأكبر المجرد والإنجازي ليوازي في علاقته مع الفعل الكلامي الأصغر، علاقة النص بالجملة، وعلاقة الخطاب بالملفوظ، مؤكداً أن «بعض المتواليات الخاصة بأفعال الكلام الإنجازية المتنوعة تنوى قصداً وتخطيطاً، وتفهم – ومن ثم لها وظيفة مجتمعية- كما لو كانت فعلاً إنجازياً واحداً»⁽¹⁾ ويقوم هذا التصور على فرضية اعتبار متواليات الأفعال الكلامية المكونة للخطاب عملاً كلامياً كلياً ينجزه الخطاب في "المحاورات وأنواع التخاطب والأحاديث" التي «يمكن أن يتعين اتساقها الكلي ووحدها ومن ثم وظيفتها الشاملة من خلال إطار فعل كلامي كلي»،⁽²⁾ كالخطبة السياسية الانتخابية التي تكون قيمتها الجمالية معادلة لقيمة التحضيز التي تعبر عنها الجملة (الفعل الإنجازي الأصغر): "صوتوا لفائدتى".⁽³⁾

وعلى مستوى تحليل الخطاب الأدبي، يطرح د. مانغونو (D.Mainguenau) إشكالية الأعمال اللغوية الكلية في الخطاب، إذ "تواجه التداولية النصية مقاطع متفاوتة الطول مكونة من أعمال لغوية تسمح بتبيين القيمة اللاقولية الكلية في مستوى أعلى، مستوى الأعمال اللغوية الكلية أو الكبرى، وهنا نكون في مواجهة إشكالية أجناس الخطاب؛ فإذا أدرك المخاطب إلى أي جنس ينتمي مجموع الملفوظات، أمكنه أن يقوم بالتأويل المناسب [للخطاب]، الذي لن يكون حاصلًا جمعيًا لتأويلات الملفوظات الأولية"⁽⁴⁾ وهو ما يؤكد هيمنة فكرة التوازي بين ثنائية

(1) _ فان دايك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، تر: عبد القادر قنيني، د ط، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب 2000، ص 316

(2) _ نفسه، ص 323

(3) _ ب. شارودو و د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 21_22

(4) -Mainguenau. D:Pragmatique pour le discours littéraire.p11-12

(الفعل الكلامي الأصغر/ الفعل الكلامي الأكبر) وثنائية (الملفوظ أو الجملة/ الخطاب أو النص).⁽¹⁾

2) تداولية التضمينات عند غرايس

تندرج تداولية غرايس (H. P. GRICE) في إطار التقابل بين تصورين للتواصل؛ تصور يقوم على النموذج التشفيري (الترميزي)، وآخر يقوم على الاستلزام، وتوضع نظرية غرايس عادة في موقع وسط بينهما، إذ أنها تمزج أو تؤلف بين التأويل التشفيري والتأويل الاستلزامي للملفوظات،⁽²⁾ وتشارك في ذلك مع جميع النظريات التداولية المعرفية المبنية على الجمع بين آليتي الترميز و الاستدلال في تأويل الأقوال.⁽³⁾ وتقوم نظرية غرايس التداولية على مبدئين مركزيين هما:

مبدأ الدلالة غير الطبيعية: حيث أن فهم المخاطب للمفوظ ما، يرجع إلى فهمه لقصد المتكلم، عبر اكتشافه لهذا القصد.

مبدأ التعاون: حيث أن الاستلزامات التي يقوم بها المخاطب تكون نتيجة لافتراض أن المتكلم متعاون معه.⁽⁴⁾

ونظرا لأهمية هذين المبدئين، يجدر بنا أن نعرض لهما هنا بشيء من التفصيل.

(1) - من ذلك ما يقترحه موتش/فيهفيجر "من أنه يجب أن يوجد في كل تتابع أحداث لغوية (وأياها بالطبع في النصوص الكبيرة) على الأقل إنجاز نظري [عمل متضمن في القول] واحد يعطي دور المقصود من السلسلة بأكملها. يقوم هذا الإنجاز النظري بدور الإنجاز النظري المسيطر، بينما تنسب إلى البقية وظيفة مساعدة؛ فهي "تساعد" الإنجاز النظري المسيطر كأن توضح على سبيل المثال تعليقات حول عملية الرجاء" فولفجانج هاينه من وديترفيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص 68

(2) - Moeshler.Jacques & Auchlin. Antoine : op.cit، p169

(3) - عشير. عبد السلام: عندما نتواصل نغير، د ط ، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب 2006 ص 43

(4) - Moeshler.Jacques & Auchlin. Antoine : op.cit، p169

أ-الدلالة غير الطبيعية: يصاغ مشكل الدلالة غير الطبيعية في السؤال التالي: كيف يتمكن المخاطب من اكتشاف قصد المتكلم، أي المقصود من قوله؟ حين نقوم بفحص ملفوظ ما، نتبين وجهة البحث عن الدلالة غير الطبيعية ؛ فخلافا لعلامة كالدخان الذي يدل على وجود النار بطريقة طبيعية، فإن الملفوظ لا يدل على قصد المتكلم بالطريقة نفسها، نستطيع في أحسن الأحوال أن نقول إن المتكلم حين يتلفظ بالملفوظ (مل) يبلغ القضية (ق)، وأن يتعرف المخاطب على المقصود من قول المتكلم، فذلك يعني أن يكون قادرا على اكتشاف قصد المتكلم،⁽¹⁾ وعليه وضع غرايس التعريف التالي للدلالة غير الطبيعية، معتمدا على التباين الموجود في اللغة الإنجليزية بين ثلاث دلالات للفعل To mean، وهي أشار Indiquer، ودل Signifier، وقصد Vouloir dire: « أن نقول إن القائل قصد شيئا ما من خلال جملة معينة، فذلك يعني أن هذا القائل كان ينوي وهو يتلفظ بهذه الجملة إيقاع التأثير في مخاطبه بفضل فهم هذا المخاطب لنيته، ويرتبط مفهوم الدلالة غير الطبيعية ارتباطا وثيقا بأحد معاني الفعل الإنجليزي To mean، وهو المعنى الذي نترجمه بالفرنسية إلى Vouloir dire (قصد)»⁽²⁾

ويرتكز مفهوم القصد عند غرايس (GRICE) على تصور وجود قدرتين بشريتين تحققانه وتسمحان بتأويله؛ هما القدرة على اكتساب حالات ذهنية، والقدرة على نسبتها إلى الآخرين،⁽³⁾ حيث يتدخل الاستلزام الخطابي كآلية اشتغال للقدرة

(1) - Moeshler.Jacques & Auchlin. Antoine : op.cit, p170

(2) _ موشر.ج. _ روبول. آن : التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص53

(3) _ نفسه، ص52

الثانية في تأويل الجمل الذي « غالباً ما يتجاوز الدلالة التي نعزوها إليها بالمواضعة، ولهذا السبب يمكن التمييز بين الجملة والقول؛ فالجملة هي سلسلة من الكلمات التي يمكن لزيد أو عمرو أو صالح التلفظ بها في ملابسات مختلفة ولا تتغير بتغير هذه الملابسات؛ أما القول فهو حاصل التلفظ بجملة وهو يتغير بتغير الملابسات والقائلين». (1) ويعبر عن التمييز بين الدالتين الناتجتين عن الجملة والقول عادة، بالفرق الموجود بين ما قيل أو المقول (Le dit) وما تم إيصاله (Le transmis) أو ما تم تبليغه (Le communiqué). (2)

وانطلاقاً من تعريفه هذا للدلالة الطبيعية وما يتبعه من استلزام خطابي يبين غوايس (GRICE) كيف يتصرف المخاطب للتعرف على قصد المتكلم، اعتماداً على تشغيل مبدأ التعاون وقواعد المحادثة المتفرعة عنه.

ب - مبدأ التعاون (3) وقواعد المحادثة:

يرى غوايس أن المتكلمين (المخاطبين) في المحادثة، وفي أي شكل من أشكال التواصل اللغوي بصورة عامة، يتبنون تصرفات تعاونية، أو لنقل يتعاونون من أجل إنجاح المحادثة. وعلى أساس هذه الفرضية المتصلة بتوقعات المخاطب، يعمد هذا الأخير إلى إجراء الاستلزمات غير البرهانية، (4) غير أن هذا المبدأ لا يقرّ حتمية وقوع تعاون بين المخاطبين، فقد يرفض المخاطب التعاون، ويتسبب بذلك في

(1) _ موشر.ج. روبول. آن: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص54

(2) _ نفسه، ص56

(3) _ يستعمل مصطلح التعاون ترجمة لمصطلح Coopération، غير أن هناك من يستعمل مصطلحات أخرى كـ"التآزر" (تنظر ترجمة عبد القادر قنيني لكتاب: نظرية علم الدلالة (السيمانطيقا) لراث كميسون، ص102_103)

(4) - Moeshler.Jacques & Auchlin. Antoine : op.cit, p 170

وينظر أيضاً: عشير. عبد السلام: مرجع سابق، ص48؛ بلانشيه. فيليب: مرجع سابق، ص84

انقطاع المحادثة وفشلها، لكن يكون «افتراض التعاون في معظم الأحيان متغلغلا للغاية لدرجة أنه يمكن تسميته المبدأ التعاوني». (1) وبتعبير آخر تبرز أهمية هذا المبدأ في أن «الشركاء في تفاعل لغوي يتقاسمون، في العادة، هدفا مشتركا، إذا انعدم، لن يكون ثمة سبب للتواصل، وقد لا يتم التواصل على الأرجح». (2)

لكن تصرفات المتكلم خلال التواصل، إذا كانت تعاونية، فليس ذلك من قبيل الاعتبار أو الصدفة، بل هي تكون كذلك لأسباب عقلانية، إذ الحاصل أن المتكلم يتعاونه يتبنى مسلكية عقلانية، تتجلى في احترام قواعد التحادث أو خرقها، هذه القواعد تسمى قواعد المحادثة (3). إذن المبدأ العام هو مبدأ التعاون، أما القواعد المتفرعة عنه فهي مستلهمة من المقولات الكانطية الأربع، (*) وقد عرضها غرايس على النحو التالي:

1. قاعدة الكمية:

_ لتكن إفادتك المخاطب بالمعلومات بما يناسب حاجته _ لا تجعل معلوماتك

أكثر من المقدار المطلوب

2. قاعدة الكيفية:

_ لا تقل ما لست متيقنا من صدقه _ لا تقل ما ليس لديك عليه دليل

3. قاعدة العلاقة:

(1) _ يول. جورج: التداولية، تر: قصي العتاي، ط1، دار الأمان للنشر و التوزيع، الرباط-المغرب 2010، ص67

(2) _ بلانشيه. فيليب: التداولية من أوستين إلى غوفمان ص 84

(3) _ المصطلح باللغة الفرنسية: **Maximes de conversation** وترجمه الحباشة بـ "حكم المحادثة"

(*) - يعرفها لالاند في موسوعته بأنها "الأشكال القبليّة لمعرفتنا، التي تمثل كل الوظائف الجوهرية للفكر الإدراكي. وهي تستفاد من طبيعة الحكم، المنظور إليه في صورته المختلفة، وتنحصر في أربعة أصناف كبرى: الكم (...)، الكيف (...)، العلاقة (...)، الجهة (...)" الموسوعة الفلسفية، تع: خليل أحمد خليل، ط2، دار عويدات للنشر و التوزيع، بيروت-باريس 2001، ص152

_ لتكن أقوالك مناسبة للمقام

4. قاعدة الجهة:

_ لتجنب الالتباس والغموض _ لتحذر الإجمال المخل _ لتتكلم بإيجاز غير
مخل _ ليكن كلامك مرتبا متسلسلا (1)(*)

يقضي مبدأ التعاون بأنه على المتكلم أن يضبط سلوكه بالتناسب مع الاتجاه العام للمحادثة، وبعبارة أدق، إذا تعاون المتكلم فإنه سيقدم المعلومات الأوفر (الأقوى) المناسبة لأهداف المحادثة، أي ينتج ملفوظا صادقا (في حالة الإثبات) ملائما وواضحا،⁽²⁾ ولن يكون ذلك حتما من خلال التطبيق التام للقواعد التحادثية التي لا تتسم بطابع المعيارية، بقدر ما يتم عبر خرق بعضها لضمان فعالية التواصل وملاءمته، وهذا ما يحصل في أغلب الأحيان.

خرق قواعد المحادثة:

من مزايا نظرية غرايس (GRICE) المتعلقة بقواعد المحادثة، هو أن فائدة هذه القواعد لا تتحقق ضرورة عبر الالتزام بأي منها، بل إن طرافتها وأهميتها من منظور التحليل المحادثي قد تكون في خرق واحدة منها خرقا صريحا.⁽³⁾ في الحالة

(1)- عبد الرحمن. طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت. 1998
ص238_239 ؛ وينظر أيضا: يول. جورج: مرجع سابق ص68؛ بلانشيه. فيليب: مرجع سابق، ص84_85 ؛
موشلر. ج. _ روبول. آن : التداولية اليوم علم جديد في التواصل ص55_56
(*) _ ينتقد طه عبد الرحمن غرايس، مبينا أنه اهتم فقط بما يضبط الجانب التبليغي من التحادث، وأهم الجانب التهذيبي، الذي ذكره ذكرا هامشيا مع القواعد الجمالية والاجتماعية والأخلاقية، عبد الرحمن. طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص240_239

(2)_ Moeshler. Jacques & Auchlin. Antoine : op.cit, p170

(3) - يرى يول. ج أن توظيف القواعد موسوم لغويا من خلال ما يسميه الاستدراك أو التنويهاة الخذرة، مثل "على حد علمي" و"قد أكون مخطئا" يول. جورج: مرجع سابق ص68_69

الأولى نتحدث عن استعمال القواعد أو تطبيقها، وفي الحالة الثانية عن استثمارها أو خرقها.⁽¹⁾ وهذا ما ينسجم مع المرونة التي يقتضيها استعمال اللغة الطبيعية في مقامات التواصل المتنوعة والمعقدة؛ فلولا خرق هذه القواعد واستثمارها على النحو الذي بيّنه غرايس لما أمكن لبني البشر أن يتواصلوا تواصلًا فعليًا، فهي قواعد أو حكم تشتغل بطريقة تلقائية دون وعي من المتخاطبين بها، وميزتها أنها غير معيارية كما هو الحال في قواعد اللغة التركيبية وغيرها. «وعلى هذا فإن التحوار والتسامح في هذه المواضع التي أشار إليها جرايس هو أساس مرونة كل خطاب؛ وسهولة كل ما يمكن أن يؤدي بواسطة الجملة المفردة، ولا جدال في أن هذه المواضع والأصول المتعارفة هي قواعد مغايرة لقواعد اللسانين لأنها تخرق في كل حال من الأحوال ولا تراعى».⁽²⁾ ومن هنا كانت حالات خرق هذه القاعدة هي الجديرة بالدراسة والتحليل، لاغتنائها بالتضمنيات، والإشكالات المتصلة بالمعاني المضافة المبلّغة.

نستطيع تصور عدة وضعيات يوظف فيها المتكلم قاعدة تحادثية، أي يعمد إلى خرقها خرقًا صريحًا، النمط الأول من هذه الوضعيات نمثل له بالملفوظين التاليين⁽³⁾:

أ_ أين يسكن سعيد؟

ب_ في مكان ما من الجنوب الجزائري

(1) _ موشر.ج. _ رويول. آن : التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص56
 (2) _ كيمسون. راث: نظرية علم الدلالة(السيمانطيقا)، ترجمة: عبد القادر قنيني، ط1، منشورات الاختلاف و دور أخرى ، الجزائر 2009، ص104
 (3) _ هذا الزوج من الأمثلة و الذي يليه مأخوذان ، مع بعض التصرف من:

فالمتكلم هنا مجبر على خرق قاعدة الكمية، تجنباً لخرق قاعدة النوعية، فالذي حصل هو أنه لو تكلف إعطاء معلومة دقيقة استجابة لقاعدة الكمية، لخاطرَ بخرق القاعدة الثانية الخاصة بالنوعية.

وفي حالات أخرى، قد يقع خرق قاعدة النوعية [ظاهرياً]، كما في المثال

التالي:

أ_ هند كتلة من الجليد

ب_ هند امرأة لا تهزها الشدائد

فالمتكلم هنا يعرف أنه بتلفظه بـ(أ)، يقول كلاماً خاطئاً (كاذباً) من الناحية

الدلالية الحرفية؛ ومع ذلك فهو يبلغ من خلال تعبير مجازي ضمنية تحادثية (ب) على سبيل المثال، فيقع في خرق القاعدة الثانية قاعدة الكيفية (لا تقل ما لست متيقناً من صدقه) ليحقق أقوى تأثير ممكن بتطبيق القاعدة الثالثة (ليكن كلامك مناسباً للمقام)⁽¹⁾

وبصورة عامة، يرى غوايس (GRICE) أن أكثر المجازات (الاستعارة،

السخرية، وكناية التلطيف) هي استثمارات للقاعدة التحادثية الأولى، أي أنها نوع من التضمينات التحادثية⁽²⁾

التضمينات Implicatures :

يشكل الضمني خاصية جوهرية من خصائص اللغة الطبيعية، فما نتحدث به

من كلام و نتبادله في التواصل يكون النصيب الأوفى من المعاني المبلّغة فيه ضمناً،

مقابل الصريح الذي لا يشكل إلا نسبة ضئيلة. وإن هذه الظاهرة من التجذر في

(1)- Moeshler.Jacques & Auchlin. Antoine :op.cit, p173

(2) _ Ibid

ممارساتنا اللغوية بحيث يمكننا القول أننا لا نستطيع التواصل بدون اللجوء إليها.⁽¹⁾ وتبعاً لذلك « يعتبر مفهوم "التضمين" بالنسبة للكثير من اللغويين واحداً من المفاهيم الأساسية في التداولية، فالتضمين مثال حي وناض للأكثر الذي يتم إيصاله دون قوله»⁽²⁾

تنقسم الدلالات التضمنية التي يعبر عنها المتكلم ويبلغها حسب غوايس (GRICE) إلى فئتين كبيرتين: فئة التضمنيات التحادثية، وفئة التضمنيات التواضعية (العرفية)،⁽³⁾ فالالتزام بمبدأ التعاون وما يتبعه من قواعد، هو الذي يلجئ المتكلمين إلى توسل التضمنيات لإيصال المعنى، ويلجئ المستمعين إلى التعرف عليه عبر الاستدلالات، التي تدل على أن التعاون لازال قائماً.⁽⁴⁾ فما هو الفرق بين التضمنيات التحادثية، والتضمنيات التواضعية (العرفية)؟

التضمنيات التحادثية^(*): تنتج التضمنيات التحادثية عن تطبيق قواعد المحادثة، فعندما يقوم المخاطب باستلزام قضية اعتماداً على إحدى قواعد المحادثة الأربعة، نقول إنه استنبط من ملفوظ المتكلم ضمنية تحادثية.⁽⁵⁾

ولكي يتعرف على محتوى هذه الضمنية التحادثية التي بلغه إياها المتكلم، يجب عليه أن يقوم بعملية استلزام يمكننا توضيحها من خلال الخطاطة التالية: «

1. يقول المتكلم (مت) الجملة (ق)

(1) _ بلانشيه. فيليب: التداولية من أوستين إلى غوفمان : ص 144

(2) _ يول. جورج: مرجع سابق، ص 79

(3)_ Moeshler.Jacques & Auchlin. Antoine : op.cit, p171

وينظر أيضاً: عشير. عبد السلام: مرجع سابق، ص 47

(4) _ يول. جورج: مرجع سابق، ص 71

(5) _ موشلر. ج. _ روبول. آن: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 56؛ عشير. عبد السلام: مرجع سابق، ص 47

2. لاشيء يدعو المخاطب (مخ) إلى افتراض أن المتكلم (مت) لا يحترم حكم المحادثة، أو على الأقل مبدأ التعاون.
3. لذلك ينبغي للمتكلم أن يفكر في (ك).
4. يعلم المتكلم (مت) (ويعلم أن المخاطب يعلم) أن المخاطب (مخ) يفهم أنه من الضروري أن يفترض أن المتكلم (مت) يفكر في (ك).
5. لم يفعل المتكلم شيئاً لمنع المخاطب من أن يفكر في (ك).
6. إذن المتكلم يريد من المخاطب أن يفكر في (ك).
7. إذن إن المتكلم قد ضمّن [كلامه] استلزماً خطايا [فحواه] (ك) «⁽¹⁾

بفحص هذه السيرورة الاستدلالية، يتبين لنا أن الاستدلال الذي قام به المخاطب استدلال استنباطي، فافتراض تعاون المتكلم يقتضي افتراض أنه يعتقد (ع) ويضمّنها، وهكذا لا تكون (ع) إذن مستنتجة منطقياً من (ق)، كما أن الانتقال من (ق) إلى (ع) ليس نتيجة تسييق (الرجوع إلى السياق) بل هو نتيجة تطبيق قواعد المحادثة، وعليه يكون التوصل إلى ضمنية تحادثية نتيجة استلزام غير برهاني خاضع لقواعد صارمة.⁽²⁾

التضمينات المعمّمة والتضمينات الخاصة: تمييز التضمينات التحادثية إجمالاً

بأنها لا ترتبط بعبارات لغوية «وتنشأ عن المقام الذي قيل فيه (الكلام) أو عن السياق

(1) - موشلر. ج. - روبول. آن : القاموس الموسوعي للتداولية، ص 99

(2) - يتضح ذلك من خلال تأمل الأمثلة التالية التي يعرضها موشلر. ج. - روبول. آن ويجلاهما تحليلاً مقارنة (الأمثلة معدلة قليلاً): لتكن الأقوال التالية "كل الجزائريين شجعان" و"سعيد جزائري، إذن هوشجاع" و"سعيد جزائري، إنه شجاع" فيكون القول الأول خالياً من التضمين، لأن المتكلم قال فيه ما أراد تبليغه؛ وفي القول الثاني نجد تضميناً تواضعياً عرفياً لاحتوائه على كلمة "إذن"؛ ويحمل القول الأخير تضميناً تحادثياً لخلوه من أي كلمة تحيل إلى مواضع لغوية (ينظر: موشلر. ج. - روبول. آن : التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 56_57)

الذي جيء به من أجله و(...) تتوسل بجملة من قواعد التخاطب التي يتبعها قائله؛ وقد يكون مقام الكلام مقاما خاصا يستدعي اعتبارات خارجية لا يشاركه فيها غيره، أو يكون مقاما عاديا لا يتفرد بأسباب خارجية معينة؛ لذلك نحتاج إلى التمييز بين نوعين من الاستلزامات التخاطبية، وهما: "الاستلزامات التخاطبية المعممة" و"الاستلزامات التخاطبية المخصصة" (1).

فالتضمنين التحادثي المعمم يحصل عندما لا نكون بحاجة إلى معرفة دقيقة بعناصر السياق لتأويل الأقوال وحساب المعنى المبلغ الزائد على ما قيل، (2) بينما نكون أمام تضمينات تحادثية مخصصة عندما نضطر غالبا في محادثتنا للقيام باستدلالات معينة اعتمادا على سياقات محددة للغاية، بحيث توصلنا هذه الاستدلالات لفهم المعاني الملزومة من التضمينات التحادثية. (3) ونظرا لشيوعها تُسمى التضمينات التحادثية المخصصة عادة "تضمينات" فقط دون اتباعها بوصف تخصيصي. (4)

وينقسم التضمنين التحادثي المعمم إلى قسمين:

- **تضمنين تحادثي معمم سلمّي (تدرجي):** ونجده في الأقوال التي تستعمل فيه الألفاظ التدرجية (الدالة على المقدار الكمي وغيره)، بحيث أن القول المتضمن للفظ تدرجي يستلزم نقيض القول الذي يتضمن لفظا أعلى منه مرتبة، ومثاله:

[1] _ جاء أحد المدعوين

(1) _ عبد الرحمن. طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 97

(2) _ بول. جورج: مرجع سابق، ص 72

(3) _ نفسه، ص 74-75

(4) _ نفسه، ص 75

[2]_ جاء كل المدعويين

حيث يضمن [2] تضمينا تحادثيا معمما سلميا [1]، والعكس غير صحيح⁽¹⁾

- التضمين التحادثي الجملي المعمم: ويحصل عندما تفضل عبارة مركبة لا تدل وجوبا على تصديق أو تكذيب جملة محتواة فيها، على عبارة تدل وجوبا على ذلك، إذا أراد المتكلم أن يشعرنا مثلا بأنه لا يستطيع الجزم تصديقا أو تكديبا؛ ومثال ذلك:

[1]_ أعلم أن زيدا آت

[2]_ أظن أن زيدا آت

يتضح من هذا أن تفضيل المتكلم النطق بالعبارة [2] بدلا من [1] يدل على أن ما يعلمه لا يثبت إتيان زيد ولا ينفيه.⁽²⁾

أما التضمين التحادثي المخصص، فـ«قد لا يكون جزءا مما نطق به القائل ولا لازما دلاليا له، بل يكون معنى تدل عليه قرائن حالية معينة؛ ومثاله:

[1]- زيد: هل فرغت من مطالعة الكتاب وسلمته إلى صاحبه؟

[2]- عمرو: لقد فرغت من مطالعة الكتاب

في هذا المقطع الحواري، اختار عمرو أن يجيب عن جزء من السؤال، ولنسمه

"أ" وأهمل الإجابة عن الجزء الثاني "ب"، وتبعا لقواعد المحادثة التي يفترض أن يلتزم بها

عمرو، فقد يفهم زيد زيادة على ما قيل التضمين المخصص التالي:

[3]_ لم أسلم الكتاب إلى صاحبه

(1) _ عبد الرحمن. طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 98_99

(2) _ نفسه، ص 100

وميزة هذا النوع من التضمين الناتج عن استلزام تخاطبي هو أن إلغاءه لا يترتب عليه تناقض، إذ يصح أن نقول:

[4]_ لقد فرغت من مطالعة الكتاب، بل إني سلمته لصاحبه»⁽¹⁾

التضمينات التواضعية (العرفية):

على النقيض من التضمينات التحادثية المعممة والمخصّصة. بمختلف أصنافها، لا تعتمد التضمينات التواضعية على مبدأ التعاون وقواعد المحادثة المتصلة به، كما لا يشترط فيها أن تحصل أثناء المحادثة، و لا نحتاج في تأويلها إلى استحضار سياقات معينة، و« تشبه هذه التضمينات الافتراضات المسبقة المعجمية في أنها ترتبط بكلمات معينة وتؤدي إلى تكوين معانٍ موصلة إضافية عند استخدام هذه الكلمات "مثل "لكن" و"حتى" و"بعد/لما (حرف النفي الجازم)" و"واوالعطف"»⁽²⁾

وما يميز التضمينات التواضعية أيضاً، هو أنها خلافاً للتضمينات التحادثية الأخرى لا يمكن إلغاؤها، لأن ذلك يؤدي إلى إيجاد ملفوظات متناقضة.⁽³⁾

خصائص التضمينات:

إضافة إلى خاصية القابلية القابلية للإلغاء التي تميز التضمينات التحادثية عن التضمينات التواضعية، يقترح غرايس (Grice) خصائص أخرى تتدخل في تصنيف التضمينات (التحادثية والتواضعية على السواء)، وهذه المعايير هي:

(1) _ عبد الرحمن .طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص98؛ وينظر أيضاً: يول. جورج: مرجع سابق، ص74

(2) _ يول. جورج: مرجع سابق ص78

(3) _ نفسه، ص77

_ القابلية للحساب: إذا كانت التضمينات التحادثية قابلة للحساب (بسبب كونها تنتج عن إجراء استنفاري)، فإن التضمينات التواضعية لا تقبل ذلك، لأنها تستنبط آلياً، بسبب ارتباطها ببنية لغوية معينة.

_ الخضوع للمواضعة: لا تكون التضمينات التحادثية بطبيعتها خاضعة للمواضعة.

_ الارتباط بعملية التلفظ: ترتبط التضمينات التحادثية بعملية التلفظ، فاستنفارها مشروط بوجود عبارة لغوية تكون موضوع تلفظ، وبخلاف ذلك ترتبط التضمينات التواضعية ببنية لغوية تحدد دلالتها، لا يشترط فيها أن تكون موضوع تلفظ.

_ التحديد: إذا كانت التضمينات التواضعية قابلة للتحديد الدقيق (لكونها جزءاً من دلالة العبارة اللغوية) فإن التضمينات التحادثية تتفاوت في قابليتها للتحديد، بحسب درجة إبداعيتها، كما هو الحال في التضمينات المعتمدة على المجاز.⁽¹⁾

نخلص مما تقدم عرضه حول نظرية غرايس في التضمينات، إلى القول إنها جسدت تطوراً هاماً في حقل اللسانيات، حيث أنها أتاحت فهم ما لم يستطع علم الدلالة تفسيره، فإذا كانت دلالات العبارات تتعدد بحسب الاستعمال، فإن هذا التعدد مرجعه إلى الدلالات الثانوية التي تتمثل في التضمينات التحادثية (المرتبطة بقواعد المحادثة)، أو التضمينات التواضعية المرتبطة ببنية العبارات، فالتفسير الذي

(1) - Moeshler.Jacques & Auchlin. Antoine: op.cit ، p 174

جاء به غوايس لظواهر المعنى تبرز فرادته في مزية أساسية، هي أنه أتاح تقديم تحليل دلالي مبسط، مبيناً أن التركيب والتعقيد الناتج عن تعدد المعاني في العبارات اللغوية يجد تفسيره في مبادئ تداولية عامة، من بينها إرجاع الافتراض المسبق إلى التضمينات، وإكساب الروابط دلالات منطقية،⁽¹⁾ وهذا تحديداً ما سنحاول استثماره في القسم التطبيقي لاحقاً، عندما نعرض لتحليل الملفوظات أصواتياً، لا سيما ما يتعلق بالافتراض المسبق وغيره من أصناف التضمينات.

3) نظرية الملاءمة: التداولية العرفانية

تتماز نظرية الملاءمة (المناسبة) *Théorie de pertinence* المعروفة بتداولية العلوم المعرفية، لدان سبربر (*D.Sperber*) ودايردر ولسن (*D.Wilson*) بأنها من النظريات التداولية التي حدّدت في الآن ذاته موقعها بدقة من اللسانيات، وتبنّت بوضوح التواجد خارج دائرتها، وإن لم يشتمل برنامجها على قطعة تامة مع اللسانيات، إذ حدد صاحبها لها مرجعيتين، إحداهما وتمثل مرجعية الانتماء التخصصي الأساس، وهي العلوم المعرفية^(*)، فوصفا نظريتهما بأنها معرفية، وثانيهما مرجعية البحث الفرعي في إحدى مظاهر السلوك اللغوي، أي البنى التركيبية اللغوية، وهو ما تجلّى في تبني الباحثين لطروحات النحو التوليدي.⁽²⁾

(1)-Jacques Moeshler & Antoine Auchlin: op.cit, p175

(*)- العلوم المعرفية أو العلم المعرفي هي "تألف مجموعة من العلوم المستقلة، بعضها وصفي تجريبي (علم النفس المعرفي، اللسانيات، والأنثروبولوجيا المعرفية...) وبعضها نظري (الفلسفة) وبعضها نظري تطبيقي (الذكاء الاصطناعي)" تلتقي وفق برنامج محدد حول دراسة آليات اشتغال الذهن البشري. (ينظر: عشير. عبد السلام: مرجع سابق، ص 25-26)

(2) _ موشلر. ج. _ روبرول. آن: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 70_71؛ وينظر أيضاً:

وبهذا كانت هذه النظرية وريثة لتداولية غرايس - التي عرضنا لها فيما تقدم - في نزوعها إلى اعتماد المقاربة الاستدلالية لظواهر التواصل اللغوي، كما مثلت في السياق ذاته تجاوزا لها، ومحاولة للتخلص مما عابها من ثغرات، وأخذ عليها من نقائص. (1)

وأبرز ما تتميز به نظرية الملاءمة كتيار تداولي، هي أنها تؤلف بين العمليات الترميزية للغة والعمليات الاستدلالية، باعتبار الأولى ناتجة عن بنية اللغة ذاتها، وأن الثانية متولدة عن الاستعمال اللغوي وشروطه التداولية، ورغم اعترافهما بالبعد اللغوي المحض كجزء من التواصل اللغوي، إلا أن د. سبربر (D.Sperber) ود.ولسن (D.Wilson) يصرّان على وضع التداولية خارج دائرة اللسانيات. فهي ليست جزءا من اللسانيات - كما شاع بين العديد من التيارات التداولية اللسانية - وهي لا تنتمي « إلى علم الدلالة لتعني بالمظاهر التي لا يعالجها هذا العلم مثل: الأعمال المتضمنة في القول ووصف شروط نجاحها، أو دلالة الكلمات التي تؤوّل بما يتناسب ومقام التواصل (خارج مجال اللغة) مثل "الأنا" و"الأنت" و"الآن" و"الهنا" ... إلخ ». (2) وتبعاً لذلك يكون هذا الطرح العرفاني جذريا يتجاوز ما جاء به غرايس (Grice) في القول بالتصور الاستدلالي لعملية تأويل الملفوظات، إذ يحسم الباحثان خيارهما في اعتبار التحليل الترميزي الذي تكفله الأدوات التقليدية للسانيات مجرد خطوة في سيرورة التحليل التداولية التي لا تتسع لها الدراسات اللسانية بمجملها، فلا بد من فحص العمليات الاستدلالية التي تتدخل في تأويل الأقوال، كما تتدخل في

(1) _ موشر.ج. _ رويول. آن: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 69_70

(2) _ نفسه، ص 71

كل الأنشطة الأخرى التي يقوم بها الإنسان؛ وهي عمليات ذهنية ونفسية موجودة خارج النظام اللغوي، انطلاقاً من أن السلوك اللغوي على أهميته ليس السلوك الوحيد، الذي يعتمد عليه الإنسان في تمثله للعالم.⁽¹⁾

لأجل تأسيس نظريتهما علمياً، تبني الباحثان _ كما أسلفنا _ منظور العلوم المعرفية لاشتغال الدماغ البشري، وخصّصا توظيفهما له في مجال اللغة باعتبارها نشاطاً من الأنشطة التي يؤطرها هذا الاشتغال ضمن الرؤية المنظومية التي وضعها الفيلسوف و عالم النفس الأمريكي فودور⁽²⁾ (Fodor) (*)، الذي يرى أن اشتغال الذهن البشري يخضع لنظام تراتبي تعالج فيه المعلومات (المرئية، والسمعية، واللغوية وغيرها) عبر ثلاث مراحل تتناسب مع مكونات الذهن، وهي: المحولة، والنظام الطرفي، والنظام المركزي، فتقوم المحولة بترجمة معطيات الإدراك الحسي التي تتلقاها (الأصوات اللغوية، صور ورسوم الكتابة، مثلاً) إلى نسق يقرأه النظام في المرحلة التالية. ويسمى هذا النظام طرفياً ويختص بالقراءة الأولية لنوع واحد من المعطيات الحسية فقط، فيكون بذلك للغة نظام طرفي خاص بها، يقدم تأويلاً أولياً تميزها إلى حدّ كبير، تُستثمر فيه القواعد المتصلة بالمستويات الصوتية والمعجمية والتركيبية، غير أن هذا التأويل يبقى ناقصاً،⁽³⁾ فتأتي المرحلة الثالثة والأخيرة، ويتدخل فيها النظام المركزي لإتمام التأويل، مستثمراً ما وفره النظام الطرفي المتخصص» وتتحقق هذه المهمة بدرجة كبيرة من خلال مقارنة المعلومة مع معلومات أخرى معروفة سلفاً

(1) _ موشر.ج. _ رويول. آن: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص72

(2) _ عشير.عبد السلام: مرجع سابق، ص28

(*) -ج. فودور Jerry Alan Fodor فيلسوف أمريكي، ولد سنة 1935 ينتمي إلى المدرسة الوظيفية في فلسفة العقل. انجز العديد من الأبحاث في العلوم المعرفية بتبنى فيها مقولة القالبية، كما اهتم بدراسة الإشكاليات المتصلة بموضوع لغة الفكر.

(3) _ عشير.عبد السلام: مرجع سابق، ص 28، 30_31

أومعلومات وفرقتها أنظمة طرفية أخرى، كما تتحقق نتيجة عمليات استدلالية. «⁽¹⁾ وهذا ما يبين منه بوضوح أن عمل النظام المركزي هو بالذات ما يضطلع به التحليل التداولي. ولما كان هذا النظام وآلياته وطرق اشتغاله مختلفة عن النظام الطرفي المتخصص، دلنا ذلك على أن التداولية علم ينبغي أن ينفصل عن اللسانيات حسب ما يذهب إليه أصحاب نظرية الملاءمة.

فتداولية الملاءمة تتجاوز اللسانيات، ولكنها تتعاون معها، وتتكامل على النحو الذي يتعاون فيه النظام المركزي مع النظام الطرفي. لذلك لم يجد د. سبربر (D.Sperber) ود.ولسن (D.Wilson) حرجا من اعتماد مفاهيم النحو التوليدي عند تشومسكي وأضرابه، في بناء النموذج التحليلي الذي يقترحانه، فأخذنا مفهوم البنية السطحية والبنية العميقة والتحويل وغيرها من المفاهيم، وأدجماها في المرحلة الأولى من تحليل القول (=الجملة)⁽²⁾ على مستوى النظام الطرفي « الذي يوافق تقليديا الميادين التي تغطيها الفونولوجيا والتركيب والدلالة، والتي تقدم الشكل المنطقي للقول (متوالية مبنية من المفاهيم)»⁽³⁾ ولا يقدم الشكل المنطقي أوالصيغة المنطقية للقول هذه المفاهيم إلا في شكل عناوين، ويتدخل السياق الذي يأخذ في التشكل متزامنا مع عملية التواصل ومتفاعلا معها، لإثرائها بالاعتماد على موارد مختلفة، منها الذاكرة بعيد المدى، والمحيط المادي الفيزيائي لعملية التواصل، والمؤثرات الإشارية غير اللغوية،⁽⁴⁾ وتعالج هذه العناوين إجمالا عبر ثلاثة مداخل، هي:

(1) _ موشلر.ج._ روبول. آن : التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص74

(2) _ نفسه، ص76؛ وينظر أيضا: عشير.عبد السلام:مرجع سابق، ص35

(3) _ عشير.عبد السلام:مرجع سابق، ص32

(4) _ موشلر.ج._ روبول. آن : التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص77_78

- أ_ المدخل المنطقي: ويختص بجمع المعلومات الخاصة بالعلاقات المنطقية بين المفهوم المعني والمفاهيم الأخرى، كعلاقة الاستلزام، أو التضمن أو التناقض... إلخ.
- ب_ المدخل الموسوعي: ويجمع مجمل المعلومات ذات الصلة بالمفهوم المعني.
- ج_ المدخل المعجمي: ويستحضر مقابل أو مقابلات المفهوم المعني في لغة أو أكثر. (1)

بهذه الصورة يتم تأويل الملفوظات نظرياً وفق التصور الذي جاءت به نظرية الملاءمة، وزيادة على المفاهيم القاعدية المتقدم ذكرها، اجترح الباحثان مفاهيم أخرى ضرورية للإجابة على إشكالات التأويل وإنتاج المعنى، ومنها على الخصوص ما يلي:

_ مفهوم التواصل الإشاري الاستدلالي: أراد به الباحثان تجاوز ما طرحه غرايس في تمييزه بين الدلالة الطبيعية والدلالة غير الطبيعية، وارتباط ذلك بضرورة اللجوء إلى العمليات الاستدلالية في التواصل اللغوي، والفارق بين المفهومين هو أن مفهوم التواصل الإشاري الاستدلالي أعم وأشمل، لأنه ينطبق على كل تواصل مهما كان النظام الإشاري الذي ينتمي إليه، وهو ما يسمه بطابع سيميائي. وينبغي هذا التواصل على وجود مقصدين لدى المتكلم هما: المقصد الإخباري، ويتحقق بحمل المتكلم لمخاطبه على معرفة معلومة ما؛ والمقصد التواصلية، ويتحقق بحمل المتكلم لمخاطبه على معرفة مقصده من الإخبار. (2)

_ مبدأ الملاءمة (المناسبة) Pertinence: وهو مفهوم يختصر قواعد المحادثة ومبدأ التعاون التي جاء بها غرايس (Grice)، ولكن بشرط ألا ينظر إليه - كما كان

(1)-Jacques Moeshler & Antoine Auchlin: op.cit, p180

(2) _ موشر.ج. _ روبول. آن : التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 79-80

ينظر إلى تلك القواعد- بأنه طارئ على عملية التواصل أو مفروض على المتخاطبين من خارجها، بل اعتباره مُتأتً من عملية التواصل الاستدلالي ذاتها، يرافقها ويلابسها ولا ينفصل عنها،⁽¹⁾ « فهو إذ لا يحكم سلوك القائل، فإنه يمثل أساس العملية الاستدلالية لتأويل الأقوال التي تجري في النظام المركزي، وهي عملية غير واعية، وهذا المبدأ العام هو مبدأ المناسبة: كل قول يولد لدى المخاطب انتظار المناسبة الخاصة به »⁽²⁾

ولا يتضح مبدأ المناسبة وكيفية اشتغاله في عمليات الاستدلال والتأويل دون التعرض لمفهومين آخرين يفسرانه، وهما مفهوما النتيجة والجهد (الكلفة). يعنى بالجهد ما يبذله المؤول من جهد استدلاي يتعلق خاصة ببناء السياق، أما النتيجة فهي ما يصل إليه من استنتاجات بعد قيامه بعمليات الاستدلال. واعتمادا على مقادير التناسب بين الجهد والنتيجة تحدّد درجة المناسبة؛ فكّما تطلب العمل التواصلية الاستدلالي جهدا أقل كانت مناسبته أكبر، وكّما كانت نتائجه أوفر كانت مناسبته أكبر كذلك.⁽³⁾

هذا عن قياس حاصل المناسبة، أما تأثيراتها على المخاطب، فينطلق د. سبربر (D.Sperber) ود.ولسن (D.Wilson) من تصور مركزي في نظريتهما التداولية المعرفية، وهو أن وظيفة النظام المعرفي لأي كائن حي، واللغة عند الكائن البشري

(1) _عشير. عبد السلام: مرجع سابق، ص33

(2) _ موشر. ج. _ روبول. أن : التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص83

(3)_ Moeshler.Jacques & Auchlin. Antoine : op.cit, p181

جزء منه، هي ابتناء تمثّل للكون وموالاته تعديله عبر التجارب التي يخوضها هذا الكائن. (1)

وعليه تكون آثار التواصل اللغوي الاستدلالي بهذا الاعتبار متجسدة إما في تعديل قناعات المخاطب وتصوراتهِ واعتقاداتهِ من خلال إضافة معلومات جديدة، أو حذف معلومات أخرى، أو تعزيز قوة القضية المحفوظة في الذاكرة. (2)

كما يتدخل مبدأ المناسبة في اختيار السياق وإيقاف عملية التأويل، وهما مسألتان تعثر في معالجتهما الباحثون كثيرا، قبل أن يطرح د. سبربر (D.Sperber) ود.ولسن (D.Wilson) تصورا متقدّما لهما؛ فعن اختيار السياق يقترح الباحثان « أن يحكم السعي إلى المناسبة اشتغال النظام المركزي وأن يوظف في انتقاء المعلومات التي تعد - مهما كان مصدرها - جزءا من السياق عند تأويل قول ما » (3) أي أن المخاطب يستنفر من المعلومات المتوفرة في السياق ما هو أجدر بإيصاله إلى نتائج تؤهل للحكم على قول ما بأنه مناسب، والغالب أن يزوج في ذلك بين البحث عن المعلومات المهمة، والمعلومات السهل الحصول عليها. (4)

وفيما يخص إيقاف العملية الاستدلالية تبدو الإجابة بسيطة، فهذه العملية تتوقف من تلقاء نفسها عندما يتم بلوغ نتائج توازن الجهود المبذولة « وفقا لقاعدة قياس التناسب بين الجهد (الكلفة) والنتيجة، وهو ما يصطلح على تسميته الباحثان أيضا بـ "المردودية" » (5)

(1) _ موشلر.ج. _ روبول. آن : التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 105

(2) _ موشلر.ج. _ روبول. آن : القاموس الموسوعي للتداولية، ص 97

(3) _ موشلر.ج. _ روبول. آن : التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 87

(4) _ نفسه: ص ن

(5) _ نفسه، ص 87_88

4) التداولية المندمجة

تكتسب التداولية المندمجة أهميتها في بحثنا هذا من ارتباطها بمفهوم التعدد الصوتي، فقد تولّد هذا المفهوم عن التصور التلفظي للغة، الذي تبناه أ.ديكرو (O.Ducrot) ضمن الإطار النظري الذي أسّسه وحده، ثم بالتعاون مع ج. ك. أنكومبر (J.C.Anscombe)⁽¹⁾ وعرف فيما بعد بالتداولية المندمجة Pragmatique intégrée⁽²⁾، والذي يتحدد مجال البحث فيه بالمكون التداولي الذي ينبغي أن يدمج في الدلالة، فيكون جزءاً لا يتجزأ منها خلافاً لما افترضته بعض النظريات الدلالية ذات المترع المنطقي (لا سيما ش. موريس Ch.Morris)، وبذلك يكون موضوع البحث هو الدلالة التداولية الموسومة في الأبنية اللغوية وتوضيح شروط إنتاجها الممكنة، لا الدلالة الخبرية المرتبطة بالمحتوى القضوي للأقوال.⁽³⁾

وهي بذلك تتوافق مع النظريات التداولية التي عرضنا لها سابقاً في جوانب، وتباينها في جوانب أخرى؛ فأما ما يجمعها بنظريات كنظرية أفعال الكلام، أو نظرية الاستلزامات الغرائسية، أو وريثتها نظرية الملاءمة لسبربر وولسن، فهو تركيزها على مفهوم التضمنين، واعتبار الاستلزام في اللغات الطبيعية استدلالاً غير برهاني، وإعطاء

(1) _ في كتابهما: *L'Argumentation dans la langue*

(2) _ أطلق هذه التسمية عليها براكوب في كتابه :

Bracops. M, 2006: Introduction à la pragmatique – Les théories fondatrices, actes de langage, pragmatique cognitive, pragmatique intégrée, Louvain-la-Neuve :Duculot, p147

كما عرفت بتسميات أخرى هي : التداولية الدلالية Pragmatique sémantique، التداولية اللسانية Pragmatique Linguistique ، ينظر : p173 Ducrot. Oswald. 1984: Le dire et le dit. Paris : Minuit.

والتداولية الموسعة ...، (بلانشيه. فيليب: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص167)

(3) _ المبخوت. شكري: نظرية الحجاج في اللغة، ضمن: فريق البحث في البلاغة و الحجاج تحت إشراف حمادي صمود: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، سلسلة: الآداب، مجلد: XXXIX، منشورات جامعة الآداب والعلوم الإنسانية تونس 1- كلية الآداب منوبة، دت، ص351

الأولوية للدلالات المشتقة من الملفوظات، والتي سمتها نظرية أفعال الكلام "القوة المتضمنة في القول"، سماها غرايس "الدلالة غير الطبيعية"، وأعطيت ضمن نظرية الملاءمة تسمية "المقصد التواصلية".⁽¹⁾

أما ما تتميز به التداولية المندمجة عن التداوليات الأخرى فهو دون شك، إرساؤها لموضوع البحث من حيث دائرة التخصص في حقل اللسانيات، وانطلاقها من تصور للغة متأسس على مبادئ البنيوية الشكلانية، المنفتحة على دراسة الكلام في إطار اللسانيات الملفوظية، وهو ما أكد عليه ديكرود (O.Ducrot) وأنكومبر (J.C.Anscombe) اللذين بنيا نظرية في الدلالة أكثر مما اشتغلا على تحليل الخطاب.⁽²⁾

فمن بين الفرضيات الأساسية التي تنطلق منها التداولية المندمجة أنه لا يوجد هناك مستوى للتحليل الدلالي المجرد، يمكننا فيه دراسة اللغات الطبيعية بمعزل عن الافتراض الجوهرية لخاصية ارتباط وجودها ذاته بالحاجة إلى استعمالها، أي لا يوجد «أي مستوى للتحليل الدلالي يمكننا من الزعم بأن هذه اللغات وجدت لكي لا يتكلم بها»،⁽³⁾ وهو ما يستلزم أن كل ملفوظ يمثل صورة دلالية عن تلفظه (عملية تلفظه)، فالدلالة وفق منظور التداولية المندمجة، لا تنحصر في المحتوى المحكوم بشروط

(1) _ ينظر تفصيل ذلك في مبحث سابق من هذا الفصل، ص18، 13، 35

(2) - زيادة على هذا، يقوم التقابل بين التداولية المندمجة والتداولية الجذرية على اختلاف بمس أطروحتين؛ أولاهما أطروحة التصور اللاوصفي للغة (نفي الوظيفة التمثيلية للغة) بمواجهة التصور الوصفي لها، والثانية هي أطروحة الإحالة الانعكاسية (الإحالة الذاتية، والذي يوضحه قول ديكرود "إن معنى قول ما هو أن نفهم دواعي إلقائه"). ينظر: موشر. ج. _ روبول. آن : القاموس الموسوعي للتداولية، ص35

(3)-Ducrot. Oswald, 1972: Dire et ne pas dire, Hermann. Collection « Savoir », Paris, p130

صدق الجملة،⁽¹⁾ لأنَّ المحتوى الدلالي ينتج أيضا صورة عن التلفظ وصاحبه، أي المتكلم. وبهذا تندمج التداولية في علم الدلالة، بحكم أن التفاعل يخضع لتشفير على مستوى اللغة، فالأمر هنا لا يحيل إلى التداولية التي تعني «النشاط البشري المنجز بواسطة اللغة»،⁽²⁾ أي التداولية بمعناها الحرفي، ولكن- كما يقول ديكرودucrot - « بما يتاح للكلام أن ينجزه من فعل على مستوى الملفوظ نفسه، فباستعمالنا للمفوض استفهامي، نزعم أننا أوجبنا على الشخص الذي خاطبناه أن يتبنى سلوكا معيناً، بواسطة الكلام نفسه، أي أن يجيب، والشيء نفسه يحدث في الأمر، إذ أننا ندعوه إلى التصرف بطريقة ما، إذا لجأنا إلى الأمر... إلخ». ⁽³⁾

إنَّ الطابع التداولي الجوهرية لفعل مثل الاستفهام لا يمنعه مع ذلك من تأدية وظائف أخرى على مستوى التأويل، فالمؤول يستطيع - اعتمادا على قوانين الخطاب والعناصر السياقية- أن يفهم دلالة الطلب (هل يمكنك فتح النافذة؟) أو الاقتراح (هل تذهب إلى المقهى؟)، أو غيرها من أعمال اللغة (المرجعية ليست إلا قيمة فرعية في حجاجية الجملة عند ديكرود وأنكومبر).

وحتى يفسر هذه الإزدواجية التلفظية- بالتوالي على مستويي الدلالة والتداولية بمعناها الحصري- لا يقول ديكرود بالمعنى الحرفي، وإنما يقول بوجود دلالة تداولية

(1) _ قام على هذا المبدأ التيار المنطقي Logiciste في حقل الدراسات الدلالية، الذي حاول أن يطبق مبادئ المنطق الصوري على الدلالة اللغوية، قبل أن يتخلى أقطابه جميعا عن ذلك، ويوجهوا جهودهم نحو بناء ما عرف بالمنطق الطبيعي أو منطق المعنى. يقول ر. مارتان: "إن الجميع (الداليون) يلتقون بالتأكيد عند اعتبار أن الدلالية، من حيث هي علم، تعرض - أو تدعي أنها تعرض - أقوالا هي حق، لكن الأمر لا يتعلق يقينا بتلك الحقيقة الوركسانية، بل يتعلق بالتأكيد بحقيقة الجمل ذاتها" ينظر: في سبيل منطق للمعنى، تر: الطيب البكوش وصالح الماجري، ط1، المنظمة العربية للترجمة - مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان 2006، ص 33-34؛ وينظر أيضا تلخيص ليونز لمواضع فشل علم الدلالة المنطقي في تفسير دلالات الجمل في: ليونز. جون: اللغة والمعنى والسياق، ص 157

(2) _ Ducrot. O: Le dire et le dit, p173

(3) _ Ibid, p 174

قاعدية، إذ يتحدث عن مستويين تداولين، الأول ابتدائي، افتراضي، خاص بالدلالة بمفهومها التقليدي الصوري، والآخر واقعي متفّلت عصبي على الالتقاط بواسطة التعليمات الدلالية وحدها، فهو عمل تفاعل اجتماعي.⁽¹⁾

فالمعنى إذن ينتج اعتماداً على تعليمات دلالية،⁽²⁾ هي التي تشكل الدلالة، إذ على مستوى اللغة تشكل دلالة الجملة «مجموعة التعليمات المقدمة للأشخاص المنوطين بتأويل ملفوظات هذه الجملة، وتحدد هذه التعليمات المناورات التي ينبغي القيام بها لإعطاء معنى لهذه الملفوظات».⁽³⁾ فما نلاحظه، هو بالطبع الملفوظ، تلك الظاهرة الإمبيريقية التي يرتبط بها معنى يُبنى انطلاقاً من التعليمات التي تحملها الدلالة، مع «الأخذ في الحسبان مقام الخطاب».⁽⁴⁾ وعليه فجملة مثل: "الجو جميل" تقدّم تعليمات بالبحث عن هوية المكان الذي يتحدث عنه المتكلم، وأن نقبل بأن المتكلم يثبت جمال الجو في لحظة التلفظ.⁽⁵⁾ وبعد ذلك يمكن أن تكون لهذا الملفوظ آثار تداولية ثانوية.

فالمعنى - تبعاً لما تقدم - يتشكل من مكونين فرعيين، «معنى حرفي»، «ومعنى مشتق اعتماداً على قوانين الخطاب»⁽⁶⁾ أي معنى تداولي بحق؛ المعنى الحرفي يخص الأفعال المشار إليها بواسطة التعليمات الدلالية للملفوظ، بينما يكون المعنى التداولي،

(1) _ Ducrot. O: Le dire et le dit, p 226-227

(2) - يرتبط مفهوم التعليمات بما "أسماء ديكر" كلمات الخطاب، وبالخصوص الروابط، أي بضروب من الوصل والعبارات والظروف الخالية من الدلالة الإحالية، والتي يبدو أن وظيفتها تتغير بحسب محيطها اللغوي. ينظر: موشر. ج. _ روبول. آن: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 27

(3) _ Ducrot. O: Le dire et le dit, p181

(4) _ Ibid, p182

(5) _ Ibid, p181

(6) _ Ibid, p104

نتاجا للتأويل، ويشكل تحيينا، وربما تعديلا "للتداولية القاعدية للجملة" التي يمثلها «المعنى الحرفي». (1) سمح هذا التفريق بين مستويي المعنى، لديكرو (O.Ducrot) بالتمييز بين عمليين لغويين ينتجان على التوالي عن المعنى الحرفي والمعنى المشتق، وهما عمل الافتراض المسبق، وعمل التضمنين، ولنتأمل هذا المثال الذي نأخذه من ديكرو "مع تعديل بسيط" (*):

- ألق سمير عن التدخين.

بمقتضى المحتوى الدلالي، تحمل الجملة قضية ضمنية مؤداها أن "سميرا كان يدخن سابقا"، ولما كان هذا المعنى قابلا للاستخلاص انطلاقا من المستوى اللغوي البحت، فإنه يمثل ظاهرة دلالية خالصة. وزيادة على ذلك يمثل هذا المحتوى أداة تعطى للمتكلم ليلزم المرسل إليه بمواصلة الحوار في اتجاه معين يختاره من ضمن اتجاهات متعددة ("يلزمه" هنا تعني ما تعنيه في حالة الاستفهام، أي إلزام المستفهم بسلوك معين يمكن وصفه بأنه جواب). (2) الافتراض المسبق إذن ظاهرة من ظواهر التداولية الابتدائية، لأنها تفرض تصورا خفيا للحقيقة التي تشكل أساس القضية المصرح بها.

غير أن الملفوظ في المثال السابق قد يستدعي محتويات ضمنية أخرى، تتجاوز ما يتيح التقاطه التشفير اللغوي.

(1) _ Ducrot. O: Le dire et le dit, p104

(*) - نص المثال الأصلي : Pierre a cessé de fumer _

(2) _ Ibid, p105

فإذا تخيلنا المخاطب مدخنا، وأن الشخص المتكلم ممن يستهجنون التدخين، فإننا نستطيع أن نستلزم منه (المفوض) محتوى مضمرا، هو المعنى الضمني (الضمنية) التالي: «يجب عليك الاقتداء به». فلو اتكأنا على الاستلزمات التحادثية لغرايس (Grice)، والاستلزمات السياقية لسبربر وولسن،⁽¹⁾ فالضمنيات تنتج «جاء فعل مشترك بين العوامل الداخلية والخارجية، في حين يضطلع السياق بدور إيجابي في عملية إيلاد المحتوى المضمّر»⁽²⁾ إلا أن ديكرو (O.Ducrot) لا يسعى إلى تفسير التأويلات الحقيقية، بل يقصر اهتمامه على «حصر تداولية ابتدائية» تنماز عن الآثار التداولية الثانوية،⁽³⁾ وهذا ما يفيد أنه لا يتجاوز المستوى اللغوي، فهو لا يُشغَل ولا ينشغل بالظروف الفعلية (الإمبريقية) للتلفظ. يقول: «أنا لا أقول إن التلفظ هو العمل الذي يقوم به شخص ينتج ملفوظا ما: بالنسبة لي، يهمني بكل بساطة أن يكون هناك ملفوظ، ولا أريد أن أتخذ موقفا، على مستوى هذه التحديدات الأولية، من مسألة منتج الملفوظ، ومن يكون [...]، أحتاج لبناء نظرية للمعنى، نظرية لما يتم توصيله من معنى، [أحتاج] إلى مفهوم للتلفظ لا ينطوي ابتداء على فكرة الذات المتكلمة»⁽⁴⁾ يؤكد هذا المقتطف بما تضمنه من تحديد إبستمولوجي لإطار البحث الذي تبناه ديكرو على حصر مفهوم التداولية اللسانية في المستوى اللغوي، وهو الإطار نفسه الذي تدرج فيه نظرية الحجاج في اللغة (Théorie de TADL) التي طورها ديكرو بالاشتراك مع ج. ك.

(1) ينظر تفصيلها في مبحث سابق من هذا الفصل، ص 25، 36

(2) أوركيوني.ك.ك: المضمّر، ترزيتا خاطر، ط1، المنظمة العربية للترجمة-مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2008، ص 50

(3) _ Ducrot. O: Le dire et le dit, p105

(4) _ Ibid, p 179-180

أنكومبر (J.C.Anscombe). وهذا ما جسّده على مستوى التطبيق، حيث أنهما اعتمدا نموذجا تحليليا يقوم على اصطناع أمثلة للملفوظات، وبنائها بناء يحاكي الملفوظات التي تستعمل في مقامات تلفظ حقيقية.⁽¹⁾

فإذا كان الملفوظ يحتوي صورة دلالية عن عملية تلفظه، فإن هذه الصورة تحتوي أيضا العلاقة التي تقوم بين المتكلم والمتلفظ له. وهذه العلاقة في جوهرها حجاجية، لأن الملفوظات لا تكون في الأساس إخبارية، بل تكون موجهة نحو عدد غير محدد من الاستنتاجات. لذلك تنقض هذه النظرية مبدأ مركزيا في علم الدلالة المعاصر، عندما تنفي عن "شروط الحقيقة" صفة المحتويات الدلالية القاعدية، وتجعلها فقط قيما مشتقة أو متفرعة عن الحجاج اللغوي، لكن ذلك لا يعني أن الإمكان الحجاجي المختزن في الملفوظات يتحقق دائما في تأويل الملفوظات، فيتحتّم علينا إذن أن نفرق بين الحجاج في اللغة والحجاج كحدث اجتماعي، أي الحجاج باعتباره محاولة للإقناع والحمل على الاعتقاد.^{(2)*} وهو ما يؤكد ما سبق الحديث عنه من

(1)_المبحوث.شكري: نظرية الحجاج في اللغة،ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 358-357

(2)_ Ducrot. O: Le dire et le dit, p 105,185

(*)-يميز ديكرو بين الحجاج اللغوي والحجاج البلاغي الخطابي، فيحصر الأول في استخدام الروابط الحجاجية بين قولين (قضيتين) يكون أحدهما الحجة(ح)، والثاني النتيجة(ن)، مع الإشارة إلى إمكانيات توسيع هذه المقولة لتشمل وحدات لغوية أكبر(فقرات ومقاطع نصية). وبالمقابل ينظر إلى الحجاج البلاغي أو الخطابي باعتباره نشاطا عاما يستخدم اللغة بأساليب مختلفة، قد يكون الحجاج اللغوي إحداها، من أجل الإقناع والحمل على الاعتقاد، وربما التحريض على الفعل. ولا يشترط كل ذلك في الحجاج اللغوي الذي هو خاصية جوهرية في بنية اللغة، يتحقق بمجرد الربط بين قولين بواسطة رابط حجاجي، حتى ولو لم يتوخ المتكلم التأثير في الغير وحمله على الاقتناع. ينظر:

Ducrot. O: Argumentation rhétorique et argumentation linguistique. Dans :L'argumentation aujourd'hui-Positions théoriques en confrontation(Textes réunis par Mariane DOURY et Sophie MOIRAND), 2004,Presse Sorbonne Nouvelle,p 18-20

تجذّر الطرح التداولي لهذه النظرية في الحقل اللساني، وحفاظها رغم تكفلها بدراسة استعمال اللغة بطابعها الشكلي اصطلاحيا ومفاهيميا.

وكما ارتبطت نظرية التداولية المندمجة ذلك الارتباط القوي بمباحث الحجاج، فقد ارتبطت ارتباطا يوازيه في القوة، أو يجاوزه بمفهوم ارتقى بعد ذلك إلى مستوى النظرية، هو مفهوم التعدد الصوتي الذي ألقنا إليه سابقا. ففي إطار مرجعيته التلفظية الحجاجية، يبيّن ديكرو (O.Ducrot) أن كل ملفوظ يتأسس على وجود أكثر من جهة تلفظية؛ المتكلم (منتج الكلام)، المتلفظ (قد يكون الأنت المتلفظ له، أو الهو الممثل للصوت الجماعي، أوهما معا)، بحيث لا يتحمل المتكلم مسؤولية ما يسنده إلى هذه الذوات التي ترتبط بوجهات نظر متضادة ومختلفة أحيانا، يحملها الملفوظ، «ففي ملفوظ من صنف "س لأن ص" يهتم المتكلم بقضيتين؛ وبالمقابل في ملفوظ مثل "س بما أن ص"، يأخذ الباحث على عاتقه س بيد أنه يقدم ص على أنها قضية تؤكدها جهة خارجية أي الهو».⁽¹⁾

هذا هو التصور المحمل لمفهوم الأصواتية الذي سنعكف على تفصيله في الفصل

الموالي، بتناول ما يتصل بنشأته، وتطوّره، وما تفرع عنه من مفاهيم.

(1) _ بلانشيه. فيليب: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 167

التعدد الصوتي⁽¹⁾ نظرياته و جهازه المفاهيمي

المصطلح و الماهية:

نتناول في إطار مقاربتنا التداولية لرسائل الجاحظ تطبيق مفهوم تعدد الأصوات، وفق المسعى الذي نلتزمه في هذا البحث، والذي ننطلق فيه من فرضية أن تطبيق مفهوم تعدد الأصوات، أو مقارنة النص الجاحظي من خلاله متاحة في مجمل رسائله، لما تتميز به هذه الرسائل من حوارية، تتمظهر في صور متعددة من الحوار الذي دأب الجاحظ على توظيفه في كتاباته، حتى عرف به، وكان خصيصة مائزة له. وقبل أن نصل إلى ذلك، لا بد لنا من عرض نظري نكمل به ما تقدّم من إضاءات نظرية تُجَلِّي المنهج المعتمد في هذه الدراسة، وتضع بين أيدينا الجهاز المفاهيمي الذي سنباشر بواسطته معالجة مدونة البحث لاحقاً، وسنعكف في هذا الفصل النظري الأخير على التعريف بمفهوم التعدد الصوتي، من حيث نشأته، ومدلولاته عند أعلام الباحثين الذين وضعوه، أو ساهموا في تطويره، وتطبيقه في ميادين البحث المختلفة، ولا سيما في حقلي الدراسات اللغوية، وتحليل الخطاب.

فقد ارتبط المفهوم - أكثر ما ارتبط - بعلمين بارزين هما: الفيلسوف الروسي ميخائيل باختين (M.Bakhtine)، واللساني الفرنسي أوزوالد ديكرود (O.Ducrot). فكيف قارب هذان العلمان المفهوم، وأي مدلول أعطيا له؟

إن أول من استخدم مصطلح "تعدد صوتي" **Polyphonie** في إطار التحليل

(1) - خلافاً لكثير من المصطلحات اللسانية والنقدية المعاصرة، يحظى مصطلح "التعدد الصوتي" أو "تعدد الأصوات" كترجمة لـ **Polyphonie** بما يشبه الإجماع لدى الباحثين العرب الذين أتيح لي الإطلاع على أعمالهم، باستثناء أوبوكر العزاوي الذي استعمل إلى جانب المصطلحين المذكورين، مصطلح "الأصواتية" ينظر كتابه: اللغة والحجاج، ص 95 وما بعدها

الأدبي" (واللساني بصورة من الصور) هو م. باختين (M.Bakhtine) في دراسته لأعمال الروائي الروسي دوستويفسكي. (1)(*) ويتجاوز هذا المفهوم عند باختين مع مفهوم آخر أكثر أهمية عنده، هو مفهوم الحوارية **Dialogisme** الذي يخضع كل نص بموجبه للمبدأ الحوارية، فتتسمي النصوص إلى حوار مستمر، يتكون من سلاسل سابقة لأخذ الكلمة وسلاسل استباقية افتراضية لاحقة. (2)

ويدرس باختين في نظريته اللغوية المسماة بـ "العبر لغوية" «**Translinguistique**» كيف يتجلى هذا المبدأ في كافة مستويات النص: «إن العلاقات الحوارية تكون ممكنة ليس فقط بين التعبيرات الكاملة (نسبياً)، ولكن التناول الحوارية ممكن حتى لأي جزء له قيمته الدلالية داخل هذا التعبير، وحتى لأي كلمة بمفردها بشرط أن يتم استيعابها لا على أنها كلمة غير مسندة، بل على أنها علامة دالة على موقف ذي معنى محدد يخص إنساناً آخر» (3)

فالتعدد الصوتي لأسلوب النفي مثلاً يفترض - حسب باختين - ربط وجهتي نظر متضمنتان في الملفوظ المنفي التالي: "الحياة ليست طيبة" هما: "الحياة طيبة" و"الحياة ليست طيبة" فتسند كل وجهة نظر لذاتين مختلفتين (مفرد أو جماعة) في إطار العالم الأدبي. (4)

(1) _ باختين. م: شعرية دوستويفسكي، تر: جميل نصيف التكريتي، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب 1986، ص7-65

(*) - فيودور ميخايلوفتش دوستويفسكي (1812-1881) أحد أشهر الروائيين الروس. أشهر أعماله: الإخوة كرمازوف، الجريمة والعقاب، الأبله

(2) _ تودوروف. ت: ميخائيل باختين المبدأ الحوارية، ص125

(3) _ باختين. م: شعرية دوستويفسكي، ص269

(4) _ نفسه، ص268

خلافًا لباختين، ورغم استلهامه له، يهتم ديكرود بالتعدد الصوتي داخل نظام اللغة، فيعمد إلى فحص مختلف البنى اللغوية الحاملة للتعدد الصوتي على مستوى الملفوظات، ووفقًا لرؤية ديكرود (ونولكه Nolke من بعده) ليس من الضروري إسناد وجهتي النظر إلى شخصين حقيقيين ليتحقق التعدد الصوتي، فإذا كان باختين يعني بـ "التعدد الصوتي" حضورًا نصيًا لأصوات خطابية "متساوية" (1) في الدرجة، فإن ديكرود يدرج وجهات النظر ضمن بنية هرمية وحجاجية. (2)

لقد أكد ديكرود -بعد باختين- على ضرورة تجاوز المسلمة القائلة بواحدية الذات المتكلمة، التي سيطرت زمنًا طويلًا في مجال اللسانيات، ففي نظر القائلين بهذه المسلمة - كما يوضح ذلك موشلر (Moeschler) وروبول (Reboul) «تتحمل الذات المتكلمة... مسؤولية الأنشطة الفيزيولوجية والنفسية المرتبطة بالتلفظ» (3) بينما يرى ديكرود أن الذات المتكلمة تنقسم على مستوى الملفوظ الواحد ذاته، إلى متكلم ومتلفظين، وهو في ذلك متأثر بأعمال ج. جينيات (G.Genette) الذي ميّز بين "من يرى" و"ومن يتكلم" (4)

وعليه، ينطلق ديكرود في تعريف "تعدد الأصوات" من فكرة أساسية مؤداها أنه «عندما ينتج المتكلم الملفوظ مل - نعني بذلك قطعة من الخطاب تعادل جملة لغوية - فإنه يضعنا أمام عدة متلفظين وهم ينجزون أفعالًا كلامية، وعندئذ يمكن للمتكلم اتخاذ أحد الموقفين التاليين:

(1) _ باختين . م :شعرية دوستويفسكي، ص10

(2)-Ducrot. O: Le dire et le dit, p198

(3) _Moeschler. Jacques et Reboul. Anne ,1994: Dictionnaire encyclopédique de pragmatique ,Paris , Seuil, p 325

(4) _ب. شارودو ود. مانغونو :معجم تحليل الخطاب، ص433

- أن يتماهى معهم (المتلفظين)، فيتبنى أفعالهم الكلامية
- أو يباينهم، فيظهرهم بمظهر أشخاص آخرين مختلفين عنه، سواء حدّد هوياتهم أو لم يحددها»⁽¹⁾

ويكتمل بناء تعريف هذا المفهوم بالمقطع التالي المأخوذ من كتاب طه عبد الرحمن "اللسان والميزان"، الذي يقدّم فيه خلاصة قراءته التي استهدفت جمع عناصر التعريف المنبثة في أعمال ديكرود (O.Ducrot)، فيشير إلى أن نظرية تعدد الأصوات عند ديكرود «مدارها على أن القول المنطوق لا تقوم به ذات واحدة، وإنما تشارك في القيام به ذوات كثيرة كما لو كانت أصواتا مختلفة تأتلف فيما بينها للنطق به في مرة واحدة، ولا تقتصر هذه الذوات على ذات المتكلم الذي تولى النطق بالقول وذات المستمع الذي توجه إليه هذا القول، وإنما تتعداهما إلى ذوات أخرى تكون هي المسؤولة عن الأغراض الكلامية التي يحملها هذا القول...»⁽²⁾ ومن ثم يعكس تعدد الأصوات بوضوح البعد التواصلّي للخطاب، فكل ملفوظ يحمل بالضرورة في بنيته الدلالية التداولية مضامين لا نستطيع إسنادها كلها إلى المتكلم (الذات الخارجية كما سماه طه عبد الرحمن)، فهي تسند إلى ذوات مغايرة لذات المتكلم، كما هي أيضا موجهة إلى ذوات مغايرة لذات المستمع، وليست مجرد تحليلات متنوعة لها.

فإعمال مفهوم تعدد الأصوات إجرائيا في تأويل الملفوظات، يجعلنا نتبيّن بوضوح كيف تتوارد إلى سمعنا أصوات متعددة، هي في الغالب أصوات مختلفة عن المتكلم، لذلك يؤكد ديكرود على أن «مفهوم تعدد الأصوات هو الذي أتاح لنا أن

(1) - Ducrot .O et Anscombe J-C, 1983: L'argumentation dans la langue, Pierre Mardaga, éditeur, Collection « Philosophie et langage », Bruxelles p:175

(2) - عبد الرحمن. طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص28

نتحدث عن متلقين مختلفين دون وضع مقولة واحدة المتلفظ له أو عدم واحدته موضع تشكيك، من خلال التمييز الذي أقامته بين دور المستمع المرتبط بالتلفظ، ودور المتلفظ له المرتبط بالنشاط الالاقولي» (1).

بعد عرضنا للمحددات النظرية الحافة بمفهوم تعدد الأصوات، نأتي إلى التعرف على ما أفضى إليه تطبيقه من ضبط للخطوات الإجرائية في مجال البحث، ومن جملة ذلك ضوابط التمييز المتصلة بأطراف التواصل:

التمييز الأول: التقابل بين المتكلم/المخاطب (المتكلم له) Locuteur/Allocutaire

؛ فالمتكلم هو من يرسل الملفوظ، وينجز الكلام المرسل، والمخاطب هو الشخص الذي نتوجه إليه بالتلفظ، أي الذات التي ينقل إليها الكلام

التمييز الثاني: ويهدف إلى ضبط العلاقة التشاركية بين الزوج المتلفظ (المتحدث)/ المتلفظ له (المتحدث له)، Enonciateur/Enonciataire، فيكون المتلفظ هو مصدر الأفعال الكلامية، الجهة التي تضمن محتوى الملفوظ، وتؤكد مطابقته للحقيقة، ويكون المتلفظ له الشخص المعني بالأفعال الكلامية، أي من ينتظرها ويحتاجها. (2).

يترتب على ذلك استنتاج مهم، وهو أن المتكلم الناطق بالكلام قد يختلف عن المتلفظ الذي يتحدث ضمنه، ويصدق ذلك أيضا على المخاطب (متلقي الكلام المنطوق) فهو يختلف بدوره عن المتلفظ له. (3).

(1) – Ducrot. O et autres, 1980: Les mots du discours, Les Éditions de Minuit, Paris, p 236

(2) -Ibid, p 49

(3)-Ibid

وعلى هذا النحو، يمكننا مثلا أن نستخلص من الخطاب حكما مثبتا لا نعتمده، ولا نوافق عليه، فننسبه إلى متلفظ آخر غير المتكلم، ونسند مسؤوليته إليه. وهكذا فإذا أسند الفعل الكلامي الجسد للتلفظ إلى شخص غير المتكلم (م)، فإن المخاطب متلقي هذا الفعل الكلامي يكون شخصا آخر غير المتلفظ له، باعتبار العلاقة التشاركية مع المتكلم (م).⁽¹⁾

يفضي التمييز في المستويين السابقين إلى تمييز في مستوى ثالث، بين الزوجين متكلم(ناطق)/ متلفظ (متحدث)، ومخاطب(متكلم له) /متلفظ له (معني بالتلفظ).⁽²⁾ الضابط الثاني الذي سنستثمره لا حقا في التطبيق، هو الضابط المتعلق ببعض الصيغ الصرفية وتعدد الأصوات. هناك صيغ صرفية، وبعض أصناف المورفيمات تحفز، إن لم نقل تفرض استثمار مفهوم تعدد الأصوات في قراءة الخطاب وتأويله خاصة من وجهة النظر الحجاجية. نجد ذلك في الخطابات التي تتضمن صيغ من قبيل: حسب فلان، كما قال فلان، إذا أخذنا بقول فلان، كما نجدها في الخطابات المتضمنة للاستلزامات الناتجة عن استخدام الروابط، مثل: ما دام، بما أن، لما كان، اعتبارا لـ، صحيح أن، فضلا عن... إلخ⁽³⁾

كما يرتبط مفهوم تعدد الأصوات بالبنية التركيبية، من خلال الصيغ الصرفية المختلفة التي تحدثنا عنها، فإنه يرتبط أيضا بالبنية الموسوعية، أو بما يسميه روبير مارتان (R.Martin) "عالم المعتقدات" أو "صور العالم"، فالمضمون المعرفي

(1) - Ducrot. O et autres: Les mots du discours, p49

(2) - Ibid

(3) - تسمى هذه في نظرية ديكرود "كلمات الخطاب" وقد خصص لها كتابا بهذا العنوان، درس فيه فعاليتها الحجاجية، سعيا إلى وضع قوانين تضبط اشتغالها على مستوى البنية الحجاجية للخطاب، وما ذكرناه من صيغ /روابط هي المقابلات العربية لما اقترحه ديكرود. ينظر: موشلر.ج. _ روبول. آن : القاموس الموسوعي للتداولية، ص27

لمقطع من الخطاب قد يؤشر على وجود أكثر من صوت، خاصة في بعض المواقف الخطابية التي تستدعي الاستشهاد، أو الاقتباس، أو التضمين، وفي أنماط من الخطابات، مثل الخطاب الساخر حيث «يفترض أن يتكفل المتكلم بالأقوال وليس بالرأي المدافع عنه في الملفوظ، فهذا الرأي قد يسند إلى شخص ما، يكون هو المتلفظ المستحضر خصيصاً لهذا الغرض في التلفظ الساخر»⁽¹⁾.

وبناء على هذه الرؤية، يُنظر إلى كل الممارسات اللغوية (النصوص، الخطاب الشفوي، الحوارات) على أنها تركيب مشكّل من وجهات نظر تتجاور، وتتراتب، وتتراكب في بنية الملفوظات. والفكرة الأساسية التي تنبني عليها نظرية التعدد الصوتي في هذا الصدد هي أن بنية الملفوظات تمثل فضاء التقاء لوجهات النظر المنجزة لحظة التلفظ ووجهات النظر المحكية.⁽²⁾

ولما كانت خطة بحثنا قائمة على توليفة من المفاهيم التي أنضجتها تيارات ومدارس متعددة اشتغلت على مفهوم التعدد الصوتي، كان علينا أن نعرّف بهذه المدارس، وبمجمّل ما قدمته في أعمالها حول نظرية التحليل الأصواتي، وهذا ما نتناوله في الأسطر التالية.

(1)– Mainguenu. D: Les mots clés du discours, Ed seuil, Paris, p 64

(2) _ Ducrot. O: Le dire et le dit, p189-192

نظريات التعدد الصوتي

1- نظرية التعدد الصوتي اللسانية:

ينبغي أن نقارب مفهوم الأصواتية اللسانية- كما تصوره ديكر (O.Ducrot) - في الإطار النظري الذي تقدم بيانه، أي كظاهرة متعلقة بالتعليمات المعطاة في دلالة الملفوظات، وفي ما يلي نقدم إيجازاً نظرياً حول النظرية اللسانية الأصواتية عند ديكر، تمهيداً لتناول نظيرتها عند مدرسة جنيف الحوارية، والمدرسة الإسكندنافية.

استلهم ديكر في تطويره لمفهوم الأصواتية اللسانية⁽¹⁾ الأعمال النقدية

لميخائيل باختين حول روايات دوستويفسكي، إذ لاحظ باختين (M.Bakhtine) في دراسته لهذه الروايات أن صوت السارد لم يكن أعلى من أصوات الشخصيات الروائية، بل كانت الأصوات جميعها متساوية، كما في قطعة موسيقية، يؤديها الجوق. (2)

ومصطلح أصواتية **Polyphonie** لا يعني في الموسيقى الغربية الكلاسيكية « فقط وجود عدة طبقات [نغمية] مختلفة، بل أن تكون هذه الطبقات ذات قيمة متساوية»،⁽³⁾ وهذا بالتحديد ما حمل باختين على اقتراضه.⁽⁴⁾ فالذي فعله ديكر

(1) _ في كتابه: Les mots du discours ; et Le dire et le dit:

(2) يقول باختين في فكرة تساوي الأصوات في روايات دوستويفسكي: "إن كثرة الأصوات وأشكال الوعي المستقلة وغير المتمزجة ببعضها، وتعدد الأصوات **Polyphonie** الأصلية للشخصيات الكاملة القيمة- كل ذلك يعتبر بحق الخاصية الأساسية لروايات دوستويفسكي. ليس كثرة الشخصيات والمصائر داخل العالم الموضوعي الواحد، في ضوء وعي موحد عند المؤلف هو ما يجري تطويره في أعمال دوستويفسكي، بل تعدد أشكال الوعي المتساوية..." (شعرية دوستويفسكي، ص 10)

(3) - Encyclopaedia Universalis, France SA 2008, p 405

(4) -رغم تبنيه للمصطلح، يبدي باختين تحرزه من سوء الفهم الذي قد يقع. يقول: "من الضروري أن نشير إلى أن المقارنة التي أجريناها بين رواية دوستويفسكي وتعدد الأصوات في الموسيقى، لا تملك سوى معنى مجازي لا أكثر. إن صورة تعددية الأصوات ومزج الألحان العديدة، تشير فقط إلى تلك المشكلات الجديدة التي تبرز على الطريق عندما يخرج بناء الرواية على إطار الوحدة المنولوجية المألوفة... غير أن عناصر ومواد الموسيقى والرواية مختلفة إلى حد بعيد... إلا أننا نحول هذا المجاز إلى اصطلاح "الرواية المتعددة الأصوات"، وذلك لأننا لا نجد اصطلاحاً أدق من هذا" شعرية دوستويفسكي، ص 32-33

هو أنه أراد بنظريته الخاصة بالأصواتية أن يتبنى إطاراً نظرياً يمثل «توسيعاً مرناً جداً» لبحوث باختين حول الأدب، لتندمج في [حقل] اللسانيات»⁽¹⁾ فكان هدفه الأساسي هو الاعتراض على مقولة "واحدية الذات المتكلمة" وهي المصادرة التي تمثل مقدمة نظرية ضمنية للسانيات المعاصرة.⁽²⁾

وإذا كان ديكرود (Ducrot) قد استلهم أعمال باختين النقدية كما أسلفنا، فإن مشروعه يختلف جذرياً عما جاء به باختين، فموضوع بحثه ليس النصوص، بل الملفوظات التي تؤثر على وجود أصواتية على مستوى اللغة، يضاف إلى ذلك أن الأصوات في منظور الأصواتية اللسانية لا تحكمها علاقة تساوي، بل تخضع لتنظيم هرمي، ضمن ترتيب يهيمن فيه صوت المتكلم لحظة التلفظ.⁽³⁾

وهكذا، فقد ميز ديكرود بين المتكلم والمتلفظين، «فالمتكلم هو من يكون، حسب الخطاب، مسؤولاً عن التلفظ ويترك آثاراً في ملفوظه كضماير المتكلم مثلاً، وفي استطاعة المتكلم أن يعرض علينا متلفظين يمثلون وجهات نظر مختلفة، وبإمكانه أن يرتبط ببعض المتلفظين في الوقت الذي ينفصل فيه عن آخرين»⁽⁴⁾

استعمل ديكرود، وهو يصوغ مفاهيم نظرية، ألفاظاً تحيل إلى حاسة السمع، مثل "الصوت" و"أصواتية"، وهي ألفاظ ينبغي أن تؤخذ في دلالتها المجازية، لأنه لا يسعى إلى نقض فكرة "واحدية الذات المتكلمة" باعتبارها ذاتاً حقيقية "اختبارية" فقد مرّ بنا فيما تقدم، أن هذا الباحث لا يهتم إطلاقاً بالإنتاج الحقيقي للملفوظات،

(1) _ Ducrot. O: Le dire et le dit, p173

(2) _ Ibid, p171

(3) _ Carel. Marion et Ducrot. Oswald: Mise au point sur la polyphonie, Langue française, 2009/4 n° 164, p. 33-43. DOI: 10.3917/lf.164.0011 ,p34-36

(4) _ ب. شارودو ود. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص433

بل يركز على التلفظ كما يتجلى عندما ننظر إليه كنتاج للدلالة، ومن ثم فهو يعترض على الفكرة القائلة بمطابقة الذات المتكلمة للمتكلم، باعتبار أن هذا الأخير لا يقدم نفسه دائماً كمسؤول على مجمل المحتوى الدلالي للملفوظ،⁽¹⁾ « وهو السبب الذي من أجله لا تنكشف (بنية تعدد الأصوات) بدراسة تأويلات الملفوظات أو استعمالاتها الممكنة ولكن فقط بفحص النصوص (المصاحبة) التي من شأن هذه أن تندمج فيها، وبالمقابل توفر بنية تعدد الأصوات تعليمات تتصل بتأويل ملفوظ الجملة، أو بصفة أدق بتأويلات الملفوظ الممكنة»⁽²⁾، فالأصوات من منظور هذه الأصوات لا تكون بالضرورة صدى للملفوظات أنجزت فعلاً في الواقع، إنما هي مجرد بناءات لغوية.

2- التعدد الصوتي من منظور مدرسة جنيف الحوارية

اقتدت مدرسة جنيف الحوارية بباختين في بناء نموذجها لتحليل الأصواتي، فتابع ما كان بدأه، باعتماد مقارنته الخطابية التي تتجاوز المستوى النحوي للخطاب المنقول، إذ أن « الخطاب المنقول هو الخطاب داخل الخطاب، أو التلفظ داخل التلفظ، ولكنه أيضاً وفي الوقت نفسه خطاب حول الخطاب، وتلفظ حول التلفظ»⁽³⁾ ووفقاً لهذا التصور، يكون المشروع الأصواتي لهذه المدرسة، وعلى رأسها إدي رولي (Roulet E)، موسعاً في اتجاه، ومضيّقاً في اتجاه آخر مقارنةً بمشروع ديكرود؛ فهو موسّع لأن ما يقترحه من نماذج تحليلية يتجاوز توظيف

(1) _ Ducrot. O: Le dire et le dit, p191-194

(2) _ ب. شارودو ود. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص435

(3) _ Bakhtine. M ,1977 [1929]: Le marxisme et la philosophie du langage, Paris, Seuil,p161

وينظر أيضاً :

Roulet. E: L'organisation énonciative et l'organisation polyphonique, In: Roulet .E, L .Filliettaz & A .Grobet ,2001 :Un modèle et un instrument d'analyse de l'organisation du discours ,Frankfurt , Peter Lang, p 277

مفهوم التعليمات اللغوية الصرفة المتضمنة في الملفوظات والقطع النصية المعزولة، ليأخذ بعين الاعتبار الآليات الخطابية التي تتحكم في الأنشطة اللغوية الفعلية (المنجزة فعلياً)، وهو مضيّق لأن أقطاب هذه المدرسة، لا يعتدّون في تحليلاتهم سوى بالخطاب المستحضر، مطّرحين ما تبقى من ملفوظات أصواتية، دون أن ينكروا مقبولة التحليلات التي قام بها ديكرول هذه الملفوظات المستثناة لديهم.⁽¹⁾

ولما كانت هذه المدرسة تنظر إلى الأصواتية كظاهرة لا تنحصر في المستوى اللغوي، وتعدّاه إلى المستوى الخطابي، فقد ألزمت نفسها بدراسة هذه الظاهرة من خلال مَفْصَلة البيانات المعجمية والتركيبية مع معايير أخرى خاصة بالخطاب، وإذا شئنا الدقة، قلنا إنها تأخذ في الحسبان بيانات البعد النصي، والبيانات المرجعية والتفاعلية (المتعلقة بالسياق) إضافة إلى بيانات أخرى تتصل بمختلف أشكال التنظيم النصي.⁽²⁾

فالهدف تبعاً لما تقدم هو أن « نرصد قطع الخطاب المنتجة والمستحضرة، والتي تمثل [تدخلًا] على المستويات المختلفة، وهو ما نسميه التنظيم التلفظي، ثم تحديد وظائف الخطاب المستحضر في هذا التدخل»،⁽³⁾ بصورة تفضي إلى تشكّل التنظيم الأصواتي. إذن، يُنجزّ التحليل الأصواتي عبر مرحلتين؛ في الأولى ترصد الخطابات المستحضرة، وفي الثانية تعالج الإشكالية التي صاغها باختين بقوله: « الموضوع الحقيقي للبحث ينبغي أن يكون تحديداً هو التفاعل الديناميكي لهذين البعدين، الخطاب المراد تبليغه، والخطاب الذي يقوم بالتبليغ». ⁽¹⁾

(1) - Roulet. E: L'organisation énonciative et l'organisation polyphonique, p277- 278

(2)-Ibid, p278

(3) -Ibid, p278-279

(1) _ Bakhtine. M:Le marxisme et la philosophie du langage, p166

لإنجاز ذلك، يتعين البدء بتمييز الخطاب المنجز/المنتج، من الخطاب المستحضر فيه. فالخطاب المنجز/المنتج، والخطاب المستحضر تربطهما علاقة تداخل احتوائي. يحتل الخطاب المنجز الصدارة من حيث المبدأ، غير أن المفهومين نسيان عند التحليل، فالمحلل قد يختار دراسة الخطاب المستحضر المحمول بالاحتواء في خطاب مستحضر آخر (مثلاً: قالت لي أمي إن سعيداً يعتقد أن...". كما يمكن أن يكون الخطاب المستحضر مستعاداً بطبيعته أو بصيغة مصطنعة، أو يكون مشاراً إليه، أو يكون مضمناً⁽¹⁾ في الصورة الأولى، يظهر الخطاب المستحضر بطريقة مباشرة، أو طريقة غير مباشرة، أو غير مباشرة حرة. وفي الصورة الثانية، يكون مشاراً إليه عندما يشير فعل أو مركب إسمي إلى أقوال دون أن يورد محتوياتها. وفي الصورة الثالثة والأخيرة، صورة الخطاب المستحضر المضمّن، يدل عليها وسم لغوي يتمثل في "رابط مثل: إيه حسناً، أو لكن، عندما تقع في صدر الردود" وهذه الصورة خاصة بالحوار.⁽²⁾

وكما أسلفنا تتميز مقارنة مدرسة جنيف الحوارية بأنها تأخذ في الحسبان أيضاً حالات الخطاب المستحضر غير الموسومة لغوياً، مثل حالة السخرية.

تتميز رولي (Roulet . E) أيضاً بين الخطاب المستحضر الفعلي، والخطاب المستحضر الممكن، لأنه يحدث أن يقدم خطاب، ليس باعتباره منجزاً فعلياً، وإنما في صورة خطاب متخيّل، أو استباقي. ويشير هذا إلى تصرف يسمح للذات المتكلمة باستباق اعتراض المرسل إليه، أو لتجنب نسبة خطاب للآخر بطريقة جازمة.⁽¹⁾

(1) _ Roulet. E: L'organisation énonciative et l'organisation polyphonique, p283-284

(2) _ Ibid, p283-284

(1) _ Ibid, p285

3- المدرسة الإسكندنافية للأصواتية اللسانية:

يشارك نولكه (Nølke, H) مع ديكر و في المبادئ المحورية للتداولية المندمجة، ولا سيما الطبيعة التعليمية والتداولية للغة،⁽¹⁾ وقد أتاحت له هذه المقاربات النظرية تبني مفهوم الأصواتية اللسانية، ثم الانفراد بتأسيس نظرية إسكندنافية في الأصواتية اللسانية المعروفة اختصاراً بـ ScaPoline، بالتعاون مع ك. فلوتوم (Fløttum.K)، وك. نورن (Norén.C)،⁽²⁾ كما تبني في الأوان ذاته مفهوم الحجاج في اللغة.⁽³⁾ وخلافاً لديكر و وانكومير اللذين لا يوليان إلا أهمية ثانوية لمسألة المحتوى القضوي للجمل، يرى نولكه أن ملفوظ كل جملة بسيطة يحتوي على قضية (منطقية)، أي "تمثيلاً عقلياً لحالة"، وهذا المعنى يتكون أيضاً من "موقف قضوي" يتمثل في "العلاقة الموجودة - حسب الملفوظ - بين المحتوى القضوي والمتكلم"⁽⁴⁾

تنعت المدرسة الإسكندنافية نفسها بأنها بنيوية، وتلفظية وتعليماتية، وخطابية ودلالية.⁽⁵⁾ وهي بذلك تجسد مشروع بناء منهجي وإجرائي لأفكار ديكر و، غير أن هدفها - خلافاً لما يتصور - مزدوج، فهي من جهة تهتم بفحص ووصف التعليمات الدلالية للظواهر اللغوية التي من شأنها ترجيح التأويل الأصواتي، ومن جهة أخرى لا تقصر اهتمامها على وصف "اللغة" بل تسعى إلى تفسير الطريقة التي تتجلى بها

(1) _ ينظر :

Nølke. H ,1994: Linguistique modulaire, de la forme au sens, Louvain-Paris, Editions

(2) _ في كتابهم المؤلف بالاشتراك: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique:

(3) _ Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C , 2004 : ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, Paris, Editions Kimé, p164

(4) _ Ibid ,p46

(5) _ Nølke. H ,2009a: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, In: Kratschmer.A, M.Birkelund & R .Therkelsen, p17

الأصواتية على مستوى "الكلام"،⁽¹⁾ يقول نولكه "إذا كان الهدف المعلن لديكرو هو تقديم وصف دلالي للغة، يكون من حيث المبدأ، في انفصال تام عن الكلام، فإن هدفنا تطوير جهاز/ أدوات إجرائية للتحليل النصي"⁽²⁾ وإذا كان ديكرو لا يعتقد بموضوع التلفظ باعتباره حدثاً فعلياً اختبارياً، فإن المدرسة الإسكندنافية، خلافاً لذلك، تعلن أن هدفها هو "توقع وتحديد الإكراهات اللغوية الصرفة التي تتحكم في التأويل الأدبي (الأصواتي)"⁽³⁾، وهذا ما أنجزته هذه المدرسة بالتعاون مع مجموعة من نقاد الأدب، في إطار تعاون تكّلت بصدور عدد من الدراسات حول أعمال أدبية،⁽⁴⁾ تبعه بعد ذلك دراسات حول النصوص العلمية والسياسية.

نقطة الانطلاق إذن في المدرسة الإسكندنافية هي المستوى اللغوي، تماماً مثل ديكرو. لذلك يميز الباحثون الإسكندنافيون بين الجملة والملفوظ؛ ففي المستوى المجرد للجملة، توجد في نظرهم "البنية-ق" وهي التي "توفر لنا التعليمات المرتبطة بتأويل ملفوظ الجملة، وإن شئنا الدقة، التأويلات الممكنة له"⁽⁵⁾، فالنفي مثلاً يتضمن تعليمات تفيد بوجود وجهتي نظر متضادتين، إحداهما ايجابية والأخرى سلبية، وأن المتكلم مسؤول عن وجهة النظر السلبية، والمثال المشهور التالي يوضح ذلك:

- هذا الجدار أبيض

يتكون هذا الملفوظ من وجهتي النظر التاليتين:

(1) - Nølke. H: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, p11

(2)_ Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C : ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p21

(3) _ Ibid

(4) _ ينظر نماذج من هذه الدراسات في :

Olsen. M, 2002: Polyphonie littéraire et linguistique, Documents de travail V, Roskilde, Samfundslitteratur

(5)_ Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C : ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p28

وجـ ن 1 = "هذا الجدار أبيض"

وجـ ن 2 = "هذا الجدار ليس أبيض" (1)

فالبنية - ق لا توفر لنا أية تعلية حول وجهة النظر الايجابية (وجـ ن 1)، فيما يخص الكشف عن المسؤول عنها، ذلك لأن بعض عناصر المعنى توسم على المستوى الدلالي، بواسطة آليات لغوية (النفي، في هذه الحالة)، بينما يتعلق الكشف عن بعضها الآخر بالعوامل السياقية المقامية. بتعبير آخر، يخضع الكشف عن الشخص أو المجموعة المسؤولة عن وجهة النظر الايجابية، لفحص الظروف التي تحيط بتحقيق الجملة كملفوظ، وهكذا يتم عبر المسار التأويلي بروز التشكيل الأصواتي، ناتجاً عن الملفوظ باعتباره ظاهرة قابلة للملاحظة، وإنجازاً للتلفظ. (2)

وبالمقابل، لا تدرج البنية - ق ضمن ما يقبل الملاحظة في الملفوظ، لكنها تمثل مجموعة التعليمات الدلالية التي لا بد أن يصفها ويحللها اللساني. (3)

نخلص مما تقدم إلى أن التشكيل الأصواتي يمثل جزءاً من المعنى الدلالي للملفوظ، فهو يتضمن صوراً عن الذات المتكلمة وعن الأصوات الأخرى المرعاة في الدلالة، تستخدم المدرسة الإسكندنافية مصطلح "متكلم **Locuteur**" (4) للدلالة على مختلف الصور الدلالية لمن يسند إليه التلفظ ومحتواه، ليعين هذا المصطلح الكيان الدلالي المحض، وليس المنتج الحقيقي للملفوظ.

(1)- Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C : ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p29

(2) _ Ibid,p 28

(3)- Ibid,p31

(4) _ خلافاً لديكرو الذي يميز بين التكلم والتلفظ

الجهاز المفاهيمي لتحليل الأصوات

تبيّن لنا فيما تقدّم كيف أتاح مفهوم "الأصواتية اللسانية" الذي وضعه أ. ديكرود⁽¹⁾ الكشف عن الآليات اللغوية التي تدرج بواسطتها في الملفوظ أصوات أخرى غير صوت المتكلم زمن التلفظ، ميّز فيها المتكلم من المتلفظين وما يسند إلى كل منهم من مسؤوليات كفالة التلفظ. فبعد ملاحظته لاستعمال الآليات اللغوية المختلفة (الخطاب المستحضر، والنفي على سبيل المثال) لمشهدة مختلف "الأصوات"، نقض ديكرود فكرة "واحدية المتكلم"⁽²⁾، وتبعه -بعد ذلك- فريق من اللسانيين الإسكندنافيين، معتمدا على مفاهيمه حول الأصواتية، فطوّر ما يعرف بالنظرية الإسكندنافية للأصواتية اللسانية *Scapoline* (الفريق يتكون من: نولكه، وفلوتوم، ونورن 2004).⁽³⁾

وباشتغاله في المجال البنيوي والتلفظي نفسه، سعى هذا الفريق إلى تحليل الوسائل اللغوية الخالصة التي يستعين بها المتكلم لإيجاد "أصوات" يمكنه أن يتماهى معها، أو يوافقها، أو يتميز عنها، أو يدحضها ويرفضها. فقد جاءت هذه النظرية الإسكندنافية بما تأسست عليه من منظور دلالي تداولي، لتدرس الكيفية التي تشتغل بها آليات لغوية، مثل: الخطاب المستحضر، أصناف النفي، الروابط الحجاجية (لكن، إذن)، الجهة الإبتيمية (ربما)، وما ينشأ عن اشتغالها من أصوات متعددة في

(1) _ في كتابه :

Les mots du discours, و Le dire et le dit

(2) _ Ducrot. O: Le dire et le dit, p 171

(3) - Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique

الملفوظ الواحد نفسه. فهذا التعدد الصوتي، أو الأصواتية، تسمح للمتكلم بالتعبير عن عدة وجهات نظر (*pdv*)، لا يتحمل هو المسؤولية عنها زمن التلفظ.⁽¹⁾

ولما كانت جهود هذا الفريق هي الأحداث، وكانت مفاهيمها هي الأنضج والأكثر ملاءمة للتطبيق على مستويات التحليل اللسانية والنصية والخطابية، ارتأينا أن نعتمد في بحثنا هذا الجهاز المفاهيمي الذي وضعه هذا الفريق. وفيما يلي عرض نظري لهذا الجهاز، نعرّف فيه بعناصر التشكيل الأصواتي، ثم نجلي الجوانب النظرية المتصلة بالآليات التي يعتمد عليها التعدد الصوتي.

عناصر التشكيل الأصواتي Configuration polyphonique:

يبني المتكلم التشكيل الأصواتي للملفوظ، اعتماداً على أربعة عناصر هي: المتكلم، ووجهات النظر، والذوات الخطابية، والروابط التلفظية. وفيما يلي نبسط القول في التعريف النظري بهذه المفاهيم التي سيكون لها حضور بارز في الفصول التطبيقية لاحقاً.

أ) المتكلم/ منشئ الكلام (Locuteur (LOC): باعتباره متكفلاً بالتلفظ، فهو يسند مسؤوليات التكفل بوجهات النظر، ويذهب الباحثون الثلاثة إلى أن المتكلم منشئ الكلام لا يتواجد في الخطاب إلا من خلال " الفاعلين الذين يضعهم على الركح"⁽²⁾ أي من خلال إنشائه للتلفظ، إلا أن هذا التصور للمتكلم (LOC) قد عدّل بعد ذلك على يد نولكه (Nølke) الذي يقول إن المتكلم (LOC) يتواجد

(1) _ ينظر، ب. شارودو و د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص433-434، وص217-220

(2) _ Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p31

في النص، لكونه يمثل مركزاً للنظام التأشيرى للملفوظ،⁽¹⁾ (*) زيادة على أنه هو " من يتحمل مسؤولية الأعمال اللاقولية والحجاجية التي يحملها الملفوظ"،⁽²⁾ وإليه ينبغي أن تنسب عناصر الملفوظ، التي تتضمن تعليمات دالة على عملية التلفظ، (مثل: بصراحة، إنه غبي)،⁽³⁾ وهذا فعلاً ما يجب تأكيده، إذ أننا حين ننسب إلى المتكلم (LOC) استعمال رديف^(*) من هذا النوع، نكون ملزمين بقبول الحكم القائل إنه مسؤول عن وجهة النظر المتعلقة بالتلفظ.⁽⁴⁾

ب (وجهات النظر) Points de vue (pdv): ويرمز لها بـ (و ج ن)

وهي كيانات دلالية تحمل مصدراً تنسب إليه وجهة النظر، وهذه المصادر تمثل متغيرات (يطابقها عند ديكرود " المتلفظين"⁽⁵⁾). تدمج نظرية السكابولين مختلف عناصر وجهة النظر على النحو التالي:

[س] (يحكم) (ق)، حيث س ترمز إلى المصدر، و "تحكم" إلى الحكم،

وق إلى المحتوى القضوي.⁽⁶⁾ حسب السكابولين « يحمل كل ملفوظ على الأقل

(1)-Nølke. H: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, p19

(*)- يشمل النظام التأشيرى ما يعين "مكان وهوية الأشخاص، والأشياء، والعمليات، والأحداث، والأنشطة... بالنسبة إلى السياق المكاني - الزماني الذي أنشأه وأبقاه عمل التلفظ " مثل: ضمائر المتكلم والمخاطب، وظروف المكان والزمان (الآن، هنا)، وغيرها، وهي التي تسم السياق المقامي، وتسهل عملية الرجوع إليه عند تأويل الملفوظات، لا سيما ما يخص الضمنيات والاستلزامات الخطابية(ب. شارودو و د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب :مدخل "إشارية"ص 156)

(2)- Nølke. H: La polyphonie de la ScaPoLine 2008,, p 20

(3) _ Nølke. H, 2009b: Types d'êtres discursifs dans la ScaPoLine ,In: Langue française 164, p94-95

(*)-adverbe، وترجمته مأخوذة من معجم تحليل الخطاب، ترجمة، ص 374 ويقابله في العربية شبه الجملة من الجار والمحرور، أو التمييز (صراحة)، أو الحال (...صادقا، ساخرا، مازحا)... إلخ، ويدرجه مؤلفا المعجم ب. شارودو و د. مانغونو، ضمن الجهات التلفظية (نفسه، ص373-374)، سنتناول في فصل لاحق الجهات بشيء من التفصيل، باعتبارها آليات أصواتية لسانية، ص177

(4) _ Nølke. H.: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, p 20

(5) _ Ducrot. O: Le dire et le dit, p 203

(6)- Nølke. H: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, p 21

وجهة نظر بسيطة، يكون محتواها الدلالي معطى أولياً « مثلما ما نجد في الملفوظ التالي " سعيد يتزهر" أو "الجوجمیل"، يضاف إلى ذلك أن محتوى وجهة النظر البسيطة يمكن أن يحمل بواسطة صيغة قضوية معطاة أولياً، أو مفترضة مسبقاً.⁽¹⁾

وهذان الصنفان من وجهات النظر القضائية لا يتمايزان على مستوى تحليلهما الدلالي، بل على مستوى مصدريهما، فبينما تُسند مسؤولية التكفل بوجهة النظر المعطاة أولياً للمتكلم، تُسند مسؤولية التكفل بوجهة النظر المفترضة مسبقاً إلى جماعة.⁽²⁾

أما وجهات النظر المركبة، فتتميز بأنها تدمج على الأقل وجهة نظر ثالثة، والخاصية المرجعية لوجهة النظر المركبة تخضع -تبعاً لذلك- إلى إسناد وجهة النظر المضافة المدججة.⁽³⁾ وقد اهتمت السكابولين إلى تحديد فئتين فرعيتين لوجهة النظر المركبة، تقوم الأولى على مبدأ التراتبية الهرمية، والثانية على الترابط. يسمح النمط التراتبي بـ "إطلاق أحكام خارجية على أحكام أخرى".⁽⁴⁾ ولنأخذ المثال التالي لأجل التوضيح⁽⁵⁾:

لا ينبغي أن نخشى في قول الحق لومة لائم

يمكن تحليل هذا الملفوظ كما يلي:

وجـ ن 1: [س] (صحيح) (ينبغي أن نخشى في قول الحق لومة لائم))

(1)_Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p31

(2)_ Ibid ,p33-34

(3)_ Ibid , p34

(4)_ Ibid

(5)_ المثال من اقتراحنا

وجـ ن 2: [متك] (غير صحيح (وجـ ن 1))

نلاحظ هنا العلاقة بين وجهات النظر، فالثانية تدمج الأولى وتدحضها، كما نلاحظ أيضاً أن وجـ ن 1 تبقى غير مسندة (مستوفاة)، وإسنادها يخضع للسياق، أما مصدر وجـ ن 2 فهو المتكلم بالملفوظ (مت)،⁽¹⁾ بمقتضى التعليمات المستقاة من البنية-ق.

وإذا كان النفي يقوم بتوليف وجهات النظر تراتبياً، فإن الروابط تنشئ تفاعلاً بين وجهات نظر مترابطة، إذ " تُرَبِّط وجهات النظر البسيطة أو المركبة فيما بينها على مستوى محور التركيب ".⁽²⁾

يعرف نولكه الروابط بأنها " صيغ، وعبارات لغوية تؤلف بين الوحدات الدلالية -حجج الرابط المعني- لإنتاج معنى جديد ومركب، اعتماداً على معانيها الأولية الدنيا، بالتوفيق بينها وتمييزها ".⁽³⁾

وعلى سبيل المثال، يقوم الرابط "إذن" بوظيفة الربط بين حجة ونتيجة، عبر العلاقة السببية، كأن نقول: "الجو جميل، إذن سيخرج سعيد للترهة"،⁽⁴⁾ وما يتيح الانتقال هنا من قضية إلى أخرى، هو قضية ضمنية، تقوم مقام الحقيقة أو المعتقد، يستدل عليها بواسطة التعليمات التي يوفرها الرابط "إذن"، فتبدو في صورة المبدأ

(1) _تحالف مدرسة السكابولين ديكرود في مسألة الاستعانة بالسياق عند إسناد وجهات النظر، لأنها تنطلق في بناء مفاهيمها من فحص خطابات وملفوظات حقيقية، وتهدف إلى إقامة نموذج تحليلي فعال في دراسة أنماط مختلفة من الخطابات، بينما يرسى ديكرود أبحاثه المتعلقة بالتعدد الصوتي في الحقل اللساني الدلالي الصرف، منطلقاً من فرضية أن الدلالات مهما كانت درجة ضمنيته تكون موسومة لغوياً، ينظر :

Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p36

(2) _ Ibid, p35

(3) _ Nølke. H: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, p 28

(4) _ Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p 89

المتعارف عليه: "إذا كان الجو جميلاً، فليخرج سعيد للتره"،⁽¹⁾ ويعرف هذا النوع من الاعتقادات بالمواضع **TOPOI**⁽²⁾، والموضع المستخدم هنا يمثل وجهة نظر مسندة إلى الجماعة، التي قد تكون كبيرة أو صغيرة العدد، أو تحيل إلى حكمة، أو إلى جماعة متجانسة التكوين تتبنى آراء شائعة.⁽³⁾

وما قيل عن وظيفة الرابط "إذن" في أدائه لوظيفة أصواتية حجاجية، يصدق على باقي الروابط الحجاجية، مع احتفاظ كل منها بخصوصياتها التركيبية والدلالية، كما سيتضح لاحقاً عندما نعرض لهذه الروابط بالتعريف أولاً، ثم بالتطبيق في القسم المخصص له من هذا البحث بعد ذلك.

ج) الذوات الخطابية الخطابية⁽⁴⁾ :Etres discursifs

وهي مصدر وجهات النظر (ê-d) ونرمز لها بـ (ذ خ) وينظر إليها أقطاب مدرسة السكابولين بوصفها "صوراً" للمشاركين في الخطاب، أو غيرهم من

(1) _ Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p 90

(2) _ الموضع وجمعه مواضع هو الترجمة الشائعة لمصطلح (Topos_Topoi) المأخوذ من اليونانية، ومرادفه في الفرنسية (Lieu commun) ويعني إجمالاً استكشاف وجمع المعلومات وإبراز الحجج، كما يطلق لفظ موضع على "صيغة خطابية مميزة لنمط من الحجج" وهناك من يجعلها مرادفاً للمشهورات (Doxa) (ب. شارودو و د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص589)؛ ويشير شيم بيرلمان إلى أنها تصنيفات للحجج تسهل استمارها عند الحاجة، ومن هنا جاءت تسميتها بـ "خزان الحجج"، وقد قسمها أرسطو إلى مواضع عامة يمكن استخدامها في كل علم من العلوم، ومواضع خاصة يقتصر استخدامها على علم، أو نمط خطابي معين، ومن أشهر أصناف المواضع: مواضع الكمية (الأكثر، أفضل من، الأقل، مثلاً)، مواضع النوعية ويعترض بها على الحجج المبنية على الكمية (الأجود أفضل من الأكبر والأكثر)، وإلى جانب هذين الصنفين وهما الأشهر توجد أصناف أخرى مواضع الترتيب، ومواضع الموجود، ومواضع الجوهر، ومواضع الشخص، وغيرها (لمزيد من التفصيل، ينظر:

Perelman, Chaim et Obrechts Tyteca, Olga.1970 (1958): Traité de l'argumentation . La (nouvelle rhétorique . Bruxelles : Éditions de l'Université de Bruxelles. ، P112-132

(3) _ Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C ،2004: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p 39,90

(4) _ هناك فرق بين الذوات الخطابية في منظور المدرسة السكندنافية ومفهوم ذات الخطاب Sujet de discours التي تعني أحياناً المتكلم، وأحياناً أخرى المخاطب، ينظر : ب. شارودو و د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 538-539

الشخص الذين يرد ذكرهم فيه. وهي النظرة التي تعد عماد مفهوم التعدد الصوتي اللغوي، لأن "الأصوات" تصدر عن شخص هم نتاج الصور التي يقدمها المتكلم عنهم في نلفظه.⁽¹⁾ والشخص اللغوي مفهوم اجترحه فلوتوم (Fløttum)، وعنى به كياناً من كيانات عالم الخطاب، أي كياناً يمكننا أن نقيم ربطاً بينه وبين المرجع اللغوي بواسطة أسماء العلم أو المركبات الإسمية، أو الضمائر الشخصية، الخ⁽²⁾

تصنف الذوات الخطابية ضمن ثلاثة أصناف، بحسب انتمائها إلى الشخص الأول، أو الثاني أو الثالث،⁽³⁾ (الحاضر، المخاطب، أو الغائب⁽⁴⁾). وفي آخر التعديلات المدخلة على نظرية السكابولين، ميز نولكه (Nølke) بين "ذوات الملفوظ"، التي تقدّم على أنها تلفظت بوجهة نظر، وذوات خطابية نصية" والتي تمتلك وجهات نظر، دون أن تكون لوجهات النظر هذه، أي مرجعية تلفظية.⁽⁵⁾

نأتي الآن إلى الشخص الثالث (الغائب). خلافاً للشخص الأول (المتكلم)، والشخص الثاني (المخاطب) اللذين هما ضروريان للتلفظ⁽⁶⁾، تدرج صور الثوالت اختيارياً في الملفوظ، " بواسطة المركبات الإسمية، والضمائر وأسماء الأعلام"⁽¹⁾. وإلى

(1) - Nølke. H: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, p22-23

(2) _ Fløttum. K, 2003b: Polyphonie dans les textes scientifiques, Étude de deux cas français, In: Polyphonie linguistique et littéraire VII, Roskilde, Samfundslitteratur Roskilde, p 188

(3) _ Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p 37

(4) _ المقابلات العربية للمصطلحات الفرنسية :

La première, la deuxième et la troisième personne

(5) _ Nølke. H: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, p 23

(6) _ هناك خلاف في مسألة اعتبار الضمير الثالث من الإشارات الضميرية لأنه في نظر فريق من الباحثين (منهم سارفوني) لا يتمتع بالخاصية الانعكاسية REFLEXIVITE التي تتميز عناصر السياق التلفظي: المتكلم، والمخاطب، وزمان ومكان الملفوظية = ولكي يضاف إلى قائمة الإشارات، ينبغي توسيع السياق التلفظي: بإضافة موضوع الكلام إليه (وهو ما اقترحه بيرندونيه ولسانيون منطقة)، ينظر للتفصيل : سارفوني. جان : الملفوظية، ترجمة قاسم المقداد، من منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998، ص 34-35

(1) _ Nølke. H: Types d'êtres discursifs dans la ScaPoLine , p 86

جانب الثوالت الفردية هناك بالطبع ثوالت جماعية تتوزع على سلم يشمل المجموع اللامتجانس، حيث تتمايز العناصر الفردية من حيث المبدأ؛ و المجموع المتجانس الذي يمثل ذوات خطابية ينظر إليها على أنها جماعة غير محددة الهوية، كالمرجعية القانونية، والمشهورات، والأفكار الشائعة، والحقائق الأبدية.⁽¹⁾

في حالة الثوالت غير المتجانسة (المبنى للمجهول الأصواتي ON)⁽²⁾ يتعلق الأمر بذوات خطابية تشكل جماعة، بينما في حالة المجموع المتجانس (الجهة الموثوقة) فيكون المجموع كتلة واحدة غير قابلة للتقسيم، وإن كانت الثوالت الجماعية تتوزع على مساحة ممتدة بين هاتين النقطتين المتباعدتين الواقعة كل منهما أقصى ما يمكن عن الأخرى، ومن ثم يعتمد على العوامل السياقية في تحديد طبيعة المجموع الذي يكون مصدرا لوجهة النظر.⁽³⁾

ليكن الملفوظ التالي: " يزعم سعيد أن صالحا مريض " الذي يحمل افتراضا مسبقا هو: " صالح ليس مريضا"، وجهة النظر هذه مصدرها (الجهة الموثوقة)، لكننا نستطيع تصور مقام تكون فيه هذه المعرفة غير متجانسة.⁽⁴⁾ في دراستنا هذه لن ننتقل من هذه المعيارية الخاصة باللغة الفرنسية التي تميز بين إحالة الضمير ON، وغيره من الصيغ التي تحيل إلى مجهول (الجهة الموثوقة أو غيرها)، بل سنعامل

(1)-Nølke. H: Types d'êtres discursifs dans la ScaPoLine , p 91

(2) _ يقابل هذا الضمير المسمى ضميرا لاشخصيا Pronom impersonnel، في الغالب صيغة المبنى للمجهول في اللغة العربية، خاصة في الملفوظات التي تحيل إلى ما يمثل صوت الجماعة، كالقيم والقوانين، وقواعد السلوك، نحو قولنا: يمنع التدخين منعاً باتاً، يرجى وضع الأمتعة في المكان الفلاني، وفي نقل الشائعات: يقال أن، وفي الخطابات الشعبية موجهة المؤلف: يحكى أن ...

(3)- Nølke. H: Types d'êtres discursifs dans la ScaPoLine, p 92

(4) _ Ibid, p 92

مختلف الصيغ معاملة متساوية، تستنجد بالعناصر السياقية لإقامة تطابق بين الصيغة التعيينية للثوالت، وما تحيل إليه من ذوات حقيقية.

(د) الروابط التلفظية: Liens énonciatifs:

تقوم الروابط التلفظية - كما يدل عليه اسمها - بالربط بين الذوات الخطابية ووجهات النظر، بواسطة روابط المسؤولية، وروابط عدم المسؤولية،⁽¹⁾ فتكون الذات الخطابية المسؤولة عن وجهة النظر أيضاً مصدراً لوجهة النظر هذه نفسها، أما إذا لم تكن مسؤولة عنها، فبإمكانها أن تتقبلها (تفهمها)، أو تعتبرها ممكنة، ومثال ذلك حالة (ربما) نحو قولنا: "ربما يأتي سعيد"، حيث لا يتحمل المتكلم سوى مسؤولية "ربما".

- وجـ ن 1 = [س] (صحيح (أنى سعيد))

- وجـ ن 2 = [مت] ((ربما)(وجـ ن 1))⁽²⁾

لكن المتكلم يمكنه أن يدحض وجهة النظر، وعندما يكون هناك رابط دحض تنعدم كل إمكانية للانضمام إلى وجهة النظر المدحوضة من جانب كل صور المتكلم، خلافاً لباقي روابط عدم المسؤولية، وإذا أخذنا بمنظور المدرسة الإسكندنافية، فإن هناك تقسيماً ثنائياً لمختلف أنماط الروابط.⁽¹⁾

(1) _ Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p 30

(2) _ Nølke. H: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, p 33- 36

(1) _ Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p 48

روابط عدم المسؤولية		روابط المسؤولية
روابط دحضية	روابط غير دحضية	

يستلزم رابط المسؤولية أن تحكم ذات خطابية (المتكلم منشئ الكلام LOC) على محتوى وجهة نظر بأنه "صحيح"، يمكن تبنيه والقبول بحجاجيته. وفي حالة الرابط الدحضية، تعتبر هذه الذات الخطابية وجهة النظر المعنية "خاطئة أو مغلوطة". وفي الحالة الثالثة تستلزم الروابط غير الدحضية نوعاً من الحياد أو التحفظ. وهو ما حدا بنولكه إلى اقتراح مقارنة هذه الروابط التلفظية بمحملها، ضمن سلم متدرج يكون أحد طرفيه "قريباً جداً من الدحض" ويكون الآخر "تقبلاً قوياً" (1). وهو ما يفرض على المحلل التأني في فحص الملفوظات والحكم عليها، فقد يلتبس علينا تحديد الرابط في الملفوظ المدروس، إذا لم نستطع إعادة بناء السياق التلفظي الافتراضي انطلاقاً من التعليمات الدلالية المتضمنة في بنية الملفوظ اللغوية.

(1) _ Nølke. H: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, p 26

الفصل الأول

مدونة الرسائل من منظور

أجناسي تداولي

E في التصنيف الأجناسي التداولي للخطابات

E إشكاليات التصنيف الأجناسي التداولي للخطاب

الرسائي

E التصنيف الأجناسي التداولي للخطاب الرسائي

عند الجاحظ

في التصنيف الأجناسي التداولي للخطابات

تشكل مسألة تحديد الخصائص التي يؤسس بها الجنس الأدبي مركز اهتمام المشتغلين في حقل تحليل الخطاب. ومنطلق ذلك الاهتمام ما أصبح مجمعا عليهم بينهم من التصاق مفهوم الجنس الخطابي باستعمالات اللغة المختلفة، وبكون الحدث اللغوي لا يكون له معنى عند إنتاجه وعند تلقيه، دون استحضر فكرة تنميته أو تجنيسه. فـ«الحسّ الجنسي» يعتبر جزءا من "الحسّ اللغوي"⁽¹⁾ (*) في عرف المشتغلين بتحليل الخطابات والنصوص، خاصة أولئك الذين استفادوا من إنجازات الدرس اللساني ما بعد البنيوي، بتياراته التلفظية والتداولية والسوسيولسانية، فغدا أطراح مفهوم الجنس جانبا عند تحليل الخطاب أمرا متعذرا لأننا «إن كنا نريد أن نتجنب كل نظر نوعي في الخطاب حول الأعمال الأدبية، فإن الصمت سيكون هو المخرج الوحيد، وذلك لأننا منذ اللحظة التي نطابق فيها عملا من الأعمال عن طريق مصطلح عام مهما كان (وإن كان عن طريق "عمل فريد تماما")، فإننا نستخدم فئة نوعية»⁽²⁾ حتى إن كنا لا نعرف القواعد التي نميز بواسطتها هذا الجنس الخطابي من ذلك، لأن فكرة الأجناس-كما يذهب إلى ذلك م.باختين

(1) - راستبي.فرانسوا: فنون النص وعلومه، تر: ادريس الخطاب، ط1، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب 2010، ص 278

(*) - نجد فكرة تماثل علاقة الجنس بالنص مع علاقة اللغة بالكلام أيضا، عند وولف دييتر ستامبل الذي يقول: "لا غرابة في أن نرى الكتاب يستخدمون الثنائية السوسيرية اللغة/الكلام لتصوير العلاقة بين النص و الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه. و الحق أن هذا التماثل له ما يبرره. فلئن كانت اللغة في المستوى اللساني الصرف هي التي تجعل الكلام مفهوما من الناحية النظرية، فإن النص إنما يصبح وحدة اصطلاحية للممارسة الاجتماعية انطلاقا من الجنس ومن قواعده "نقلا عن : محمد القاضي الشريف: الخبر في الأدب العربي دراسة في السردية العربية، سلسلة: الآداب، مجلد: XXXI، كلية الآداب منوبة-تونس ودار الغرب الإسلامي-بيروت1998، ص30

(2) - ديكرو.أ. وسشايفر. ج.م: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب2007، ص560

(M.Bakhtine) - ليست طارئة على اللغة، بل هي جزء من اللغة كنظام، أوهي أشكال تأليفية للأشكال اللغوية التي يتألف منها هذا النظام،⁽¹⁾ وذاك ما تعامت عنه اللسانيات السوسيرية المفرطة في الشكلائية.*

فبعض الباحثين يتوجهون للبحث عن معايير ثقافية اجتماعية، تدخل في مجال تحليل الخطاب بمختلف نظرياته، في حين يركز آخرون على رصد المعايير الشكلية واللسانية التي من شأنها أن تسعفهم في تصنيف النصوص ضمن أجناس مختلفة، كما يفعل المشتغلون في حقل علم النص. فقد نعد إلى وصف أجناس النصوص اعتماداً على التصورات النموذجية والتقليدية التي توجد لدينا عن النصوص، والتي يسميها ج. م. شايفر (J.M Schaeffer) الأجناس التاريخية إشارة إلى الأسماء التي التصقت بها عبر مراحل التاريخ، وأصبحت علماً عليها رغم ما يمكن أن يبيده الدارسون المعاصرون عليها من تحفظات،⁽²⁾ كما أننا نستطيع وصف الأجناس وتحديدتها بالنظر إلى معايير أخرى متعددة؛ فإن أخذنا بتصنيف السنة الأدبية (الأجناس التاريخية)، كان علينا أن نعد معايير تتصل بالجانب اللغوي من تركيب وشكل ومحتوى، أو بالمرحلة التاريخية ومدارسها، أو ببنية النصوص

(1) - يقول باختين: "إن سوسير يتجاهل الحقيقة التي تقول إنه خارج أشكال اللغة توجد أيضاً أشكال من التأليف بين هذه الأشكال؛ وبكلمات أخرى، فهو يتجاهل الأنواع الخطابية". تودوروف: ميخائيل باختين المبدأ الحوارية، تر: فخري صالح، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان 1996، ص 115

(*) - يؤكد بلانييه Plenyet أن فكرة تجذر مقولة التحنيس في اللغة تناظرها مقولة مشابهة في حقل الخطاب الأدبي، أشار إليها في قوله إن الجنس "اصطلاح تنضوي تحته كل قراءتنا ومن الخطأ اعتباره أمراً قد تجاوزه الزمن". ينظر: محمد القاضي الشريف: الخبر في الأدب العربي، ص 19-20. ولا يبتعد كيليطو عن هذا الطرح حين يقول: "خصائص نوع لا تبرز إلا بتعارضها مع خصائص أنواع أخرى. تعريف النوع يقترب من تعريف العلامة اللغوية عند سوسير: النوع يتحدد قبل كل شيء بما ليس وارداً في الأنواع الأخرى" عبد الفتاح كيليطو: الأدب والغرابية، دراسة بنوية في الأدب العربي، ط3، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء - المغرب 2006، ص 26

(2) - جان ماري شيفر: ما الجنس الأدبي؟ تر: غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، يونيو 2005،

وتنظيمها التلفظي؛ وإن أخذنا بنظريات تحليل الخطاب المعاصرة، تحتم علينا أن نخضع لمعايير من قبيل ما تطرحه المناظير الوظيفية، أو التلفظية، أو النصية، أو التواصلية.^{(1)(*)} فلو نظرنا في تصنيف الأجناس مثلا إلى وظيفتها اللغوية والاجتماعية، أي باعتبار ما ينجز بواسطة هذا النص، أو ما يتركه من أثر، فإننا سنتحدث عن "خطاب جدلي" و"آخر" "إخباري"⁽²⁾... وهكذا. وهذا تحديدا ما يسمّى التصور التداولي للجنس.

غير أن هناك اقتراحا معاصرا لا يقلّ خصوبةً في محاولة تجاوز الإشكالات التي تطرحها مسألة التجنيس، هذا الاقتراح هو ما جاء به ج. م. شايفر (J.M. Schaeffer) في كتابه: "ما الجنس الأدبي؟"، حيث يعرض شبكة من المعايير التي استمدتها من المفاهيم اللسانية المتصلة بالوظائف التواصلية والتمظهرات النصية، وبمجال التلفظ والخطاب، ووظائف اللغة المختلفة، وقدّمها ضمن مستويات ثلاث، هي: مستوى التعبير، مستوى المقصد، ومستوى الوظيفة.⁽³⁾

وفي الجملة لا تخرج تصنيفات النصوص - كما يذهب إلى ذلك أحمد المتوكل - عن توسل معايير عامة ثلاثة، تولد أجناسا خطابيةً رئيسيةً تتناسل منها أجناس فرعية، وهذه المعايير هي: الموضوع والآلية والبنية، فينتج عن التصنيف

(1) - ب. شارودود، د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 269 - 271

(*) - يعتمد التصنيف القائم على السنة الأدبية على أنماط من المقاييس: مقاييس خاصة بالتركيب والمحتوى والشكل معاً، ومقاييس متصلة بتصوير تمثيل الواقع، ولها علاقة بتأسيس المدارس الأدبية، ومقاييس تنظر إلى بنية النصوص، ولاسيما تنظيمها التلفظي. وتعتمد نظريات تحليل الخطاب أسسا مختلفة في وضع معايير التصنيف، وتنقسم حسب وجهة النظر التي تعتمدها إلى: وجهة نظر تصنيفية، وجهة نظر تلفظية، وجهة نظر نصية، وجهة نظر تواصلية (ينظر للتفصيل: ب. شارودود ود. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 269-270)

(2) - Maingueneau. Dominique, 1998: Analyser les textes de communication, Paris, Nathan. p 45-48

(3) - جان ماري شيفر: ما الجنس الأدبي؟، ص 60-77

القائم على معيار الموضوع: الخطاب الديني، والخطاب العلمي والخطاب الإيديولوجي، والخطاب السياسي... الخ، وينتج عن النظر إلى البنية الخطاب القصصي والروائي والشعري ضمن نمط خطاب أكبر هو الخطاب الأدبي، أما اتخاذ الآلية معياراً، فيتولد عنه الخطاب السردى والخطاب الوصفي والخطاب الحجاجي، ويشترط المتوكل للاحتفاظ بهذا الترميز والعمل به أن تؤخذ بعين الاعتبار مفتوحة الصنف ودرجته وفرعيته. (1)

وخلاصة ما تقدم أننا في سعينا لدراسة هذه المسائل المتصلة بالتجنيس، لا بد لنا من التعرض للسمات الخارجية لتجنيس النصوص، وهي التي يتولد عنها ما يعرف بالإكراهات المقامية، سواء قمنا بتجنيس يعتمد المعايير الاجتماعية والثقافية، أو ذلك المبني على معيار الوظيفة، ثم نتقل إلى مستوى آخر نرصد فيه السمات التجنيسية الداخلية للنصوص، وهي التي تتجلى فيها الإكراهات الخطابية الملازمة لجنس الخطاب، ونعني بها السمات اللغوية البحتة، كالمكوّن المعجمي، أو الأشكال التركيبية، أو المجاز، أو التكوين النصي... وغيرها، مما نجتمع عادة تحت مسمى "الأسلوب" (2) بيد أن هذا لا يعني الفصل التام بين مستويي السمات الداخلية والخارجية عند معالجة قضية التجنيس وتطبيقها على الرسائل، لأن ما سنعتمده من نظريات يتبنى إجراءات تفرض النظر إلى الخطاب باعتباره نتاج تفاعل بين السياق المقامي والنص، ذلك التفاعل الجدلي الذي يجعل كلا منهما

(1)- المتوكل. أحمد: الخطاب وخصائص اللغة العربية-دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2010، ص25

(2)- بصورة عامة تراعى في تصنيف النصوص معايير خارجية (خارج النص) تخص شركاء التواصل ووقائعه، ومعايير داخلية (داخل النص) كأبنية الحمل و أبنية الإحالة وغيرها. (زتسيسلاف وأورزنيك: مدخل إلى علم بناء النص، مشكلات بناء النص، تر: سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة 2003، ص49)

ينشئ الآخر ويعدّله أثناء عملية التواصل،⁽¹⁾ فيكون التنقل بين هذين المستويين إجراءً نبتغي به الحرص على فعالية الفحص التحليلي للخصائص المشتركة في كل جنس أدبي.

المبدأ الحوارية وتصنيف الأجناس: يتلاءم مفهوم الجنس عند م. باختين (M. Bakhtine) مع ما يسمّى في تحليله بـ "أنماط الخطابات" بمعناها الحصري الذي نجده في اللغات Jargon، مثل الخطاب الإشهاري، أو الخطاب الفلسفي، أو الخطاب الديني،⁽²⁾ والحق أن هذه الأجناس "أجناس أولية"، فهي - حسب م. باختين - تتشكل وفق "المبدأ الحوارية" للغة، المبني بدوره على "دوائر متعددة لاستعمال اللغة" ويفسّر م. باختين ذلك بأن كل الملفوظات التي ننتجها تكون بالضرورة مسبقة بملفوظات أخرى تشبهها، تنتجها عقول أخرى، فتكون ملفوظاتنا موجهة إلى آخرين، تماما كما تلقينا نحن ملفوظات أخرى كان مصدرها غيرنا؛ وهذا هو جوهر ما يعنيه م. باختين بالمبدأ الحوارية.⁽³⁾

وتبعاً لذلك يؤثر الجنس في كل مستويات بناء النص بحكم خضوعها البديهي للمبدأ الحوارية، من هنا يتبين لنا أن م. باختين (M. Bakhtine) يصف الجنس ويحدد خصائصه انطلاقاً من من منظور "التفاعل الخطابي"؛ أما "الأجناس الثانوية" فهي في نظره وحدات تواصلية اجتماعية وثقافية أكثر تركيباً وتنظيماً (الرواية والمقال الصحفي، والبحث العلمي، مثلاً) لأنها تتشكّل من خلال احتواء

(1) - ب. شارودود ود. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 133؛ وينظر أيضاً: ليونز. جون: مرجع سابق، ص 215
(2) - Maingueneau. Dominique, 2005: L'Analyse de discours et ses frontières, Marges linguistiques 9, <http://www.margeslinguistiques.com>, p 9-10
(3) - Bakhtine. Mikhaïl, 1978: Esthétique et théorie du roman, Paris, Gallimard, p 111

، وينظر أيضاً: تودوروف. ت. ميخائيل باختين بالمبدأ الحوارية، ص 108

الأجناس الأولية ودمجها.⁽¹⁾

إن مفهوم "الحوارية" الذي اقترضه المختصون في تحليل الخطاب من م. باختين « يحيل إلى العلاقات التي يقيمها كل ملفوظ مع الملفوظات المنتجة قبله، وكذلك مع الملفوظات التي يفترض أن ينتجها متلقوه لاحقاً». ⁽²⁾

نخلص مما تقدّم إلى أن الحوارية في المفهوم الباختييني تبرز في كل الظواهر النصية التي تتحلى فيها العلاقات التي يقيمها المشاركون في الخطاب فيما بينهم: كالاستفهامات، والمخاطبات، والنداءات، والأوامر، والروابط التداولية، والجمل المنفية... إلخ، وهذا في جملته ما يسمى في نطاق دراسات أخرى "التعدد الصوتي" ⁽³⁾

وقد استلهم الكثير من الباحثين م. باختين (M.Bakhtine) وعمّقوا بحث القضايا التي أثارها أبحاثه، ولا سيّما نظرتة إلى الخطاب باعتباره تجلياً للنشاطات الاجتماعية، وهو الرأي الذي أخذ يتكرس في مجمل الدراسات ما بعد البنيوية، والتي ألح أصحابها على وجوب إحداث قطعة مع تصنيفات الشعرية القديمة للخطاب التي أغفلت أن « النصوص تنسجم مع الممارسات الاجتماعية، هذا فضلاً عن أن حالات التلفظ والتأويل تكون عبارة عن تواردات لهذه الممارسات ». ⁽⁴⁾

ومن أبرز المساهمات التي تدرج ضمن الأبحاث السوسيولسانية مساهمات نورمان فايركلو (Norman.Fairclough) التي لا تخلو من تأثرٍ بطروحات

(1) - تودوروف . ت : ميخائيل باختين المبدأ الحواري ، ص 108

(2) - Charaudeau .Patrick et Maingueneau.Dominique ،2002: Dictionnaire d'analyse de discours,Paris ,Seuil, p175

(3)- هذا المفهوم هو مرتكزنا الأساسي في المقاربة التي اخترناها لتحليل مدونة الرسائل الجاحظية، وقد تعرضنا له بالتفصيل في المدخل النظري، ص 46-69

(4)-راستيبي. فرانسوا: فنون النص وعلومه، ص 272

الفيلسوف الروسي القائلة إن الجنس شكل من أشكال النشاط الاجتماعي، بمعنى أن النشاط ينظم إنتاج النص وتوزيعه واستهلاكه في مختلف المستويات، فنراه يعرفه بأنه: « استعمال اللغة مقترنا بنشاط اجتماعي معين». (1)

كما يؤكد ن. فايركلو مثل م. باختين أن السمة البارزة في النصوص هي سمة اللاتجانس في المستوى الخطابي والأجناسي على السواء، وهما سمتان مرتبطتان بمبدأ الحوارية. وعلة ذلك في نظرهما هو أن هذه النصوص تعكس التغيرات والتراعات الاجتماعية والثقافية، فظواهر من هذا القبيل تنقل عبر الممارسة الخطابية وتتجلى في صورة تفاعلات نصية، وفي هذا يقول فايركلو (Fairclough) إن الجنس يُكسب النص تاريخاً لأنه يحيل إلى نصوص سابقة و إلى مواضع (لغوية وتجنيسية)، فتأسس - في نظره - تبعاً لذلك، ما يسميها "سلاسل التفاعلات النصية". (2)

يتضح مما تقدم أن التغير الاجتماعي هو الذي ينشئ اللاتجانس في النص، وهو تحديداً ما يجعل مفهومي التفاعل النصي (التناص) والتفاعل الخطابي مصطلحين مفتاحيين في نظرية فايركلو، رغم انطلاقه من تصور اجتماعي للمسألة. (3)

تعتبر المستويات المختلفة للخطاب -الجنس، نمط النص، الأسلوب- في نظرية فايركلو مستويات متعاقبة ككل مكونات الخطاب، فمنها جميعاً متعاقبة يتكون نظام النص (4) غير أن الجنس يتميز من بينها بدور خاص، باعتباره مكوّناً «يهيمن على باقي المكونات ويدخلها، لأنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمختلف الممارسات

(1)- Roitman. Malin: op.cit, p16-17

(2)-Ibid ،p16

(3)- Ibid

(4)- Ibid

الاجتماعية»،⁽¹⁾ فما دامت المجتمعات تعجّ بالإيديولوجيات المتعددة، فإن النصوص تحاكيها في ذلك، وهذا ما يجعلنا نتبين بوضوح أن كل النصوص يميزها اللاتجانس، أولنقل "التفاعلات النصية".⁽²⁾

يتأسس على هذا في نظر فايركلو (Fairclough) دائما مبدأ هام يفرض علينا أن نتناول كل ملفوظ نريد فهمه في أبعاد ثلاثة: بعد نصي، وبعد خطابي، وبعد ثالث اجتماعي ثقافي.⁽³⁾ في البعد الأول، وهو البعد النصي، يكون علينا أن نبحث عن الكيفيات التي يتم بها في النص بناء التمثيلات (المعارف والمعتقدات) وصور الهويات والعلاقات الاجتماعية (المعايير الإيديولوجية) من خلال الاختيارات التركيبية - النحوية. وفي البعد الثاني، الخطابي، تتوجه عنايتنا إلى فحص التحليلات الظاهرية للتفاعلات النصية (نحو الخطاب المستحضر، النفي، الافتراض المسبق، الروابط، الخطاب الواصف).

وفي البعد الثالث الاجتماعي - الثقافي، نعلم إلى تتبع الآثار الإيديولوجية المنطبقة في النص، مفترضين أن النص يمثل تجسيما ما للمجتمع، يتعيّن على من يقوم بالتحليل في هذا البعد أن يكشف عنه، فيبيّن العلاقة القائمة بين النص والواقع، وهنا تبرز ظاهرتان مهمتان في تحليل الخطاب، وهما: اللاتجانس، وتداخل الأجناس.⁽⁴⁾

(1)- Roitman. Malin: op.cit, p16

(2)- ب. شارودوود ود. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 293-295

(3)- Roitman. Malin: op.cit, p16

(4)-Ibid

العقد التواصلي الشامل وتصنيف الأجناس:

يقدم باتريك شارودو (Patrick Charaudeau) أحد المتخصصين المشهورين في تحليل الخطاب محاولة لوضع نظرية للأجناس غير الأدبية في بحثه المعنون: "مقصدية الخطاب، الأجناس المقامية والبناء النصي"، "Visées **discursives, genres situationnels et construction textuelle**"، وكما رأينا مع فايركلو يعترض شارودو (P. Charaudeau) على فكرة تحديد خصائص للأجناس بوصفها مؤسسات ثابتة ومكتملة التشكل، لكنه يخالفه في الاعتراض على كونها تتحدد بواسطة المجالات الاجتماعية، أو من خلال واسماتها الشكلية. ولذلك يحدد المشكلة التي يثيرها تصور التجنيس من هذا المنظور، بما يلي: «أن نعلق دلالة الخطابات بمكانة الفاعل المنتج للفعل اللغوي [دون غيره]، وبشرعيته، أكثر من ربطها بدوره كذات متلفظة، فإن ذلك قد يعني أنه سينتج خطاباً منمّطاً في ميدان ما، مهما كانت الطريقة التي سيتكلم بها».⁽¹⁾

كما أن إشكالاتٍ أخرى ستُطرح حين نحاول أن نحدد الأجناس اعتماداً على فحص الواسمات الشكلية، ذلك أن تعدد المعنى الذي يميز الصيغ اللغوية (المفردات، البناءات النحوية، أنماط الجمل القضوية... الخ) يحول دون التمييز السليم لفئات الكلام انطلاقاً فقط من الواسمات الشكلية، ومن ثم فمسألة التجنيس - حسب نظره - تتحدد بالإكراهات الداخلية والخارجية، ومدى معرفة

(1)-Charaudeau. Patrick, 2001: Visées discursives, genres situationnels et construction textuelle, in: Analyse des discours, Textes, types et genres. Actes du colloque de Toulouse, 2-5 décembre 1998, Éditions Universitaires du Sud, p 3

المتخاطبين بهذه الإكراهات، فالذوات المتكلمة-حسب شارودو⁽¹⁾- تكون دائما مزودة بذاكرة للخطابات، وأخرى للوضعيات التواصلية، وثالثة للصيغ والعلامات، وانطلاقا من هذه الذواكر الثلاث تتأسس تعاقدات للتعارف بين الذوات المتكلمة المنتمية للمجموعات الخطابية والتواصلية والسيمائية المعنية بالفعل التواصلية.

ولأجل تحديد الجنس، ينبغي النظر إلى الوضعية التواصلية التي تقوم على العناصر التالية: المقصد، هوية المشاركين [في عملية التواصل]، موضوع الحديث **Le propos**، والظروف المادية، ويُعنى بالمقصد في هذا السياق التوجه التداولي للذات المتكلمة (كأن يرجو، أو يخبر، أو يحمل على الاعتقاد... الخ) ويُعنى به أيضا التوجه الدلالي للذات المؤولة (كأن يرى واجبا عليه أن يجيب، أو يعرف، أو يعتقد)،⁽²⁾ هذه العناصر تشكل "العقد التواصلية الشامل"، الذي يعرفه شارودو «باعتباره مجموعة الشروط التي يتحقق فيها كل فعل تواصل (مهما كان شكله شفويا أو مكتوبا فرديا أو تخاطبيا)... ما يسمح لأطراف التبادل اللغوي من أن يعترف الواحد منهم بالآخر... وبالتعرف على مرمى الفعل... وبالاتفاق على ما يكون الموضوع المحوري للتبادل... وبالأخذ بعين الاعتبار وجاهة الإكراهات المادية التي تحدد هذا الفعل»،⁽³⁾ وهكذا يسمح لنا مفهوم «العقد» بجمع النصوص التي

(1)-Charaudeau. Patrick, 2001: Visées discursives, genres situationnels et construction textuelle, p 7

(2)- ويتم ذلك من منظور تداولي بردها إلى بعض أصناف أعمال الكلام التي وضعها أوستين وسيرل، مثل: الإثباتات (حكى، وصف، علق، وتنجسد في الملحمة والرواية والنثر العلمي)، والأمريات (استوقف، دعا، رجا، طلب، أمر، سأل؛ وتنجسد في الشعر الغنائي والدرامي، والمسرح)، والتعبيريات (مدح، وبخ، تأسف، وتنجسد في الشعر الغنائي خاصة، وفي الخطابات ذات البعد الاجتماعي العملي، وفي الشهادات). للتفصيل ينظر:

Combe. Dominique, 1992: Les genres littéraires, éd. HACHETTE, Paris, p 95

(3)- ب. شارودو ود. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 138

تشارك في خضوعها لنفس شروط الوضعية التواصلية، في صنف واحد.

تفرض الإكراهات الخارجية إكراهات داخلية، خطابية؛ فالمقصد، شأنه شأن هوية المشاركين في عملية التواصل يحدّد نموذج التللفظ (وصفي، سردي، أوحجاجي) الذي ينبغي أن تستخدمه الذات المتكلمة، ومن ثمّ يمكننا «تحديد الأجناس في نقطة الالتقاء بين "الإكراهات المقامية المحددة بالعقد التواصلية الشامل" و"إكراهات التنظيم الخطابية" و"خصوصيات الأشكال النصية التي ترصد بواسطة تواتر السمات الشكلية"»⁽¹⁾.

ويخلص شارودو (P.Charaudeau) إلى اقتراح تسمية بديلة، هي تسمية: الأجناس المقامية، فمقام التواصل الذي يمثل (المستوى 1) يؤسّس "العقد الشامل Contrat global" بين المتخاطبين، وهذا العقد يفرض إكراهات على تنظيم الخطاب (المستوى 2) وهي الإكراهات التي تبرز في التشكيل النصي (المستوى 3)، ومع أن المعطيات النصية لا تكفي للقيام بتصنيف أجناسي، فإنها تنطوي على إشارات تساعد على ذلك. ولما كانت هناك مكونات متعددة تنتمي إلى مستويات مختلفة تتدخل في بناء الجنس، فإن تحديده يمرّ عبر «تمفصل المستويات الثلاث» المذكورة سابقاً [ووضع المعطيات المتصلة بها في حالة تعالق (لا إدماجها الواحد بعد الآخر)]⁽²⁾.

وإذا كان شارودو (P.Charaudeau) قد اقترح تصوّراً عاماً لتجنيس الخطاب، لم يميّز فيه بين الخطابين العادي والأدبي، وكان في ذلك التنظير أكثر عناية

(1)- ب. شارودو ود. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 271

(2)- Charaudeau.P: Visées discursives , genres situationnels et construction textuelle , p23

بالخطاب الناتج عن التفاعل الشفوي المباشر، فإن د. مانغونو (D. Mainguenu) اهتم من جانبه بوضع تصور مفاهيمي لما يكون عليه التعاقد الأدبي. فرغم أن الخطاب الأدبي لا يخضع لقوانين كتلك التي يخضع لها الخطاب العادي القائم على التفاعل المباشر، كما في تصور شارودو (P. Charaudeau) السابق، بحيث لا يستطيع المتلقي التدخل في نص اكتمل إنجازاً، إلا أن خضوع الخطاب الأدبي لقوانين الخطاب، كقانون التعاون، أو قانون الجهة لا يمكن إنكاره،⁽¹⁾ وإن كان يتم بطرق خاصة بهذا الخطاب، في إطار تعاقد أو مواضعة خفية " **Convention tacite** "، يعرف المتلقي بموجبها كيف يهيكل انتظاراته، آخذاً في الحسبان الاعتبارات المتصلة بالجنس الأدبي أو جنس الخطاب الذي يُدعى إلى التفاعل معه.⁽²⁾

والأجناس لا تكفي مع ذلك لتحديد كل التعاقدات الممكنة في حقل الأدب، طالما أن الأعمال الأدبية يمكنها هي الأخرى أن تؤسس تعاقداتها الخاصة بها،⁽³⁾ وعلى أي حال، فمهما كانت درجة نزوع الأعمال الأدبية إلى اكتساب شرعية خارج دائرة التعاقدات الجنسية القائمة، فإن ذلك لا يحقق لها إلا تمييزاً جزئياً، «فالعقد الخاص الذي تقيمه لن يكون إلا جزيرة صغيرة في خضم القواعد

(1) - في المنظور التأويلي الهرمنيوطيقي لا يعد ذلك عائقاً للتواصل، بل إثراء للتأويل، لأن النص يفتح على عدد لا متناه من القراء، فـ " خلافاً للوضع الحوارية حيث يكون الوجه للوجه محدداً بحالة الخطاب نفسها، فإن الخطاب يقتضي جمهوراً يتسع فرضياً إلى كل من يعرف القراءة. هنا تجد الكتابة تأثيرها الأهم: تحرر الشيء المكتوب من الشرط الحوارية للخطاب؛ ويترتب عن ذلك أن العلاقة بين الكتابة والقراءة لم تعد أبداً حالة خاصة للعلاقة بين التكلم والإصغاء" ريكور. بول: من النص إلى الفعل أبحاث التأويل، تر: محمد برادة وحسان بورقية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة 2001، ص86

(2)- Mainguenu.D: Pragmatique pour le discours littéraire, p 121-122

(3)-Ibid, p122

الخفية [للجنس] التي لا تستطيع منها فكاً (وإن اقتصر ذلك على الانتماء إلى هذه المؤسسة* المعروفة باسم الأدب)». (1)

السمات الأجناسية الداخلية:

لا يمكننا الفصل بين داخل الخطاب وخارجه كما تقدم بيانه في حديثنا عن الطبيعة التفاعلية لعلاقة السياق المقامي بالنص، فالنص بما هو تنفيذ للخطاب في المقام التواصلية يحمل في بنيته واسمات سياقية مقامية، تحيل إلى مقام التلفظ، وفيما تقوم بذلك تمارس تأثيراً على البنيات النصية للخطاب وما يقع دونها من بنيات لغوية معجمية وتركيبية، وهو ما يصطلح على تسميته في أدبيات التحليل النصي بالبعد التكويني.

التصنيف الأجناسي من منظور التكوين النصي:

ينحو ج.م. أدام (Jean-Michel Adam) نحواً مختلفاً في تحديد خصائص الأجناس وتمييز أنماط النصوص معتمداً على نظام القوالب أو الأبعاد Modules، فيقدم خمسة قوالب (أو "أبعاد" في أحدث تعديله لنظريته) للتنظيم النصي؛ وهي: البعد التكملي (اللاقولي)، التلفظي، الدلالي، النحوي الأسلوبي، والتكويني. هذه القوالب الخطابية - في نظر أدام - تخضع لتفاعل مستمر، ينتج عنه

(*) - يشرح وليك و آرن مصطلح " المؤسسة" شرحاً طريفاً بقولهما: " و النوع الأدبي "مؤسسة"، كما أن كلا من الكنيسة، و الجامعة، والدولة مؤسسة. إنه يوجد -لا كما يوجد الحيوان، أو البناء، أو دار العبادة، أو المكتبة أو مبنى الحكم - ولكن كما توجد المؤسسة. إن المرء يستطيع أن يعمل من خلال المؤسسات القائمة وأن يعبر عن نفسه من خلالها، وأن يخلق مؤسسات جديدة، أو أن يمضي بقدر الإمكان دون أن يشارك في السياسة أو في الشعائر. و يمكن للمرء أيضاً أن ينتمي إلى المؤسسات ثم يعيد صياغة شكلها بعد ذلك." (رنيه وليك وآوسن وآرن: نظرية الأدب، تر: عادل سلامة، (د ط)، دار المريخ للنشر، الرياض - السعودية 1992، ص 313-314)

(1)- Mainguenu.D: Pragmatique pour le discours littéraire, p123

أنماط نصوصٍ متداخلة، وهو ما يصدق على كل أنماط النصوص.⁽¹⁾

ويتحتم التفريق هنا بين نوعين من اللاتجانس؛ اللاتجانس المظهر — *Hétérogénéité montrée*، واللاتجانس التكويني *Hétérogénéité constitutive*، فالخطاب من حيث تكوينه النصي يحمل بطبيعته مقاطع نصية متنوعة، ومظاهر جهية متباينة، وتداخلا لأجناس وسجلات لغوية متعددة، تعكس وجود مستويات التلفظ ومصادره المختلفة، وفقا لمبدأ التعدد الصوتي أو الحوارية الملازمة لكل خطاب؛ فما كان من هذه العناصر مصرّحا بمصدره التلفظي، أو ملّمحا إليه من خلال واسمات لغوية، فهو من مظاهر اللاتجانس الخطابي المظهر/المعروض، وما كان مضمرا في الخطاب، شأن الافتراض المسبق، والضمنيات التحادثية، فهو من قبيل اللاتجانس الخطابي التكويني،⁽²⁾ وهذا ما يمثل قاعدة للبحث في سمات التجنيس الداخلية المميزة لكل جنس من أجناس الخطاب.

وبحسب رؤية أدام (J-M Adam) ينطوي كل بعد على عدة ظواهر في مستوييه الشامل والموضعي، ففيما يخص البعد التلفظي تفرض الإكراهات التجنيسية الشاملة تقديم النص من خلال مشهد تلفظي، على المستوى الموضعي خاصة، وعلى مستوى هذا البعد «تُطرح مسألة تحمل مسؤولية الملفوظات، وبشكل أوسع، مسألة الانسجام والاتساق التلفظي للنص»،⁽³⁾ بتعبير آخر، على هذا المستوى يمكن أن

(1)- Adam. Jean-Michel, 1997: Unités rédactionnelles et genres discursifs, cadre général pour une approche de la presse écrite, Pratiques 94, Paris : CRESEF, p 3-18

(2) - ب. شارودو ود. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 282-283

(3)- Adam. Jean-Michel, 2002: Textualité et polyphonie, Analyse textuelle d'une préface de Perrault, in Olsen. M., (éd.): Polyphonie littéraire et linguistique, Documents de travail V, Roskilde, Samfundslitteratur, p39-84, p52

يشتغل التحليل الأصواتي بدءاً بالملفوظ وانتهاء بالنص.⁽¹⁾

أما بالنسبة لـ "البعد التكويني" ينظر أدام (J-M Adam) إلى النص باعتباره بنية من المقاطع النموذجية المنمّطة: سردية، أو وصفية، أو حجاجية، أو تفسيرية، أو حوارية، ويظهر التداخل بينها في هذا المستوى حين يقع التوليف بين هذه المقاطع، أو يندمج بعضها في بعض، ولتوضيح هذه المسألة النظرية الهامة يمثل أدام بالمقطع الحجاجي - وهو النمط الذي يعيننا في بحثنا هذا - بالصورة التالية⁽²⁾:

أطروحة سابقة ← معطيات ← استلزامات ← استنتاج / تحفظات ← أطروحة جديدة

(حامل وضمن (اللهم إلا

، إذن، وعليه) ، لكن

على غرار م. باختين وفايركلو، يهتم أدام (J-M. Adam) بالبعد الحوارية للخطاب (بمعناه الباختيني)، حين يعنى بذلك أن كل حجاج لتبني أطروحة ما يكون بالضرورة حجاجاً من أجل رفض أطروحة سابقة، ولهذا السبب نراه يدرج مفهوم «الأطروحة السابقة» في خطاطته السابقة، بينما يتأسس "الاستنتاج" لديه على معطيات، ويقوم هذا التأسيس على "حامل" و"ضمن"، كما يمكن أن يلجأ إلى التحفظ على الاستنتاج (حصره)، وربما دحض الأطروحة الجديدة، بيد أن ترتيب مكونات المقطع الحجاجي ليس ثابتاً، وليس من الضروري أن يؤتى بكل المكونات.⁽³⁾

(1)-Adam. J-M: Textualité et polyphonie, Analyse textuelle d'une préface de Perrault, p52

(2)-Ibid, p73

(3) - ب . شارودو ود. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص512

إشكاليات التصنيف الأجناسي التداولي للخطاب الرسائلي

تثير عملية التصنيف الأجناسي للخطاب الرسائلي إشكاليات عديدة ومتنوعة، تتصل من ناحية بالإكراهات المقامية الخارجية لجنس الخطاب، ومن ناحية أخرى بإكراهاته النصية الداخلية.⁽¹⁾ ويبرز في هذا السياق على الخصوص مسائل من قبيل خصوصية التفاعل الرسائلي القائم على الكتابة، لا على التواصل الشفوي؛ ودلالة التسمية على نمط من الكتابة معروفٍ بتنوعه والتباس الحدود فيه بين ما يسميه باختين "أجناسا أولية" "وأجناسا ثانوية"؛ إضافة إلى إشكاليات أخرى لا تقل إثارة؛ مثل اللاتجانس الخطابي الذي يميز الجنس الرسائلي بصورة لافتة للانتباه، وقضية الأدبية التي احتدم الجدل حولها طويلا، خاصة عند النقاد الغربيين، وغيرها من القضايا والإشكالات.⁽²⁾

نحاول فيما يلي رصد أهم هذه الإشكاليات في ضوء ما تقدم بيانه في العرض النظري الخاص بالتصنيف الأجناسي للخطابات.

(1)- تسمى آمنة دهري الإكراهات الأجناسية الداخلية قيود النوع، وتحيل بها إلى "محمل الخصائص التواصلية والتركيبية البنائية، والبلاغية، والدلالية"؛ وتسمى الإكراهات المقامية الخارجية "قيود السياق" وهي "قيود الشرط الثقافي والفكري التي تحكم ممارسة التواصل، وتضبط مقاصدها الخاصة والعامة". دهري آمنة: الترسل الأدبي في المغرب_النص والخطاب، جامعة الحسن الثاني - المحمدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، سلسلة الرسائل والأطروحات، رقم 5، ص 20

(2) - الإشارة هنا إلى غ. لانسون (Gustave Lanson) الذي استبعد الرسائل من تصنيف الأجناس الأدبية، بدعوى أنها مجرد محادثات مكتوبة، وأصرّ على حكمه ذلك حتى في موقف الحكم على رسائل الأدباء عندما قال: «إنها أعمال ليس لها من الرسائل إلا الاسم». ينظر:

Adam. J. M: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives, Dans: La lettre entre réel et fiction, Sous la direction de Jurgen Siess, Ed SEDES, 1998, p51

1- إشكالية التسمية:

لا تطرح إشكالية التسمية بحدّة في جنس أدبي كما تطرح في التصنيف الأجناسي لخطاب الرسائل، فهي من المنظور الباحثيني إسم جامع للأجناس الأولية والأجناس الثانوية،⁽¹⁾ وهو ما يجعل دلالة المصطلح ملتبسة عند الحديث عن الرسائل باعتبارها جنسا أدبيا، خلافا لما هو عليه الحال في أجناس أخرى، كالملمحة، والأسطورة، والمأساة، والملهة، والرواية، والأقصوصة، والنادرة، وغيرها من الأجناس الأدبية التي اختصت بأسماء تدل عليها دلالة صريحة.

وقد نبّه ويليك ووارن إلى التضليل واللبس الذي قد ينجم عن أسماء الأجناس، فيؤدي إلى إشكاليات في تصنيف الخطابات وفي تلقيها، والحكم عليها. يقول الباحثان: «فالنوع الأدبي ليس مجرد إسم، إذ التقليد الجمالي الذي يشارك فيه العمل الأدبي يشكّل صفاته. الأنواع الأدبية "يمكن أن ينظر إليها على أنها ضرورات نظامية تلزم الكاتب من جهة وكذلك يلزمها الكاتب بدوره"»⁽²⁾

وعليه يمكننا حصر إشكاليات تسمية الجنس الرسائلي في النقاط التالية:

- استعصاء تصنيفها، لما تتميز به أفراد هذا الجنس من تعدّد في الأصناف

الفرعية،⁽³⁾ وتباين في الخصائص والسمات الداخلية والخارجية على السواء.

(1) - يقول باحثين بوجود هرمية أجناسية ذات طبقتين كبيرين؛ طبقة الأجناس الأولية التي تندرج فيها أجناس الخطابات العادية التي تنتج في يوميات الناس العادية، وضمن أوضاع الحياة الواقعية، فتشمل أنواعا من السرد، والحجاج، والوصف، وغيرها، وطبقة الأجناس الثانوية التي تحتضن الخطابات المعنى بصياغتها، والتي ترتبط بمقامات خاصة ومؤسسية، كأصناف الخطاب الأدبي، والخطاب العلمي، والخطاب الإيديولوجي... إلخ. ينظر: ت. تودوروف: ميخائيل باحثين: المبدأ الحوارية، ص 125

(2) - رنيه وليك وآوستن وآرن: نظرية الأدب، ص 313

(3) - أخصي في العصر القديم بأوربا «ليس أقل من تسعة وأربعين شكلاً من الرسائل، دون حساب الأجناس المتعددة للمراسلات المهنية». ينظر: جان ماري شيفر: ما الجنس الأدبي؟، ص 88

- صعوبة الحسم في ما هو أدبي وما ليس أدبيا، من هذه الأصناف المتعددة للرسائل، نظرا لافتقار الإجماع على المعايير التي يمكن اعتمادها في التمييز والتصنيف، وهو ما تبناه غ. لانسون (Gustave Lanson)^(*) في موقفه من رسائل الأدباء، عندما نفى عنها الطابع الرسائلي، واعتبره فضلا لا يعتد بها في التصنيف.⁽¹⁾

- حلول التصنيف العشوائي القائم على الحدس والتخمين محل التصنيف العلمي للسبب السابق ذكره، كما حصل في الدراسات النقدية العربية، التي أهملت معايير تصنيفية هامة، كتلك المتصلة بخصائص التلفظ ومقاماته⁽²⁾، وإن كانت هذه الدراسات لا تختلف حول قضية أدبية الرسائل.⁽³⁾

2- إشكالية "التفاعل":

تواجه الباحث الذي يتصدى لدراسة خطاب الرسائل من منظور تداولي إشكالية توظيف مفاهيم تداولية، مثل التفاعل والتلفظ اللذين يتطلبان سياقاً لإنجاز

(*)- غوستاف لانسون (1857-1934): ناقد فرنسي من رواد المنهج التاريخي المقارن

(1) - في قوله: «إنها أعمال ليس لها من الرسالة إلا الاسم» ينظر:

Adam. J-M: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives, p 39

(2)- صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، ط1، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات-دار الفارابي، منوبة، تونس، 2001، ص64

(3)- تؤكد بسمة عروس هذه الملاحظة بقولها: "يجمع حلّ الباحثين في قضية الأجناس الأدبية وتجلياتها ضمن المدونة النقدية العربية، على ضمور التفكير في هذا المجال وندرة النصوص الحاملة لتصورات معمقة وتصنيفات صارمة تبين مراتب الأنواع والأجناس، ومواقع مختلف الفنون والأنماط ومنازل جملة الأشكال والأصناف". ينظر كتابها: التفاعل في الأجناس الأدبية/مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة من القرن الثالث إلى السادس الهجري، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس، 2008، ص 105

عملية التواصل؛ ولما كان خطاب الرسائل المنجز بواسطة الكتابة يؤجل عملية التلقي، ويغيّب السياق المقامي بمركباته المختلفة، فإنه يطرح بحدة ضرورة البحث عن مقاربة نظرية خاصة لمسألة التفاعل في الخطابات المكتوبة، وفي مقدمها الخطاب الرسائلي.

يتميز الخطاب الرسائلي إذن بتغييب السياق، الناتج عن التباعد المكاني والزمني لعملية البث والتلقي، فيتيح ذلك للمرسل إمكانية مراجعة كلامه، وتعديله، وتصفيته من الشوائب، متخلصاً من كل العوامل التي ينطوي عليها السياق إذ «نرى أنه في حالة الكلام المحكي توجد كل هذه العوامل خارج المنطوق، مما يؤدي إلى غيابها داخله، أما في حالة النص المكتوب فإن الحضور الخاص الملموس لهذه العوامل يشير إلى غيابها "الحقيقي"»⁽¹⁾ كما يقول تودوروف (T.Todorov).

وقد تنبّه القدماء إلى هذا الفارق، واعتبروه مزية من مزايا الكتابة.^(*) يقول قدامة بن جعفر: «...أما الرسائل فالإنسان في فسحة من تحكيكها وتكرير النظر فيها، وإصلاح خلل إن وقع شيء منها. ثم هي نافذة على يد الرسول أو طيّ الكتاب، فقد كُفي صاحبها المقام الذي ذكرناه، والحصر الذي وصفناه»⁽²⁾ وإن كان هناك من بين القدماء من لا يجعل بينهما من فرق سوى أن الرسالة تكتب، والخطبة يشافه بها.⁽³⁾

(1)-تودوروف. ت: الأدب و الدلالة، تر: محمد نديم خشفة، ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب-سوريا1996، ص18
 (*)- هذه السمة تميز التواصل الكتابي عامة. يقول و. أونج: "تطور عملية الإبعاد التي تحقّقها الكتابة نوعاً جديداً من الدقة في التعبير اللفظي، وذلك بإزالته من ثراء السياق الوجودي المضطرب الذي يوجد الجانب الأكبر من التعبير الشفاهي فيه" والتر. ج. أونج: الشفاهية والكتابية، تر حسن البنا عز الدين، د ط المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، فبراير1994 (سلسلة عالم المعرفة)، ص159

(2)- ابن جعفر. قدامة: نقد النثر، تح: طه حسين بك وعبد الحميد العبادي، د ط، المطبعة الأميرية ببلاط، القاهرة 1941، ص105-106

(3)- العسكري. أبوهلال: كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة1952، ص136

ومقابل هذه الآراء التي تكتفي بالتمييز الحيادي بين التواصل الشفوي والتواصل الكتابي، وتجعل سمة "التفاعل" مقترنة بحضور السياق، مقصورة على الأول دون الثاني، كان على منظري المقاربة التداولية للخطاب الأدبي أن يجتهدوا في إيجاد سند مفاهيمي يضمن لهذه المقاربة وجاهتها.

يذهب د. مانغونو (D.Mainguenu) في كتابه: *Pragmatique pour le discours littéraire*

إلى القول بإمكانية وجود تفاعل بين باث المكتوب ومتلقيه رغم عدم تحقق التواصل وتأجيله بسبب التباعد الزمني والمكاني بين عمليتي البث والتلقي، معتبرا أن قراءة المكتوب شرط كاف لإتمام عملية التواصل تحقق شروط التلفظ التداولية، لاسيما وأن النص المكتوب يحمل في طياته من الواسمات السياقية ما يمكن من استحضار السياق المقامي لحظة القراءة. وقد عبر مانغونو عن هذا المفهوم بالعبارة الاصطلاحية: "القراءة باعتبارها تلفظاً" (*)، دعما وتكملة لمفهوم "التعاقد الأدبي" (1)

وفي مجال الدراسات التطبيقية نحت الباحثة ك. ك. أوركيوني (Catherine

kerbrat-Orechionni) النحو نفسه عندما أنجزت دراسة نوعية قارنت فيها بين التفاعل الرسائلي والتفاعل الشفوي (في المحادثة) في مقال لها بعنوان: **L'interaction épistolaire**، خلصت فيه إلى تأكيد وجود هذا التفاعل، وإمكانية دراسته تداوليا، مبرزة عددا من الفروق التي يتبين من فحصها أن للتواصل

(*) - يقترب من هذا المفهوم تصور ريكور لتكامل الكتابة مع القراءة. يقول ريكور: "تصبح مشكلة الكتابة مشكلة تأويلية، حين تتم الإحالة إلى قطبها المكمل وهو القراءة... القراءة هي الفارماكون، هي العلاج الذي "ينجو" فيه معنى النص من غربة تنائيه... " ريكور. بول: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ص 79-80

(1)- Mainguenu.D,2005:Pragmatique pour le discours littéraire ,p122

الكتابي خصوصيته فيما يتصل بموضوعه "التفاعل".⁽¹⁾ تقول الباحثة: «علينا أن نذكر أيضا بما يلاحظ غالبا، وهو أن التباعد المكاني والزمني الذي يميز العلاقة (باث - متلقي) في التواصل الرسائلي يشكل معطى أساسيا في هذا الشكل من التواصل؛ فنحن نكتب لأننا متباعدون، وفي الأوان ذاته للإيجاء بأننا مجتمعون، يدفعنا إلى ذلك سعينا إلى ردم هوة الغياب. ومن هنا تتولد المفارقة في الخطاب الرسائلي، فبقدر ما توهم وفرة الإحالات إلى السياق المكاني والزمني، بالحضور، تؤكد حقيقة الغياب، طالما أن هذه الإحالات لا يكون لها ضرورة في وضعيات التواصل التشاركية»⁽²⁾ (*) فهي تؤدي وظيفة التعويض التي تجعل التفاعل ممكنا بواسطة الكتابة، فيلجأ إليها لتجاوز التباعد المكاني في الخطاب الرسائلي، وتمكين القارئ العام من تأويل الخطاب الرسائلي وحسن التفاعل معه.

إشكالية اللاتجانس الخطابي والأجناسي:

يعرف الجنسُ الرسائلي بمرونة بنيته وطواعيتها لحمل أنواع شتى من الأجناس الخطابية والأدبية، فجسم الرسالة مهياً ليدمج في تنظيمها النصي المقاطع السردية والحجاجية والوصفية، بحيث لا تكون الرسالة أحيانا إلا منصّة تعرض عليها القصة، أو المناظرة، أو التسجيل الوصفي للظواهر والكائنات؛ بل إن الرسالة قد تكتفي

(1)- kerbrat-Orechionni.Catherine: L'interaction épistolaire, Dans:La lettre entre réel et fiction , Sous la direction de Jurgen Siess,Ed,SEDES 1998, p15-18

(2) - kerbrat-Orechionni.Catherine:L'interaction épistolaire ,p17

(*) - زيادة على ذلك، هناك من يرى أن "غياب المكتوب إليه ضروري لميلاد الأثر (الرسالة) ووجود المسافة (الناجمة عن هذا الغياب) ملازم له وإلغاؤها يلغيه". ينظر: دهري أمّنة، الترسل الأدبي في المغرب_النص والخطاب، ص23-24

بالإعلان عن القصيدة يريد لها صاحبها أن تتلفّع بها حتى تبلغ مأمّنها.⁽¹⁾

وتسمى هذه الظاهرة في أدبيات تحليل الخطاب بظاهرة اللاتجانس الخطابي، وكان باختين أول من أشار إليها، معتبرا إياها سمة عامة لا يخلو منها أي خطاب، مهما كان الجنس الذي يندرج فيه، فـ«الخطاب يكاد لا يكون متجانسا أبدا: فهو يمزج أنماطا متنوعة من المقاطع النصية، وينوع الجهيّة وسجلات اللغة وأجناس الخطاب؛ ومن عوامل عدم التجانس ينسب دور متميز إلى حضور خطابات "مغايرة"، أي يمكن نسبتها إلى مصدر تلفظي آخر»⁽²⁾ ويمثل الخطاب الرسائلي - وهو حوارى بطبيعته - نموذجا مميّزا لظاهرة اللاتجانس الخطابي بحضور صوت المخاطب فيه؛ إما عن طريق الاستحضار المُظهِر الصريح، أو عن طريق المضمّرات، كالتضمينات، والافتراضات المسبقة، وهو ما يعبر عنه اصطلاحيا باللاتجانس المظهر واللاتجانس التكويني.⁽³⁾

ويمكن لهاتين الظاهرتين من اللاتجانس أن تكونا مطية لتداخل أجناسي، كما يحدث كثيرا في الأدب الرسائلي العربي القديم، وقد عكف صالح بن رمضان على دراسة تحليلات اللاتجانس الخطابي في موروثنا الرسائلي القديم، واقترح تسمية

(1) - يقول ج.م. شايفر: «تستطيع الرسالة التي هي جنس محدد من خلال مقصدها الخاص، أن تكون شعراً أو نثراً، ويمكنها أن تمتلك الموضوعات الأكثر تنوعاً دون أن تتوقف مع ذلك، عن أن تكون رسالة». ينظر: ما الجنس الأدبي؟، ص 78

(2) - ب. شارودو ود. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 283

(3) - جاءت بهذا التمييز بين اللاتجانس الخطابي الصريح واللاتجانس الخطابي التكويني الباحثة ج.أ. روفيز J.Authier Revuz؛ ففي نظرها يحمل الخطاب من حيث تكوينه النصي بطبيعته مقاطع نصية متنوعة، ومظاهر جهيّة متباينة، وتداخلا لأجناس وسجلات لغوية متعددة، تعكس وجود مستويات التلفظ ومصادره المختلفة، وفقا لمبدأ التعدد الصوتي أو الحوارية الملازمة لكل خطاب؛ فما كان من هذه العناصر مصرّحا بمصدره التلفظي، أو ملّمحا إليه من خلال واسمات لغوية، فهو من مظاهر اللاتجانس الخطابي المظهر/المعروض، وما كان مضمرا في الخطاب، شأن الافتراض المسبق، والضمّنات التحادثية، فهو من قبيل اللاتجانس الخطابي التكويني. (ينظر: معجم تحليل الخطاب، ص 283-284)

الظاهرة بـ "تداخل الأجناس"⁽¹⁾، وقسمها مقتديا بالباحثة ج.أ. روفيز إلى "تداخل صريح"، وآخر "ضميني"، فعرف أولهما بأنه «حضور مقطع من نص محفوظ في سياق الكتابة. وهذا المقطع ينسب إلى صاحبه أو يذكر من القرائن ما يفيد أنه كلام مضمّن»⁽²⁾. أما الآخر فيقول عنه: «يحدث التداخل الضمني بين النصوص بوجه عام في مستويين: مستوى يشمل الأبنية المجردة، ومستوى يشمل النصوص المحفوظة أي التي استخدم فيها أصحابها تلك الأبنية»⁽³⁾ وهذان التعريفان لا يخرجان عما اقترحته ج.أ. روفيز في تمييزها بين اللاتجانس الصريح، واللاتجانس التكويني، زيادة على أنهما يخلوان من المصطلحات التي تعين الظواهر الخطابية تعيينا مجردا عاما، كمصطلحات الافتراض المسبق، والمضمر، والمواضع، وغيرها.

يمثل ابن رمضان للتداخل الصريح بالشاهد الأدبي، الذي تندرج تحته نصوص مختلفة الأجناس، كآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث الشريفة، وأبيات الشعر، والحكم، والأمثال، وأنماط السرد (الخبر، والنادرة، والحكاية... الخ)⁽⁴⁾. والطريف أن الباحث في دراسته لتداخل الأجناس في هذا المستوى يركّز على الشواهد الأدبية التي تصنف ضمن "الأقوال المنقولة المباشرة" كآيات القرآنية والأحاديث وأبيات الشعر، ويهمل ظاهرة أهم في خطاب الرسائل، وهي ظاهرة

(1) - يشير ابن رمضان إلى تفتن العرب القدماء للظاهرة، فمحمد بن عبد الغفور الكلاعي يسميها "باب المرصع"، حيث يقول: "وسمي هذا الباب المرصع لأنه رصع بالأخبار، والأمثال، والأشعار، وروايات القرآن الكريم، وأحاديث النبي عليه السلام، إلى غير ذلك من النحو و العروض وحل أبيات القريض".... ويربطها عند المعاصرين بمفهوم "الحوارية" عند باختين، و"التناس" عند جوليا كريستيفا "ينظر: صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص413-415)

(2) - صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص416

(3) - نفسه، ص455

(4) - نفسه، ص416-417

حمل الرسالة لأجناس أدبية كالقصة، رغم أنه يستحضر رسائل أبي العلاء المعري، وابن شهيد، مسميًا إياها رسائل قصصية.

يقول الباحث محددا هدفه من دراسة النموذج: «ونقتصر في هذا المضمار على رسائل المعري لأنّ وصف نظام الاستشهاد يقتضي اعتماد وحدة نصية ودراستها دراسة آنية، ولأنّ منهج انتقاء الشواهد في عمل من هذا القبيل لا يبرز دور الشاهد الأدبي في تكوين بنية الرسالة القصصية»⁽⁵⁾

إذن، لا يعتبر الباحث إدراج القصة في جسم الرسالة مظهرا لتداخل الأجناس الصريح يوازي في أهميته إدراج الشواهد الأدبية الأخرى، فالرسالة القصصية جنس قائم الذات حسب تحليله.

أما التداخل الضمني، فلا ندري ما الذي يعنيه بن رمضان بالأبنية المجردة، والنصوص المحفوظة التي أوردتها في تعريفه، وقدّمها بوصفها تمظهرات للتداخل الضمني، ولا ندري أيضا إلى أي مدى تنطبق عليها التسميات المتداولة في حقل التحليل التداولي وتحليل الخطاب، مثل "الخطاب المنقول المباشر الحر"، و"الافتراض المسبق"، و"المضمر"، وغيرها.

ويمثل ابن رمضان لهذا الصنف الثاني من تداخل الأجناس، بادئا بما سماه "الأبنية المجردة"، فيعرفها بأنها «جملة الأساليب التي يمنحها كاتب معين طابعا خاصا، ويستعملها على نحو من الأنحاء يعرفُ به، ثم يستعيرها الكتاب الذين يأتون من بعده، فيستعملونها على ذلك النحو عينه»⁽⁶⁾. ولا يخفى ما في هذا التعريف

(5)- صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص 446

(6)- نفسه، ص 455

من عدم التحديد، بل والتداخل مع منطوق تعريفه للتداخل الصريح، الذي نص فيه على "الاعتداد بالقرائن" في قوله: "أو يذكر من القرائن ما يفيد أنه كلام مضمّن". ولا يختلف الأمر كثيرا في تعريفه للمكوّن الثاني للتداخل الأجناسي، وهو "النصوص المحفوظة" التي يقول في تعريفها: «... هي مقاطع يدرجها الكتاب في الرسائل دون أن ينسبها إلى أصحابها، أو يذكروا مصادرها»⁽¹⁾ فمتى كان تصريح الكتاب بما أخذوه عن غيرهم شرطا لاعتبار الخطاب المأخوذ تداخلا أجناسيا ضمنيا؟ إذ باكتشاف القارئ المؤول للمصدر الحقيقي، يتحول المأخوذ إلى خطاب مستحضر صريح، دلّت عليه القرينة كما تقدّم بيانه.

وعند التطبيق يورد الباحث عددا من الأمثلة المقتطفة من رسائل شتى، للاستدلال على ما سماه "الأبنية المجردة"، و"النصوص المحفوظة". فعن الأولى يشير إلى "أسلوب الذم بما يشبه المدح" الذي منحه الجاحظ -حسبه- تلويحا خاصا بالرسالة الهجائية، والذي تجسّده "رسالة الترييع والتدوير" أحسن تجسيد؛ وهو النمط الذي يعتبره الباحث "بنية مجردة" قام الكتاب بعد الجاحظ بمحاكاتها وتوظيفها في كتاباتهم بوصفها تداخلا أجناسيا ضمنيا.⁽²⁾

أما عن الثانية، وهي "النصوص المحفوظة"، فيعرض المثال التالي المتعلق بالمحسن البديعي المسمى بـ"التلميح": «ونذكر مثلا تعليق ابن بسام على إحدى رسائل أبي المغيرة ابن حزم في شكوى الزمن، فهو يورد قوله في وصف الموت: "لكنه أمير من وراء سحف، يسعى بلا رجل، ويصول بلا كف" ويقول: "وهذا محلول من

(1)- صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص455

(2)- نفسه، ص457

قول أبي الطيب حيث يقول...:

وما الموتُ إلا سارقٌ دقَّ شخصه يصولُ بلا كفٍّ ويسعى بلا رجلٍ» (1)

والخلاصة التي نتوصل إليها مما سبق أن الجنس الرسائلي يمثل أرضية خصبة للالتجانس الخطابي والأجناسي، إلى الحد الذي يجعل مهمة تصنيف الخطابات الرسائية أمرا في غاية الصعوبة، لانفتاح هذا الجنس على غيره من الأجناس بصورة لا نجد لها في أي جنس آخر.

إشكالية الأدبية:

يطرح الخطاب الرسائلي بحدة مشكلة الأدبية، من وجهين، فهو لا يعدّ ضمن الأجناس الأدبية جوهريا، أي تلك الأجناس القائمة على التخييل في التقاليد الغربية الممتدة من أرسطو إلى نقاد الأدب المعاصرين، وهو أيضا ذلك الخطاب الذي يتميز بعدم وضوح الحدود بين أصنافه الأدبية (الأجناس الثانوية)، وأصنافه العادية (الأجناس الأولية).

أما الوجه الأول، فالأصل فيه أن التقليد الغربي القائم على التصنيف الأرسطي المعروف، لم يعترف بأدبية الرسالة، ونظر إليها على أنها مجرد كلام عادي ذي أغراض عملية، اضطر منتجه إلى إرساله عبر قناة الكتابة لتعذر التواصل الشفوي المباشر، زيادة على خلوه من عنصر التخييل الضروري لإحداث الإثارة التطهيرية، وهو ما يقوم على تمييز الأجناس الأدبية الجوهرية (الأجناس التخيلية)

(1)-صالح بن رمضان:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص456

والأجناس غير الجوهرية (الأجناس غير التخيلية) التي لا تكتسب الصفة الأدبية إلا إذا اثبتت استحقاقها لها.⁽¹⁾ لذلك اقترح كثير من المعاصرين إعادة النظر في معايير التصنيف التقليدية، واستبدالها بمعايير أكثر علمية فـ« إذا كان مجال التخييل يعدّ، في كل الأوقات، أدبياً بصورة جوهرية، فإنّ المجال الذي يقترح جينيت تسميته بالإلقاء، أي مجال الأدب القائم على معايير ثابتة، ينقسم في المقابل، إلى مجال أدبي جوهرياً هو مجال الشعر "المنظوم"، ومجال آخر هو مجال الأجناس غير التخيلية المنثورة، والتي هي كذلك بطريقة مشروطة»⁽²⁾، أي أنها تصبح أدبية عندما تتوفر فيها شروط تتعلق أساساً بأسلوبها، وبإمكان توجيهها إلى قارئ عام ضمن تعاهد توافق عليه المؤسسة الأدبية، ذلك أن « الأدب لا يحتزل إلى التخييل ولا إلى أفعال خطابية غير جادة، صحيح أن أكثر أسماء الأجناس الشرعية للتقليد الأدبي الغربي تقوم على المجال اللعبي: علماً بأن بعض الأجناس غير اللعبية مثل الأدب الترسلّي، والسيرة الذاتية، والتاريخ، قد دخل ضمن مجال الأدب».⁽³⁾

ولعل هذا التقليد الغربي في استبعاد الجنس الرسائلي من حظيرة الأجناس الأدبية، هو الذي أخر الاعتراف به، وأدى بنقاد القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وعلى رأسهم غ. لانسون (G. Lanson)، إلى اصطناع الوجه الثاني من الاعتراض. يرى هذا الناقد أن الرسائل لا يمكن أن تكون أدبا لسببين؛ أولاً: لتعدّد تصنيفها بسبب كثرة أنواعها واستعصائها على الإحصاء، مما يحول دون وضع قواعد لها ككل الأجناس الأدبية، وثانياً: لارتباطها المباشر

(1)-جان ماري شيفر: ما الجنس الأدبي؟، ص 75-76

(2)-نفسه، ص 60

(3) - نفسه، ص 76-77

بالشؤون العملية للحياة، يقول غ. لانسون (G.Lanson) بنبذة اعتراضية حادة: «الخطأ في استعمالنا للكلمة، إذ لا يوجد فن رسائلي، لا يوجد جنس رسائلي، على الأقل بالمعنى الأدبي لكلمة "جنس"». (1)

ولتجاوز هذه الإشكالية، يقدم ج. م. أدام (J-M.Adam) تصورا لكيفية إدراج رسائل الأدباء التي تستوفي شروط الأدبية ضمن دائرة التحنيس الأدبي للخطابات، مبيّنا أن مشكلة الأشكال الرسائية الأدبية والتخييلية وما أبداه بعض الدارسين من تردد في تصنيف بعض مراسلات الأدباء، يمكن أن تفسر بالرجوع إلى الفكرة التي قدمها م. باختين (M.Bakhtine) حول التمييز بين أجناس أولية (بسيطة) وأخرى ثانوية (مركبة)، والتي اعتبرها "ذات أهمية نظرية كبرى". فالأجناس الثانوية، عند م. باختين كالرواية، والمسرح، والخطاب العلمي، والخطاب الإيديولوجي، تشترك في كونها نتاج ظروف تبادل ثقافي تغلب عليه الكتابة، والطابع الفني، والعلمي والاجتماعي السياسي؛ في حين تتحدد الأجناس الأولى بالطابع اليومياتي، وبعفوية الاستعمال اللغوي، أي بتدني درجة إتقان صياغتها، يقول م. باختين: «عندما تتعقد دائرة النشاط الاجتماعي (التشكيل الاجتماعي الخطابي) من حيث تنظيمها، تتعقد الممارسات الخطابية (الأجناس) التي تتطلبها»، (2) ويؤكد أدام (J-M.Adam) تصوره السابق بإيراد قول أ. غريماس (A.Greimas): «لكي يعدّ التفاعل الرسائلي جنسا أدبيا، ينبغي (...) أن تحترق الحميمة التي تكون بالكاد منتهكة، عينٌ أجنبية؛ عينٌ قارئ خارج المجال [التواصل الأصلي]، وتحولها

(1)- Adam. J-M: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives, p 39

(2)-Ibid, p 52

إلى مشهد، وإلى تمظهر خطابي»⁽¹⁾ وربما يكون هذا ما عناه مانغونو بمفهوم القراءة كتلفظ في إطار التعاقد الأدبي.

بهذه الصورة، كان الخلاف على أدبية الرسائل من وجهة نظر تجنيسية عند الغربيين قديماً ومعاصرين، أما عند العرب فلم تطرح هذه الإشكالية بالصورة نفسها، فمسألة الأدبية والتصنيف الأجناسي للخطابات الأدبية عند القدماء، لم يتم تناولها باعتبارها موضوعات ذات أولوية لعدة اعتبارات؛ منها أن الاعتراف بأدبية أي جنس من أجناس الكلام كان يتمّ حدسيا وعمليا كما حصل مع الشعر، ديوان العرب في عصور التأليف النقدي الأولى، وقد تجلّى ذلك في كثرة ما أُلّف في الشعر من كتب نقدية. بلاغة الشعر وأدبيته هذه هيمنت على التنظير النقدي، فلم يُلتفت إلى النشر إلا قليلا، وعندما ظهرت الرسائل وانتشرت في شكلها الديواني، تمّ تقبلها في نطاق مقاماتها التواصلية، وكان لها من القيمة ما كان للخطابة قبلها؛ جنس من الكلام يؤدي أغراضا اجتماعية وسياسية في المقام الأول، ويوفر متعة فنية وإثارة انفعالية بعد ذلك، لا ترقى إلى ما يحققه الشعر المهيمن على الأذواق عهدئذ، ولولا أن قدرَ الرسائل في تلك العهود شاء أن يقيّض لها طبقة من الكتاب الأدباء، لكان مصيرها مشابها لمصير الرسائل في الثقافة الغربية القديمة.

لم يحفل النقاد القدماء بتجنيس الرسائل إلا في حدود تمييز وظائفها التواصلية الاجتماعية، كما لم ينشغلوا بالبحث في أدبيتها، بقدر ما عنوا بوضع

(1)-Adam. J-M: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives, p 52

القواعد والمعايير لكيفية كتابتها، فظهرت كتب⁽¹⁾ ألفت في ذلك، ككتاب ابن المدبر (ت 279 هـ): "الرسالة العذراء في موازين البلاغة"، وكتاب ابن الصيرفي (ت 542 هـ): "القانون في ديوان الرسائل"، وكتاب شهاب الدين الحلبي (ت 725 هـ): "حسن التوسل في صناعة التوسل"؛ أما المعاصرون فكانوا فريقين، فريق الدارسين الذين اتبعوا المناهج السياقية، ولا سيما المنهج التاريخي، وهؤلاء أنجزوا مهمة تحقيق التراث الرسائلي القديم وتصنيفه، والتعريف بأعلامه. أما دراسته من النواحي الأسلوبية، ومن ناحية التصنيف الأجناسي فقد عابه الكثير من القصور، ففي دراساتهم التي تناولوا فيها الأسلوب لم يصلوا إلى إبراز الخصائص الفنية المائزة للجنس الرسائلي، ومن ثم أخفقوا في بيان إسهامه في تطور النثر العربي القديم.⁽²⁾ أما تصنيفهم للرسائل فكان عشوائياً، إذ «...التبس في أذهان نقاد الرسائل القديمة تاريخ كتابة الرسائل باعتبارها عملاً تواصلياً عادياً بتاريخ أدب الرسائل، فلم يتم التمييز بين تاريخ الأفكار وتاريخ الأدب»،⁽³⁾ كما أهملوا في تصنيفهم المفاهيم المعاصرة كأجناس الخطاب وخصائص التلطف، وجرّدوا الرسائل الديوانية والإخوانية من صفة الأدبية.⁽⁴⁾ أما الفريق الثاني فقد توسل المناهج الحدائثية، وحاول أن ينفذ الغبار عن هذا الموروث الأدبي العظيم من خلال دراسات - لا تزال قليلة في عددها، جزئية في ما تشغل عليه من قضايا - وضعت المعالم الكبرى للاهتمام

(1) - ذكرها صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم في كتابه: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (انظر ببليوغرافيا هذا الكتاب، ص 621_631)

(2) - صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص 61

(3) - نفسه، ص ن

(4) - نفسه، ص 64

بالجنس الرسائلي، ليأخذ حقه من العناية كسائر الأجناس الأدبية، مثل الأجناس الشعرية، والأجناس النثرية السردية.⁽¹⁾

(1)- تمثل هذه الدراسات بالعناوين التالية: التفاعل في الأجناس الأدبية: مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة، لبسمة عروس؛ الترسل الأدبي بالمغرب: النص والخطاب، لأمينة دهري؛ كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، رسائله نموذجاً، لسلمان علي محمد علي؛ كتاب الإمتاع والمؤانسة، بين سلطة الخطاب و قصدية الكتابة، لوتيكي. مليكة... الخ

في التصنيف الأجناسي التداولي لخطاب الرسائل عند الجاحظ

أشرنا فيما سبق إلى قضايا تتعلق بخصائص تجنيس الرسائل الأدبية الموروثة عن الكتاب العرب القدماء، ومن ضمنها رسائل الجاحظ التي يمكنها أن ترقى في هذا الباب إلى مرتبة الخطابات المؤسسة.⁽¹⁾ وهذه الخصائص في جملتها تمثل الثوابت المشتركة للجنس الرسائلي، من حيث هو خطاب ناتج عن مقامات تواصلية اجتماعية وأدبية، لها إكراهاتها التي تترك آثارها على مختلف مكونات الخطاب التلفظية والخطابية والنصية. ولا شك أن كل جنس رسائلي، بل كل خطاب رسائلي مفرد ينحو في هذه الجوانب إلى التميز، وإنجاز نوع من المفارقة والخرق لما تم التواضع عليه أجناسياً، دون أن يكون ذلك إخلالاً بالتعاقد التواصلية الشامل من جهة، ولا بالتعاقد الأدبي الذي يربط القارئ بهذا النوع من الخطابات القائمة على التحادث الثنائي، وما يقتضيه من مرسل إليه معين في الأساس.

انطلاقاً من هذا التصور نقارب رسائل الجاحظ من المنظور الأجناسي، لتبين ما الذي يميزه من خصائص تلفظية مقامية، وخصائص تكوينية نصية، معتمدين على ما تقدم عرضه من المفاهيم النظرية في المبحثين السابقين.

1- السمات الخارجية المقامية لرسائل الجاحظ:

تسمية الرسائل وتصنيفها / مصدر التسمية ودلالاتها:

نلاحظ في البدء أن تسمية المدونة التي نشغل عليها باسم "الرسائل" تسمية

(1)- محمد مشبال: البلاغة والسرود - جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، د ط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة عبد الملك السعدي، تطوان المغرب 2010، ص 160

معطاة قبليا، وجدت مع النص الذي تعينه، وهي بذلك تلحق بأسماء "الأجناس التاريخية"،⁽¹⁾ التي تفرض علينا شروط البحث وملابساته الانطلاق منها، رغم ما يمكن أن تثيره من إشكالات، ورغم ما يمكن أن نبديه حولها من تحفظات. فالمطلع على رسائل الجاحظ، المتمعن في تنوع مضامينها وثرائها، المتوقف عند ملاحظات الكاتب نفسه حول خصوصيات مقاماتها،⁽²⁾ قد ينتهي به الأمر إلى ترديد ما قاله لانسون عن رسائل الأدباء: «إنها أعمال ليس لها من الرسالة إلا الاسم».⁽³⁾

لا نريد بهذه الملاحظة الأولية حول اسم الجنس أن نثير جدلا حول التسمية في ذاتها، فكثير من الرسائل يصنفها بعض الدارسين تصنيفات مختلفة، تركز على الموضوع والوظائف التواصلية والاجتماعية، بدرجات متفاوتة من الدقة والتوفيق،⁽⁴⁾ بقدر ما نبدي الملاحظة لإثارة إشكالات أخرى لا تقل أهمية.

فإذا تجاوزنا التصنيف العام، وقبلنا به، فستصادفنا إشكالية تصنيف نصوص الرسائل في أجناس رسائلية فرعية. فقد تواضع الدارسون - خاصة أصحاب المناهج السياقية - على تقسيمات فرعية للرسائل تركز على الموضوع، أو على الوظيفة الاجتماعية والثقافية، دون التفات إلى خصائص المقام التلفظي، ولا إلى المقاصد الخطابية المتصلة بالمقام الأدبي.⁽⁵⁾ وينبغي أن نعترف بأن مهمة التصنيف الفرعي للرسائل ليست متيسرة، ولا سهلة الإنجاز، لما تتميز به الرسالة من طواعية لحمل

(1) - تقدم تناول هذا المفهوم في مبحث سابق، ص 72 وما بعدها

(2) - يشير الجاحظ صراحة أحيانا إلى سبب كتابة الرسالة وملابساتها، كرسائل الاعتذار والاستعطاف والهجاء والنصح والتحريض على المشبهة، وتقدم الكتب التي ألفها... الخ

(3) - تقدمت الإحالة إلى المرجع في مبحث سابق، ص 86

(4) - تصنف حسب الموضوعات إلى أدبية وسياسية وكلامية، وبحسب المقامات إلى مفاخرات، ومهاجيات، ومجادلات... وهكذا

(5) - تنظر هذه التقسيمات في : صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص 162

أجناس خطابية مختلفة، سردية، وحجاجية، ووصفية، وتفسيرية، إذا أخذنا فقط بمعيار الآلية المعتمد في تصنيف الخطابات،⁽¹⁾ بل إن الرسائل قد تُحمَل في القوائد الشعرية، وتعدد مكوناتها فيها، كما تتعدد وتتنوع في النشر، وهذا بالطبع يضحّم المشكلة ويزيدها تعقيدا.

إلا أن الذي نريده هنا، هو الوقوف عند التصنيفات التي كانت رسائل الجاحظ موضوعا لها، وهي في الغالب تصنيفات لم تخصص لها دراسات تبرر منطلقاتها وأسسها، وإنما هي تصنيفات اعتمدت كمسلّمات، فحملتها عناوين الكتب التي نشرت فيها الرسائل مشروحة ومحقّقة، أو مشروحة دون تحقيق.⁽²⁾ فهناك - مثلا - الاكتفاء بالتجنيس العام، كما فعل عبد السلام هارون في تحقيقه للرسائل، وهناك اعتماد التصنيف "الموضوعاتي" في كتاب علي بوملحم المكون من ثلاثة أجزاء، والتي تضمنت زيادة على اسم "رسائل الجاحظ" العناوين الفرعية "الرسائل الأدبية"، "الرسائل الكلامية"، "الرسائل السياسية".

يضاف إلى هذا تصنيفات نجدها في الدراسات التي تناولت أدب الجاحظ منفردا، أو ضمن قضايا الأدب العربي القديم،⁽³⁾ حيث تسمى الرسائل أحيانا باسم

(1) - ينظر تفصيل ذلك في مبحث سابق، ص 74

(2) - تنظر عناوين هذه الكتب في فهرس المصادر والمراجع، في: صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النشر العربي القديم، ص 342 وما بعدها

(3) - يتحدث طه حسين على سبيل المثال، عن رسالة التريبع والتدوير، باعتبارها نموذجا في الهجاء يتجاوز أفضل قصائد الهجاء (طه حسين: من حديث الشعر والنثر ضمن (المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين المجلد الخامس). ط 1. دار الكتاب اللبناني. بيروت - لبنان (1973)، ص: 547. وهو الرأي الذي تبناه وديعة طه نجم في مقالها المعنون (أثر الجاحظ في تطوير مفهوم الرسالة الأدبية) دون أن تحيل إلى طه حسين، بقولها: "أما الفن الذي طعم به الجاحظ النشر العربي في هذه الرسالة، فقد كان معروفا كفن من فنون الشعر لا النثر؛ وأعني به فن الهجاء. ولست أظن كاتبنا سابقا على الجاحظ قد تعرض لهذا الفن نثرا، بل الشائع في الأدب العربي أن الهجاء فن من فنون الشعر" (مجلة كلية الآداب العراقية العدد الحادي عشر - حزيران 1968م)، ص 141-142

الخطاب المستحضر الذي تحمله، توظيفاً لمفهوم اللاتجانس الخطابي والأجناسي، أو ما يسميه بعضهم تداخل الأجناس،⁽¹⁾ ومثال ذلك: رسائل المفاخرات، ورسائل النوادر (النادرة الرسائية) وغيرها.

وإن كان لهذه الاختلافات من دلالة في سياق بحثنا هذا، فهي الدلالة التي تربطه بحوارية الخطاب الرسائي وأصواتيته، فمقام الترسُّل المجمع عليه في كل التصنيفات يسم من خلال اسم الجنس "الرسالة" مقام تلفظ حوارى ثنائي، وتعدد النعوت التي تلحقه حين يقرأ أصواتياً يحيلنا إلى ظاهرة مائزة لخطاب الرسائل الجاحظي، وهي خاصية التعدد الصوتي التي يتيحها التلفظ المزدوج بنوعيه: التلفظ الرسائي، بين المتكلم (الجاحظ) ومخاطبه (المرسل إليه المعين أو غير المعين)، والتلفظ المحمول في جسم الرسالة، بين متلفظين ومتلفظين مشاركين، أو متلفظ لهم، يتعددون بحسب الرسالة المعنية بالدراسة.⁽²⁾

إكراهات المقام / الكتابة اختياراً لا اضطراراً:

عرفنا فيما تقدم أن التفاعل الرسائي تفرضه إكراهات التباعد المكاني وتعذر التفاعل المباشر،⁽³⁾ غير أن الحالة التي تمثلها رسائل الجاحظ تمثل خرقاً لهذه القاعدة، فرسائل الجاحظ لم تتوسل قناة الكتابة، لافتقار الفضاء التواصلية الشفوي، بل لجأ الجاحظ إليها اختياراً، في إطار التأسيس لنوع من

(1)- يعتمد صالح بن رمضان: هذا المصطلح بديلاً عن مصطلح اللاتجانس الأجناسي، ينظر: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص 411 وما بعدها

(2)- في الفصول المخصصة لتحليل الأصوات الخطابي سنتناول هذه المسائل بتفصيل أكبر، ص 241-317

(3)- تقدّم تناول هذه المفاهيم في مبحث سابق، ص 88 وما بعدها

التخاطب الكتابي يكون موازيا ومنافسا للتواصل الشفوي الذي تمثله الخطابة، ولاسيما خطابة المناظرات والمفاخرات، فقد حتم المقام التواصل الذي اختاره الجاحظ أن يعتمد إلى توسل الرسائل، أي الكتابة، إذ استقر لديه الوعي وهو يمارس التواصل كتابيا بأفضلية الكتابة على المشافهة.⁽¹⁾

يقول مبررا لجوئه إلى الكتابة الرسائلية: «... على أن قراءة الكتب أبلغ في إرشادهم من تلاقيهم، إذ كان مع التلاقي يكثر التظالم، وتفرط النصر، وتشتد الحمية، وعند المواجهة يفرط حب الغلبة، وشهوة المباهاة والرياسة، مع الاستحياء من الرجوع، والأنفة من الخضوع، وعن جميع ذلك تحدث الضغائن، ويظهر التباين، وإذا كانت القلوب على هذه الصفة وهذه الحلية، امتنعت من المعرفة، وعميت عن الدلالة»⁽²⁾

يبين لنا المقتطف السابق كيف أن الجاحظ يتدع هذا النوع من الكتابة، فيؤسس نصا أعلى لم يسبقه أحد في وضع أسسه وتحديد تقاليده وطقوسه،⁽³⁾ ويركبه الرسالة وهي كل المتاح يومئذ كسند لحمل المكتوب، مما حدا ببعض المعاصرين إلى تصور صلة قرابة بينه وبين فن

(1)-محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين. ط4. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1994، ص: 234-235

(2)- الجاحظ: رسالة الفتيا، ضمن الرسائل الأدبية، ت وش علي بوملحم، د ط، دار مكتبة الهلال، بدون تاريخ ص: 248. ويورد الجاحظ هذا القول بنصه تقريبا في الحيوان، تح: عبد السلام هارون ج1، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر-القاهرة 1965، ص 84-85

(3)- صالح بن رمضان: أدبية النص الثري عند الجاحظ، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، سوسة-تونس 1990، ص205

المقال الأدبي،^{(1)(*)} كما يشهد هذا النص - حين نُصِرَّ على استنطاقه والتحاوُر معه - على ظاهرة أخرى عرفها عصر الجاحظ، وهي التدافع القوي بين بلاغة الشعر، وبلاغة الكتابة، أولنقل بين ثقافة المشافهة وثقافة الكتابة. (2) (**)

يسجل صالح بن رمضان ملاحظة مهمة في هذا السياق، وهي أن المشافهة اعتدت على الكتابة اعتداء سافرا عندما راحت تحوّل مكتوب الرسائل إلى مرويات شفوية، أدّت إلى إفقادها سمةً جوهرية من سماتها، وهي الموثوقية والبقاء على مر الأزمان. (3)

وقد نتج عن مقام التلفظ الاختياري آثاراً مقامية تلفظية، تجلت في تعدد المخاطبين (المرسل إليهم الحقيقيين) بهذه الرسائل، وهم في الأغلب الأعم من الوزراء ورجالات الدولة⁽⁴⁾ الذين كانت تربط الجاحظ بهم علاقة صداقة، أو علاقة

(1)-محمد يوسف نجم: فن المقالة، سلسلة الفنون الأدبية-1، ط4، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت -لبنان (د ت)، ص17-24

(*)- يذهب جاك روجو المذهب نفسه في تقريب فن الرسالة من المقال، مؤكداً أن "هناك رسائل أخرى ... تقوم مقام الجرائد، وكان هذا النوع كثيراً في الوقت الذي كانت فيه الجرائد نادرة خالية من الطُرف، إن أهم مثال مشهور عن هذا النوع هو بعض رسائل السيدة دي سيفينييه De sévigné ويمكن أن نقرن بهذا النوع بالرغم من اختلاف النبرة تلك الرسائل التي تتناول موضوعات طريفة إخبارية، لكن تكون على طريقة سينيكا-Sénèque تتناول أيضاً قضايا فلسفية وعلمية وروحية الخ...فتظهر بطريقة ما كمقالات في مجلة علمية" (جاك روجو Jacques Rougeot: الأدب الترسلية، ضمن: نخبة من الأساتذة: الأدب والأنواع الأدبية، تر: طاهر حجار، (د ط)، طلاس للدراسات والترجمة و النشر، دمشق -سوريا(د ت))، ص220

(2)- مصطفى ناصف: محاورات مع النثر العربي، سلسلة عالم المعرفة، د ط، الكويت، 1997، ص56-57 (**)- الاعتداد بالمشافهة والقول بمباشية الكتابة وأضرارها، ليس حكراً على الثقافة العربية القديمة. يشير ريكور إلى وجود هذه الدعاوى في الثقافة الغربية عند أفلاطون وسقراط قديماً، وعند روسو و برغسون في عهد أقل قدماً. ينظر: ريكور.بول: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء- المغرب 2006، ص73-75

(3)- صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص45 (4)- لم يكن توجيه الرسائل إلى هؤلاء إرسالاً بالمعنى الدقيق المتعارف عليه في التفاعل الرسائلي الذي يخضع لمقام اضطراري، بل كانت إهداء في الغالب.

ولاء إيديولوجي سياسي لبني العباس حلفاء المعتزلة؛ أو ممن كانت علاقتهم به سيئة، كأحمد بن عبد الوهاب، وفئة الكتاب بصورة عامة. (1)

هذا في المستوى التلفظي الأول الذي أنتج التفاعل الرسائلي كفعل كلامي كلي، أما في المستوى التلفظي الثاني الذي يُحمَل عادة في جسم الرسالة، ويكوّن موضوعها، فيقوم الجاحظ بمشاهدة تفاعل آخر، قد يكون هو مسؤولاً عن التلفظ فيه، وقد يسنده إلى متلفظ آخر، وعندها تدلنا الواسمات الأصواتية على علاقة الجاحظ بملفوظات الآخرين الذين تم استحضارهم في خطاب الرسائل. (2)

والطريف في رسائل الجاحظ أنه - وبفعل المقام الاختياري للتلفظ الرسائلي - لا ينسى أن يخاطب القارئ من خلال الخطاب الواصف، وهو مستوى تلفظي آخر يسم اللاتجانس الخطابي في الرسائل، فيوجهه، ويعطيه حقا مقررًا في تلقّي الرسالة، ويبرئه من تهمة التطفل عليها، كما قد يحدث في الرسائل الحميمية (الإخوانية) التي أنتجها الأدباء. (3)

لاتجانس الخطاب الرسائلي بين الأصواتية والحوارية:

يتم التمييز بين مفهوم الحوارية ومفهوم الأصواتية عادة عند المشتغلين بالدراسات التداولية المهمة بظاهرة اللاتجانس الخطابي، لأن الحوارية وهي مفهوم

(1) - تعكس رسالة الترييع والتدوير ورسالة في ذم أخلاق الكتاب، العلاقة السيئة للجاحظ بهذه الفئة، لأسباب نجدها مفصلة في الكتب التي عنيت بالجانب السيري التاريخي لآثار الجاحظ. ينظر: علي بوملحم، المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ص 70-71

(2) - نحيل هنا ضمناً إلى مفهوم كفالة التلفظ الذي سنوظفه لاحقاً في الفصول التطبيقية، ص 289

(3) - في هذا النوع من الرسائل لا يكون التعاقد الأدبي مع القارئ العام واضحاً، ولا تتم شرعنته إلا عبر موافقة صاحب الرسالة، أو تصرف أهله، أو المؤسسة الأدبية، إذا تقادم الزمان. (ينظر رأي ج.م. ادم في المسألة، ص 97-98 من هذا البحث)

وضعه م. باختين (M.Bakhtine) لها مدلول خطابي اجتماعي وثقافي، فهي تهتم برصد مظاهر حمل الخطاب الواحد لخطابات متعددة، على مستوى الإحالة السياقية المقامية، ولا تهتم بوسمها في ملفوظات النص، بينما تهتم الأصواتية -ولا سيما اللسانية- التي وضع أسسها أ. ديكرود (O.Ducrot) برصد واسمات الأصوات اللغوية على مستوى الملفوظات. لذلك تعنى الأولى بالخطاب المستحضر، وبالتشكيلات الخطابية المستعادة في النص في شكل اعتقادات ومعارف مشتركة، في حين تعنى الثانية أكثر بالمضمرات، والافتراضات المسبقة، ووجهات النظر الثابتة في الملفوظات، كالملفوظات المنفية، والأسئلة البلاغية، وتلك المتضمنة في الجمل المركبة القائمة على الربط السببي أو الاستنتاجي، أو الإضرابي... وغيرها.⁽¹⁾

تغني الرسائل بالتمظهرات الحوارية والأصواتية، وسواء اعتمدنا المنظور الحوارية، أو الأصواتية فسنكون أمام العديد من الملفوظات والمقاطع النصية الملائمة للدراسة الحوارية-الأصواتية، التي ستكشف لنا تجذر خاصية اللاتجانس الخطابي والأجناسي في رسائل الجاحظ، ممثلة في الاستحضار الصريح المظهر لخطابات آتية من مصادر وآفاق شتى، يلتقي الشاهد القرآني والحديثي فيها بالشاهد الشعري، وبالمشهورات الأمثالية والحكمية... وغيرها. كما يلتقي بالخطابات المضمر المستعادة بمضامينها لا بنصّها، في صيغ متنوعة تبدأ بالملفوظ، وتنتهي بالمقاطع النصية. ويغلب على محمولات الرسائل من الخطابات الطابع الحوارية السجالي بين المتناظرين المتمين إلى جماعات اجتماعية أو سياسية، أو مذهبية، أو مهنية متباينة، تعكس الصراع الذي كان قائما في المجتمع العباسي، فيصبح الخطاب الجاحظي -

(1) - فصلنا القول في مفهوم الحوارية والتعدد الصوتي وما يرتبط بهما من مفاهيم فرعية في الفصل المدخلي، ص 45-69

كما يقول م. باختين (M. Bakhtine)⁽¹⁾ _ بتنوعه، وتعمقه الخطابي والتكويني، وضجيج الأصوات الذي يسكنه، صورةً لذلك الصراع.

السمات الداخلية للخطاب الرسائل عند الجاحظ:

أشرنا فيما تقدم إلى طغيان المشافهة على الكتابة في عصر الجاحظ، وما تعرضت له نصوص الرسائل من تضييع وبتير وتصحيف،⁽²⁾ وهو ما يملي علينا التحفظ في إصدار أحكامنا المتصلة بالبنية التكوينية للرسائل، خاصة حين نفحص تخطيطها النصي، أو أقسامها، لكننا نستطيع القول إجمالاً إن رسائل الجاحظ لم تخرج في العموم عن التقليد الترسلّي العربي الذي كان يولي عناية كبيرة لأقسام الرسالة الثلاثة: الصدر، والمتن، والاختتام، وإن كانت بحكم الطابع الخطابي الحجاجي الذي غلب عليها قد راعت من حيث بناؤها التركيبي والمعجمي والدلالي صور المتخاطبين المتنوعة، فكانت كل رسالة متميزة بخطتها التي تكفل لها تأدية وظيفتها العامة، من خلال عقد تخاطبي يتحكم فيه السعي إلى استمالة المخاطب

(1) - تزفيتان تودوروف: ميخائيل باختين المبدأ الحوارية، ص 133-134 و140

(2) - يشير صالح بن رمضان إلى العدد الكبير من الرسائل التي لم تصلنا، وإلى ضياع النسخ الأصلية للرسائل التي بين أيدينا، و يبين كيف أن التقليد الشفوي الذي كان مهيمنا فرض على هذه النصوص أن تحول إلى مرويات قبل أن يعاد تدوينها كما دون الشعر وسائر الآثار التي كانت تتناقل مشافهة (ينظر: صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص 32 و45). و خلافا لهذا الرأي، يتأرجح محمد الشريف القاضي بين القول بوجود تعايش بين المشافهة والتدوين، وبين الإشارة إلى صراعهما و محاولة كل منهما القضاء على الآخر. ولكنه لا يشير إلى ظاهرة فقدان أصول الآثار المكتوبة كالرسائل، والاضطرار بعد ذلك بزمن إلى استحضارها عبر الذاكرة وتدوينها على يد نساخ، منهم من لم يعاصر كتاب هذه الآثار. (ينظر: محمد القاضي الشريف: الخبر في الأدب العربي، ص 160). والحق أن قضية موثوقية الرسائل أصبحت موضوعا مثيرا للاهتمام عند المعاصرين في إطار البحوث الداخلة في حقل نقد النصوص، والمثال الذي نضربه هنا هو البحث المعنون " نحو منهج سليم في قضية موثوقية الرسائل العربية الإسلامية المبكرة " للباحثة وداد القاضي التي تطرح جملة من الأسئلة، منها قولها: "... فهل الصورة التي جاءت عليها الرسائل العقيدية في القرن الثالث هي نفسها الصورة التي بها كتبت أول ما كتبت في القرن الأول و أوائل القرن الثاني؟" ضمن: في قراءة النص الديني (سلسلة موافقات)، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس 1990 ص 157-158

(1) وإقناعه.

تصرف الجاحظ في أقسام الرسالة:

لا تخلو رسائل الجاحظ من مظاهر متعددة للانزياح عن النموذج العام القاعدي الذي اقترحه ج. م. أدام (J-M. Adam) لأقسام الرسالة،⁽²⁾ ولا عن النموذج الشائع في التقليد الترسلّي العربي، خاصة في الصدور والخواتم، فهي من جهة تشترك مع الموروث الرئائلي العربي في غياب الافتتاح والاختتام المذكورين في التخطيط النصي الذي جاء به أدام، واللذين يتضمنان على التوالي تسمية المرسل وعنوانه وزمان الرسالة في الافتتاح، وإمضاءها في الاختتام، ومن جهة أخرى تتراح عن النموذج الرئائلي العربي الذي قننه منظرو كتابة الرسائل القدماء، في جوانب عديدة تتعلق بالافتتاح والاختتام وما يتضمنانه من صيغ الدعاء وضمانر الخطاب، وطرق التخلص من قسم إلى آخر.

فلو تناولنا صيغ الدعاء في الصدور والخواتم لألفينا الجاحظ يتصرف فيها بما تقتضيه إكراهات المقام الترسلّي ومقاصده، فقد عدل الجاحظ عن الصيغ النمطية التي وضعها منظرو كتابة الرسائل، والتي راعوا فيها المراتبية الاجتماعية للمخاطب

(1) - صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص310

(2) - يشير ج. م. أدام (Adam. J-M) وهو يحلل البنية التكوينية للشكل الرئائلي إلى التقليد القروسطي الأوربي، الذي يهيكل الرسالة ضمن خمسة أقسام: التحية *Salutatio*، الاستمالة الطوعية *Captatio benevolentiae*، السرد/العرض *Narratio*، الطلب *Petitio*، الخاتمة *Conclusio*، ثم يعقبه بعرض التقليد الكلاسيكي الغربي الذي يجعلها ثلاثة فقط: الاتصال بالمرسل إليه، عرض الموضوع ومعالجته، وإنهاء الرسالة (ينظر:

Adam. J-M: 'Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse (pragmatique des pratiques discursives', p42

وتعتمد آمنة دهري تقسيما خماسيا مشابها لهذا، تضمّنه: الاستفتاح، الصدر، الانتقال، الموضوع، الاختتام؛ مشيرة إلى قسم سادس يمكن الاستغناء عنه، وهو التاريخ والختم (ينظر: دهري آمنة، الترسل الأدبي في المغرب_النص والخطاب، ص36)

وعلاقة المرسل به،^{(1)(*)} إلى صيغ أخرى رآها أوفى بأغراض المقام وخصوصياته، ومثال ذلك عدوله عن استعمال صيغة "جعلت فداك" في رسالة الجد والهزل، حيث يقول مخاطبا ابن الزيات: «جُعِلْتُ فِدَاكَ، ليس من أجل اختياري النَّخْلَ على الزرع أَقْصَيْتَنِي، ولا على ميلٍ إلى الصَّدَقَةِ دون إعطائي الخراج عاقبتني...».⁽²⁾

فالأصل في هذه الصيغة ألا تستعمل في مخاطبة الأعلى مرتبة من الوزراء والأمراء، ورجالات الدولة، أولياء الأمور والنعمة، لكن الجاحظ وظفها هنا للتعبير عن مقام تحولت فيه العلاقة بينه وبين مخاطبه، الذي كان صديقا له قبل أن يكون وزيرا.⁽³⁾

وقد يملي على الجاحظ المقام الترسلّي الاستغناء عن الافتتاح كليا، خاصة إذا ارتبط ذلك المقام بالهجاء وما يستلزمه من محاجة للمخاطب، والمسارة إلى الحملة عليه، كما فعل في رسالة التريبع والتدوير التي تناول فيها هجاء أحمد بن عبد الوهاب، إذ تبدأ الرسالة بما يلي: «كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر، ويدّعي أنه مفرط الطول»⁽⁴⁾ وهو ابتداء خال من طقوس الابتداء المعروفة، يلج به

(1)-أجمع على ذلك منظرو الكتابة القدماء. يقول أبوهلّال العسكري في تبيان طريقة مخاطبة المرسلين: "...و أن تعرف مقدار المكتوب إليه من الرؤساء و النظراء و العلما و الوكلاء، فتفرق بين من تكتب إليه بصفة الحال و ذكر السلامة، و بين من تكتب إليه بتركها إجلالا و إعظاما، و بين من تكتب إليه: أنا أفعل كذا، و بين من تكتب إليه: نحن نفعل كذا؛ "فأنا" من كلام الإخوان و الأشباه، و "نحن" من كلام الملوك" العسكري. أبوهلّال: كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر، تحقيق: علي محمد الجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى الباي الحلبي و شركاه، القاهرة 1952 ص 158-159

(*)- لا يقع العدول عن الصيغة النمطية دائما، فقد أحصى علي محمد علي سلمان ثلاث عشرة عبارة دعائية في رسالة "نفي التشبيه" الموجهة إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد "كلها تدور حول معنيين مناسبين للمقام العام للرسالة من جهة، وللمخاطب من جهة أخرى" (كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله نموذجاً)، ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت - لبنان 2010 ص 199-200)

(2)- ضمن الرسائل الأدبية، ص 327

(3) - علي بوملحم: رسائل الجاحظ (الرسائل الأدبية)، تقديم الرسالة، ص 63

(4)- ضمن الرسائل الأدبية، ص 431

الجاحظ إلى الهجاء مباشرة، متوسلا الوصف كما هو ظاهر في الشاهد.

أما الخواتم فقد جرى فيها الجاحظ على تنوع صيغ الدعاء وغيره من عبارات الاختتام، فرما عمد فيها إلى الالتفات من مخاطبة المرسل إليه إلى مخاطبة عموم القراء كما جاء في رسالة الترييع والتدوير في قوله: «خفضُ عليك أيها السامع، فإن الخطأ كثير غامر (...)» والصواب قليل خاص، ومقموع مستخف (...). فالصواب اليوم غريب وصاحبه مجهول (...)»⁽¹⁾ وقد جاء هذا الختام منسجما مع متن الرسالة، إذ خرج من ذم مخاطبه إلى ذم الزمان الذي جمعه به،⁽²⁾ كما يصح اعتباره ختاما تعليقا على المتن، ومن هذا النوع الأخير يمكننا أن نورد المثال التالي من رسالة الشارب والمشروب: «وقد كتبت لك في هذا الكتاب ما فيه الجزاية والكفاية، ولو بسطت القول لوجدته متسعا، ولأتاك منه الدَّهْم، وربما [كان] الإقلال في الإيجاز أجدى من إكثار يخافُ عليه الملل (...)» فجعلت الهزل بعد الجد جماما، والمُلحة بعد الحُجة مستراحا،⁽³⁾ وليس في هذا الاختتام تعليق على المضمون أو تلخيص له، أو استنتاج تُهدِّي إليه، بل فيه تعليق على خصائص الخطاب البلاغية خاصة.

وفي بعض الرسائل لا يكون للاختتام من هدف سوى تجويد صياغة العبارات الختامية مع تضمينها حكمة مناسبة لإحداث الأثر الانفعالي المنشود في

(1) - ضمن الرسائل الأدبية، ص 490

(2) - صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص 320_321

(3) - ضمن الرسائل الأدبية، ص 287

المخاطب، وهو ما يعرف في بلاغة الخطابة بالباتوس Pathos،⁽¹⁾ وأمثله في رسائل الجاحظ كثيرة، نورد منها قوله في خاتمة رسالة في مناقب الترك «ولو كان هذا الكتاب من كتب المناقضات (...). لكان كتابا كبيرا، ولكن القليل الذي يجمع خير من الكثير الذي يفرق» استعمل الجاحظ موضعا عاما اعتبره أرسطو صالحا لجميع الأقيسة الخطابية، وهو موضع الأقلية والأكثرية.⁽²⁾

الخطاب الواصف⁽³⁾ والعناية بالقارئ العام:

عرف الجاحظ في كل خطاباته بتضمين الخطاب الواصف، وسمي ذلك استطرادا، أو توسّعا، أو خروجاً عن الموضوع، ونظر بعض الدارسين إلى ذلك بكثير من الارتياب في قدرة الجاحظ على التأليف، فعدوه قصورا منهجيا، وقلة تحكم في سيرورات التحليل والتدرج في معالجة الموضوعات.⁽⁴⁾

وهذا ما يكشف لنا عن صورة متكلم / كاتب «يعرض على الناس مشهد إيطوس إنسان منتبه إلى خطابه»⁽⁵⁾ يسوس القول فيه بما يُيسّر التفاعل مع المخاطبين الذين يتوجه إليه، أيّا كانوا، وأينما كانوا.

(1) - يحيل هذا المصطلح الذي يعني "فيض انفعالي" إلى توسل استراتيجيات خطابية تثير الانفعال، لحمل المخاطب على الاقتناع دون الاعتماد على الحجج العقلية، أو زيادة عليها. ينظر: ب. شارودود، د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 413-414

(2) - صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص 323

(3) - يعرفه ب. شارودود ود. مانغونو في معجم تحليل الخطاب، بأنه تعليق المتكلم على تلفظه الخاص، ويمثل هذا "عدم تجانس تلفظي، فالملفوظ يقيّم نفسه... في الوقت الذي ينجز فيه ملتصقا بتأييد المشارك في التلفظ" ومن أمثله: إن جاز القول، بتعبير آخر، الأصح أن أقول... الخ، وله عدة وظائف منها: التصحيح الذاتي، التصحيح للغير، إبراز عدم ملاءمة بعض الكلمات... إلغاء مسبق لخطأ تأويل... الاعتذار... إعادة صياغة قول... (ص 362)

(4) - لاحظ ذلك المسدي، ينظر: قراءات مع الشابي و المتنبّي والجاحظ وابن خلدون، ط 4، دار سعاد الصباح، الكويت - القاهرة 1993، ص: 103، 111

(5) - ب. شارودود ود. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 362

لا نريد الوقوف مطوّلاً عند مقاطع الخطاب الواصف الموجهة إلى المرسل إليهم المعنيين، الذين كشف الجاحظ أو الروايات عن أسمائهم، أو الذين لم يكشف عن أسمائهم، فذلك نوع من التفاعل طبيعي، وأدعى إلى أن يكثر اللجوء إليه في التفاعل الرسائلي، طلباً لتعويض المؤثرات المكانية والزمانية المفقودة، والمؤثرات غير اللغوية المتعذر إظهارها في فضاء الكتابة.

فمن أمثلة ذلك ما يرد كثيراً في الصدور والخواتم وأحياناً في المتون من مخاطبة للمرسل إليه للتعليق على التلفظ، ومنه في رسالة "فصل ما بين العداوة والحسد"، قوله يبين قيمة الرسالة نفسها لمخاطبه (المرسل إليه المعين ومن ورائه القارئ العام): «هذا كتاب - أطال الله بقاءك - نبيل بارع، فصل فيه بين الحسد والعداوة، ولم يسبقني إليه أحد...»⁽¹⁾. ويتضح في هذا الخطاب الواصف نزوع الجاحظ إلى تهيئة القارئ وتحفيزه على الاهتمام بالرسالة. والوظيفة التي أداها هنا هذا الخطاب هي تقييم التلفظ إيجابياً، بقصد استشارة باتوس القارئ، وشده إلى الخطاب.

الأصل في الرسائل التحادث الثنائي - كما مرّ بنا في موضع سابق - لكن ممارسات كتاب الرسائل ومنهم الجاحظ قد تحرق المواضع التي يفرضها التعاقد الشامل الافتراضي، عند التحول إلى مقام الترسل الأدبي، فالجاحظ مارس الكتابة الرسائية اختياراً لا اضطراراً.⁽²⁾ وكان من مقاصده أن يوجه الخطاب إلى عامة القراء عبر المرسل إليهم المعنيين في نصوص رسائله، سواء عينهم بأسمائهم أم أغفلها.

(1) - ضمن الرسائل الأدبية، ص 367

(2) - ينظر تفصيل ذلك في مبحث متقدم من هذا الفصل، ص 104 وما بعدها

ويبرز هذا التوجه في صورتين على المستوى النصي في كثير من رسائل الجاحظ، وخصوصا في تلك الرسائل التي تتناول شأنا عاما من شؤون السياسة أو الدين أو الاجتماع، فنراه يفتح خطاب الرسالة ليتنزل فيه خطاب واصف يحاور فيه القارئ، أو ينبهه، أو يعلق فيه على تلفظه هو، أو تلفظ من يستحضرهم في فضاء الخطاب الرسائلي.

أما الصورة الأولى فهي المخاطبة بضمائر الخطاب أو الغياب مع وجود القرينة الدالة على تحويل الخطاب من المرسل إليه المعين إلى القارئ، ومثاله قول الجاحظ في خاتمة رسالة "المسائل والجوابات في المعرفة": «ولولا أن هذا كلام لم يكن من ذكره بُدُّ لأنه تأسيس لما بعده ومقدمة لما بين يديه وتوطئة له، لاقتضبت الكلام في المعرفة اقتضابا، ولكن يمنعني عجز أكثر الناس عن فهم غايتي فيه إلاّ تتريله وترتيبه»⁽¹⁾. وأما الصورة الثانية فيوظف فيها كلمة "قارئ" للدلالة على إشراكه في تلقي الرسالة،⁽²⁾ ومن ذلك الشاهد التالي من خاتمة رسالة "الشارب والمشروب": «...فخلطت لك جدًّا بهزل، وقرنتُ لك حُجَّةً بُمُلْحَةٍ، لتخفَّ مؤونة الكتاب على القارئ، وليزيد ذلك في نشاط المستمع»⁽³⁾

هذا عن تعيين المخاطب ضمن الخطاب الواصف، أما محتواه فيتنوع بحسب موضوع الرسالة ومقامها التواصلي، أو الأدبي، في إطار التنوع الذي يمكننا أن

(1) - ضمن الرسائل الكلامية، ص 120

(2) - أمثلته كثيرة في الرسائل، ومنها قوله: "وقد ذكرنا في آخر كتابنا هذا مقطعاتٍ من أحاديث البطالين والظرفاء ليزيد القارئ لهذا الكتاب نشاطا ويذهب عنه الفتور والكلال ولا قوة إلا بالله،" كتاب مُفَاخِرَةِ الجوارِي والغلمان، ضمن الرسائل الأدبية، ص 185؛ وقوله: "وهذا بابٌ لولا أن نشغل القارئ لهذا الكتاب بغير ما قصدنا إليه وعزمنا عليه لأتينا عليه" كتاب كتمان السر وحفظ اللسان ضمن الرسائل الأدبية، ص 109

(3) - ضمن الرسائل الأدبية، ص 287

نتصوره لنص يُقرأ في أمكنة وأزمنة متعددة ومتباينة.

ففي الشاهدين أعلاه تعليقات على الخطاب المحمول في متن الرسالة، تدرج ضمن مستوى حوارى يتفاعل فيه المتكلم -الكاتب مع المتكلم له - القارئ حول إكراهات الخطاب المقامية التلفظية من جهة، والنصية الخطابية من جهة ثانية. ويؤكد هذا مرة أخرى ما تقدمت الإشارة إليه من أن الخطاب الرسائلي عند الجاحظ يتجاوز التعاقد الشامل الذي نادى به شارودو (P. Charaudeau)، إلى تعاقد أدبي له اشتراطاته الخاصة التي يحكمها مقام الترسل الأدبي ومقاصده، فيكون النص بذلك مفتوحاً مُهيئاً لاحتضان القراءات المتعددة من حيث الزمان والمكان ووفرة التأويلات، ككل النصوص الأدبية.

نظام التأشيريات الشخصية :

يعكس نظام التأشيريات الشخصية الإكراهات المقامية والخطابية التي أحاطت بإنتاج الرسائل، فخضع استعمالها لاعتبارات متنوعة تتعلق بالإيطوس⁽¹⁾ الخطابى للمتكلم، ومراتبية المخاطبين، والعلاقة الاجتماعية والعاطفية القائمة بينهم، ومقصدية المتكلم-الكاتب، والانزياحات الأجناسية التي عرف بها الخطاب الرسائلي عند الجاحظ. لذلك سنعرض لفحص هذا النظام من منظور التركيب الزوجي: متكلم/مخاطب، فاستعمال الضمير لتعيين المتكلم، لا ينفك وظيفياً وتداولياً عن استعمال الضمير الذي يناسبه لتعيين المخاطب، مما يتولد عنه في حالات كثيرة

(1) - تعريب لمصطلح Ethos، وهو "مأخوذ من الخطابة القديمة" و"يشير إلى صورة الذات التي يبينها المتكلم في خطابه ليمارس تأثيراً في المخاطب". (ب. شارودوود، د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص230)

خروجٌ عن المواضع والقواعد التي وضعت للكتابة الرسائية في هذا الجانب بالخصوص، وهي الحالات التي سنمثل لها، ونحاول تفسيرها فيما يلي.

يُعيّن المتكلم - كاتب الرسائل نفسه غالباً بضمير المفرد، خاصة عندما يتوجه إلى مرسل إليه معيّن، ومثال ذلك قوله في رسالة الحكّمين: «...وقد كنت حذرتك، يا ابن حسان،⁽¹⁾ أمورا، فكأني أغرّيتك بها، وآنسُتك بأمر، فكأني أوحشتك منها...»⁽²⁾ وقد يفسّر ذلك بتوجيه الخطاب إلى شخص معيّن سماه الجاحظ في نص الرسالة، فكان هوالمخصوص بالخطاب دون أن يمنع ذلك من انفتاح النص ليغشاه القارئ العام.

وفي رسائل المفاخرات الأخرى يعيّن الجاحظ نفسه بضمير الجماعة، ففي رسالة العثمانية التي يبدو صدرها مبتورا، والمخاطب فيها غير معيّن. نقرأ: «ثمّ إنّنا مخبرون عن مقالة العثمانية، وبالله نستهدي وإياه نستعين، وعليه نتوكل، وما توفيقنا إلا بالله»⁽³⁾. ويتكرر ذلك في ختام الرسالة الطويلة، حيث يبرز ضمير الخطاب المفرد محيلا إلى مرسل إليه غير معيّن، قد يكون شخصا تاريخيا بعينه، كما قد يكون القارئ العام، يقول: «...ولولا أنّ فيما قدّمنا غنى عما أخّرنا لقد فسّرنا كما أجملنا...، فاحذر حوادث الدهر، واتصال المشاكلة...»⁽⁴⁾

ولم نعثر في الرسائل على حالات عيّن فيها المخاطب بضمير الغيبة، إذا

(1) - ابن حسان هو الشخص الذي وجهت إليه الرسالة، وهو من أنصار العثمانية، كان معتزليا ثم ترك الاعتزال كما جاء في متن الرسالة (ينظر تعليق علي بوملحم على الرسالة، ضمن الرسائل السياسية، ص 401)

(2) - ضمن الرسائل السياسية، ص 339

(3) - نفسه، ص 129

(4) - نفسه، ص 327

استثنينا رسالته في ذم أخلاق الكتاب، حيث كان الكتاب معنيين بخطاب الهجاء الموجه إليهم، ومع ذلك غيَّبهم الجاحظ إمعانا في تحقيرهم وذمهم، ولم يرض إلا بمخاطبتهم عبر وسيط، فكان التلفظ بهذه الصورة هجاء في حد ذاته.

وهناك حالات لا يلتزم فيها الجاحظ بصورة واحدة في استعمال الضمائر، فينوعها عادلا من المفرد إلى الجمع، ومن الجمع إلى المفرد، مما يجتّم علينا أن نبحث عن تفسير لهذه الظاهرة، على المستوى التلغظي، وما يرتبط به من إكراهات. فإذا فحصنا النظام التأشير الضمائي في "رسالة الترييع والتدوير"، وجدنا الجاحظ يستخدم ضمير المتكلم المفرد في مواجهة ضمير المخاطب المفرد، عندما يكون في مقام التحدي القائم على توجيه الأسئلة العلمية: «حدّثني كيف رأيت الطوفان؟»⁽¹⁾، «خبرني كيف صار الماء أبعد من الفلك ...»⁽²⁾. وفي مقام فضح الصفات يستخدم الجمع مقابل المفرد: «فلما طال اصطبارنا حتى بلغ المجهود منا ...»⁽³⁾ وفي موضع آخر «يا عمّ لم تحمّلنا على الصدق، ولم تجرّعنا مرارة الحق ...»⁽⁴⁾ فكأنما يشاركه في الشهادة على تلك العيوب جمع من الناس.

و في "رسالة الأوطان والبلدان"، يعدل إلى ضمير الجمع في المتن بعد أن استعمل ضمير المفرد في الصدر، ومثاله: «ونحن وإن أطبنا في ذكر جملة القول...»⁽⁵⁾ ويعقبه في موضع آخر: «ونحن قد ندخل دجلة في الأسحار ...»

(1) - ضمن الرسائل الأدبية، ص 443

(2) - نفسه، ص 445

(3) - نفسه، ص 432

(4) - نفسه، ص 442

(5) - نفسه، ص 102

ولسنا نشك أنّ أناسا ينتابون المواضع...»⁽¹⁾ وقد يفسّر هذا بالتعبير عن إيتوس رجل المعرفة الملمّ بالموضوعات، المؤهل لتعليمها للناس وتفسيرها لهم، وقريب منه مقام التكلم باسم الجماعة أو المذهب، كما نجد في كتاب القيان: «وقد كنا ممسكين عن القول بـجُحنتنا فيما تضمّنه كتابنا هذا...»⁽²⁾

كما يتحول الجاحظ أحيانا من التكلم بضمير المفرد في الصدر، إلى ضمير الجمع في الخاتمة، نجد ذلك في رسالته "في ذم أخلاق الكتاب"، يقول في مقدمتها: «قد قرأت كتابك ومدحّتك أخلاق الكتاب وأفعالهم، ووصفك فضائلهم وأيامهم، وفهمتُه»⁽³⁾ ويقول في خاتمتها: «قد أتينا على بعض ما أردنا فيما له قصدنا...»⁽⁴⁾ فهولا يخاطب الكتاب مباشرة رغم أنهم هم المعنيون الحقيقيون بالرسالة، بل يعيّنهم بضمير الغائب إمعانا في ذمهم، والحطّ من منزلتهم.

ويتكرر ذلك في "رسالة فخر السودان على البيضان"، ففي خاتمتها يقول: «فهذا جملة ما حضرنا من مفاخر السودان...»⁽⁵⁾. ونراه يجمع بين ضميري المفرد والجمع في صدر كتاب "مناقب الترك"، ففي مستهل الصدر، وفي صيغة الدعاء تحديدا، قال «وجعلنا وإياك ممن يقول بالحق ويعمل به...»⁽⁶⁾ وفي التخلص من الصدر إلى المتن عاد إلى ضمير المفرد، فقال: «وقد أعجبتني ما رأيتُ من شغفك

(1)- ضمن الرسائل الأدبية، ص 112

(2)- نفسه، ص 64

(3)- ضمن الرسائل السياسية، ص 605

(4) - نفسه، ص 617

(5)- نفسه، ص 557

(6)- نفسه، ص 373

بطاعة إمامك ...»⁽¹⁾ والتفسير الذي نراه لهذه الظاهرة، هو أن صيغة الدعاء يناسبها ضمير الجمع أكثر من المفرد، حتى في مخاطبة الأعلى مرتبة، لأنه مشمول بهذا الضمير، ومستقل بعد ذلك بضمير الخطاب. وفي الخاتمة يعدل إلى ضمير الجمع: «وقد قلنا في مناقب جميع الأصناف بجمَل ما انتهى إلينا وبلغه علمنا ...»⁽²⁾

كان هذا تحليل إجمالي لنظام التأشيريات الشخصية في خطاب الرسائل، وقد انتهينا فيه إلى أن هذا النظام بما يؤديه من دور مركزي في تكوين السياق الخارجي والداخلي، يسهم بقدر كبير في توفير آلية من آليات تأويل هذا الخطاب والكشف عن قوانين اشتغاله، في إطار التآرجح بين إكراهات الجنس وإكراهات المقام التلفظية والخطابية.

الوحدات النصية (المقاطع) وتراكبها في النص الرسائلي الجاحظي:

يتركب النص الرسائلي الجاحظي من ثلاث وحدات نصية كبرى تناسب الصدر، والمتن، والخاتمة كما تكرر الحديث عنه فيما تقدم، وقد كنا عرضنا لنصّي الصدر والخاتمة في الأسطر السابقة، والآن نعكف على تحليل المتن لما له من أهمية خاصة في هذا الخطاب.

فبالرجوع إلى الفكرة التي انطلقنا منها سابقا؛ وهي أن رسائل الجاحظ كانت نتاجَ مقام ترسل اختياري، لم يعنِه من الرسالة إلا التقاط ذريعة اللجوء إلى

(1) - ضمن الرسائل السياسية، ص 373

(2) - نفسه، ص 519

الكتابة من أجل استدعاء القراءة وتوسيع نطاقها،⁽¹⁾ وكنا قد استدللنا على ذلك من الخطاب الواصف الذي حملته الرسائل، والذي كشف فيه الجاحظ عن مقاصده من كتابة الرسائل، بامتداح الكتابة تارة، وبمخاطبة القارئ العام تارة أخرى.⁽²⁾

ولا نتصور الجاحظ يتوجه إلى القارئ بهذا الخطاب، ويقحمه في عالمه لولا أن ذلك الخطاب يحوي ما يعني القارئ، ويتيح له إمكانية هيكلية انتظاراته، وابتناء التأويلات المناسبة لمقاماته، فالمطلع على مدونة الرسائل لا يشعر عند قراءتها بأنه غير معني بها، ولا يجد في متونها شأنا شخصيا من شؤون الجاحظ، حتى في رسائل العتاب، والاعتذار، والاستعطاف، التي هي مقامات تواصلية شخصية تعريفاً وعرفاً، بل تسلّمه سيرورة التأويل ومحاوره النص، ومقام التلّفظ الأدبي الذي تكمّل القراءة بناءً،⁽³⁾ إلى مشاهد تلفظية تحضّر فيها أصواتٌ متعددة ومتنوعة ومتناقضة، تعكس طوائف المجتمع العباسي في القرنين الثاني والثالث، الاجتماعية والدينية والفكرية والمهنية والعرقية والسياسية.⁽⁴⁾

لذلك جاء النص الجاحظي غنياً بالحجاج الذي تعلقو درجته، فيكون سجالاتاً بين أصحاب الفرق والمذاهب والأحزاب السياسية، ويفتر فيكون حواراً هادئاً، ويتوسط بين هذا وذاك فيكون استدلالاً معرفياً يلبس ثوب المناظرة الكلامية. هذا ما حملته متون الرسائل، فكانت نصوصها في الغالب مكوّنة من مقاطع نصية حجاجية هيمنت عليها، وأكسبتها الصفة الحجاجية التي عرفت بها. وهي المقاطع

(1) -Mainguenu.D:Pragmatique pour le discours littéraire, p27

(2) - ينظر المبحث المتقدم في هذا الفصل، ص117

(3) - نوظف في تحليلنا هنا مفهوم القراءة كتلفظ الذي وضعه مانغونو(ينظر المبحث المتقدم في هذا الفصل، ص90)

(4) - هنا إحالة غير مباشرة إلى رأي باختين الذي سبق عرضه، ص98

التي قد تتداخل معها مقاطع وصفية أو تفسيرية أو سردية، حسب نوع الرسالة وموضوعها ومقصدها، فكلما اقتربت الرسالة من دائرة السجال السياسي والمفاخرة العرقية أو القبلية، كانت أغنى بالمقاطع الحجاجية.

نؤجل الاستدلال على صحة هذه الفرضية إلى حين تناول الفصول التطبيقية، التي سنقوم فيها بفحص الحمولة الحجاجية لمتون الرسائل، من خلال القراءة الأصواتية، في مستوياتها اللسانية، والنصية، والخطابية،⁽¹⁾ ونكتفي في هذا المقام بإعطاء مثال عن المقاطع الحجاجية معتمدين على نموذج المقطع الحجاجي الذي تضمنته نظرية ج.م.أدام (J-M.Adam) في التنظيم النصي،⁽²⁾ والتي يوجد لها نظائر عند باحثين آخرين، من أمثال شارودو (P. Charaudeau) الذي عالج قضية أساليب بناء الحجاج، فقسمها إلى قسمين؛ هما البناء الخطي، والبناء التبويبي،⁽³⁾ أو كما فعل أحمد المتوكل فيما سماه الوحدات النصية التي يدرج ضمنها الجملة والقطعة والنص.⁽⁴⁾

لتمييزه بهيمنة القالب الحجاجي، نفترض أن نص المتن الرسائلي، يتكوّن من عدة مقاطع حجاجية، قد توجد من ضمنها مقاطع حجاجية حاملة بدورها لمقاطع حجاجية صغرى متضمّنة، في شكل استطرادات، تتخلل الحجاج، كما نفترض -

(1) - تنظر الفصول المخصصة لذلك لاحقا

(2) - Adam .Jean-Michel. L'argumentation dans le dialogue. In: Langue française. N°112, 1996. pp. 31-49. doi : 10.3406/lfr.1996.5359, p35-36

(3) - ينظر تفصيل ذلك في : ب. شارودو: الحجاج بين النظرية و الأسلوب، تر: أحمد الوديني، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان 2009، ص 103-110

(4) - ينظر تفصيل ذلك في: المتوكل. أحمد : قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية / بنية الخطاب من الجملة إلى النص، د ط، دار الأمان للنشر و التوزيع، الرباط - المغرب 2001، ص 227

وهذا وارد أيضا- أن تتداخل المقاطع الحجاجية مع مقاطع وصفية، أو تفسيرية
_تبريرية، وربما سردية. (1)

ونمثل للمقطع الحجاجي هنا بنص مقتطف من رسالة الجاحظ "صناعة علم
الكلام":

«...ومن مظالم صناعة الكلام عند أصحاب الصناعات [أن أصحاب
الحساب (...)] يزعمون أن سبيل الكلام سبيل اجتهاد الرأي (...). وأنه ليس العلم
إلا ما كان طبيعيا واضطراريا لا تأويل له، ولا يحتمل معناه الوجوه المشتركة، ولا
يتنازع ألفاظه الحدود المتشابهة [...]

[فلو كان المهندس الذي أبرم قضيته، وهذا الحاسب الذي قد شهّر
حكومته، نظر في الكلام بعقل صحيح وقريحة جيدة، وطبيعة مناسبة (...). لكان
تحيب الحكم أزين به، والتوقّي أولى به، فكيف بمن لا يكون عرّف من صناعة
الكلام ما يعرفه المقتصد، والمتوسّط له.]

[على أنّا ما وجدنا مهندسا قطّ ولا رأينا حاسبا يقول ذلك إلا وهو ممن لا
يتوقّي سرف القول، ولا يشفق من لائمة المحصلين [...]

[على أنهم يقولون أنّ في الحساب ما لا يُعلم، وأن في الهندسة ما لا يُدرك
ولا يُفهم، والمتكلمون لا يقرّون بذلك العجز في صناعتهم، وبذلك النقص في

(1) - تتميز الخطابات عامة باللاتجانس الخطابي والأجناسي، ومن بين ما يتحدد به الجنس الخطابي مبدأ هيمنة أحد هذه
القوالب: السرد، الوصف، التفسير، أو الحجاج (ينظر على الخصوص :

Adam .Jean-Michel: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse
(pragmatique des pratiques discursives, p43

غرائرهم]» (1)

لدراسة هذا المقتطف نستعين بخطاطة المقطع الحجاجي النموذجية التي وضعها ج. م. أدام (J-M.Adam) (2):

أطروحة سابقة + معطيات - عرض حجج - إذن يحتمل ← نتيجة

ق، حجة 0 (مقدمات) ق، حجة 2 ق، حجة 4 أطروحة (جديدة)

↑

↑

اللهم إلا

مواضع

حصر

المقطع 1: الأطروحة السابقة: علم الكلام علم + المعطيات (المقدمات: العلم ليس فيه آراء متعددة، العلم طبيعي، اضطراري، لا تأويل فيه...) — عرض الحجج: علم الكلام فيه الآراء المتعددة، ليس طبيعياً، ولا اضطرارياً، فيه التأويل/الموضع المعتمد فيه: الشيء يتعين بصفاته، إذا فقدت الصفات انتفت الماهية — إذن احتمال أن لا يكون علم الكلام علماً، اللهم إلا إذا أثبتت له الصفات (حجة غير موجودة في المقطع) ← نتيجة: ترجيح أن علم الكلام ليس علماً، فلا سبيل لإثبات صفات العلم له (أطروحة جديدة).

تتحول هذه الأطروحة الجديدة إلى أطروحة في المقطع الحجاجي 2 الذي

يوجه حججاً نحو نتيجة مضادة لنتيجة الحجج في المقطع 1.

(1)- ضمن الرسائل الكلامية، ص 57

(2)- Adam. J- M: L'argumentation dans le dialogue, p35

المقطع 2: الأطروحة السابقة: الحكم على علم الكلام بأنه ليس علما + المعطيات (المقدمات: الحكم على الشيء يقتضي معرفته، الحكم على الشيء يتطلب العقل الصحيح...) — عرض الحجج: الذي حكم لا يعرف علم الكلام، لا يملك عقلا صحيحا... الموضوع المعتمد: لا تحكم إلا إذا كنت مؤهلا، لا تحكم إلا إذا كنت عاقلا — إذن احتمال أن لا يكون الحكم على علم الكلام صحيحا، اللهم إلا إذا أُثبتَ أن صاحب الحكم مؤهل وذو عقل صحيح (حجة غير موجودة في المقطع) ← نتيجة: ترجيح أن الحكم على علم الكلام بأنه ليس علما، ليس بصحيح (= علم الكلام علم)

بعد هذا التحليل يهمننا أن نضيف أن المقطع 2 سيتبعه ثلاثة مقاطع 3 و 4 و 5 تُوجّه حججها توجيهها مشتركا مع المقطع 2 نحو النتيجة ج: علم الكلام علم، وهو ما يشكل حججا مضادا للحجاج الوارد في المقطع 1 الذي وُجّه حججها نحو النتيجة: لا-ج، ويتضح من إيراد وجهتي النظر المتضادتين: وجـ ن 1(م1)، ووجـ ن 2(م2+3م+4م) الطابع الحوارية للخطاب الرسائي الذي يهيم عليه القالب الحججي، ومنه المناظرات والمفاخرات والمفاضلات التي تغطي مساحة كبيرة من مدونة الرسائل الجاحظية، ولا يفوتنا هنا أن ننبّه إلى ما تضمّنه المقتطف من تشغيل لآليات الحجج المترتبة في البنية الأصواتية للملفوظات، كالفروض المسبق، والمضمرات، المتولدة عن طريق الواسمات الحججية، كالنفي والروابط الحججية، والأسئلة البلاغية... وغيرها.⁽¹⁾

(1) - سنعرض لهذه المفاهيم بالتفصيل لاحقا في الفصول التالية

خلاصة واستنتاجات:

ناقشنا فيما تقدّم طروحات مختلفة حول تجنيس الخطاب عامة، والخطاب الرسائلي خاصة، وخطاب الجاحظ الرسائلي بوجه أخص، وانتهينا إلى تقبل أطروحات شتى لكل من م.باختين (M.Bakhtine) وفايركلو، وشارودو (P. Charaudeau)، وج. م. أدام (J-M.Adam)، ود. مانغونو (D. Mainguenau)، والتي يربط بعضها مفهوم الجنس بالنشاط الاجتماعي، ويربط بعضها الآخر بين السمات التجنيسية الخارجية والداخلية، أو يؤسس للربط بين وضعية التواصل والعقد الشامل أو العقد الأدبي من جهة، والمستوى النصي من جهة أخرى. وفيما يلي من فصول، سنستثمر مفهومي "الإكراهات المقامية" و"الإكراهات الخطابية"، وغيرها من المفاهيم في التطبيق على مدونة الرسائل، ولاسيما عند تناولنا لقضية انعكاس صورة الأصوات الحقيقية في النص.

أما فيما يتصل بالسمات التجنيسية الخارجية، وعند قيامنا بتحليل البلاغي التجنيسي سنفحص الإكراهات الخطابية الناتجة عن إكراهات مقام التواصل، وعلى

الأخص ما يلي: 1 المقصد الإقناعي للرسائل

(2) الموقف الذاتي والاجتماعي السياسي لصاحب الرسائل (الإيتوس⁽¹⁾)

(3) البحث في مسألة الذوات الخطابية لكل من المرسل (الكاتب) والمتلقي،

ومدى تعبيرهما عن الذات الجماعية غير العلمية.

كما أننا سنحاول أن نتلمس إلى أي مدى تنعكس هذه العناصر التجنيسية الخارجية في لغة النص وأسلوبه. يضاف إلى هذا أننا سنبحث في كيفية تحوّل السمات التجنيسية الداخلية إلى واسمات دالة على العقد الشامل للخطاب الرسائلي وعلى عقده الأدبي. هذه هي القضايا التي سنعكف على معالجتها، والتي تبدو لنا ملائمة وعملية في تحليل الخطاب الرسائلي عند الجاحظ، الذي يميّز مقصدية الأساسية-رغم تنوع موضوعاته وتعدّدتها- أنه يستهدف تبني مواقف تجاه قضايا معيّنة، والسعي لإقناع المتلقين على اختلاف مواقعهم من تراتبية تلقي نصوص الرسائل بها، غير أنه يتحتم علينا التنبيه إلى أن هذه المقصدية يُعبّر عنها بصيغ لغوية متنوعة؛ منها النفي، والاستفهام، والدحض، والاستعارة، والتهكم... إلخ. وسيكون

(1)- يشير الإيتوس " إلى صورة الذات التي بينها المتكلم في خطابه ليمارس تأثيرا في المخاطب " (ب .شارودود ود.مانغونو :معجم تحليل الخطاب، ص230) ويميز سعيد يقطين بين صور عدة للكاتب، فصورته في المصنفات الجامعة غيرها في المؤلفات أو الكتب الأخرى : "إن التمييز بين المؤلف و المصنف، باعتباره تمييزا عاما يخفي احتمالات وإمكانات عدة للتمييز. وهكذا فالانطلاق من التصور الذي حدّدناه وترجمناه على هذا المستوى كفيل بتدقيق نظرنا، وتعميق فهمنا إلى هذه الكتب وأصحابها. وإن هذا التدقيق يتيح لنا إمكانية التمييز بين مختلف صور الجاحظ التي يتخذها في مختلف كتبه مثلا. فهو في "رسالة التربيع والتدوير" غيره في البيان أو الحيوان أو البخلاء أو في باقي رسائله وكتبه." سعيد يقطين: الكلام و الخير، مقدمة للسرد العربي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب 1997، ص211

تناولنا لهذه الأساليب/الاستراتيجيات الحجاجية، قائماً على ربط مقصدية النص مع الملفوظات المحتوية لهذه الأساليب من منظور الوظائف التي يؤديها التعدد الصوتي فيها.

وعلى هذا النحو، ستكون دراستنا لتمظهرات التعدد الصوتي في هذه الأساليب مطيئة لتحديد الجنس الأدبي للرسائل، وضبط خصائصه، مستعينين في ذلك بنماذج تحليلية متعددة ومتنوعة، بعضها مقترض من تطبيقات ديكرو وأنكومير، وبعضها مُستلهم من تطبيقات المدرسة الاسكندنافية المعروفة بـ (Scapoline)، وغيرها.

الفصل الثاني

التحليل الأصواتي اللساني

E النفي الجدلي.

E الاستفهام/السؤال البلاغي.

E الروابط والعوامل الحجاجية.

E الموجهات

توطئة:

ينحصر التحليل الأصواتي اللساني في مستوى الجملة، ويمثله في الدراسات اللسانية التداولية نموذج التحليل الذي يقترحه أ.ديكرو (O.Ducrot) ضمن نظريته المعروفة بالنظرية التداولية المندمجة، التي تمتاز عن غيرها من النظريات التداولية بالنظر إلى ظاهرة التعدد الصوتي كظاهرة لسانية يمكن دراستها وفحصها على مستوى البنية اللغوية للملفوظات، من خلال مكونات لغوية متعددة ومتنوعة تنطوي دلالياً على تعليمات تحيل إلى عملية التلفظ، وتدلل على آثار الأصوات المتعددة التي يحملها الملفوظ، والتي تسند إليها أقوال متباينة وأحياناً متضادة، وتتوزع مسؤوليات كفالتها تلفظياً على عدة متلفظين.⁽¹⁾

ويقوم النموذج التحليلي الذي يقترحه أ.ديكرو على التمييز بين المتكلم (الناطق بالملفوظ أو منتجه) والمتلفظين، ومادام كل ملفوظ ينطوي على عدة أقوال (وجهات نظر)، يُسند كل قول إلى متلفظ، ثم ينظر إلى موقع المتكلم من هؤلاء المتلفظين عبر فحص روابط المسؤولية الثلاثة (التماهي، الدحض، التقبل)، وتحدد هذه المسؤولية بحسب الواسم الأصواتي، والسياق التلفظي الذي يرد فيه الملفوظ، فبعض الواسمات تستنفر الأصوات وتُسند إليها أقوالاً صريحة في الملفوظ، مثل روابط السببية والتعليل: "بما أن" و"مادام" و"لما كان"، وبعضها يستنفر أصواتاً تُسند إليها أقوال تكون مضمرة في بنية الملفوظ، نستنتجها بواسطة الافتراضات المسبقة والتضمينات، مثل النفي والاستفهام.⁽²⁾

(1) - ينظر تفصيل ذلك في مبحث لاحق، ص 212 وما بعدها

(2) - سيتم عرض هذه المفاهيم في المباحث التالية من هذا الفصل والفصلين التاليين.

وقد اخترنا في هذا الفصل التطبيقي الأول أن نتناول أكثر الواسمات الأصواتية اللسانية استعمالاً، مما تُنصَبُ عليها الدراسات التداولية التطبيقية، ونعني بذلك: ألفاظ النفي، أدوات الاستفهام البلاغي، الروابط والعوامل الحجاجية، والموجّهات (ويشمل النوعان الأخيران وحدات لغوية تنتمي إلى مقولات نحوية شديدة التنوع).

1- النفي الجدلي

1.1- مفهومه واشتغاله أصواتيا:

يعدّ النفي أهم واسمات التعدد الصوتي،⁽¹⁾ لا على مستوى الملفوظ فحسب، بل على مستوى النص أيضا. لذلك لا تخلو دراسة تداولية تُعنى بتحليل تعدد الأصوات من إثارة موضوع النفي وإشكالاته، والنفي الذي يعيننا في هذا البحث هو ما يعرف بالنفي الجدلي الذي يندرج ضمن استراتيجيات الحجاج، فيؤدي فيها دور الاعتراض مقترنا بظاهرة تعدد الأصوات الخطائية.

يجد مفهوم النفي الأصواتي أساسا له في ثنائية ش.بالي: الموضوع – التعليق *modus – dictum* من جهة، وفي نظرية أفعال اللغة لأوستين وسيرل. فحسب بالي يمكن تحليل الملفوظ انطلاقا من فحص عنصرين مكونين له: الـ *dictum* (الموضوع) والـ *modus* (التعليق)، أو الموقف الذي يتخذه المتكلم من كلامه.

(1) لا أدل على هذه الأهمية من كون الملفوظات المنفية نالت حصة الأسد من مدونة الأمثلة التي توسّلها الباحثون للاستدلال على الوسم اللغوي للتعدد الصوتي. وزيادة على ذلك فقد مثل موضوع النفي دائما حقلا أثيرا للبحث اللغوي بمختلف منازعه وتياراته وميادينه، فقد تناوله من الفلاسفة أرسطو، وراسل، وفريج، وبرغسون، ونيشيه وفرويد، وفي ميدان اللسانيات يعد كتاب ياسيرسن (1917) المعنون: النفي في الإنجليزية وفي لغات أخرى هندو-أوربية أهم كتاب مرجعي في دراسة النفي، وتبعه كل من دامورات وبيشون (1911-1940) وبلينكبرغ (1928)، وطوجي (1965)، وغطاون (1971)، الذين قدموا كلهم مساهمات في وصف البنية التركيبية للنفي، كما اهتم كل من كليما (1964) وجاكندوف (1969) بدراسة حيز النفي في إطار النظرية التوليدية الأساس *standard* (الموحدة). وفي حقل الدراسات التداولية ركزت أعمال الكثير من المعاصرين على الجوانب التداولية والدلالية للنفي، وقد ذهب هؤلاء إلى تبيان عدم جدوى التركيز على الجوانب التركيبية في دراسة النفي، والاتفات أكثر إلى جوانبه الدلالية التداولية، ومن بين اصحاب هذا الاتجاه، نذكر لوسك (1980)، كالليو (1911)، ديكر (1980a – 1984) وأيضا جيفون 91، وهيرنديز (1985)، هورن (1989)، موشر (1982، 1991، 1997)، ونولكه (1993) وبنغي الإشارة إلى أن كتاب هورن يقدم أهم دراسة معاصرة لظاهرة النفي، ينظر:

Roitman. Malin: op.cit, p54

؛ والمبخوت.شكري:إنشاء النفي و شروطه النحوية والدلالية، د ط، مركز النشر الجامعي - كلية الآداب و العلوم الإنسانية
منوبة، تونس 2006، ص 19-20

والنفي ينظر اليه عادة باعتباره موجها " إبتيميا " للدحض،⁽¹⁾ أي أن النفي يكون طارئا على الإثبات، أو تابعا له... فمن هذه الناحية لا يختلف النفي الجدلي عن الاستفهام في أداء الوظيفة الثانية (اللاحقة) للعملية الفكرية، مقابل الوظيفة الأولى التي يؤديها الإثبات، لذلك يبدو التلفظ حين يقترن بالنفي كأنه اعتراض على إثبات سبق إيرادها فعلا من طرف متلفظ حقيقي أو مفترض.⁽²⁾

أما سيرل (Searle) فيرى أن معنى الملفوظ (أي ملفوظ) هو إنجاز المتكلم لعمل في القول،⁽³⁾ ففي الجملة المنفية - بحسب هذا الرأي - يمثل النفي قوة متضمنة في القول مسلطة على المحتوى.

وانطلاقا من هذه الملاحظات بدأ ديكر و (O.Ducrot) في بناء تحليله للنفي الأصواتي، ضمن نظريته المعروفة بالتداولية المندمجة، والجديد في مقارنته هو موضعيته لتفسير النفي على مستوى التلفظ الذي يكون موسوما بالطبع لغويا في البنية اللغوية للملفوظ،⁽⁴⁾ وجاء بعد ديكر و سيرل، موشلر الذي نحا نحوا مخالفا في تفسير ظاهرة التعدد الصوتي المحمولة في النفي، حين وضّح كيف يمكننا وصف بعض الوظائف الخطابية للنفي باعتبارها قوة متضمنة في القول، في كتابه "القول ونقيض القول Dire et contredire " الذي عالج فيه موضوع الفعل اللاقولي (العمل المتضمن في القول) للدحض.⁽⁵⁾

(1) ديكر و. أ. وسشايفر. ج. م. : القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص 704

(2) المبخوت. شكري: إنشاء النفي و شروطه النحوية الدلالية، ص 56 وما بعدها (الاستفهام)، و 65 وما بعدها (النفي)

(3) لمزيد التفصيل في مفاهيم نظرية أعمال الكلام يراجع مبحث سابق، ص 6_17

(4) -Ducrot. O: Dire et ne pas dire, p 38

(5) - Roitman. Malin : op.cit, p56

النفي الوصفي والنفي الجدلي:

لا يلائم التحليل الأصواتي كل الملفوظات المنفية، ويؤكد هذا ما دأب الداليون على طرحه من تمييز بين النفي الجدلي والنفي الوصفي، ويقوم هذا التمييز الذي أصبح كلاسيكيا منذ ديكرود (O.Ducrot)، على أن النفي الوصفي - وهو يختص بالجملة - وظيفته إثبات محتوى منفي (النفي جزء لا يتجزأ من محتوى الجملة)، في حين يختص النفي الجدلي بحالة التلفظ، فينظر إليه على أنه فعل نفي، أي رفض محتوى مثبت في وقت سابق من طرف متلفظ يختلف عن المتكلم، أو عن الجهة المتلفظة التي صدر عنها هذا الفعل اللغوي (فعل النفي)؛⁽¹⁾ بتعبير آخر يتميز النفي الجدلي باعتباره استراتيجية حجاجية جوهرها الاعتراض على ملفوظ سابق، بقيمته التداولية كونه يرتبط بتعدد الأصوات، إذ أنه يستحضر متلفظين: الأول المتلفظ صاحب الملفوظ المثبت السابق، والثاني هو المتكلم (الناطق بالقول) الذي يرفض هذا الإثبات،⁽²⁾ و« تفرض هذه العلاقة الاقتضائية أن يكون القول المنفي "متعدد الأصوات" بعبارة ديكرود (...). رغم وحدة القائل النافي وسيطرة غرضه على بقية الأقوال. وهو ما يرشح عمل النفي لغويا للتعبير عن تعارض الاعتقادات

(1)-Ducrot. O, 1973: La Preuve et le Dire, Repères, Mame, Paris, p123

(2) _المثال التالي يوضح أكثر هذه المسألة : لا أستطيع القيام بكل شيء وحدي

وج ن 1 : أستطيع القيام بكل شيء وحدي

وج ن 2 : لا أستطيع القيام بكل شيء وحدي

يقدم المتكلم نفسه في صورة المسؤول عن وجهة النظر 2، أي أنه يرتبط برابط مسؤولية مع محتوى الجملة المنفية، بالنسبة لهذا المثال لا نحتاج إلى سياق بالمعنى الضيق لاختيار التأويل الأصواتي المناسب، فمعرفة العالم تحيطنا علما بأن " القيام بكل شيء " وجهة نظر لا يتكفل بها المتكلم (إراديا) وفي ظروف عادية، في هذا السياق، يؤخذ الملفوظ المنفي على أنه اعتراض على وجهة نظر (1) (حقيقية أو متخيلة)، إلا أنه ينبغي دائما البحث عن التعليمات المتضمنة في السياق للوصول إلى تأويل مقبول للنفي، ينظر:

ووجهات نظر المتخاطبين. وهذا التعدد هو ما نسميه التقاؤل الذي يفترض التأليف تركيبيا بين النفي والإثبات على وجه يجعل أحدهما منطوقا مقولا والآخر ضمنيا مقتضى.»⁽¹⁾

وفي هذا السياق ينبغي أن نلاحظ أن بنية النفي الجدلي التي تكون غالبا ثنائية، مكونة من ملفوظ منفي يتضمن رفض إثبات سابق، تكون متبوعة بتصويب، يقترن أحيانا بـ "لكن" الدالة على الرفض؛ وهذه الأداة هي التي تحوّل النفي الجملي، الخالي من دلالة الرد إلى نفي حجائي، يحمل دلالة الجدل والرد.⁽²⁾

أما النفي الوصفي، فهو - خلافا لما تقدم - يصف حالة الشيء، ولا يراد به معارضة وجهة نظر ثاوية في الملفوظ، وهذا مثال مأخوذ عن ديكرود يوضح ذلك:

- لا توجد غيمة واحدة في السماء

إذا افترضنا أن هذا الملفوظ وصف لواقعة، فهولا ينطوي على أيّ جدل، إذ أن هذا المتكلم عند تلفظه بالجملة " لا توجد غيمة واحدة في السماء " لا يدحض أي رأي، بل هو بصدد وصف حالة شيء، يمكن أن نعيد التعبير عنها بجملة مثبتة هي: " السماء صافية تماما "، ولكن، يمكن - كما يؤكد ديكرود (O.Ducrot) - أن يصلح هذا الملفوظ لدحض وجهة نظر سبق تقديمها، ولهذا السبب يفضل أن نتحدث عن وظيفة وصفية أو جدلية للنفي، لا على نفي وصفي وآخر جدلي.⁽³⁾

(1)- المبخوت. شكري: توجيه النفي في تعامله مع الجهات والأسوار والروابط، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2009، ص12

(2)- Ducrot. O: La Preuve et le Dire, p:125-126

(3)- Ducrot. O: Dire et ne pas dire, p 38

معايير التأويل الجدلي للنفي:

يضع الباحثون المختصون ثلاثة معايير لتأويل النفي جدليا، وهي: الحيز، الطبيعة الدلالية للمكون أو للجملة المنفية، والسياق.⁽¹⁾

- حيز النفي⁽²⁾: يخضع الحيز للقواعد التركيبية الدلالية، فالنفي قد يستغرق جملة كاملة، فيكون حيزه واسعا، ويسمى عندئذ نفي الجملة، نحو قولنا: سعيد لا يقرأ.

وقد ينحصر النفي في مركب واحد من مركبات الجملة فقط، كأن يكون ذلك المركب الرديف/المفعول المطلق (كثيرا)، فيكون حيزه محدودا، ويسمى في هذه الحال نفي مركب، نحو قولنا: سعيد لا يقرأ.⁽³⁾

في حالة الحيز الواسع لا توجد عناصر من شأنها الحد من الحيز، بينما تحده بعض العناصر في حالة الحيز المحدود، مثل: بعض ردائف الأفعال (بعناية، ببطء) والمكمّات (كثيرا، بعض، كل، قليل ...). وبالمقابل هناك ردائف جمالية لا يشملها أبدا حيز النفي مثل "، بالمقابل، عكس ذلك، لسوء الحظ". ولهذا السبب لا تستخدم هذه الردائف إلا في مواضع محددة من الجملة. تأمل الأمثلة:

(1) الباحثون المعنيون هم: ديكر و1984، موشلار 1982، مولر 1991، فولكا 1993

(2) اهتم اللسانيون كثيرا بمفهوم حيز النفي فنظروا إليه باعتباره ظاهرة تركيبية (بنوية) ودلالية، أو هذه وتلك في الوقت نفسه؛ ظاهرة مزدوجة تركيبية ودلالية معا، واعتمادا على ما جاء في أعمال الباحثين " هلدنر ، وموشلر ، وموشلر وروبول ، فولكا)، يعرف الحيز بأنه: الخاصية البنائية والدلالية التي تتميز بها الجملة، والتي تؤثر (تعمل في) في وحدات أخرى من الجملة. ينظر:

Roitman. Malin : op.cit, p65-66

(3)-Dubois .Jean & autres:Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse-Bordas/HER1999 .PARIS ,p 321

وينظر أيضا للتوسع: المبخوت. شكري:إنشاء النفي و شروطه النحوية والدلالية، ص240-241

- لسوء الحظ، هو لا يقرأ.

- هو لا يقرأ، لسوء الحظ.

-* لا يقرأ لسوء الحظ. (بدون فصل) (1)

-الطبيعة الدلالية للمركب المنفي: تمنا دلالة الجملة المنفية، أو دلالة

المركب، بقدر ما تمنا البنية التركيبية لهما في تأويل وظيفة النفي، إذ أن هناك

ظاهرتين تؤثران على أصواتية الملفوظ المنفي، وهما: الألفاظ والعبارات التدرجية (2)

والأفعال الجهمية، (3) تبرز من بين العناصر الدلالية المؤثرة في تأويل النفي، الظواهر

التدرجية. (4) في المثال: " فلان ليس سعيدا، يكون اللفظ "شقي" تدرجيا، فنفي

اللفظ التدرجي لا يستدعي استبداله بضده غير المنفي.

ينشأ عن نفي مُسند تدرجي - حسب نولكه (Nølke) - دمج دلالي، مما

يحفز تأويله باعتباره نفيا وصفيا. (5) وعليه لا يكون هناك تضاد بصورة آلية بين (ليس

شقيا) و (شقي) أي أن (ليس شقياً) لا تعني بالضرورة (سعيد) (الذي هو ضد

شقي)، فالملفوظ (ليس شقياً) قد يعني " إنه سعيد بعض الشيء" أو "انه سعيد قليلا

". وهكذا يكون بالإمكان موضعة "ليس شقيا" في أي درجة من درجات السلم)

سعيد - شقي) ما عدا قُطبه السفلي (شقي)، وهو ما يعني أن دلالة التدرج المنفي

تكون ضبابية إذا ما قيست بدلالة اللفظ التدرجي غير المنفي. فبسبب هذا الدمج

(1)- Nølke. Henning. 1993: Le regard du locuteur. Pour une linguistique des traces énonciatives , Paris : Kimé, p25-36, 244

(2)_الكلمات والعبارات التدرجية هي عجيمات تتموضع على سلم يمثل أسفله وأعلاه كلمتان متضادتان، مثل : قديم /

جديد، كبير /صغير، سهل / صعب، سعيد / شقي، فقير /غني ينظر: Ibid, p254

(3)_سيتم التعرض للأفعال الجهمية لاحقا ضمن مبحث "الموجهات"، ص176

(4)-Ducrot.O,1980: Les échelles argumentatives. Paris , Minuit, p27-39

(5)- Nølke. Henning: Le regard du locuteur. Pour une linguistique des traces énonciatives ,p254

الدلالي (بين اللفظ التدرجي والنفي)، يتبنى هؤلاء الباحثون الثلاثة المشار إليهم أعلاه قراءة وصفية لنفي الألفاظ التدرجية. (1) وهو ما تؤكدُه صعوبة التقاط وجهة النظر الثاوية في الملفوظات المتضمنة لهذه الألفاظ.

وخلافاً للألفاظ والعبارات التدرجية، هناك نوع من المسانيد يقبل القراءة الجدلية، هو العبارات الجهية مثل الأفعال الجهية، أمكن (هـ) ووجب (عليه)، تحمل هذه الأفعال في دلالتها فكرة البديل، أي الأصواتية. (2)

عند التطبيق على المدونة لاحقاً، سنتوسع في تحليل التأويل الأصواتي للنفي، من خلال التعرض لعدد وافر من الأمثلة التي تحتوي كلمات تدرجية، وأفعالاً جهية.

-السياق التفاعلي:

يتكون السياق المعني هنا من العلاقات عبر الجمالية القائمة بين الملفوظ المنفي (المكوّن من وجـ ن1، ووجـ ن2) ومحيطه اللغوي، فهذه العلاقة بين وجهتي نظر النفي، وبين سياقه هي التي ينطلق منها التأويل الأصواتي، ومن ثم يدخل في مسمى السياق هنا السياقان الأصغر (العناصر اللغوية التي تسبق مباشرة الجملة أو تعقبها)، والسياق الأكبر (المحيط النصي)، وكذا السياق الداخلي للعجيمات. (3)

(1)- Ducrot. O: Les échelles argumentatives, p27-39

(2)-Nölke. Henning: Le regard du locuteur. Pour une linguistique des traces énonciative ,p 259

(3)- ديكرو. أ، وسشايفر . ج.م: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ، ص 771-775

غير أن تركيزنا في مستوى التحليل اللساني والنصي، يحتم علينا الاهتمام أكثر بالسياق الأصغر، والذي ينبغي أن نحدده بدقة فنقول أننا نعني به العناصر التي تتجاوز المسند والمسند إليه، وما يلحق بهما من مكملات في الملفوظ المنفي، يتعلق الأمر بعناصر تقع خارج نواة الملفوظ المنفي، والتي يمكنها إقامة علاقات عبر-جمالية معه (الإحاليات، الضمائر، الروابط ... إلخ).⁽¹⁾

2.1) النفي الجدلي في خطاب الرسائل:

تبيّن لنا من العرض النظري الخاص بالنفي كواسم للتعدد الصوتي أن هناك شروطاً تركيبية ودلالية وتداولية لا بد من توافرها ليكون النفي قابلاً للتفسير التداولي الأصواتي، أي ليصحّ اعتباره واسماً أصواتياً. والمبدأ العام الذي يكاد يقع عليه الإجماع بين اللسانيين، هو ما يتصل بالشرط التركيبي، الذي يكون بموجبه النفي جدلياً أصواتياً عندما يتسلط النفي على الجملة، ويكون وصفاً مجرداً من الأصواتية في الحالة المقابلة التي يتسلط فيها النفي على مركّب من مركّبات الجملة. ويسمّى هذا المعيار بمعيار الحيز أو المدى،⁽²⁾ غير أنّ هذا المعيار عند التطبيق على النصوص الأصيلة، لا يكون دائماً مطّرداً، فقد ثبت في دراسات بعض اللسانيين التداوليين أن حالات من النفي الكلي (نفي الجملة) تمتنع عن التأويل الجدلي، وتغيب فيها الأصواتية، كما ثبت أن هناك حالات للنفي الجزئي (نفي المركّب) تقبل التفسير

(1) - فهذه العناصر تساهم بالضرورة في بناء معنى الملفوظات ، غير أننا ننبه إلى أنه من المهم ألا ننسى بأننا حين نقوم بتحليل يأخذ في الحسبان دور السياق، لا يمكننا أبداً الزعم بمعرفة السياق معرفة كاملة، ومفصلة، لذلك نضطر في لحظة ما إلى اعتماد فرضية معينة حول ما أراد المتكلم قوله، أي أننا نختار هذا التأويل أوداك . ينظر:

Roitman. Malin: op.cit, p71-72

(2) - الحيز عامة هو -حسب ليونز- "الجزء من الصيغة [المنطقية] التي يعمل فيها [العامل]" أما حيز النفي خاصة فـ" هو ما يلي حرف النفي. و ما يلي حرف النفي لا يكون (...). إلا كلاماً عمل بعضه في بعض يدخل عليه النفي حرفاً ليردده، بالمعنيين ترديدا و دحضاً" المبخوت. شكري : إنشاء النفي، ص 377، 380

الجدلي، وتحضر فيها الأصواتية، خلافا لما يفترضه معيار الحيز المرتبط بالشرط التركيبي المشار إليه أعلاه.

لذلك يلتفت المحللون التداوليون –ولا سيما في حقل الدراسات الأصواتية- إلى معايير أخرى تساعد في تمييز النفي الجدلي من النفي الأصواتي، ونعني بذلك تحديداً معيارين أساسيين؛ معيار الخصائص التركيبية والدلالية للفظ المنفي (في حالة النفي الجزئي أو المقيّد)، ومعيار السياق النصي.

يؤدي المعيار الأول دوراً في تحديد جدلية النفي من عدمها، فإذا كانت القاعدة العامة تقضي بأن نفي الألفاظ التدرجية⁽¹⁾ Scalaire (في إطار ضدية متعددة، مثل: فقير / غني) لا يقبل إلا التأويل الوصفي، فإن هناك حالات تتيح تفسير هذا النوع من النفي جدلياً وأصواتياً، خاصة إذا تدخل السياق النصي والمقامي في تزويد المؤول بالتعليمات الضرورية لذلك، ويصدق ذلك على وحدات لغوية أخرى كالردائفيات المعرفية *Adverbiaux épistémiques*، والجمل الملحقة بواسطة بعض الروابط، والنفي المقيّد زمنياً... إلخ⁽²⁾

أما المعيار الثالث والأخير، والمتمثل في السياق، فيبدو أنه المعيار الأكثر طواعية للتطبيق في التحليل التداولي الأصواتي، فأياً كانت حالة النفي التي نتصدى لها؛ نفي جملة أو نفي مركّب، وأياً كانت خصائص اللفظ المنفي التركيبية

(1)- التدرجية *La scalarité* هي الإحالة إلى سلم قيم، وهي من ثم مفهوم مجرد يتجلى في صور متعددة في الاستخدام اللغوي، من خلال المحتوى المعجمي للعبارات؛ فصفتان مثل "متحمّد" و"بارد" تعيّن كل منهما درجة معينة على سلم الحرارة. والعلاقات الموجودة بين هاتين الصفتين هي ما يوصف بالتدرجية في تحليلات بعض الباحثين. ينظر: HEDERMAN. Pascale, PIERARD. Michel et VAN RAEMDONCK. Dan :La scalarité : autant de moyens d'expression, autant d'effets de sens, De boeck Université, Travaux linguistiques, 2007/1- N° 54, pages 7 à 15, p9

(2)- ينظر تفصيلاً ذلك في مبحث سابق من هذا الفصل، ص 137 وما بعدها

والدلالية، فإنه لا يتسنى لنا الفصل في جدلية النفي أو وصفيته إلا بالرجوع إلى التعليمات التي يمدّنا بها السياق، فيما يخصّ الإحالة البعدية أو القبليّة، أو الإبدالات الجدولية التي يستدعيها اللفظ المنفي، أو البنيات التضادية والأصواتية، أو التوجيه الحجاجي للملفوظات.⁽¹⁾

بعد هذه الاستعادة الموجزة للمفاهيم النظرية المتصلة بالنفي، نعكف الآن على دراسة نماذج من حالات النفي التي تضمنتها الرسائل، مستعينين بما تقدم بيانه نظرياً.

-المقتطف الأول: « فلم يكن بين رجال العرب ونسائها حجاب، ولا

كانوا يرضون مع سقوط الحجاب بنظرة الفلطة ولحظة الخلسة، دون أن يجتمعوا على الحديث والمسامرة، ويزدوجوا في المناسبة والمثافنة،^(*) ويُسمّى المولعُ بذلك من الرجال الزّير، المشتق من الزيارة، كل ذلك بأعين الأولياء وحضور الزواج، لا ينكرون ما ليس بمنكر إذا أمنوا المنكر...»⁽²⁾

ينطوي هذا الملفوظ المنفي على فعلين كلاميين هما:

1- فعل إثبات المتلفظ م 1 لـ ق (كان بين رجال العرب ونسائها

حجاب...) موجه للمرسل إليه مر 1 (وهو المتكلم/المتلفظ بالنفي، على اعتبار أن هذا الأخير في مقام مناظرة، ويرد على الإثبات، أي يدحضه). نلاحظ هنا أن

(1)- ينظر تفصيل ذلك في مبحث سابق من هذا الفصل، ص 131-140

(*)- المناسبة: جاء في لسان العرب: "ناسمت فلانا أي وجدت ريحه ووجد ريحي" (مادة: نسم)، وفي الشاهد شدة التقارب بحيث يشم المتحدّثون ريح بعضهم بعضاً، والمثافنة: المحالسة (ينظر لسان العرب، مادة: ثفن)

(2)- الجاحظ: رسالة القيان، ضمن الرسائل الكلامية، ت وش علي بوملحم، ص: 66

الإثبات قول مضمر، يتم تحديده انطلاقاً من فحص الواسم الصوتي المتمثل في حرف النفي "لم"⁽¹⁾، الذي يستنفر ظاهرة تعدد الأصوات في هذا الملفوظ.

2- فعل دحض الإثبات المسند إلى المتلفظ م2، بواسطة النفي: لم يكن بين رجال العرب ونسائها حجاب...، وهو موجّه - حسب قراءتنا وتحليلنا للوضعية التلفظية إلى م2، وهو هنا المتلفظ م1 منجز فعل الإثبات (المستمع / الشريك في التلفظ)، لأن نمط الخطاب الذي بين أيدينا، وهو المناظرة يقوم على الحوارية الثنائية غالباً، لذلك تبرز في الملفوظ مؤشرات دالة على توتر تواصلية، إن لم نقل خصومة رأي، ونعني بذلك تحديدا العطف المقترن بالنفي "ولا كانوا..."، وإرداف النفي بتصويبات تشكّل الحجاج المضاد، بصورة تدمج النفي في استراتيجية أكثر فعالية هي استراتيجية الدحض.⁽²⁾

-المقتطف الثاني: « ولكنّا نقول: لا يجوز أن يلي أمر المسلمين على ظاهر الرأي والحزم والحيلة أكثر من واحد، لأن الحكام والسادة إذا تقاربت أقدارهم وتساوت غايتهم قويت دواعيهم إلى طلب الاستعلاء واشتدت منافستهم في الغلبة»⁽³⁾

نحلل هذا المقتطف في ضوء المقاربة اللسانية للتعدد الصوتي دائماً، والتي تركز على الوسم اللغوي من خلال فحص اشتغال ألفاظ النفي جديداً .

(1) - معرفة الفروق التداولية بين حروف النفي، ينظر: المبحوت. شكري، إنشاء النفي، ص 117-134
 (2) - "الدحض عمل رد فعل حجاجي اعتراضى". "الدحض" من وجهة نظر الاستعمال يتّرع إلى الإشارة إلى كل صيغ الرفض الصريح لموقف، باستثناء مقترحات عمل: يدحض المرء أطروحات، وآراء تدعي الحقيقة، لكنه يرفض (لا يدحض) مشروعاً. أما الاتهامات فيمكن أن "تدحض" أو "ترفض" "ينظر مدخل "الدحض" في : ب شارودو ود. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 479
 (3) - الجاحظ : استحقاق الإمامة، ضمن الرسائل الكلامية، ت وش علي بوملحم، ص: 196

نلاحظ أن النفي هنا كليّ يسلط على الجملة كلّها، أي على محتواها القضوي كلّه، بواسطة حرف النفي "لا"، وبالنظر إلى السياق النصي، يتبين لنا أن هذا النفي جدلي، لأنّ الملفوظ يحمل وجهتي نظر متضادتين، إحداهما صريحة (وجـ 1) والثانية مضمرة (وجـ 2) نصل إليها بإعمال قانون الافتراض المسبق:

-وجـ ن 1: لا يجوز تعدد الأئمة

-وجـ ن 2: يجوز تعدد الأئمة

تسند (وجـ ن 1) إلى المتكلم الذي يعيّن نفسه في الملفوظ بضمير الجماعة، بواسطة رابط الموافقة على رأي قد ينسب إلى صوت جماعي، هو هنا صوت جماعة المعتزلة،⁽¹⁾ كما أنّ بمقدورنا القول أن (وجـ ن 1) يُسند إلى صوت جماعي يتماهى معه المتكلم، ويتبناه ويعلن كفالتة للتلفظ به.

وتُسند (وجـ ن 2) إلى متلفظ ثانٍ، وهو غير معيّن في الملفوظ بواسطة أيّ ضمير من ضمائر الخطاب، غير أنه مفترض الوجود كمتلفظ شريك يتلقى الملفوظ، ويتفاعل معه، ويتبنى الرأي المخالف المشار إليه بواسطة العبارة "أكثر من واحد" أي "أكثر من إمام"، ووجهة النظر هذه ثاوية في الملفوظ، استنفرتها النفي بواسطة

(1) - ظلت آراء الجاحظ في الإمامة معتمدة لدى جمهور المعتزلة، خصوصاً فيما يتصل بوجود الإمامة، ونفي النص والوصية، و شروط الإمام وصفاته، و عدم الاعتراف بإمامة المتغلب. هذه المسائل توسع بحثها بعد الجاحظ، والتفصيل في فروعها، بما يؤكد صوابها و صحة ما انبنت عليه، حتى أن القاضي عبد الجبار (ت 415 هـ)، وهو رأس الاعتزال في المرحلة الانتقائية، سار في نفس الاتجاه معمقاً البحث في موضوع الإمامة باعتباره مبحثاً شرعياً، يعالج من حيث مادته ضمن نصوص القرآن الكريم و السنة المطهرة الصحيحة، واجتهادات الخلفاء الراشدين الأربعة. (عبد الستار الراوي: العقل والحرية، دراسة في فكر القاضي عبد الجبار المعتزلي ط 1. المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . 1980، ص: 403-425 .)

الافتراض المسبق، لأجل أن يقوم المتكلم متماهيا مع المتلفظ 1 بدحضها، مستندا من الناحية الحجاجية على الموضوع⁽¹⁾ القائل: تعدد الأئمة يؤدي إلى الفتنة.

المقتطف الثالث: « ليس شيء من المأكول والمشروب أجمع للظرفاء، ولا أشدّ تألّفا للأدباء، ولا أجلب للمؤنسين منه، ولا أدعى إلى خلاف الممتّعين، ولا أجدراً أن يستدام به حديثهم ويُخرج مكنونهم، ويطول به مجلسهم، منه »⁽²⁾

نجد في هذا المثال لفظ نفي آخر هو "ليس"، حيث يسلّط النفي على الجملة كلّها (المسند هو بؤرة النفي)، وباستقراء عناصر السياق النصي يتبيّن لنا أن هذا النفي نفي جدي، ومن ثم يقبل التحليل الأصواتي، فالمثال مأخوذ من رسالة جدالية يرد فيها الجاحظ على من يحرّمون شرب النبيذ،⁽³⁾ وينكرون فوائده، وهي رسالة "مدح النبيذ وصفة أصحابه"، كما يدلنا استخدام أسماء التفضيل بكثافة في الملفوظ على مقام الجدل والمفاضلة، واختلاف الآراء في المسألة، وعليه يحضر في هذا الملفوظ على الأقل صوتان، يتبنى كل منهما وجهة نظر:

وجـ ن 1: تفضيل النبيذ على غيره من المأكول والمشروب

وجـ ن 2: رفض تفضيل النبيذ على غيره من المأكول والمشروب

تسند (وجـ ن 1) إلى متلفظ 1 يتماهى معه المتكلم الذي لا يعيّن نفسه في

الملفوظ بواسطة ضمير المتكلم، اعتماداً على رابط الموافقة على رأي قد ينسب إلى

(1)- يراجع تعريف الموضوع في هامش ص 65 من المدخل النظري

(2)- الجاحظ: مدح النبيذ وصفة أصحابه، ضمن رسائل الجاحظ الأدبية، ت وش علي بوملحم، ص 266

(3)- يشير بيلا في سياق تعليقه على تحليل الجاحظ للنبيذ في رسالة الشارب والمشروب، إلى أن " المناقشات اللغوية

والفقهية والكلامية التي أسهم الجاحظ بنصيب وافر منها لم يكن هدفها سوى حصر التحريم في الخمر واستثناء النبيذ" (الجاحظ في البصرة و بغداد وسامراء، ص 335)

صوت جماعي، هو هنا صوت جماعة غير معروفة بدقة،⁽¹⁾ وهي وجهة النظر المعبر عنها صراحة في الملفوظ، والتي يحملها الملفوظ المنفي.

وتسند(وجـ ن 2) إلى متلفظ ثانٍ، وهو غير معيّن في الملفوظ بواسطة أيّ ضمير من ضمائر الخطاب، غير أنه مفترض الوجود كمتلفظ شريك يتلقى الملفوظ، ويتفاعل معه، ويتبنى الرأي المخالف المشار إليه بواسطة عناصر الجداول الإبدالية لأسماء التفضيل(أجمع، أشد، أجلب... الخ). ووجهة النظر هذه ثاوية في الملفوظ، استنفرها النفي بواسطة الافتراض المسبق، لأجل أن يقوم المتكلم متماهيا مع المتلفظ¹ بدحضها وإثبات نقيضها.

هذه أمثلة عن النفي أردنا بها أن نقف على كيفية اشتغال أدواته وحروفه أصواتيا على المستوى الجملي اللساني، على أن نتوسع في تحليل النفي كظاهرة أصواتية على المستوى النصي والخطابي لاحقا، لا سيما وأن النفي من المنظور التداولي يعدّ الواسم الأبرز للتعدد الصوتي لسانيا ونصيا، كما يساهم خطايا في إنشاء ظواهر متعددة كالدحض، والاعتراض، والافتراض المسبق.

(1) - قد تكون جماعة الأحناف، إذ يعرف عن المذهب الحنفي اعتماده على الرأي، أي العقل. ولذلك يبدو الجاحظ من خلال آرائه الفقهية، و تصوره لأصول الفقه أقرب ما يكون من المذهب الحنفي، المعروف بإعماله الرأي، أي النظر العقلي أكثر من الأثر، و ابتعاده عن الأخذ بحرفية النصوص، و هو ليس بدعا في ذلك لأن أغلب فقهاء المعتزلة كانوا حنفية. (عبد الستار الراوي: العقل والحرية/دراسة في فكر القاضي عبد الجبار، ص، 139 - 140) ويدعم هذا التحليل التوازي الذي يقيمه محمد عابد الجابري بين هيمنة علم الكلام المعتزلي على مجال العقائد، وهيمنة الفقه الحنفي على مجال الفقه، لكونهما يعتمدان على العقل و يقدمانه على النص (انظر تكوين العقل العربي، ص، 106).

2- الاستفهام/السؤال البلاغي

1.2) مفهومه واشتغاله أصواتيا:

يعيننا هنا حسب خطة البحث الاستفهام باعتباره مقولة تركيبية ترجع إلى المستوى اللساني، عندما يتحول عن أصل معناه، فيصبح واسما لغويا لظاهرة التعدد الصوتي، في تفصلها مع الحجاج وغاياته الإقناعية.

هناك عدة تحديدات لمفهوم الاستفهام ضمن النظرية اللسانية التداولية، فهو شأن كل نمط من أنماط الملفوظات يتجاوز في وظيفته ما سطره له النحو الوصفي، نحو الجملة.

فمن وجهة نظر نظرية أعمال الكلام يحدّد مفهوم الاستفهام في مستويين، مستوى العمل الكلامي المباشر، أو "الأولي"، فيدل عندئذ على طلب الحصول على معلومة أو خبر،⁽¹⁾ ومستوى العمل الكلامي غير المباشر، أو "المشتق"، أي الذي يتحقق بواسطته عمل كلامي آخر ضمن دائرة الأعمال الكلامية (الأعمال المتضمنة في القول). في المستوى الأول، يمثل الاستفهام باعتباره عملا لغويا مباشرا أوليا وسما للحكم الإيجابي على المحتوى القضوي للملفوظ، الناتج عن تشكك المتكلم في صدق ذلك المحتوى، ورغبته في معرفة درجة مطابقته للواقع.⁽²⁾ « وقد يبدو من جهة الحالة الذهنية التي يصدر عنها الاستفهام ضربا من التراكب بين اعتقاد عدم اليقين وإرادة المعرفة»؛⁽³⁾ أما في المستوى الثاني، مستوى الأعمال الكلامية غير

(1)- Orrechioni. C-K, 2005: Les actes de langage dans le discours, théorie et fonctionnement, Armand Colin, p 86

(2)- المبحوث. شكري: دائرة الأعمال اللغوية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2010، ص 195

(3)- نفسه، ص ن

المباشرة التي يستعمل ضمنها الاستفهام في غير ما وضع له أصلاً، أي في حالة تحقيقه لعمل كلامي غير مباشر، أو "مشتق" وهو ما يسميه المبخوت "حركة الاستفهام داخل دائرة الأعمال اللغوية مع الأعمال اللغوية الأخرى"⁽¹⁾ فيتأسس على النظر إلى العلاقة بين الاستفهام والنفي والإثبات التي تمثل «حالة طريفة لبيان حركة دائرة الأعمال اللغوية، بما أن الاستفهام وسم للإمكان يقتضي الإمكان، في حين أن الإثبات وسم للإيجاب يقتضي الإمكان، أما النفي فهو وسم للسلب يقتضي الإمكان، وبحكم القواعد الاستدلالية يمكننا الانتقال بيسر من الإمكان إلى السلب أو من الإمكان إلى الإيجاب»⁽²⁾

و يوافق هذا تصور ديكرو (O.Ducrot) للتمييز الذي ينبغي أن يقام بين استعمال الاستفهام حسب أصل الوضع، أي خلاف ما سطر له في قواعد التركيب والدلالة. يرى ديكرو أن الأعمال المتضمنة في القول في حالة الاستفهام يمكن تحقيقها بطريقتين: "أولية"، أو "مباشرة" بواسطة الجمل المخصصة أصلاً لأدائها، مثل الأمر، لطلب الشيء؛ والثانية "مشتقة" أو "غير مباشرة" كاستعمال الاستفهام لتنفيذ عمل الطلب، وهو ما يبدو، من ناحية نظرية، محرراً (طرح السؤال وإرادة الطلب، مع وجود أسلوب مخصص للطلب وآخر مخصص للاستفهام).⁽³⁾

والحل الذي يقترحه ديكرو (O.Ducrot) يكمن في الاستعانة بمفهوم التعدد الصوتي، الذي يساعدنا على التمييز بين المتكلم والمتلفظ إذ أن «الجملة الاستفهامية

(1) المبخوت. شكري: دائرة الأعمال اللغوية، ص 212

(2) _ نفسه، ص 217

(3) _ Ducrot .O: Le dire et le dit, p 226-227

تعطي، بمقتضى دلالتها، التعليمتين الآتيتين للسامعين المنوطين ببناء معنى ملفوظات هذه الجملة:

أ — ينبغي أن تُبرز هذه الملفوظات متلفظا يعبر عن شكّه فيما يتصل بالقضية التي طرح حولها الاستفهام

ب — عندما يكون هذا المتلفظ متماهيا مع المتكلم، يُقرأ الشك الذي عبر عنه كسؤال، أي أن التلفظ يُوصف باعتباره إلزاما للمخاطب بالجواب.

وانطلاقا من هذه القيمة المعطاة للجملة، يمكننا التنبؤ بإمكانيتين فيما يخص الأعمال اللاقولية المرتبطة بالتلفظ، فأحيانا يكون هناك عمل "أولي" هو السؤال، وأحيانا يكون هناك عمل "مشتق" - قد يتمثل في عمل الطلب أو غيره»⁽¹⁾، كأن يكون إثباتا أو نفيا للمحتوى القضوي، وهو ما أدرجه البلاغيون العرب القدماء في الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام، يقول شكري المبخوت: «...بحسب المعلومات التي نجدها في كتب النحو والبلاغة، يبدو عملاً التقرير والإنكار، وهما مما يعتبر مرتبطا بالاستفهام، أفضل ما يمكن أن ينجم عن التعامل المقولي المفترض داخل دائرة الأعمال اللغوية، وللتقرير والإنكار في غير العربية شبيه هوما سمي بـ"السؤال البلاغي"»⁽²⁾

(1)-Ducrot .O: Le dire et le dit, p: 227

(2) _ المبخوت. شكري: دائرة الأعمال اللغوية، ص 217
عرف التداوليون السؤال البلاغي بأنه "الاستفهام الذي لا يحتاج فيه صاحبه إلى الإجابة لدهتها" (ديكرو، 1981، ص 15-16؛ 1984، ص 90) وميز ديكروين نوعين من الأعمال المشتقة من الاستفهام "...الطلب المشتق" (ديكرو، 1984، ص 86-89) مثل "هل تستطيع أن تناولني الملح؟" والثاني "السؤال البلاغي" وهو الذي يقوم فيه الاستفهام بدور الإخبار " (ديكرو؛ 1984، ص 90؛ 1991، ص 17). نقلا عن: بسمة بلحاج رحومة الشكلي: السؤال البلاغي الإنشاء والتأويل/ط1، دار محمد علي للنشر، تونس، 2007، ص 11

لا يختلف الاستفهام في ارتباطه بالإثبات عن النفي، فكلاهما يمثل خطوة ثانية (لاحقة) للحكم بالنسبة للإثبات،⁽¹⁾ غير أن السؤال من منظور حجاجي يُوجّه عادةً لاستدعاء النفي، كما يرى أصحاب نظرية الحجاج في اللغة، وفي مقدّمهم ج. ك. انكومبر (Anscombe J.C) وأ. ديكرو (O.Ducrot)، اللذان يقدمان فرضية أن الملفوظ الاستفهامي: هل ق؟ يتوجه إلى استدعاء نمط من النتائج ينفي ق، ضمن منظور التنسيق الحجاجي. ولتفسير مفهوم التنسيق الحجاجي، يطرحان ما يلي: يكون الملفوظان مل 1 ومل 2 متناسقين حجاجيا، إذا قدّم مل 1 في الخطاب بصفته ملفوظا يستطيع إثبات أونفي مل 2 أو ما يستفاد منه (نتيجته).⁽²⁾ وعلى هذا الأساس يكون الاستفهام حجاجيا عندما يكون بلاغيا، أي عندما يخرج عن مقتضى الظاهر كما يقول البلاغيون العرب القدماء.

ينطوي الاستفهام البلاغي (غير الحقيقي) على قوة حجاجية، ويذهب ج. ك. انكومبر وأ. ديكرو إلى افتراض أن كل استفهام بلاغي يحمل حجاجا بصيغة النفي، والعكس غير صحيح. ويحدث أن نجد استفهامات بلاغية جزئية تحيل إلى إجابات، رغم كونها ذاتية، إلا أنها تمنح الملفوظات توجيهها حجاجيا إيجابيا.⁽³⁾

لذلك يتصرف المتكلم حيال الاستفهام البلاغي، وكأنه جواب يفرض نفسه على السؤال المطروح بالنسبة عليه، وإلى المستمع على حد سواء، وكل ما يفعله

(1)- المبحوث. شكري: إنشاء النفي و شروطه النحوية الدلالية، ص56 وما بعدها

(2)- Ducrot. O et Anscombe. J-C: L'argumentation dans la langue, p115-116

(3)- Ibid, p128

السؤال هو التذكير بهذا الجواب، فهو لا يختلف في الدور الذي يؤديه كثيرا عن الإثبات المتضمن في الجواب، والمعطى في سياقه كحقيقة مقبولة.⁽¹⁾

حتى البلاغيون يؤكدون مرارا أن هذا النمط من الأسئلة يحمل دلالة النفي، نفي المضمون المتعلق بموضع السؤال، وفي هذا النوع من الاستفهامات البلاغية تتجلى القيمة الحجاجية الجوهرية للسؤال في إنجاز فعل الحجاج.

لتلخيص النظرية الحجاجية المتعلقة بالاستفهام (الكلي) يقترح ج. ك انكومبر (Anscombe J.C) وأ. ديكرو (O.Ducrot) تحديد بنية السؤال، من خلال المحددات الثلاثة الآتية:

1- الإثبات المسبق لـ ج

2- التعبير عن شك بخصوص ج

3- الطلب من المخاطب اختيار أحد الأجوبة التالية: إثبات ج، نفي ج، أو تقديم جواب يتضمن أحد الموجهات المكيفة للحكم على ج، مثل: ربما، محتمل، فعلا، بالتأكيد.⁽²⁾

وبناء على ما تقدم يفترض التفسير الأصواتي ان الجملة الاستفهامية تضع على الركح ثلاثة متلفظين مختلفين: م1، م2، م3 الأول مسؤول عن الإثبات المعطى مسبقا لمحتوى قضوي ايجابي ق، والثاني مسؤول عن التشكك المعبر عنه حول صدق ق، والثالث أخيرا، مسؤول عن الطلب الموجه إلى المخاطب لإزالة

(1)-Ducrot. O et Anscombe. J-C: L'argumentation dans la langue, p130

(2)-Ibid,p 130

ذلك الشك، فالملفظ الأول م 1، وما يتعلق به من الاثبات المعطى مسبقاً، يستدل عليه خصوصاً ببعض الاستعدادات الإحالية كقولنا:

- هل سيأتي سعيد؟ إن ذلك سيسعدني، ما يستعيده اسم الإشارة / الإحالي " ذلك " هو تحديداً محتوى الاثبات المعطى مسبقاً: سعيد سيأتي، وبناء عليه ففي حالة طرح سؤال " حقيقي "، يكون استعمال الاستفهام دالاً على توافق المتكلم مع م 1 وم 3، أي أنه يشاركهما في التعبير عن الشك، وفي القيام بطلب إزالته، ولكنه لا يتوافق مع م 1، بما أنه يكشف عن شكه حيال صدق القضية ق، أما في الاستعمال البلاغي الحجاجي كما في المثال: " أترغب في البقاء هنا؟ لا أنصحك بذلك"، يظهر المتكلم متوافقاً مع م 2 فقط، والتعبير عن الشك هو الذي يتحكم في التوجيه الحجاجي نحو النفي. (1)

إن ما يبعث على الاستفهام ليس في الغالب هو الرغبة في إصدار حكم بالصواب أو الخطأ على قضية، بل هو حاجات متعددة الوجوه والأشكال تولدّها الوضعيات التواصلية، فـ"تنوع الحالات النفسية التي تعبر عنها الجمل الاستفهامية: طلب معلومات، مداولة، طلب تأكيد، تشكيك، رفض فرضية، طلب مصادقة، كلها ترجع إلى عامل مشترك،

(1) -Moeshler. Jacques & Auchlin. Antoine :op.cit, p155

وهو تشكيل مواقف غير مرتبطة بمناقشة قضايا، أي لا ترمي إلى إصدار حكم أو قرار، بل على العكس إلى وضعه على بساط المناقشة". (1)(*)

2.2) السؤال البلاغي في خطاب الرسائل:

لا تخلو رسائل الجاحظ من أساليب الاستفهام بمختلف أصنافها، الحقيقية والبلاغية، والتي تتوزع في المدونة بصورة متفاوتة، حسب ما تقتضيه مقامات الخطاب الترسلّي، وما تنطوي عليه من عناصر: الموضوع، والزمن، والمخاطب بالرسالة.

والذي يعيننا دراسته من هذه الأساليب بطبيعة الحال، هي حالات الاستفهام البلاغي، أو السؤال البلاغي الذي يعد واسماً أصواتياً كما تقدم بيانه في العرض النظري. (2)

(1)- Moignet. Gérard, 1974: Études de psycho-systématique française, Paris, Klincksieck, p100

(*) _ لم تغب هذه الملاحظة على البلاغيين العرب القدماء: فقد نبه الجاحظ إليها بقوله: "وسأل سائل في تحريم الخنزير عن مسألة، فمنهم من أراد الطعن، ومنهم من أراد الاستفهام ومنهم من أحب أن يعرف ذلك من من جهة الفتيا" (الحيوان، ج2، ص31). نقلاً عن: بسملة بلحاج رحومة الشكلي: السؤال البلاغي الإنشاء والتأويل. تعلق الباحثة: "فقد ميز الجاحظ في نصه هذا بين السؤال والاستفهام، فجعل الاستفهام غرضاً من أغراض السؤال ووظيفة من وظائفه المتعددة، وذكر للسؤال أغراضاً أخرى تؤكد سعة هذا المفهوم"، وأشار إليه أيضاً ابن جني في قوله: "وذلك أن المستفهم عن الشيء قد يكون عارفاً به مع استفهامه في الظاهر عنه لكن غرضه في الاستفهام عنه أشياء، منها أن يُريَ المسؤول أنه خفي عليه ليسمع جوابه عنه، ومنها أن يتعرف حال المسؤول هل هو عارف بما السائل عارف به، ومنها أن يري الحاضر غيرهما أنه بصورة السائل المسترشد لما له في ذلك الغرض، ومنها أن يعد ذلك لما بعده مما يتوقعه، لتغير ذلك من المعاني التي يسأل السائل عما يعرفه لأجلها وبسببها" (الخصائص، ج2، ص464) وهكذا جمع ابن جني بين كل أنواع الخروج انطلاقاً من من مقياس واحد، وهو الاستفهام عن الشيء مع العلم به، وقصر التنوع على أسباب ذلك الخروج وأغراضه "المرجع نفسه، ص13

(2)- ينظر تفصيل ذلك في المبحث السابق، ص 147-152

ينظر إلى السؤال البلاغي في الدراسات التداولية باعتباره عملاً كلامياً غير مباشر، تنجز بواسطته أعمال مختلفة، مما يدرج في صنفات الأعمال الكلامية المعروفة، مثل: الطلب، والأمر، والوعد... وغيرها، والتي يسميها شكري المبخوت "دائرة الأعمال اللغوية" (1).

ومن وجهة نظر التحليل الأصواتي، تحمل بنية الاستفهام اللغوية من التعليمات ما يساعد على استحضر أصوات متعددة، انطلاقاً من أن الاستفهام البلاغي لا يتجه إلى طلب العلم بالشيء، وإنما إلى نفيه كما هو تصور أصحاب النظرية الحجاجية، (2) ونفيه أو تقريره كما يذهب إليه البلاغيون العرب القدماء، في ما سموه "خروج الاستفهام عن مقتضى الظاهر" (3).

(1) - تصور شكري المبخوت دائرة الأعمال اللغوية باعتبارها مجموعة من الأعمال اللغوية الأساسية، وهي: الإثبات، النفي، الأمر، النهي، الاستفهام، التمني. و تكمن أهمية تصور هذه الدائرة - في نظره - في أنها تتيح تفسير الكيفية التي يشتق بها من كل عمل فيها الأعمال القرينة منها "وكيف تتعامل في ما بينها لتبرز لنا الحركية الملحوظة بين مختلف الأعمال اللغوية" (المبخوت. شكري: دائرة الأعمال اللغوية، ص165)

(2) - أصحاب نظرية الحجاج، أو نظرية الحجاج في اللغة، و أشهرهم: أوزوالد ديكر و جون كلود أنكومبر. وقد عرضا أصول نظريتهما في كتابهما: *L'argumentation dans la langue*. و تقوم هذه النظرية على تصور أن "موضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكوناً أساسياً لا ينفصل عن معناه يجعل المتكلم، في اللحظة التي يتكلم فيها، يوجه قوله وجهة حجاجية ما" (المبخوت. شكري: نظرية الحجاج في اللغة، ضمن: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص352)

(3) - اقترب البلاغيون العرب القدماء من مفهوم الأعمال الكلامية غير المباشرة، من خلال اهتمامهم بتأثير المقام على دلالات الكلام. يتحدث السكاكي عن الأساليب الإنشائية (الإنجازيات): التمني و الاستفهام والأمر والنهي والنداء، فيقول: "متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل، تولد منها ما ناسب المقام... كما إذا قلت لمن تراه يؤذي الأب: أتفعل هذا؟ امتنع توجه الاستفهام إلى فعل الأذى، لعلمك بحاله، وتوجه لما لا تعلم، مما يلبسه، من نحو: أتستحسن؟... وولد الإنكار و الزجر... " السكاكي. أبويعقوب: مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان 1987، ص304-305

يفترض التفسير الأصواتي أن الجملة الاستفهامية تضع على الركح ثلاثة متلفظين مختلفين: م1، م2، م3 الأول مسؤول عن الإثبات المعطى مسبقا، محتوي قضوي إيجابي ق، والثاني مسؤول عن التشكك المعبر عنه حول صدق ق، والثالث أخيرا، مسؤول عن الطلب الموجه إلى المخاطب لإزالة ذلك الشك. وبناء عليه يكون استعمال الاستفهام في حالة طرح سؤال " حقيقي"، دالا على توافق المتكلم مع م1 وم3، أي أنه يشاركهما في التعبير عن الشك، وفي القيام بطلب إزالته، ولكنه لا يتوافق مع م1، بما أنه يكشف عن شكّه حيال صدق القضية ق، أما في الاستعمال البلاغي الحجاجي، فيظهر المتكلم متوافقا مع م2 فقط، والتعبير عن الشك هو الذي يتحكم في التوجيه الحجاجي نحو النفي.⁽¹⁾

للتعرف على استراتيجية الاستفهام في رسائل الجاحظ، وتبين مدى فاعليتها من الناحية الأصواتية الحجاجية، نتناول فيما يلي تحليل نماذج مقتطفة من بعض الرسائل:

المقتطف 1: «جُعِلْتُ فداك، ما هذا الاستقصاء وما هذا البلاء؟! وما هذا التّبع لغوامض المسألة، والتعرض لدقائق المكروه؟! وما هذا التغلغل في كل شيء يُخْمَل ذكري؟! وما هذا التّرقّي إلى كل ما يحطُّ قَدْرِي؟!»⁽²⁾

تكشف هذه السلسلة من الأسئلة عن سياقها التداولي: متكلم حريص على علاقته مع المستمع/الشريك في التلفظ - مستمع شريك في التلفظ يبدو نظريا غير

(1)- Moeshler.Jacques & Auchlin. Antoine : op.cit, p155

(2)- الجاحظ: رسالة الجد والهزل، ضمن الرسائل الأدبية، ص340. وهي رسالة موجهة إلى محمد بن عبد الملك الزيات الكاتب الوزير

مستعد للجواب بالإثبات على أسئلة المتكلم - علاقة مهترزة بينهما بسبب إساءة الثاني الأعلى مقاما اجتماعيا، للأول.

تساعد هذه العناصر على استبانة المضمون الحجاجي لهذه الأسئلة، أي على كونها أفعال حجاج، نظرا لطبيعتها البلاغية. وكونها كذلك يبرره احتمالها للجواب بالنفي، فلا يتوقع من المستمع / الشريك في التلفظ إثبات تم الاستقصاء والبلاء وتتبع غوامض المسألة وغيرها على نفسه، سيقول -على سبيل الافتراض-: ليس هذا ولا ذاك، لأنه مجبر على أحد الجوابين: إما ق، أو لا- ق.

يسعى المتكلم اعتمادا على استراتيجية الاستفهام إلى إحداث تغيير في العالم المعرفي والاعتقادي للمستمع / الشريك في التلفظ، أي إلى تغيير موقفه، وتصحيح الأضرار الناجمة عن الإساءة موضوع الحوار. وهذا ما يساعد الاستفهام البلاغي على تحقيقه لأنه يضيق أفق البحث والتفكير، بل يحصره في جواب جاهز معطى ضمن بنية السؤال الدلالية التداولية.⁽¹⁾

و عليه يمكننا تصور الخطاطة التالية للتشكيل الأصواتي للسؤال الأول، وسحبها على الأسئلة الأخرى في المقتطف:

متلفظ 1: هناك استقصاء وهناك بلاء (وجهة نظر ثاوية مستبعدة غير ملائمة للسياق، و تناسب السؤال الحقيقي)

منلفظ 2: هناك شك في وجود استقصاء وبلاء (وجهة نظر صريحة تعبر عنها البنية التركيبية الدلالية للاستفهام، لا يتماهي معها المتكلم، بل يدحضها)

(1)- تقدّم التأصيل النظري للمسألة في ص 151 من هذا الفصل
156

متلفظ 3: لا يوجد استقصاء ولا بلاء (وجهة نظر ثاوية مسندة إلى المخاطب، يتمهى معها المتكلم بواسطة رابط المسؤولية: الموافقة، وتمثل فعل الكلام غير المباشر للاستفهام، وهو النفي أو الدحض = الاستبعاد)

-المقتطف الثاني: «و لو أن شيبتي التي بها استعطفْتُك، وكِبْرَةَ سَنِي التي بها استرحمْتُك، اللتان لم يَحْدُثَا عَلَيَّ إلا وأنا في ذُراكَ، ولم يَحْلَا بي إلا وأنا في ظِلِّكَ. فكيف وقد أكرمتني جديداً، ثم تريد أن تهينني خَلِقًا، وقوَّيت عظمي أغلظَ مما كان، ثم تريد أن توهنه أرقَّ مما كان. وهل هرمتُ إلا في طاعتك، وهل أَخْلَقَنِي إلا معاناة خدمتك؟»⁽¹⁾

بتطبيق مفهوم العوالم الممكنة الذي جاء به ر. مارتان (Martin.Robert) في تحديده لماهية الاستفهام،⁽²⁾ نقول:

— إن هرم الجاحظ (المتكلم) يصحّ إذا فقط إذا وجد عالم كان فيه الجاحظ قد عاش كل حياته ما عدا فترة الشباب في كنف مخاطبه.

— إنه يُوجد عالم واحد على الأقل تكون فيه القضية السابقة خاطئة، وهو العالم الممكن الذي لا يكون الجاحظ (المتكلم) فيه قد عاش كل حياته ما عدا فترة

(1) - رسالة الجد والهزل، ضمن الرسائل الأدبية: ص: 355- 356

(2) - يحدد ر مارتان وظيفة الاستفهام بكونه يعلق الحكم القيمي على الحقيقة المتضمنة في القول "فهي تبدو كالعالم الآخر بالنسبة إلى الخطأ والصواب، كوظيفة حجز لقيمة الحقيقة، أو كعرض لمناقشة قول يكون مسبقاً صحيحاً أو خاطئاً في صورة عالم من العوالم" فعندما يقارن الاستفهام بالإثبات، يبدو عملية لاحقة، تستهدف تعليق الحكم على قيمة الحقيقة. ينظر:

MARTIN, Robert, 1987: Langage et croyance. Les « univers de croyance » dans la théorie sémantique », Pierre Mardaga, éditeur, Bruxelles , p:21

الشباب في كنف مخاطبه، وعندئذ لا تصح العلاقة السببية القائمة بين هرم الجاحظ وعيشه كهولته وشبابه في كنف المخاطب.

التأرجح بين هذين العالمين، وما يتفرّع عنهما من عوالم ممكنة، هو الذي يبرّر اللجوء إلى استراتيجية الاستفهام، فكأن المتكلم باستخدامه الاستفهام المقترن بالحصص، يفرض على مخاطبه جوابا بالنفي، أو كأنه يتجاوز هذا الجواب المعروف سلفا إلى التعبير عن قلق وحسرة على تنكر المخاطب له، أو لنقل إلى إشهار قلقه وحسرتة لا مجرد قولهما – كما يقول أديكرو (O.Ducrot) وج ك انكومبر (J.-Cl. Anscombe)⁽¹⁾.

نهي هذا التحليل بوضع خطاطة التشكيل الأصواتي للسؤال البلاغي محل الدراسة:

متلفظ 1: أخلقتني معانة خدمتك وغيرها من المعانيات (وجهة نظر ثاوية تتضمن إثبات القضية ق، يستنفرها السؤال الحقيقي، و لا تناسب مقام العتاب)

متلفظ 2: هناك شك في أن معانة خدمتك وحدها هي التي أخلقتني (وجهة نظر صريحة تعبر عنها البنية التركيبية الدلالية للاستفهام، لا يتماهي معها المتكلم، بل يدحضها)

متلفظ 3: لم تخلقك معانة خدمتي فقط، لا يوجد استقصاء ولا بلاء (وجهة نظر ثاوية مسندة إلى المخاطب، يتماهي معها المتكلم بواسطة رابط المسؤولية: الموافقة. و تمثل فعل الكلام غير المباشر للاستفهام، و هو النفي أو الدحض)

(1)-Anscombe, J.-Cl. et Ducrot. O:L'argumentation dans la langue ; « Interrogation et argumentation », p:133

-المقتطف الثالث:

يوظف الجاحظ في رسالته المشهورة "التربيع والتدوير" سلاسل طويلة من الأسئلة يوجهها إلى أحمد بن عبد الوهاب^(*)؛ وهي أسئلة معرفية لا يراد بها تقويم التعلّمات كما هو الحال في المقام البيداغوجي⁽¹⁾، بل يراد بها التعجيز والسخرية من المخاطب. وهي تتكرر تقريبا وفق النسق الذي نجده في قوله: «خبرني: كيف صار الماء أبعدَ من الفلك ولا يكون إلا في بطن الأرض، وهو أشبه بالهواء كما أن الهواء أشبه بالنار، وكيف يكون أحقّ بالوسط والأرض أبعدُ من سيّة الفلك، وكيف طمَع -جُعِلْتُ فداك- الدهريُّ في مسألة العلاة والمطرقة وفي البيضة والدجاجة، مع تقادم ميلادك ومرور الأشياء على بدنك، وكيف كان بدءُ أمر البدّ في الهند، وعبادة الأصنام في الأمم، وقصة عمرو بن لحي في العرب [؟]»⁽²⁾

الافتراض المسبق لأسئلة الجاحظ السابقة ومثيلاهما في رسالة "التربيع والتدوير"، باعتبارها أفعالا لغوية غير مباشرة هو: لا أعرف. وهذا الافتراض المسبق معبر عنه ضمنا في نهاية الرسالة في قول الجاحظ: «فإن أردت أن تعرف حقّ هذه المسائل وباطلها وما فيها خرافة وما فيها محال وما فيها صحيح وما فيها فاسد، فالزم نفسك قراءة كتيبي ولزوم باي...»⁽³⁾

(*) أحمد بن عبد الوهاب ليس من الكتاب المرموقين، فالتراجم المعروفة لا تعرض له. وقد أشار إليه صاحب الأغاني عرضا، و ذكر أنه كان كاتب أمير و لم يكن كاتب ديوان (ينظر طه الحاجري: الجاحظ حياته و آثاره، ص 275)

(1)-الاستفهام في المقام البيداغوجي، وهو "ضرب من الأسئلة التي يشكل تحديد قيمتها التداولية، إذ يكون اللفظ فيها لفظ استفهام في حين يكون المستفهم عنه لا هو بالمعلوم فيجزم بانتفائه أو بثبوتته كما هو الحال في السؤال الحقيقي، و تسمى أوريكيوبي هذا النوع من الأسئلة "أسئلة موجهة" Questions orientées (ينظر: بسمه بلحاج رحومة الشكيلي: السؤال البلاغي الإنشاء و التأويل، ص 12)

(2)- الجاحظ: التربيع والتدوير، ضمن الرسائل الأدبية، ت و ش علي بوملحم، ص 445-446

(3) - نفسه، ص 486

يتيح لنا هذا النوع من الخطابات (الخطابات التي تستخدم فيها الأسئلة حججاً) تحليلها في ضوء مفهوم السلاسل الحجاجية.⁽¹⁾ ولأجل ذلك نستحضر قاعدة أ. ديكرو (O. Ducrot) في بناء الحجاج على الاستفهام — أي قيام القول الاستفهامي مقام الحجة على القول المثبت، سواء كان هذا القول ظاهراً أو مضمراً، حيث يمكن للملفوظ الاستفهامي: ق؟ أن يؤدي دور مل 1 وفقاً لمبدأ التنسيق الحجاجي، فيتوجب عندئذ توجيهه لاستنتاج لا- ق⁽²⁾

عند التطبيق على رسالة الترييع والتدوير نحصل على ما يلي:

م 1: لا أعرف (رد المخاطب/ الشريك في التلفظ المستنبط من قول المتكلم:

فإن أردت أن تعرف حق هذه المسائل)

ق؟: مجموع الأسئلة المطروحة على المخاطب/ الشريك في التلفظ، ومنها:

كيف صار الماء أبعد من الفلك ولا يكون إلا في بطن الأرض...؟ وكلها يجاب

عنها إضماراً بالنفي، أي لا- ق

في نفس السياق نلاحظ أن الاستفهام قد يرد ضمن الحوار الجدلي المباشر،

كردّ على أقوال الخصم، لدحضها وإثبات خطئها، أي بصورة يستخدم فيها

الاستفهام حجة مضادة. في رسالة "المسائل والجوابات"، نقرأ ما يلي: « فإن

قالوا: "ليس أحدٌ يعرف أن علامة الحق استشهادُ الضرورات غيرُنَا، قلنا: أولستم-

(1)- السلام الحجاجية: يعرف طه عبد الرحمن السلم الحجاجي بأنه "عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفيه بالشرطين التاليين: أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه. ب- كل قول كان في السلم دليلاً على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه" (اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص 277)

(2)- Anscombe. J-Cl et Ducrot. O:L'argumentation dans la langue , p117

معشر أبي إسحاق النظام - تختلفون في أمور كثيرة وقد كنتم يؤمنكم أن تكونوا على باطل أن تقولوا: استشهادنا للضرورات على باطل؟»⁽¹⁾

يقودنا تحليل هذا المقطع إلى فك تركيبه على النحو التالي:

م1: أ) الإثبات: استشهاد الضرورات ينفرد به المعتزلة.

ب) التعليل (الحجة): غير المعتزلة لا يعرفونه

ق؟ (= ~ ق): أ) ليس انفراد المعتزلة باستشهاد الضرورات شرطا كافيا

لتجنب الباطل. ب) الحجة المضادة: لأنهم يختلفون فيما بينهم، وينقسمون إلى محقٍّ ومبطل. وعليه يسدُّ الملفوظ الاستفهامي مسدَّ الملفوظ المنفي في استراتيجية الدحض، لأنه يعادله بموجب قواعد الضمنيّات التحادثية^{(2)*}

(1)- الجاحظ: المسائل والجوابات في المعرفة، ضمن الرسائل الكلامية، ت و ش علي بوملحم، ص115
 (2)- يميز بين الضمنيّات الموسومة لغويا و الضمنيّات غير الموسومة لغويا، و على أساس ذلك يقيم ج. سيرل تقابلا بين أعمال اللغة غير المباشرة الاصطلاحية، و أعمال اللغة غير المباشرة غير الاصطلاحية؛ بينما يعتمد هـ. ب. غريس المقابلة بين الضمنيّات الاصطلاحية (العرفية) و الضمنيّات التحادثية. (ب. شارودود و د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص297). للتوسع، يرجع إلى: مبحث الضمنيّات في المدخل النظري، ص23 وما بعدها
 (*)- تعرضنا لمفهوم الدحض في هامش متقدم من هذا الفصل، ص143

3- الروابط والعوامل الحجاجية

1.3- مفهومها واشتغالها أصواتيا:

تُظهِر المقاربة الأصواتية لاشتغال عدد من المورفيمات (الروابط والعوامل الحجاجية والموجّهات) خطأ الفكرة القائلة بوحادية الذات المتكلمة التي كانت تعدّ مسلّمةً من مسلّمات اللسانيات قبل المفوضية، وحسب الصيغة المشكلنة التي جاء بها ديكرو (O.Ducrot): يكشف المقول آثار قوله، و تختزن الملفوظات تعليقات حول التلفظ أهم وأكثر قيمة من التعليقات التي تبرز عند القيام بالأفعال اللاقولية.⁽¹⁾ وتؤدي الروابط الحجاجية خاصة -بأصنافها الثلاثة التي يتناولها هذا الفصل- وظيفة الإحالة إلى عمليات التلفظ، فيما يتصل تحديدا بإدراج الأصوات ووجهات النظر التي تحمل عادة في اللغات الطبيعية محتوى حجاجيا، أي يتمفصل فيها الحجاج بما هو تعدد للرؤى والأحكام، مع تعدد الأصوات باعتباره آلية لسانية تتحقق بها حجاجية الخطاب الطبيعي.

ولما كانت وظيفة اللغة الحجاجية تقتضي تضمّن اللغات الطبيعية واسمات لغوية لتحقيق هذه الوظيفة، فقد كانت الروابط والعوامل الحجاجية هي الآليات المتوسّلة لذلك « فاللغة العربية، مثلا، تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية، نذكر من هذه الأدوات: لكن، بل، إذ، حتى، لا سيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنما، ما.. إلا... الخ»⁽²⁾

(1)_Ducrot . O: Le dire et le dit, p174, 179

(2)_ العزاوي. أبوبكر: اللغة والحجاج، د ط، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت 2009، ص32

وقد طرح تعريف الروابط والعوامل الحجاجية وقواعد اشتغالها كثيرا من الإشكالات على الباحثين، لتباين خصائصها التمييزية عن المقولات النحوية التي تصنف ضمنها، فمفهوم الروابط في عرف بعضهم مثلا، هو توسيع لمفهوم أدوات العطف الذي ساد في النحو التقليدي، فهو يشمل عبارات وكلمات تنتمي إلى «مقولات نحوية متنوعة من نوع أدوات العطف، وأدوات الربط التعليقي والردائف» والتي تشترك في وظيفة الربط "الذي تحدّثه بين السياق اللغوي [يسار]⁽¹⁾ الملفوظ الذي تتصل به وذلك الملفوظ نفسه»⁽²⁾.

ويفضّل موشلر وروبول (Reboul & Moeschler) تسمية هذه المورفيمات بالروابط التداولية، ويقدم لها تعريفا أكثر دقة، يقول فيه: «الرابط التداولي هو واسم لغوي، ينتمي إلى مقولات نحوية متنوعة (الروابط التنسيقية، الروابط الإلحاقية، الردائف، العبارات الردائفة) والذي:

أ) يفصل وحدات لغوية كبرى، أو أي وحدات خطابية

ب) يرسل تعليمات حول طريقة ربط هذه الوحدات

ج) يفرض استنباط استنتاجات من هذا الربط، لا يمكن الحصول عليها في حالة غيابه»⁽³⁾

يضاف إلى ذلك إشكال التمييز بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، والذي انتهى فيه الباحثون إلى نتائج غير حاسمة، مؤداها أن «...الروابط تربط بين

(1) في المرجع المترجم من الفرنسية "يمين"، و غيرناها لتناسب نظام كتابة العربية من اليمين إلى اليسار.

(2) ب. شارودو و د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 127

(3) - Reboul .A.&Moeschler. J, 1998: Pragmatique du discours, Paris, A.Colin. p 77

قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر)، وتسنَد لكل قول دورا محددًا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة، ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن، لأن، بما أن، إذ... الخ، أما العوامل الحجاجية، فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج) ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما... إلّا، وجل أدوات القصر». (1)(*)

أما اشتغال هذه "الوحدات اللغوية" أصواتيا فيتم حسب تصور ديكرود (O.Ducrot) وفقا للمسار التلفظي التالي: يقدم المتكلم بتلفظه "أ" على الركح مرسلا مل 1 يحاجج من "أ" إلى "ن"؛ وتلفظه "لكن ب" يقدم على الركح مرسلا مل 2 يحتج من "ب" إلى "لا-ن"، وأخير يتماهى مع مل 2 ويحتج إذن نحو "لا - ن". (2)

وحتى نتبين الفرق بين الاشتغال النحوي لهذه الروابط واشتغالها التداولي، لابد لنا من فحص التمييز الذي أصبح اللسانيون يقيمونه بين وظائف ثلاث تؤديها هذه الروابط؛ الوظيفة النحوية، وظيفة فعل الكلام، والوظيفة الإبتيمية (الاعتقادية)، وهو ما يتجلى في استعمالات الرابط "لأن" في الأمثلة التالية:

(1) _ العزاوي. أبوبكر: اللغة والحجاج، ص 33

(*) - في تصنيفه لتقنيات الحجاج التي يجعلها ثلاثة: الأدوات اللغوية الصرفة، الآليات البلاغية، الآليات شبه المنطقية، يفصل الشهري بين ألفاظ التعليل "بما فيها الوصل السببي و التركيب الشرطي" التي يدرجها في الصنف الأول "الآليات اللغوية الصرفة" ولا يعدها روابط حجاجية، والروابط الحجاجية الأخرى التي يصنفها ضمن الآليات شبه المنطقية، مثل (لكن، حتى، فضلا عن، ليس كذا فحسب، أدوات التوكيد). وهو تصنيف يخالف فيه المجمع عليه بين المشتغلين في حقل التداولية اللسانية، الذين يميزون بين الروابط والعوامل، ولا يختلفون في كونها جميعا آليات لغوية. (الشهري. عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ط 1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان 2004، ص 477)

(2) - ب. شارودو و د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 128-129

1- لقد عاد لأنه يحب وطنه

2- هل عاد؟ لأنه يحب وطنه

3- لأنه يحب وطنه، فهو قد عاد

في الاستعمال الأول يؤدي الرابط وظيفة بيان السبب النحوية، وفي الاستعمال الثاني يفسّر سؤال المتكلم ووجهة طرحه، وهو فعل كلامي، وفي الاستعمال الثالث تكشف لنا الوظيفة الإبتيمية للرابط تعليل العودة الذي يتصوره المتكلم عندما يعتبر ان العودة دليل على حب الوطن. (1)(*)

فالروابط من منظور تداولي هي واسمات تستنفر التضمينات المتعارف عليها وفق قواعد المحادثة أو قوانين الخطاب، وميزتها الجوهرية أنها مندمجة تتدخل في البنية الدلالية للغة الطبيعية. (2) وبالتالي فإن وظائفها - كما بيّنا أعلاه - لا تكون «واضحة وشفافة في الاستعمال، كالوصل والفصل في المنطق...» (3)، فلا يكفي أن نعرف عن الرابط ما هي الوظيفة المقررة له في النحو، إذ قد يشترك رابطان في أداء وظيفة نحوية واحدة، ومع ذلك لا يمكننا استعمال أحدهما مكان الآخر، كما لا يمكننا الاكتفاء عند تأويل الملفوظات بافتراض نمط واحد من تأثير الرابط على معانيها وتوجيهها الحجاجي. لإيضاح هذه المسألة يقارن أ. ديكر (O.Ducrot) بين الرابطين "Car" و"ما دام Puisque"، انطلاقاً من الشروط التداولية التي

(1) _ Moeshler.Jacques & Auchlin. Antoine: Initiation à la linguistique contemporaine، p191

(*) الأمثلة مأخوذة من هذا المرجع، مع بعض التعديل

(2) _ عشير.عبد السلام:مرجع سابق، ص 82

(3) _ نفسه، ص 83

تتحكم في التواصل، ويجد في مفهوم تعدد الأصوات ما يساعده على تفسير الانتقال من هذا الرابط إلى ذاك في الاستعمال، كما يظهر في المثال التالي المقترض من ديكرود:

1- بما أن الجو جميل، فلنخرج للتره

2- مادام الجو جميلا، فلنخرج للتره

في المثال الأول حسب ديكرود (O.Ducrot)، يتحمل المتكلم مسؤولية التلفظ بـ مل 1 "إنّ الجو جميل" باعتبارها حجّة موجّهة نحو النتيجة المعبر عنها في مل 2 "لنخرج للتره"، لذلك استخدم الرابط "بما أن"، أما في المثال الثاني، فإنه يقدم مل 1 باعتباره حجّة يتكفل بمسؤوليتها المخاطب، فهولا يفعل شيئا سوى أنه يسايره فيما زعمه، يقول ديكرود: إنه « يزعم أنه قال مل 2، مسائرا لاعتقاد المتلفظ له، أو أنه قاله مجرد أن المتلفظ له سبقه لقوله، بالمقابل يمكنه أن يقول حقا مل 2، إذا أخذه تحت كفالتة، أو لحسابه الخاص، وكل ما عليه أن يفعله بعد ذلك، هو أن ينبّه إلى أنه يتكلم كلاما مطابقا لكلام المتلفظ له». (1)

فدون الاستعانة بالتحليل الأصواتي، لا يمكننا التمييز الدقيق بين دلالاتي "بما أن" و "ما دام" و الآثار التداولية التي تنجم عن استعمالهما في المقامات المختلفة. وهذا ما ينطبق على كل الروابط والعوامل الحجاجية، وغيرها من الواسمات الأصواتية.

2.3) الروابط والعوامل الحجاجية في خطاب الرسائل:

تؤدي الروابط والعوامل الحجاجية - كما بينا في العرض النظري المتقدم - وظيفة الإحالة إلى عمليات التلفظ، فيما يتصل تحديدا بإدراج الأصوات ووجهات النظر التي تحمل عادة في اللغات الطبيعية محتوى حجاجيا.⁽¹⁾ ونذكر هنا بالتمييز الذي ينبغي أن نستحضره عند التطبيق على هذين الواسمين الأصواتيين؛ الروابط الحجاجية، والعوامل الحجاجية. فالأولى حسب اللسانيين التداوليين تربط بين قولين، أو بين حجتين، ويمثل لها عادة بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن، لأن، بما أن، إذ... الخ؛ أما العوامل الحجاجية، فتستخدم للربط بين متغيرات حجاجية، أي بين الحجة ونتيجتها، أو بين مجموعة من حجج والنتيجة التي توجه إليها، وتنضوي تحت مقولة العوامل الحجاجية أدوات مثل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما... إلا، وغيرها من أدوات القصر.⁽²⁾

وزيادة على ما تقدم التذكير به، ونحن بصدد التطبيق على الروابط والعوامل الحجاجية في مدونة الرسائل الجاحظية، لا بد لنا من استحضار تصور اشتغال هذه "الوحدات اللغوية" "أصواتيا، يقترح ج. م. أدام (J-M. Adam) انطلاقا من تعريفه للروابط بنية دلالية نموذجية ينشئها الرابط الحجاجي وهي: ق [ر] ك، بحيث ق وك قولان أو حجتان، و [ر] رابط، وتسمى وجهات النظر المتضمنتان في ق وك وجهات نظر ترابطية.⁽³⁾ وللتمثيل نورد نموذج اشتغال الرابط "لكن" كما يتصوره

(1) ينظر تفصيل ذلك في مبحث سابق، ص 162 وما بعدها

(2) العزاوي. أبو بكر: اللغة والحجاج، ص 33

(3) -Nölke.H: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, p 28

ديكرو (O.Ducrot) يشتغل الرابط الحجاجي "لكن" وفق المسار التلفظي التالي:
 يقدم المتكلم بتلفظه بـ "أ" على الركح متلفظا مل 1 يحاجج من "أ" إلى "ن"؛
 وتلفظه بـ "لكن ب" يقدم على الركح متلفظا مل 2 يحتج من من "ب" إلى "لا -
 ن"، وأخير يتماهى مع مل 2 ويحتج إذن نحو "لا - ن". (1)

تصادفنا في رسائل الجاحظ روابط وعوامل حجاجية متنوعة، يتجلى من خلالها الطابع الحجاجي لخطاب الرسائل، وما يزدحم فيها من أصوات يستحضرها الجاحظ لأفراد وجماعات متباينة المشارب الفكرية والدينية والمذهبية، وعلى سبيل المثال لا الحصر، يستعين الجاحظ بروابط مثل: لكن، لما، لأن... إلخ وعوامل حجاجية مثل: قلما... إلا، إنما... وغيرها. وفيما يلي دراسة أصواتية تطبيقية لنماذج من الملفوظات التي ترد فيها هذه الوحدات اللغوية:

المقتطف الأول:

« وقد قال الله تعالى: (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ) (*) وهذا مثل ضربه الله، لأنَّ الناس يعلمون أن لو وُضِعَ في إحدى كفتي الميزان شيءٌ ولم يك في الأخرى قليل ولا كثير، لم يكن للوزن معنى يُعقل، وذلك أن أحدا من الخلق لا يخلو من هفوة زلة أو غفلة، فأخبر أن من كان حسناته الراجحة على سيئاته،

(1) ب. شارودو و د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 128-129

(*) - الآية 102-103 من سورة المؤمنون

مع الندم على السيئات، كان على سبيل النجاة، طريق الفوز بالإفلاح، ومن مالت سيئاته بحسناته كان العطب والعذاب أولى به». (1)

تنتمي "لأن" لصنف الروابط المسمّاة بـ"روابط التابع" السببية، (2) أو التعليلية، وتؤدّي وظيفة بيان العلاقة السببية بين قضيتين (قولين)، ومن منظور حجّاجي، تقوّي الحجّة المتضمّنة في القول الثاني (ق2) يسارَ الرابط، النتيجة المتضمّنة في القول الأول (ق1) يمينَ الرابط في البنية النمطية: ق1 [لأن] ق2، وعليه يكون التشكيل الأصواتي للشاهد المقدم أعلاه على النحو التالي:

-ق1: يحاسب الله الناس على كل كبيرة وصغيرة {وجـ ن1 مسندة إلى متلفظ 1} يستحضر خطاب سلطة ممثلاً في الآية الكريمة التي ترد هنا محمولة في ملفوظ ينسب إلى المتلفظ 1) يتماهى معه المتكلم بواسطة رابط الموافقة {
-ق2: لا يكون للميزان معنى دون أن يحاسب الله الناس على كل كبيرة وصغيرة (وجـ 2 تحيل إلى صوت جماعي ذو خبرة، كعلماء الدين وعلماء اللغة أو غيرهم، وهو الصوت الذي يستحضره المتكلم، ويتماهى معه)

نلاحظ في حالة هذه الروابط التتابعية السببية أن المتكلم يتماهى مع الصوتين اللذين يسند إليهما ق1 وق2، لأن القولين يشتركان في نفس التوجيه الحجّاجي، أي يوجّهان نحو نتيجة واحدة، وينطبق التحليل السابق على الرابط السببي الثاني

(1) - المعاش والمعاد، ضمن الرسائل السياسية، ت وش علي بوملحم: ص: 71-72
(2) - تصدى العديد من الدارسين لهذا الصنف من الروابط، و اعتبروا أنّها تنشئ علاقة تتابع بين قضيتين مترابطتين، وهناك من يرى أنّها تربط بين مكوني قضية واحدة وتعبّر عن فعل تلفظي واحد مثل ج.م.أدام (ينظر: خليفة المساوي، الوسائل في تحليل المحادثة _دراسة في استراتيجيات الخطاب، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن 2012، ص 92)

الوارد في المقتطف، وهو الرابط "وذلك أن"، ماعدا أن ق 2 في التشكيل الأصواتي تتحول إلى ق 1، ويكون مابعد الرابط "وذلك أن" ق 2 في التشكيل الأصواتي الخاص بالملفوظ: "الناس يعلمون أن لو وضع في إحدى... معنى يعقل، وذلك أن أحدا من الخلق لا يخلو... كان العطب والعذاب أولى به"

-المقتطف الثاني:

«ولولا أن في طاقة الناس قبول التلقين وفهم الإشارة لكانوا هملاً ولتُركوا نُشراً وحشراً، ولسقط عنهم الأمر والنهي، ولكنهم قد يفضلون بين الأمور إذا أُورِدَتْ عليهم وكفؤوا مؤونة التجربة وعلاج الاستنباط، ولن يبلغوا بذلك القدر قدر المستغني بنفسه المستبدّ برأيه المكتفي بفطنته عن إرشاد الرسل وتلقين الأئمة». (1)

يعتبر الرابط "لكن" أهم الروابط الحجاجية، لما ينشئه من علاقة تعارض وتعديل بين الأقوال أو الحجج، (2) وتشاركه في هذه الوظيفة التداولية الحجاجية روابط أخرى في مدونة الرسائل الجاحظية من قبيل: بل، على أن، إنما (في بعض استعمالاتها)، وفي الشاهد الذي اخترناه هنا للتمثيل، يؤدّي حرف الاستدراك

(1)- الجاحظ: استحقاق الإمامة، ضمن الرسائل الكلامية، ش وت علي بوملحم: ص: 186

(2)- دليل هذه الأهمية هو أنه كان محل اهتمام كبير لدى الدارسين في حقل الدراسات التداولية، فقد خص بالكثير من الدراسات، واحتل صدارة الروابط التي كان هؤلاء الدارسون يتخذونها سنداً للاستدلال على صحة فرضياتهم (ينظر: خليفة الميساوي: الوصائل في تحليل المحادثة _دراسة في استراتيجيات الخطاب، ص88)

"لكن"⁽¹⁾ وظيفية التعديل، بحيث لا تلغي حجة (ق 2) حجة (ق 1)، بل تبقى عليها وتعدها، لتفصيل ذلك نقدم الخطاطة التالية:

- ق 1: في طاقة الناس قبول التلقين وفهم الإشارة، أي في طاقتهم معرفة الله وما يوجبه من شرائع دون حاجة إلى الرسل بالاعتماد على عقولهم فقط) تُسند و - ن 1 إلى متلفظ 1 - قد يكون صوتا جماعيا "المعتزلة" - يوافق عليه المتكلم لكنه لا يكفي به، فيكون ما استُدركَ عليه هنا ليس صحة المحتوى القضوي، وإنما كونه غير كاف)

- ق 2: ولن يبلغوا بذلك القدر قدر المستغني بنفسه المستبد برأيه المكتفي بفطنته عن إرشاد الرسل وتلقين الأئمة، أي أنهم محتاجون إلى الرسل لتخفيف مشاق التجربة والاستنباط، إعمالا لمقولة اللطف الإلهي⁽²⁾ (و - ن 2 مسندة إلى متلفظ 2، وهو في هذه الحالة صوت جماعي غير متجانس تدخل في تشكيله عدة جماعات مذهبية إسلامية، تؤمن كلها بحاجة البشر إلى الرسل والأئمة، يرتبط المتكلم بوج - ن 2 برابط تقبل، لأنه لا يجعلها متعارضة مع و - ن 2)

على المستوى الحجاجي يمكننا قراءة الملفوظ السابق قراءة تفضي إلى الكشف عن تعارض بين قولين، أو حجتين ؛ حجة 1 "العقل يؤهل الإنسان إلى

(1) - يميز الدارسون بين "لكن" الحجاجية التي تقيم تعارضا بين حجتين توجه إحداهما نحو نتيجة ن، والأخرى نحو النتيجة لا - ن، و"لكن" الإبطالية التي تستخدم لإبطال حكم على قضية وإثباته لأخرى، نحو قولنا :جاء علي لكن أحمد لم يأت (ينظر: العزاوي. أبوبكر: اللغة والحجاج، ص 61-63)

(2) - يعرف صاحب كشاف اصطلاحات الفنون مقولة اللطف الإلهي عند المعتزلة بأنها "ما يختار المكلف عنده الطاعة أو ما يقرب منها مع تمكنه، و يسميان المحصل و المقرَّب و، التوفيق اللطف لتحصيل الواجب، و الخذلان منع اللطف و العصمة اللطف المحصل لترك القبيح...". التهانوي . محمد: موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، تر: عبد الله الخالدي، ج 2، ط 1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت 1996، ص 1407

معرفة الله " توجه إلى النتيجة ن: "يستطيع البشر الاستغناء عن الرسل والأئمة"،
والحجة 2 المدرجة بواسطة "لكن" وهي "إرسال الرسل أيسر مؤونة في إيصال
البشر إلى معرفة الله"، وتوجه إلى النتيجة لا-ن: لا يستطيع البشر الاستغناء عن
الرسل.

الطريف في هذا المثال أن الرابط التعديلي /التوفيقي "لكن" أدى إلى تشكّل
وجهة نظر ثالثة، لا نجد مشقة في إسنادها إلى المتكلم /كاتب الرسائل، الذي وضع
على الركن وجهتي نظر تبدوان متناقضتين، ثم قام بدمجهما من خلال الرابط "لكن"
مدعوما ببعض الموجهات كحرف النفي "ن" ذي الدلالة الزمنية المحيلة إلى
المستقبل، والحرف "قد" وما يفيد من تشكك واحتمالية لاقترانه بالمضارع،
وعبارات ذات دلالة جهمية تقديرية مثل "قدر المستغني"، "المكتفي بفطنته"... إلخ

-المقتطف الثالث:

« وليست بحمد الله من باب الطّفرة والمداخلة، ولا من باب الجوهر
والعرض، بل كلها في الكتاب والسنة، وبجميع الأمة إليها أعظم الحاجة»^{(1)(*)}
تشتغل "بل" حرف الإضراب في بعض الحالات مثل "لكن" الحجاجية،
فتؤدي وظيفة الربط بين حجتي متعارضتين تخدمان نتيجتين متضادتين، تكون
ثانيتها هي الأقوى، وإلى جانب هذا الاستعمال تشتغل "بل" حجاجيا وتستنفر

(1)- الجاحظ: رسالة الفتيا، ضمن الرسائل الأدبية، ت وش علي بوملحم، ص: 252
(*)- يعلق علي بوملحم في المقدمة التي وضعها لهذه الرسالة بقوله "وينفي الجاحظ عن كتابه صفة علم الكلام، وهذا ما
دعاني إلى عدم وضعه في رسائل الجاحظ الكلامية" وهذا الاستنتاج ليس دقيقا، لأن الجاحظ نفى أن يكون الكتاب ذا صلة
بالمباحث الفرعية لعلم الكلام، المباحث الخاصة بالعلم الطبيعي، وليس علم الكلام ككل.

التعدد الصوتي، حين تكون مرادفة لـ "حتى"،⁽¹⁾ وهي الحالة التي تمثل لها بهذا المقتطف، يمكننا قراءة هذا الشاهد حجاجيا وأصواتيا وفق الخطاطة التالية:

ق1: ليست بحمد الله من باب الطفرة والمداخلة، ولا من باب الجوهر والعرض.

ويتضمن حجة 1 توجه حجاجيا نحو النتيجة: الكتاب جدير بالقراءة، ولا مبرر لرفض قراءته بدعوى المذهبية، ويسند القول ق1 إلى متلفظ 1 يتماهى معه المتكلم، ويفترض أن يكون هذا المتلفظ كل من قرأ، أو سيقراً الكتاب، ويحكم بخلوه من مفاهيم علم الكلام المعتزلي.⁽²⁾

-ق2: كلها في الكتاب والسنة...

ويتضمن حجة 2 وهي أقوى من حجة 1، وتوجه حجاجيا نحو نفس النتيجة: الكتاب جدير بالقراءة، ولا مبرر لرفض قراءته بدعوى المذهبية، ويسند ق2 إلى متلفظ 2 يتماهى معه المتكلم تماهيا تاما، وبدرجة أكبر من تماهيه مع الصوت الذي أسند إليه ق1، لأن ق2 تضمنت زيادةً على نفي المحتوى الكلامي عن الكتاب، إثباتا لالتزامه بالكتاب والسنة، حسب ما يفهم في أوساط أهل السنة والجماعة خصوم الجاحظ والمعتزلة. وهذا ما يفتح التحليل الحجاجي الأصواتي على

(1) - بل/لكن، بل/حتى: ينظر تفصيل المقارنة بين هذه الروابط في: أبوبكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص61-69
(2) - يريد الجاحظ بذلك توقي مهاجمة الخصوم لمحتوى كتابه الذي خصصه لأصول الفقه، هؤلاء الخصوم الذين كانوا يشتمون على المعتزلة، ويكرهون منهم اشتغالهم بعلم الكلام، بل إن بعض الخصوم كانوا يخرجونهم من الملة بسبب ذلك. في كتاب فضل الاعتزال و طبقات المعتزلة عدة فصول استهدف بها القاضي عبد الجبار (ت-415 هـ) الاحتجاج لعلم الكلام ومشروعيتها، ومن ذلك: -فصل في قولهم إن الكلام بدعة - فصل في نسبتهم المعتزلة إلى الخروج عن التمسك بالسنة والإجماع، وأنهم ليسوا من السنة والجماعة (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تح: فؤاد سيد يونس. ط2. الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب. تونس، الجزائر. 1986ص:181-185).

ظاهرة الخطاب المستحضر التي سنعرض لها لاحقا في الفصل المخصص للتحليل الأصواتي الخطابي.⁽¹⁾

المقتطف الرابع:

" فإذا وجب أن الكلام غير محرم فإنّ وزنه وتقفيته لا يوجبان تحريما لعله من العلل، وإن الترجيع له أيضا لا يخرُج إلى حرام، وإن وزن الشعر من جنس وزن الغناء، وكتاب العروض من كتاب الموسيقى، وهو من كتاب حدّ النفوس، تحدّه الألسن بحدّ مقنّع، وقد يُعرّف بالهاجس كما يعرف بالإحصاء والوزن، فلا وجه لتحريمه، ولا أصل لذلك في كتاب الله تعالى ولا سنّة نبيّه عليه السلام»⁽²⁾

يقدم لنا هذا المقتطف رابطا تابعا من صنف مختلف، هو صنف الروابط الاستنتاجية التي تنشئ بين قولين أو قضيتين علاقة لزوم طبيعي، بحيث يؤدي ق1 إلى ق2 ضرورة وفق موضع معتمد لدى جماعة ما ينتمي إليها المتخاطبان أو المتخاطبون، ومن جملة الروابط التي تؤدي هذه الوظيفة في اللغة العربية الرابط المركّب "إذا...ف"، والروابط "إذن"، "لذلك"، "وعليه".

لاحظنا أن الرابط الأكثر ورودا في متون الرسائل هو الرابط الشرطي المركّب "إذا...ف" ونظائره من أدوات الشرط مركّبة مع الحروف الواقعة في جواب الشرط، ولأجل التمثيل لهذا الصنف من الروابط، اخترنا المقتطف أعلاه.

(1)- ينظر في فصل لاحق، ص246

(2)- الجاحظ، كتاب القيان، ضمن رسائل الجاحظ الكلامية، ت وش علي بوملحم، ص: 73-74

يشتمل الملفوظ المتضمن في هذا المقتطف قياساً مضمراً⁽³⁾ يمكننا إعادة بناء

عناصره على النحو التالي:

ق1: وجوب أن الكلام غير محرم، لعدم وجود علة التحريم (مقدمة مصرح

بها)

ق2: الغناء كلام (مقدمة صغرى مضمرة)

ق3: وجوب أن الغناء غير محرم، لعدم وجود علة التحريم (نتيجة)

الحجة في ق1 حجة سلطنة،⁽⁴⁾ تحيل إلى حكم شرعي مجمع عليه، ومن ثم

يستتفر الرابط هنا صوت الجماعة (الأمة) الذي يتطابق مع المتلفظ 1، ويسند إليه

وجـ ن1؛ أما ق2 فيحيل إلى موضع هو "الغناء من جنس الكلام وتلحينه لا

يضيف إلى معناه شيئاً"، ويسند إلى متلفظ 2 الذي يتماهى معه المتكلم، ويتطابق

مع صوت جماعة غير متجانسة، تضم المتكلم / كاتب الرسائل وجماعته، وغيرهم.

وفي الأخير يضع المتكلم على الركح متلفظ 3 يتبنى النتيجة الواردة في ق3 وجوب

عدم تحريم الغناء" ويتضمن وجـ ن3 التي تسند إلى صوت جماعي متجانس

يتماهى معه المتكلم، هو "صوت المعتزلة".

(3)- القياس المضمّر Enthymème عند أرسطو هو "قياس قائم على معقولات أوعلامات" أما عند المحدثين فيعني به القياس الذي "يضمّر فيه إما التقديم (المقدمة) وإما اللزوم (النتيجة)" لالاند: الموسوعة الفلسفية، تع: خليل أحمد خليل، ط2،

دار عويدات للنشر و التوزيع، بيروت-باريس 2001 ص351

(4)- حجة السلطنة: ينظر تعريفها في هامش ص299، من الفصل الرابع

4-الموجّهات:

1.4) مفهومها واشتغالها أصواتيا:

نتناول مفهوم الموجّهات "Modalités"، باعتبارها واسما من واسمات الأصواتية، تمهيدا للتطبيق عليه لاحقا، بعد أن كنا قد عرضنا له عند تناولنا للنفي في علاقته بالأفعال الجهمية.(1)

لقد أثار هذا المفهوم كثيرا من الأسئلة وطرح كثيرا من الإشكالات حول تعريفه، وإجرائيته على اللسانيين المتخصصين فهم "يشيرون إلى أن الأمر يتعلق بميدان تصعب الإحاطة به ويقدمون وجهة نظر يعتبرونها مؤقتة وتجريبية وكشفية"(2) حوله، ولا أدل على ذلك من تعدد تعريفاته وتباينها، والتردد الذي يطبع تنظيرات الباحثين حوله، وحول صلته بالمفاهيم اللصيقة به، كمفهوم التوجيه والجهة، وغيرها.

وأعم تعريف يمكننا الركون إليه في هذا المقام، هو التعريف الذي استقر عليه جماعة من الباحثين (أريفي Arrivé، غادي Gadet، وغالميش Galmiche: 1986)، ونصه: "التوجيه هو المسار الذي يبرز فاعل التلفظ من خلاله موقفه من الملفوظ الذي أنتجه"(3). إلى جانب هذا التعريف قدّم باحثون آخرون تعريفات أخرى كثيرة، أجمعت جلّها على موقف المتكلم من عملية التلفظ، من خلال استعمال

(1)- ينظر المبحث المتقدم، ص138-139

(2)- سارفوني. جان : الملفوظية،، ترجمة قاسم المقداد، من منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998، ص62

(3)- Vion.Robert :Dimensions énonciatives، discursives et dialogiques de la modalisation.in :LINGUAS & LETRAS ، vol 8.n°15 .2° sem.2007.p.193-224 ،p194

الموجّهات، لكنها تباينت في مسألة ربط الموقف بعناصر المقام التلفظي،⁽¹⁾ وهو ما أفضى إلى الحديث عن تعريف موسّع، وآخر مضيّق (مختزل)،⁽²⁾ وإلى بروز نقد وجه لهذه التعريفات جميعها.

وترجع جذور هذا المفهوم إلى ش. بالي (Bally. Charles, 1932) الذي

جعل منه أساساً لنظريته في الملفوظية، حين ميّز بين بعدين في الملفوظ وهما:

MODUS و DICTUM (التعليق والموضوع)⁽³⁾ فجعل الثاني DICTUM (الموضوع) يحمل محتوى قضوياً، و MODUS (التعليق) يحمل موقف الذات المتكلمة من ذلك المحتوى.⁽⁴⁾

(1) يورد فيون. ر Vion.Robert في المرجع السابق عدة تعاريف منها: تعريف دويوا الذي يرى أن التوجيه هو وعي الذات المتكلمة بالمسافة الموجودة بينها وبين ملفوظها، (p194)؛ وتعريف مانغونو وشارودو الذي نصه: "تحدد الجهة موقف الذات المتكلمة من ملفوظها الخاص" (p195)؛ تعريف فيون نفسه الذي يقول فيه: نقترح تعريف التوجيه باعتباره تلفظاً مزدوجاً ينتج عن ازدواج الوضعية التلفظية للمتكلم (p202). ينظر: Vion.Robert : op.cit: (2) - تمثل للتعريف الموسع بمقترح جولي Joly ورولان Rouland اللذين يتبنيان رؤية غ. غيوم التي تسم علاقة المتكلم بكلامه بخاصية "التعبيرية" والتي نعرفها بأنها: أي فعل تعبيرية يهدف إلى "التأثير على المخاطب"، وبهذا ما هي جولي و رولان بين التعبيرية والموجّه، وهو الأمر الذي يفسر أن مفهوم الموجه عندهما هو مفهوم شامل. ينظر: سارفوني. جان: الملفوظية ص62.

و يمثل معجم تحليل الخطاب للتعريف الموسع، بتعريف ج. دييوا الذي يخلط فيه بين التلفظ والجهة، حين يقول عن التلفظ بأنه "يحدد باعتباره موقف الذات المتكلمة إزاء ملفوظها" (...). وعن الجهة بأنها "تحدد السمة التي لا تنفك الذات من إضفائها على ملفوظها". أما التعريف الاحتزالي، فيمثل له بما ذهب إليه ب. شارودو من أن الجهة لا يكون "إلا جزءاً من ظاهرة التلفظ، ولكنها تكوّن محوره باعتبار أنها هي التي توضح ما هي مواقع الذات المتكلمة بالنسبة إلى مخاطبها، وإليها هي نفسها وإلى قولها "ينظر: ب. شارودو و د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص371

(3) يوضح ش. بالي هذين المصطلحين بقوله: "الجملة هي أبسط شكل ممكن للتعبير عن الفكرة، والتفكير هو رد فعل على تمثيل ما، من خلال فحصه وملاحظته، أو تسميته، أو إبداء الرغبة فيه (...). الجملة الصريحة تتكون من جزئين: أحدهما = هو ما يتعلق به الحكم الذي يشكل التمثيل (مثلاً: المطر، شفاء) ونسميه اقتداء بالمنطقيين، DICTUM (الموضوع)، أما الجزء الآخر، فيحمل المكون الجوهرية للجملة، والذي بدونه لا توجد الجملة، وهو العبارة الموجهة، المتعاقبة مع الذات المفكرة، يعبر عن التوجيه/الجهة منطقياً وتحليلياً فعل جهي (مثل: اعتقد، استطاب، تمنى) وفاعله، الفاعل الجهي، وهما معا يكونان الـ MODUS (التعليق)، صنوالـ DICTUM " ينظر:

Vion.Robert : op.cit, p196

؛ وينظر أيضاً: سارفوني. جان: الملفوظية ص60

(4) _ ب. شارودو و د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص373

وإذا تجاوزنا إشكالية ضبط التعريف، وجدنا اللسانيين يختلفون كثيرا في حصر العناصر اللغوية التي يمكن إدراجها ضمن قائمة الموجهات؛⁽¹⁾ ذلك أن وظيفة التوجيه تؤديها -بحسب التعريف الذي نعتمده- عناصر شديدة التنوع، الأمر الذي أدى إلى وجود تصنيفات متباينة،⁽²⁾ أشهرها التصنيف الذي يقترحه مونيبي (A.Meunier) ويميّز فيه بين جهات التلفظ وجهات الملفوظ، فيدرج في الصنف الأول ما يترك أثرا في شكل التواصل كجهات الجمل: استفهامية، وتقريرية وأمرية، أي بالقوة المتضمنة في الملفوظات، أو بالردائف التي تحيل إلى التلفظ، مثل: بصراحة، في قولنا: بصراحة إنه مخطئ. أما جهات الملفوظ فيعني بها مونيبي تلك التي تتسلط على محتوى الملفوظ أو أحد مكوناته، وتنقسم إلى: جهات منطقية، مثل: ممكن، ضروري، محتمل؛ وجهات تقديرية أو تقييمية، مثل: محزن، مؤسف، محبط... الخ⁽³⁾

بعد تعريفنا للموجهات، وتحديدنا لأصنافها، يتعين علينا أن نقف عند مسألة ذات أهمية بالغة في بحثنا، وهي علاقة الموجهات بمفهوم تعدد الأصوات.

يرى فيون (Vion.Robert) أن الموجه عندما يربط ملفوظا لاحقا بملفوظ سابق، مثل حالة الموجه "طبعاً" يرتكز الملفوظ الأول على الملفوظ الثاني، ويعيد صياغته بعد أن يضمّنه تعليقا انعكاسيا. فالتكلم بمحاورته لآراء أخرى،

(1) - تشمل هذه القائمة على ظواهر لغوية شديدة التنوع، مثل: الردائف والتعابير الردائفية، وأدوات التعجب، والصفات، والأفعال، والجمل باعتبار الإثبات والنفي والاستفهام والأمر، والأبنية التركيبية، وأزمة الأفعال، والخطاب الواصف، وغيرها، ب. شارودو و د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب: ص 374

(2) - هناك تصنيفات أخرى لا يتسع المقام لعرضها كلها، كتصنيف أ. كيليوبي.

(3) - ب. شارودو و د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب: 373-374

يستحضرها في كلامه، وبهذا الربط الذي يتيح تواجد عدة أصوات في الملفوظ، يستطيع أن ينجز بالتوازي مقولتين متميزتين لحقيقة "واحدة"، تدلان على النشاط المتدرج للبناء التشاركي للمعنى.⁽¹⁾ وبذلك تكون الموجّهات واسما مهما للتعدد الصوتي، وإحدى الآليات الأساسية التي تُدرج بها الأصوات على مستوى الملفوظات، لالتصاقها ببنية أيّ جملة يمكن تصورها، ولارتباطها بموقف المتكلم من المحتويات القضية التي تحملها أقواله.

2.4) الموجّهات في خطاب الرسائل:

لا يكاد يخلو خطاب من موجّهات تعكس موقف المتكلم فاعل التلفظ من تلفظه، الذي عادة ما يكون حاملا لأصوات الآخريين زيادة على تلفظه الشخصي الذي يتكفل بتحمل المسؤولية عنه، وتبرز هذه الموجّهات مدى تماهي المتكلم مع ما تتضمنه أقوال المتلفظين المحمولة في الخطاب الناتج عن تلفظه، أو تمايزه عنها من خلال روابط المسؤولية الثلاثة المعروفة، وهي: التماهي، والدحض، والتقبل.⁽²⁾

يحملنا هذا التصور الذي سبق لنا إيضاحه في القسم النظري على القول إن أنسب الخطابات لبروز آثار الموجّهات، هي الخطابات التي تحضر فيها الحوارية

(1)- Vion.Robert: Dimensions énonciatives, discursives et dialogiques de la modalisation, p211

(2)- ينظر تفصيل ذلك في المدخل النظري، ص68-69

والتعدد الصوتي بقوة، وبالأخص الخطابات ذات الطابع السجالي التي تستدعي اللجوء إلى الرد، من خلال تقديم الدعاوى والاعتراض عليها.⁽¹⁾

عندما تنتقل إلى التطبيق على الموجّهات في مدونة الرسائل، يتبين لنا أن كثيرا من الموجّهات التي يضرب بها المثل في المراجع ذات الوظيفة النظرية، لا تحضر في النص الجاحظي، بقدر ما تحضر موجّهات أخرى تؤدي الأدوار نفسها، أو أدوارا قريبة منها، ويرجع ذلك في نظرنا إلى التباين الموجود بين معجم الكتابة النثرية الترسلية في عصر الجاحظ، والمعجم المعاصر الذي اعتمدت عليه الدراسات التداولية المعاصرة المعروف عنها أنها أجنبية المنشأ من جهة، وأن نسختها العربية هي أساسا ترجمة تحاول الوفاء للأصل قدر الإمكان.⁽²⁾

لذلك يتيح لنا التطبيق وضع اليد على موجّهات تنتمي إلى مختلف الأصناف، إلى الأفعال، والردائف، وأشباه الجمل، والجمل، نقوم بوصف ما تحتزنه من تعليمات تحيل إلى مقام التلفظ، ونقارنها بتلك الموجّهات التي اكتسبت صفتها المرجعية في نظريات المحللين التداوليين.

نعثر في متون الرسائل على الكثير من الملفوظات الموجّهة، التي يأخذ فيها التعدد الصوتي تجليات مختلفة بحسب رابط المسؤولية التلفظية، الذي يتحدد بدوره أيضا بعناصر المقام الترسلية وشروطه التداولية. وفي الأسطر الموالية نحاول التمثيل

(1) - يعرف طه عبدالرحمن الدعوى بقوله: "حد الاعتراض" أن يرتقي "المعروض عليه" إلى درجة من يتعاون مع "العارض" (صاحب الدعوى) في إنشاء معرفة نظرية مشتركة، ملتزما في ذلك أساليب معينة يعتقد بأنها كفيلة بتقوم العرض (الدعوى) وتحقيق الإقناع" (ينظر: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ص 42-43)

(2) - الكتابات العربية المعنية بترجمات في الأساس، ورصد الموجّهات في النصوص التراثية العربية لا يتيسر إلا عند التطبيق عليها.

لهذا النوع من الملفوظات بنماذج نقتطفها من الرسائل، ونحللها في ضوء الجهاز المفاهيمي للتحليل الأصواتي.

المقتطف الأول:

« ونحن وإن رأينا أن فضل الرجل على المرأة في جملة القول في الرجال والنساء أكثر وأظهر فليس ينبغي لنا أن نقصّر في حقوق المرأة، وليس ينبغي لمن عظمّ حقوق الآباء أن يصغّر حقوق الأمهات، وكذلك الأخوة والأخوات والبنون والبنات، وأنا وإن كنت أرى أن حقّ هذا أعظم فإن هذا أرحم »⁽¹⁾

نجد في هذا المقتطف الفعلين الجهيين "رأى"، وهو من أفعال الاعتقاد، أو الرأي،⁽²⁾ والفعل "ينبغي" وهو من أفعال الوجوب، وتقوم خطتنا في التحليل هنا على فحص البنية اللغوية انطلاقاً من ثنائية ش.بالي Ch.Bally (الموضوع والتعليق)⁽³⁾ لتبين كيف يشتغل الموجه في الجملة التي يدخل عليها تركيباً، ثم كيف يتم إنشاء التعدد الصوتي بواسطة ذلك الدخول الذي يعد وسمًا لغويًا لهذه الظاهرة.

نفترض البنية النموذجية التالية: موجه + جملة (موضوع + تعليق)

عند تطبيقه على الجملة الأولى في المقتطف نحصل على:

(1) - رسالة النساء، ضمن الرسائل الكلامية، ص: 101

(2) - تسمية أفعال القلوب بأفعال الاعتقاد Verbes d'opinion موجودة في تراث اللغوي القديم عند الاسترابادي الذي حدد وظيفتها بأنها "تعيين الاعتقاد الذي هي عنه (...)" صادرة (المبخوت. شكري: توجيه النفسي في تعامله مع الجهات والأسوار والروابط، ص51)

(3) - ينظر تفصيل ذلك في المبحث الخاص 177-178

موجه (رأينا+ في جملة القول)+موضوع (فضل الرجل على امرأة) + تعليق
(أكثر وأظهر)

يدخل الموجه المكوّن من الفعل الجهي الاعتقادي "رأى" وشبه الجملة المتعلق به (الرديف) "في جملة القول"⁽¹⁾ وهو موجه تقديري، على الجملة /الملفوظ المكوّنة من موضوع (فضل الرجل على المرأة...) وتعليق (أكثر وأظهر)، فيعدّل دلالاته من خلال تسلطه على التعليق الذي لا يبدو المتكلم /المتلفظ موافقا عليه موافقة تامة، وهذا ما يعبر عنه بواسطة الموجه التقديري "في جملة القول" التي تفيد هنا تحفظا على القول المسند إلى متلفظ آخر، نعيّنه في التشكيل الأصواتي لهذا الملفوظ، بـ "المتلفظ 2"، وهذا ما تجلّيه أكثر الخطاطة التالية:

ق1: رأينا في جملة القول أن فضل الرجل على المرأة...

ق2: أن فضل الرجل على المرأة...

-ق1 يتضمن وجـ ن1 مسندة إلى المتكلم المتلفظ، وربما يشاركه فيها صوت جماعي (المعتزلة) لوجود ضمير الجماعة.

-ق2 يتضمن وجـ ن2 مسندة إلى المتلفظ2، وهو أيضا صوت جماعي كما يدل عليه السياق، قد يكون فرقة من الفرق الأخرى، أو الرأي العام السائد عهدئذ في المجتمع.⁽²⁾

(1) - ترادف "إجمالا" وهي مما يسمى الردائفيات في المصطلح اللساني المعاصر، وتنتمي إلى صنف الموجهات التقديرية
(2) - يشيع بين الباحثين المعاصرين الدارسين للفكر الديني نسبة الآراء الفقهية المقصرة في حق المرأة إلى أهل الحديث.

هذا عن الفعل الجهي "أرى"، أما الفعل الوجودي "ينبغي" فقد جاء في الشاهد مقترنا مع النفي، وهو ما يجعله يضع بين أيدينا حالة من حالات التعدد الصوتي المؤكدة، لوجود واسمين أصواتيين يؤدي تعاملهما إلى بروز الأصوات بوضوح من ناحية، وإلى وجود حالة من التعارض السجالي بين هذه الأصوات من ناحية أخرى.

دون العودة إلى التحليل اللساني الأولي الذي طبقناه على الفعل الجهي "أرى"، نباشر التحليل الأصواتي للملفوظ، قصد الكشف عن اشتغال الموجه "ينبغي".

يتدخل المتكلم/ المتلفظ في قول الغير ويعدّله بواسطة الموجه "ينبغي" المقترن بأداة النفي "ليس"، فيبدو التلفظ وكأنه يضع على الركن متلفظين يتحاجان في قضية حقوق المرأة؛ متلفظ 2 تقدّم دوره في الكلام يتبنى وجهة نظر مقصرة في قضية حقوق المرأة، يستحضره المتكلم بواسطة الافتراض المسبق، ويسند إليه القول: "لا بأس بأن نقصر في حقوق المرأة"، ومتلفظ 1 هو المتكلم يرد عليه بالقول: "ليس ينبغي أن نقصر في حقوق المرأة"، ومن البديهي القول أن المتلفظ 2 لا يتلفظ بالقول المنسوب إليه حرفياً، وإنما هو قوله معدلاً بعد دخول الموجّهات عليه. لذلك يمكننا أن نضم إلى بنية التوجيه في هذا الملفوظ، حتى الفعل "قصر"، لأنه لا يعقل أن يقول شخص: ينبغي أن نقصر، يمكننا أن نتصور حواراً تتعاقب فيه الأقوال على النحو التالي:

أ- حقوق المرأة هي كذا وكذا فقط (افتراض مسبق)

ب- هذا تقصير في حقوقها (افتراض مسبق)

ليس ينبغي أن نقصر في حقوق المرأة

-المقتطف الثاني:

« ولكن لا بدّ من حاكم واحداً كان أو أكثر على [كل] حال، ولا يجوز أن يكون الرجل حاكماً على نفسه وقائماً عليها بالحدود، ولم يقل أحد البتّة أن من الحكم والحاكم بدّاً، ولكنهم اختلفوا في جهاتهم ومعانيهم وقالوا: وأي ذلك كان من إقامة الواحد والإثنين أو أكثر من ذلك، فعلى الناس الكفّ عن محارمهم وترك الأصل والتناجي فيما بينهم والتخاذل عند الحادثة تنوّبهم من عدوّ يدهمهم من غيرهم أو خاربٍ يخيف سبّهم من أهل دعوتهم، وعليهم فيما شجر بينهم إعطاء النصفّة من أنفسهم بالغاً ما بلغ في عسر الأمر ويسره»⁽¹⁾

يواجهنا في هذا الملفوظ عدد من الموجهات المتباينة في تصنيفها النحوي، فهناك صيغة "لا بد" التي تمثل نفياً معوجماً،⁽²⁾ والفعل الجهي "يجوز" المقترن بالنفي، والفعل الجهي "قال" متبوعاً بالموجه التقديري "البتة"، وأخيراً الموجهان "على" و"عليهم"؛ وهما اسماً فعل أمر. سنخصّص بالتحليل صيغة النفي المعوجة "لا بد"،

(1) - كتاب استحقاق الإمامة، ضمن الرسائل الكلامية، ص 187

(2) - تعرف العوجمة Lexicalisation في قاموس ديويو بأنها "المسار الذي يتم من خلاله تحويل سلسلة من المورفيمات (مشجر تركيبية) إلى وحدة معجمية. وهي بذلك تمثل مساراً لـ "إزالة النحوية"، أو إجراء لتغليب المعجمي على النحوي، فالمفردات المكونة لمشجر تركيبية ما لا تعود قابلة للتحليل إلى أجزاء، من منظور الاستعمال اللغوي اليومي"

(Dubois. Jean & autres :Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, p277)

ومن ذلك عوجمة النفي في اللغة العربية، في عبارات نحو: لا بد، لاغرو، لامناص، لا أحد... الخ

والفعل الجهي "قال" متبوعاً بالموجه التقديري "البتة"، ونستغني عن تناول الموجّهات الأخرى لتشابهها مع الموجه "لا ينبغي" الذي تقدّم التطبيق عليه.

تنتمي صيغة "لا بد" إلى صنف الموجّهات المنطقية التي تفيد الإلزام والضرورة، وتقوم في هذا الملفوظ بإقحام صوت يهيمن على التلفظ السابق وينسخه، وييدي حياله موقفاً صارماً يتجلى في استحضار مرجعية ذات سلطة، يفترض أن يدعن لها الجميع.

نتصور العلاقة التي أنشأها الموجه "لا بد" على النحو التالي⁽¹⁾:

ـ التلفظ السابق: لا ضرورة للحاكم واحداً كان أو أكثر

ـ التلفظ اللاحق: لا بد من حاكم واحد أو أكثر

بإعمال آلية الافتراض المسبق في تحليل الملفوظين في التلفظ السابق واللاحق، نكشف عن وجود قولين مضمّرين فيهما؛ في التلفظ السابق المتضمن للنفي، يستنفر النفي وجهة نظر ثاوية، يعبر عنها بالإثبات الذي جاء النفي لدحضه، ونقدّره بـ: هناك ضرورة للحاكم واحداً أو أكثر، وفي التلفظ اللاحق تحرك صيغة "لا بد" وجهة نظر ثاوية ليست سوى الملفوظ المتضمن في الملفوظ اللاحق، وهو: لا ضرورة للحاكم واحداً كان أو أكثر، لكن نزوع المتكلم/ المتلفظ المسؤول عن التلفظ اللاحق، الذي وصفناه بالمهيمن، يتزع إلى حسم الجدل في المسألة بواسطة الموجه "لا بد" متبوعاً ومدعماً بشبه الجملة المتعلقة به "على كل حال".

(1) - نعتد في هذا التحليل على نموذج ر. فيون في تحليل الموجّهات الذي سبق التعرض له في: ص 190

يستوقفنا كما تقدّمت الإشارة إليه فعل "قال" الذي لا يكون جهياً في كل استعمالاته، فهولا يفيد التوجيه إلا إذا دل على معاني محددة كالاتقاد والظن والرأي، وهي المعاني التي تتلاءم مع التعبير عن الموقف تجاه التلفظ أو الملفوظ،⁽¹⁾ وهي الحالة التي يمثلها الملفوظ: "ولم يقل أحد البتة أن من الحكم والحاكم بدا" تمثل الاستعمال الجهي للفعل "قال".

يرد الفعل الجهي "قال" مقترنا بالنفي، مما يقوّي دلالته التوجيهية، فتسلّط النفي على الفعل "قال" يعني تسلّطه على الجملة كلّها، ويعرف هذا بالنفي الكلي، أو نفي الجملة، وهو النفي الذي يرجح التأويل الجدلي الأصواتي، وإذا أضيف إلى النفي الجدلي فعل جهي تأكّد بصورة قطعية الطابع الجدلي للملفوظ، وكونه متعدد الأصوات.

يستنفر الواسم الأصواتي المزدوج هنا "لم" و"يقول" صوتين متعارضين، الصوت الأول هو صوت المتكلم/ المتلفظ متماهيا مع صوت الجماعة "الأمة" أو "الإجماع" الذي أحال إليه باللفظ "أحد" الذي لا يرد في صورته هذه إلا منفيا، إذ لا نقول: قال أحد، بل نقول: قال أحد الناس، ويسند إلى هذا الصوت ق1: "لا بد من الحاكم"، أما الصوت الثاني فهو صوت غير معيّن في الملفوظ، وربما أحال إلى الرأي الشاذ في مسألة نصب الإمام، وإليه يسند ق2 وهو قول مضمّر، نتوصل إليه بواسطة الافتراض المسبق، ونصه: "لا ضرورة للحاكم".

(1)- يكون الفعل "قال" جهيا عندما يرادف في دلالته "اعتقد"، و"رأى"، و"ظن"

كانت هذه أمثلة عن الموجّهات في رسائل الجاحظ،⁽¹⁾ وهي نزر قليل مما تنطوي عليه هذه المدونة من الموجّهات التي يتوسلها كاتب الرسائل كثيرا للتعبير عن موقفه من الآراء والطروحات التي تأتي محمولة في طوايا أقوال الآخرين التي يستحضرها الجاحظ، وهو يحاور بعضهم حوارا هادئا، أو يجادل بعضهم الآخر جدالا لا مهادنة فيه.

(1)- من الموجّهات الكثيرة التي يستعملها الجاحظ : زعم، صحة قولي الواردة في رسالة الرد على النصارى في قوله : "رحمك الله ووجه آخر يعرفون به صحة قولي وأنت تعلم أن العرب حين زعمت أن الملائكة بنات الله كيف استعظم الله تعالى ذلك وأكبره، وغضب على أهل " ضمن الرسائل الكلامية، ش وت علي بوملحم، ص : 271

الفصل الثالث

التحليل الأصواتي النصي

E الإحاليات واشتغالها أصواتيا

E مستوى التنظيم النصي وإدراج الأصوات

E الواسمات الأصواتية ووجهات النظر التفاعلية

E استعادة وجهات النظر واستباقها

توطئة:

بعد إنجازنا للتحليل الأصواتي على المستوى اللساني، والذي قمنا فيه بفحص اشتغال الواسمات الأصواتية على مستوى الملفوظ /الجملة، ننتقل في هذا الفصل إلى المستوى التالي في التحليل، وهو المستوى النصي لنحاول تبين اشتغال الواسمات الأصواتية منفردة أو مجتمعة في وحدة لغوية أكبر من الجملة، أي على مستوى المقاطع النصية، أو النصوص بكليتها.

وسنستعين في هذا المستوى من التحليل بمفاهيم متعددة، منها ما سبق لنا تقديمه نظريا في القسم النظري من البحث، واستعادته في الفصل التطبيقي السابق، كمفاهيم المتصلة بآليات التحليل اللساني من نفي، واستفهام، وروابط، وعوامل حجاجية، وموجهات، أو تلك المتصلة بالجهاز المفاهيمي للتحليل الأصواتي، كالتشكيل الأصواتي، والمتكلم، والمتلفظ، ووجهات النظر، وغيرها؛ ومفاهيم جديدة لم نعرض لها سابقا، واستدعى التحليل التطبيقي الاستعانة بها، وضمّنها لعدة التحليل التي نواجه بها مهمات الدراسة الأصواتية لمدونة الرسائل، كمفاهيم وجهات النظر التفاعلية، والاستعادة، والاستباق، والمقاطع الأصواتية، وغيرها. (1)

(1) - لتعذر التحليل الأصواتي للنصوص المطولة، تفضل المدرسة السكندنافية (Scapoline) اعتماد مفهوم المقطع الصوتي Passage polyphonique الذي "يمثل نوعا من العالم المغلق المكون ذاتيا من شبكة علاقات أصواتية (...). فهو قد يتناسب مع جملة بسيطة، أو جملة مركبة، أو عدد محدود من الجمل حسب الحالات". ينظر:

وقد أقمنا تصورنا لخطة التحليل في هذا الفصل على تدرّج نتناول عبره

العناصر التالية :

بدأنا بالتنظيم النصي ومدى تأثيره بظاهرة إدراج الأصوات التي تعد واحدا من إكراهات المقامات الترسلية لنصوص الرسائل، ونعني بذلك تحديدا أن الجاحظ توّسل الرسالة لممارسة كتابة الردود السجالية، ونقل مقالات الفرق وطروحاتهم الدينية والسياسية، والخوض في موضوعات اجتماعية كانت تشغل بال النخب في عصره.

و أعقبنا ذلك في مبحث ثان بفحص اشتغال الواسمات الأصواتية

Marqueurs polyphoniques على مستوى المقاطع النصية

Séquences textuelles، انطلاقا من افتراض أصبح معروفا في التحليل

النصي، وهو أن الروابط والعوامل الحجاجية وغيرها من الواسمات الأصواتية

تؤدي دورا حاسما في اتساق النص وانسجامه،⁽¹⁾ زيادة على وظيفتها النحوية

التركيبية على مستوى الجملة، وهو ما تختص بدراسته لسانيات الجملة التي لا

(Nølke. Henning ; Fløttum. Kjersti et Norén. Coco. 2004: Scapoline. La théorie scandinave de la polyphonie linguistique. Paris :Kimé.,p101-103)

(1)- تتجه جل البحوث في لسانيات النص و تحليل الخطاب إلى اعتبار الاتساق **Cohésion** ظاهرة لسانية

صرف تنتج عن استخدام "الوسائل اللسانية الرابطة بين عناصر الجمل و بين الجمل"، و تميزها من الانسجام

Cohérence الذي لا يتحقق إلا باستحضار عناصر تاويلية موجودة في السياق المقامي والمعرفة الخلفية

(ينظر: معجم تحليل الخطاب، ص100-101)

تعنى إلا بدراسة الجمل في حالة استقلالها وتترك للسانيات النص الاشتغال على المقاطع النصية الأكبر حجما، وعلى النصوص.

وخلصنا من معالجة قضايا التنظيم النصي، وما يتصل بها من تحديد مستويات التلفظ، و كفالة الملفوظات، وموقع المتكلم (كاتب الرسالة) من وجهات النظر التي يستنفرها التعدد الصوتي على المستوى النصي، ودور الواسمات الأصواتية النصية في إنشاء الظواهر الأصواتية المتمثلة أساسا في وجهات النظر المتضادة في حالة التركيب الاحتوائي (وجهات النظر التفاعلية Points de vue dynamiques)؛ انتهينا من ذلك إلى فحص ظاهرة أصواتية نصية خاصة تفرزها الواسمات الأصواتية على المستوى النصي، وهي ظاهرة استعادة وجهات النظر Reprise de points de vue، أو استباقها Anticipation de points de vue في مواضع معينة من فضاء النص.

1- الإحاليات واشتغالها أصواتيا

لا تقلّ الإحاليات أهمية في التحليل التداولي الأصواتي عن الواسمات الأصواتية التي تقدّم الحديث عنها في هذا الفصل، وما يميزها عن هذه الواسمات في المنظور الأصواتي هو أنها واسم يشتغل على المستوى النصي الخطابي، زيادة على اشتغاله في المستوى اللساني الجملي، كما هو الحال في النفي والاستفهام والروابط الحجاجية والموجّهات. فمن وجهة النظر النصية البحتة تؤدي دورا أساسيا في اتساق النص وانسجامه، وعلى المستوى الأصواتي تكون آلية نصية لإدراج وجهات النظر المختلفة، عبر إسنادها إلى الأصوات التي يستحضرها المتكلم في خطابه.

تُقابل الإحاليات غالبا تضاديا مع الإشاريات، حيث يُعرّف الإحالي بأنه يُرجع إلى السياق اللغوي، بينما يُرجع العنصر الإشاري إلى السياق المقامي، أي إلى المعطيات المدركة المتوافرة في سياق التواصل.⁽¹⁾ ولاشتراكهما في وظيفة الإحالة والإرجاع، ولكونهما عناصر لغوية واحدة تؤدي وظيفتين مختلفتين أحيانا، فقد اختلف اللسانيون كثيرا في تعريفهما، وتمييزهما، تبعا للمناظير التي يعتمدونها، ولحقول البحث التي يشتغلون فيها.

(1)-Reichler-Beguelin.Marie-José: Anaphore ,cataphore et mémoire discursive, PRATIQUES N° 57, Mars 1988 , p 20

؛وينظر أيضا: الزناد. الأزهر: نسيج النص، البحث في ما يكون الملفوظ نصا ، ط1 المركز الثقافي العربي. الدر

البيضاء، بيروت1993ص116

يورد الزناد التعريف التالي للإحاليات: "تطلق تسمية "العناصر الإحالية" على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر"⁽¹⁾، ويتضح من نص التعريف أن صاحبه يستبعد الإحاليات المقامية، ويقتصر على الإحاليات النصية، وتستدعي ضرورة التمييز بين الإحاليات وغيرها من العناصر اللغوية التي تشترك معها في وظيفة الإحالة، أن نعرض مثالا عن التعاريف الموسّعة للإحالة.

يعرف المتوكل الإحالة، معتمدا على اللساني النصي فان ديك, Van Dijk, Teun بقوله: «الإحالة علاقة تقوم بين الخطاب وما يحيل عليه الخطاب إن في الواقع أو في المتخيل أو في خطاب سابق/لاحق».⁽²⁾ يُظهر هذا التعريف الالتباس الحاصل في تمييز الإحاليات من العناصر اللغوية الإشارية الأخرى، وهو ما حاول ج. يول (G. Yule) أن يتجاوزه عندما اعتبرها تفرّعا أو اشتقاقا من الإشارات، وأنها لا تعدو أن تكون مختصة بوظيفة مواصلة الإشارة، إذ أننا «في معظم أحاديثنا وكتاباتنا، علينا أن نتابع ملاحظة ما نتحدث عنه لأكثر من جملة في الوقت الواحد، فبعد التعريف الابتدائي لكيان ما، سيستعمل المتكلم تعابير مختلفة

(1) _ الزناد. الأزهر: مرجع سابق ص118

(2) _ المتوكل. أحمد: الخطاب وخصائص اللغة العربية ص73

لمواصلة الإشارة»⁽¹⁾ فتكون الإحاليات عندئذ إشارات إلى الإشارات الأصلية التي تحيل إلى خارج النص.

ويطرح تصنيف الإحاليات ما يطرحه تعريفها من الإشكالات، فتتعدد التصنيفات وتباين كما تعددت التعريفات وتباينت، بيد أن أكثر التصنيفات شهرة ووضوحاً، هو تصنيف هاليداي و حسن (Halliday & Hasan) اللذين يقسمانه إلى قسمين: إحالة مقامية، وإحالة نصية، وتتفرع الثانية إلى قبلية وبعدية.⁽²⁾ ويقترب من هذا التصنيف ما يقترحه الزناد في كتابه "نسيج النص، البحث في ما يكون الملفوظ نصاً"، فيتحدث عن ثلاثة أقسام كبرى، قسماً يرجعان إلى النص، وقسم ثالث إلى خارج النص، وهذه الأقسام هي:

إحالة داخل النص، وإحالة خارج النص، وإحالة نصية، فتكون الإحالة داخل النص «إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، سابقة كانت أو لاحقة» وتسمى الإحالة على السابق إحالة على السابق، أو إحالة بالعودة،⁽³⁾ أو عائداً قبلية، أو الإحالة الرجعية، أو الإحالة العودية،⁽⁴⁾ «وهي تعود

(1) - يول. جورج: مرجع سابق ص46

(2) - خطابي. محمد: لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت. 1991. ص17

(3) - الزناد. الأزهر: مرجع سابق، ص118

(4) - هي ترجمات للمصطلح الأجنبي "Anaphore"،: العائد القبلي(ب.ب. شارودو و د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص47)، أو الإحالة الرجعية، أو الإحالة العودية(الخطاب وخصائص اللغة العربية-دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، ص86-87)

على "مفسر" سبق التلفظ به»⁽¹⁾، و تسمى الإحالة على اللاحق، أو العائد البعدي، أو الإحالة التقديمية، أو الاستباقية،⁽²⁾ وتعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها.⁽³⁾

ويقابل الإحالة داخل النص الإحالة على ما هو خارجه أو خارج اللغة، وتمثل العناصر الإحالية المدرجة في هذا الصنف في العناصر اللغوية التي تحيل «إلى عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي» كإحالة ضمير المتكلم على ذات صاحبه، أو إحالة عنصر لغوي (اسم الإشارة مثلاً) إلى المقام ذاته،⁽⁴⁾ ويلحق بالصنف الأول "الإحالة على داخل النص" ما يعرف بالإحالة النصية، وتختص بالعناصر المعجمية التي تحيل «على مقطع من الملفوظ أو النص؛ وتؤديها ألفاظ من قبيل: "قصة"، "خبر"، "رأي"، "فعل"». ⁽⁵⁾ ولا يكشف الزناد، وهو يقدم هذا التصنيف عن مصدره، وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل عما دعاه إلى جعل الإحالة النصية صنفين، لا صنفاً واحداً دون مبرر واضح.

(1)- الزناد. الأزهر: مرجع سابق، ص118

(2) _ هي ترجمات للمصطلح الأجنبي cataphore : العائد البعدي(ب. شارودو و د. مانغونو :معجم تحليل الخطاب، ص95)،، أو الإحالة التقديمية، أو استباقية(الخطاب وخصائص اللغة العربية-دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، ص86-87)

(3) _ الزناد. الأزهر: مرجع سابق، ص118-119

(4) _ نفسه، ص119

(5) _ نفسه، ص ن

والذي يهمننا في هذا البحث من أصناف الإحاليات، هوبطبيعة الحال الإحاليات النصية، أي تلك الموسومة لغويا في نسيج النص، وهذا النوع من الإحاليات يشمل عناصر لغوية متعددة ومتنوعة، تتمثل في الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة كما يرى هاليداي وحسن (Halliday & hasan)⁽¹⁾ أو هذه العناصر مضافا إليها العائد المعجمي (ملنار Milner)، العائد الرباطي (شارول Charolles)، و(كليبر Kleiber)، العائد الرديفي.⁽²⁾

تتمنا هذه العناصر الإحالية باعتبارها واسمات تداولية أصواتية في التحليل الذي سنقوم به للمدونة في المستوى النصي، ذلك أن المجمع عليه بين اللسانيين التداوليين أو النصيين، أو محلي الخطاب أن هذه العناصر «أدخل في باب التداول منها في الدلالة إذ أنها ترتبط بالمقام وتحديدًا بالمعلومات التي يفترض المتكلم وجودها لدى المخاطب عن المحال عليه حين عملية التواصل». ⁽³⁾ فهي وفقا لهذا المنظور ليست مستقلة بذاتها في بناء دلالتها من خلال الإرجاع إلى الواقع أو العالم، إذ لا بد لنا من الرجوع إلى ما تحيل إليه في النص، من أجل تأويلها.⁽⁴⁾

هذا البعد التداولي للإحاليات هو الذي يؤهلها لتكون آلية نصية أصواتية بامتياز، تضطلع من خلال التفاعل مع السياق النصي باستعادة وجهات النظر،

(1) - خطاي. محمد : مرجع سابق، ص 17

(2) - ب. شارودو و د. مانغونو :معجم تحليل الخطاب، ص 50-51

(3) _ المتوكل. أحمد :الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص 74

(4) _ خطاي. محمد : مرجع سابق، ص 17

أواستباقها، لا سيما في الخطابات ذات الحمولة الحجاجية المكثفة. فالإحاليات تؤثر غالباً على وجود وجهات نظر تفاعلية في سياق الملفوظات المنفية، من خلال إحالتها إلى إحدى وجهتي النظر المحمولتين في الملفوظ المنفي.⁽¹⁾

وهكذا يتبين لنا أن الواسمات الأصواتية هي آليات تقوم بإيجاد مستويات مترتبة من وجهات النظر، ومن جملة هذه الواسمات - كما رأينا - أدوات النفي والاستفهام، والروابط الحجاجية، والموجّهات، والإحاليات، وهي ما يصطلح على تسميته الواسمات اللغوية اللسانية والنصية.

يوازي هذه الواسمات في التحليل الأصواتي نوع آخر لا يقل أهمية، هو

الواسمات الخطابية، أو بين الخطابية، **Marqueurs interdiscursifs**، وتمثل في ظواهر بين-خطابية، مثل : الخطاب المستحضر، والأمثال، والمشهورات، والافتراضات المسبقة، وهي الظواهر التي سنعرض للتعريف النظري بها والتطبيق عليها في الفصل التالي.

غير أن هذا الفرز الذي أشرنا إليه فيما يتصل بتصنيف الواسمات الأصواتية إلى لسانية و نصية و خطابية، لا يعني بأي حال من الأحوال أن كل صنف منها يشتغل بمعزل عن الأصناف الأخرى، فعلى المستوى النصي تؤدي الروابط الحجاجية _ وهي واسمات لسانية حسب التصنيف المعتمد لدينا _ دوراً على

(1) _Roitman. Malin: op. cit, p94

المستوى الجملي يتداخل، عندما تنتقل إلى التحليل النصي، مع دور آخر على هذا المستوى الثاني، وهكذا مع باقي الواسمات الأصواتية.

2) مستوى التنظيم النصي وإدراج الأصوات

ينبغي من منظور تداولي ونصي - حسب ج.م. أدام (J-M.Adam) - أن

نمّيز في البنية الشكلية لكل نص رسائلي المخطط النصي القاعدي التالي:

صدر أو افتتاح *Ouverture* ، مخاطبة استهلاكية *Exorde* ، متن أو جسم الرسالة

Corps de la lettre ، تخلص *Péroraison* ، خاتمة أو اختتام *Clôture*. (1)

والملاحظة التي يمكننا أن نبديها حول هذا المخطط هو أن التقليد العربي،

كما يتجلى في نصوص الرسائل التي وصلتنا يهمل في الغالب الأعم ذكر المكان

والزمان، رغم ما تضمنته بعض الرسائل من الإشارة إليه والمؤاخذه على

تركه. (2) ويعلل صالح بن رمضان ذلك بقوله: «إلا أن التخاطب الثنائي حمل

الكتاب في رسائل كثيرة على إهمال هذا العنصر، إذ كانوا يعولون على معرفة

المخاطب بمكان صدور الرسالة وزمنه فيكتفون باستعمال الإشارات المكانية

والزمانية من قبيل هنا وهناك، وهذا البلد أو الإشارة إلى أحداث ووقائع معينة

... الخ» (3)، والمفارقة هي أن التقليد الغربي كما يوضح أدام (J-M.Adam)

ذلك، يتسامح في القسمين (2) /المخاطبة الاستهلاكية و(4) / التخلص، مخالفاً

بذلك التقليد العربي الذي يبالغ في العناية بهما، لأنهما- في نظره- فضاءان

(1)-Adam. J-M: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives, p41-42

(2) - مثل الفضل بن الحباب الجمحي الذي لام إبراهيم الصولي على إغفاله ذكرهما، حين خاطبه: "وصل كتابك مبهم الألوان مظلم المكان، فأدى خبراً ما القرب فيه أولى من البعد" ينظر: صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص153

(3) - صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص153-154

خطايان انتقاليان (مقدمة للتهيئة، وتدحرج نحو الختام)، ويقعان بين لحظتي الابتداء والانتهاء من جهة وجسم الرسالة من جهة ثانية. وهما اختياريان لأنهما يؤديان وظيفة تنبيهية، أي تهيئة تلقّي التبادل بصيانة وجه الآخر (المخاطب) من خلال إدراج الموضوع والتمهيد له، ثم تلخيص الإقناع وإنهائه، عبر اللجوء إلى الإثارة الانفعالية (جرعات انفعالية تأثيرية) التي تهيئ للتفاعلات المستقبلية مع المرسل إليه. (1)

هذه الأقسام لا يلتزم بها كتاب الرسائل دائما- كما تقدّم بيانه - لاسيما في التقليد العربي القديم، وتحديدًا في موروث الرسائل الذي وصلنا، ومنه بطبيعة الحال رسائل الجاحظ، فهذه الرسائل تحمل ذكر الزمان والمكان في الافتتاح، وتبالغ في العناية بالمخاطبة الاستهلاكية والتخلص.

هذا عن نص الرسالة ككل، أما عن أهم قسم فيها وهو المتن (جسم الرسالة)، وهو الذي نقصده بالدراسة هنا، فهو- كما أسلفنا - القسم الأقل خضوعًا للتنميط، فليس بالمستطاع حصر خصائصه المائزة، ولا وصفها بالاطراد والثبات. ولذلك أسباب تتعلق أساسًا بتنوع المقامات التي ترتبط بها أنماط لا حصر لها من الرسائل، الأمر الذي يتولد عنه على المستوى التكويني طواعية

(1)-Adam. J-M : Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives.p42

جسم الرسالة لحمل مضامين متنوعة عبر تنويعات نصية تتناسب مع المكون المهيم والمقاطع التي يتركب منها. (1)

وقد عرفنا فيما تقدم أن رسائل الجاحظ ليست رسائل بالمعنى الدقيق والحصري للكلمة، وأنها - كما قال لانسون (G.Lanson) - نمط من الكتابة ليس لها من الرسالة إلا الاسم، (2) فهي كما تشهد بذلك جلّ الدراسات التي تناولتها نصوص حاملة لأنماط متنوعة من الخطابات الحجاجية التي تعرض للقضايا السياسية، والكلامية، والاجتماعية، متوسّلة تارة الرد على أطروحة، أو رأي، أو استعراض آراء خصمين اختصموا في قضية سياسية أو دينية أو كلامية، ينطق فيها الجاحظ أحيانا باسمه الخاص، وأحيانا باسم جماعته (المعتزلة)، وأحيانا أخرى يمحّي تلفظيا، ويترك المجال لمناظرة أو مفاخرة، يصطنع فيها دور المحايد... وهكذا.

هذه الخصائص التي أتينا على ذكرها مختصرة تجعل نصوص الرسائل الجاحظية نصوصا حوارية بامتياز، إذ أن خطاب الرسائل حوارية بطبيعته، فهو يفترض تفاعلا ثنائيا بين مرسل ومرسل إليه. زد على ذلك أن هذه الرسائل تغتنى بالخطابات المستحضرة لطوائف من المتحاورين المختلفي المشارب والرؤى والمعتقدات، والذين يقع الجاحظ منهم على بعد مسافات متباينة، أو يتماهى مع

(1)-Adam. J-M : Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives, p43

(2) - ينظر تفصيل ذلك في الفصل الأول، ص 102

بعضهم أنواعا مختلفة من التماهي. وهذا ما حملنا على مقارنة هذا الخطاب الجاحظي تداوليا في ضوء مفهوم التعدد الصوتي.

لتبيّن آثار التعدد الصوتي في التنظيم النصي للرسائل ككل، واعتمادا على الملاحظات التي تقدّم بيّانها حول خصائص الترسل العربي القديم، ونصوص مدونة الرسائل خصوصا، نبدأ مسار رصد تلك الآثار باقتراح البنية التلفظية الأصواتية النموذجية التالية للرسائل الجاحظية:

_ المستوى الأول للتلفظ:

الجاحظ (مرسل الرسالة) : الشخص الذي توجه إليه (متلقي الرسالة) /
الملفوظ (كل نص الرسالة)

_ المستوى الثاني للتلفظ:

أ) المتلفظ 1 : المتلفظ له 2 و3... ن / الملفوظ 1 (قد يكون خطاب المتكلم / كاتب الرسالة، وقد يكون خطاب متلفظ آخر)

ب) المتلفظ 2 : المتلفظ له 1 و3... ن / الملفوظ 2 (خطاب آخر 2 مسند إلى المتلفظ له 2) (1)

(1) - ينظر تفصيل ذلك في مبحث سابق، ص 49 وما بعدها

تشترك الرسائل كلها في وجود مرسل واحد حقيقي هو المتكلم كاتب الرسائل: الجاحظ، وهذا في المستوى التلفظي الأول، لكنها تختلف في المرسل إليهم الذين تُوجّه إليهم الرسائل، فبعضهم يسمّيهم الجاحظ في نص الرسائل، وبعضهم يغفله، وبعضهم يستحضر خطابه في الرسالة ويتفاعل معهم حوارياً، وبعضهم يضعه في موقف المتلقي الذي يشاهد تفاعل المتحاورين الذي يضعهم الجاحظ على الركب، ولا يشركه في الحوار. (1)

أما في المستوى التلفظي الثاني، فقد يكون المتكلم / كاتب الرسائل هو المتلفظ الذي يستأنف الكلام ويواصله، وقد ينسحب ويترك الركح ليظهر فيه متلفظ آخر أو أكثر. في الحالة الأولى يكون متن الرسالة نصاً أحادي الصوت Monological، وفي الحالة الثانية يكون تحاورياً (متعدد الأصوات) Dialogal، غير أن هذا لا يعني خلو النص الأحادي الصوت من الحوارية والتعدد الصوتي، وفقاً للتصور الباختيني، فكلا النمطين لا يخلوان من حضور أصوات أخرى إلى جانب صوت المتكلم، والفارق بينهما فارق في البنية الخارجية، أي في وجود أدوار للكلام في النص، بحيث يكون التلفظ مُسنداً إلى أكثر من متكلم، أو أن

(1) - تفيدنا تعليقات محققي الرسائل و ملاحظاتهم في معرفة ذلك بالتفصيل عندما تدعو الضرورة إلى ذلك لاحقاً.

يكون متكلمًا واحدًا مسؤولًا عن التلفظ، ويقوم داخل الملفوظ الذي ينجزه باستحضار متلفظين آخرين. (1)

عند التطبيق على مدونة الرسائل الجاحظية، يمكننا التمثيل لهذين الصنفين بالرسائل التالية:

— رسالة الترييع والتدوير : نص أحادي الصوت يتوجه فيه كاتب الرسائل بالخطاب إلى مخاطب معين هو محمد بن عبد الوهاب من بداية الرسالة إلى نهايتها، ويخلو هذا النص من إسناد التلفظ إلى متكلم آخر مسؤول عن تلفظه الخاص، المتميز نصيا عن نص تلفظ المتكلم كاتب الرسائل.

تبدأ هذه الرسالة بـ: « كان أحمد بن عبد الوهاب مفطر القصر وهو يدعي أنه مفطر الطول... » (2)

ويستأنف المتكلم / كاتب الرسائل كلامه بمخاطبة أحمد بن عبد الوهاب مباشرة بقوله: « بسم الله الرحمن الرحيم: أطل الله بقاءك... » (3)

(1) -Bres. Jacques et Nowakowska. Aleksandra: Dis-moi avec qui tu«dialogues», je te dirai qui tu es ...De la pertinence de la notion de dialogisme pour l'analyse du discours ,in Marges linguistiques - Numéro 9, Mai 2005 - M.L, M.S, éditeur <http://www.marges-linguistiques.com-13250> Saint-Chamas (France),p2-3

؛ وينظر أيضا، للتفصيل في الفرق بين الحوار والتحواري : ب. شارودو و د. مانغونو :معجم تحليل الخطاب، ص170 وما بعدها

(2) - ضمن الرسائل الأدبية، ص431

(3) - ضمن الرسائل الأدبية، ص ن

وتأتي بعد ذلك مقاطع تتضمن الأسئلة التعجيزية التي يوجهها الجاحظ إلى مهجوّه، والتي يبدأها غالبا بفعل الأمر "خبرني" دون أن يتيح لمخاطبه أن ينطق نطقا صريحا، كما هي عادة الجاحظ في استضافة خصومه ومناظره في رحاب نصوصه، اللهم إلا إذا كان الاستحضر عن طريق الضميات والافتراضات المسبقة.

ويندرج ضمن هذا القسم رسائل كثيرة مما يصنف في الرسائل الأدبية، مثل: رسالة طبقات المغنين، ورسالة المعلمين، ورسالة كتمان السر وحفظ اللسان... إلخ؛ والرسائل الكلامية، مثل: صناعة الكلام، ورسالة المسائل و الجوابات في المعرفة، ورسالة حجج النبوة، ورسالة استحقاق الإمامة... إلخ

_ رسالة العثمانية: متن هذه الرسالة نص تحاوري (متعدد الأصوات)، فبعد افتتاح موجز، ينسحب المتكلم كاتب الرسائل، بعد أن يضع على الركح متكلمين يتحدثان بضمير الجماعة، ويتناوبان على أخذ أدوار الكلام في سلسلة من المقاطع التي تفصلها كلمتا: "قالوا" و"قلنا"؛ قالوا تعلن بداية الكلام الذي يسند إلى الشيع أتباع علي(ض)، و"قلنا" تؤشر لبداية رد العثمانية أتباع أبي بكر وعثمان (ض).

تبدأ هذه الرسالة بـ: «ثم إنا مخبرون عن مقالة العثمانية، وبالله نستهدي

وإياه نستعين، وعليه نتوكل، وما توفيقنا إلا به» (1)

ويستأنف المتكلم / كاتب الرسائل كلامه، مقتصرًا على إسناد أدوار

الكلام بالصورة التالية:

قالت العثمانية:....، (خطاب مستحضر مسند إلى العثمانية)

وقالوا ".....:، (خطاب مستحضر مسند إلى الشيعة)

قلنا: ...، (خطاب مستحضر مسند إلى العثمانية) (2) ...

وهكذا حتى نهاية الرسالة التي يختتمها الجاحظ في أقل من صفحة بقوله

: «هذا جمل جوابات العثمانية بجمل مسائل الرافضة والزيدية، ولولا أن فيما

قدمنا غنى عما أحرنا لقد فسرنا كما أجملنا...» (3)

عرضنا فيما تقدم لآثار الحوارية والتعدد الصوتي على التنظيم النصي العام

للنص، وفيما يلي نحاول أن نبرز تلك الآثار على مستوى المقاطع الصوتية، من

(1) - رسالة العثمانية، ضمن الرسائل السياسية ص 127

(2) - نص الرسالة طويل، ويقع في 200 صفحة، لذلك تتكرر صيغة إدراج الأصوات بواسطة الفعل "قال"،

وتتنوع بين: قالت العثمانية، قالوا، قالت الشيع، فإن قالوا، قلتهم، قلنا... الخ

(3) - رسالة العثمانية، ص 327

خلال التعرض لصيغ إدراج الأصوات على مستوى هذه المقاطع، التي يسميها محللو التعداد الصوتي بالمقاطع الأصواتية.⁽¹⁾

لإنجاز هذا التطبيق اخترنا نموذجاً مقتطفاً من رسالة "الحكمين وتصويب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب":

«قلت لك إني قد سمعتُ من هذا روايات ورويتُ فيه أشعاراً وسمعتُ من الناس فيه خوفاً كثيراً، وسأقيمُك على الواضحة وأقف لك على الجادة، بل على العلم العظيم والمنهج الفسيح إن شاء الله؛ وخيرُ الأقاويل بل أعدلها وأرضها عند الله أقصدها، ولذلك اخترنا الاعتزال مذهبا وجعلناه نحلة و مفخرا؛ وسنقدم قبل القول في هذه المسألة قولاً، فافهمه، قالت الجهمية: "لا نقول إن الله معنى ولا نقول إنه شيء، ومتى أضفنا إليه شيئاً فمتى نحن أضفناه إليه فذلك الشيء فعل من أفعاله، كذلك سمعه وبصره وعلمه وقدرته"، وقالت الرافضة: "هو جسم فضلا عن أن نقول إنه شيء"؛ وقالت المعتزلة: "هو شيء وليس كمثلته شيء، وليس بجسم وليس علمه بفعل ولا صنع، وإنما قولنا: له علم، كقولنا: هو عالم، نريد أنه لا يخفى عليه خافية".

وقالت المرجئة: "القاذف مؤمن"، وقالت الخوارج: "القاذف كافر"، وقال بعضهم: مشرك؛ وقالت البكرية: "بل هو أسوأ حالا من المشرك، والمنافق

(1)- ينظر تعريفها في هامش سابق من هذا الفصل، ص 189

أشدّ عذاباً من الكافر"؛ وقالت المعتزلة: "هو فاسق كما سمّاه نصّاً ولا نسّميه كافراً فيلزمنا أن نُلزِمه أحكام الكفار وليس ذلك حكمه، ولا نقول: مؤمن، فيلزمنا ولايته ومدحه وإيجاب الثواب له، وقد أخبرنا الله تعالى أنه مشؤوم من أهل النار، فترعم أنه في النار مع الكافر وأنه لا يجوز أن يكون في الجنة مع المؤمن".

وقالت الخوارج في قتال الفئة الباغية: "نسير فيها بالإكفار وبالسيي والغنائم و بالتباع المدبر والإجهاز على الجريح"، وقالت المرجئة: "لا قتال"، وقالت المعتزلة بالقول المرضي وهو إيجاب القتل على جهة الدفع لا على القصد إلى القتال ولا على السيي ولا على الإجهاز على الجرحى ولا على استحلال الأموال، فلم نفرط إفراط الخوارج ولم نقصر تقصير المرجئة، ودين الله بين المقصر والغالي، وهذا الاشتقاق، وهو التوسّط والاقتصاد، هو الاعتزال لغلو من غلا وتقصير من قصر؛ والأصل الذي نبني عليها أمورنا فيمن ليس عندنا كعلي وسابقته وأرومته وكامل خصاله بل في أدنى رجل من أوليائنا، أنّا متى وجدنا له عملاً يحمّل الخطأ والصواب لم يكن لنا أن نجعل عمله خطأ، حتى يعيننا فيه وجه الصواب، وليس لنا بعد أن قضينا بأنه خطأ أن نقضي بأنه خطيئة حتى يعيننا [القدر]^(*) بأنه سليم من طريق المآثم، فإن قضينا بأنه إثم فليس لنا أن نقضي بأنه

(*) - [القدر] هكذا في نص الرسالة في "رسائل الجاحظ، الرسائل السياسية، ش وت علي بوملحم" و لعله خطأ مطبعي أو تصحيف في أصل الرسالة، والصواب كما نقدر حسب سياق الجملة (العذر). نشير إلى أن هذه الرسالة غير موجودة في مجموع الرسائل التي حققها عبد السلام هارون.

ضلال ونحن نجد لصرف الدفع عنه أنه ضلال إلى الإثم محتملا، وإن قضينا بأنه ضلال فليس لنا أن نقضي بأنه كفر إلا بعد ألا نجد من ذلك بدا، فيكون الحق أحق ما حكيم به وصبر عليه.

فمن كانت - حفظك الله - هذه سيرته وطريقته في أدنى أوليائه، فكيف تظنه في أرفع أوليائه؟ فهذا ما لا يحل لي أن أظنه بعلي بن أبي طالب؛ فإن كان عندك برهان واضح ودليل بين يكشف لنا عن الحال فيه حتى يتبين به أنه كان سببا من إراقة الدماء، فعلينا السمع واليقين والإقرار، وعليك البيان والإفهام بالدليل والحرص» (1)

تنوافر في هذا النموذج الخصائص التالية:

- المضمون الحجاجي الكثيف:

يندرج النموذج المنتقى للتحليل هنا ضمن الرسائل السياسية الحافلة بالجدل، بما يعنيه الجدل من عرض آراء الخصوم المختلفي الآراء، المتضادين في منطلقاتهم وأهدافهم، ومن ثم فإننا نسمع أصوات هؤلاء جميعا في ملفوظات هذا النموذج.

- تنوع أنماط الملفوظات التي تنطوي على تعدد الأصوات:

(1) - الجاحظ: رسالة الحكمين، ضمن الرسائل السياسية، ت وش علي بوملحم، ص: 380-381

تنوعت أنماط الملفوظات التي تنطوي على ظواهر التعدد الصوتي، فهناك إدراج للأصوات بواسطة صيغ لغوية صريحة، مثل: قال، قالوا، قالت، قلنا، نقول، وبعدها مقول القول؛ وكذلك صيغ تفيد النقل عن متلفظ آخر، مثل: كما سماه... أخبرنا. كما ينطوي النص على صيغ صرفية أخرى تؤدي هذه الوظيفة، بمراعاة السياق التلفظي، بمكوناته المختلفة، ولا سيما المخاطب بالرسالة، وأصناف المتلفظ إليهم في ثنايا الخطاب، والخلفية المعرفية المشتركة⁽¹⁾ لأطراف التواصل، ومن بين هذه الصيغ: أدوات النفي، الاستفهام، الشرط.

- غنى النموذج بالمؤشرات التداولية:

يغني النموذج بالمؤشرات التداولية التي تساعد على استحضار السياق التلفظي، مما يهيء لتأويله بصورة صحيحة، في إطار التحليل الأصواتي الحجاجي، الذي نحن بصدده، ومن ضمن هذه المؤشرات: وجود ملفوظات تتضمن خلاصة اعتقادات الفرق الإسلامية، تسمية هذه الفرق، إشارة النموذج إلى مستمع رئيسي للخطاب (متلقي الرسالة) بواسطة ضمير المخاطب، وإسناد الدعوى المعارض عليها إليه، وفي هذا ما يكشف عن صنف الخطاب، الجمع بين الديني والسياسي... إلخ

(1) -الخلفية المعرفية المشتركة و تسمى أيضا الأطر و المدونات و الخطاطات و هذه المصطلحات -كما يرى يراون و يول- ليست "نظريات متنافسة"، لأنها تهدف كلها إلى وصف الكيفية التي تنظم بها معرفة العالم في ذاكرة الإنسان، ثم كيف تنشط هذه المعرفة في عملية فهم الخطاب "خطابي". محمد: مرجع سابق، ص 62-63

هذه الخصائص تمنح النموذج المختار مصداقية السند المعتمد في هذا المستوى من البحث، أي مستوى دراسة ظاهرة تعدد الأصوات في رسائل الجاحظ نصياً، وسننحو في التطبيق عليه المنحى التالي:

- عناصر الوضعية التلفظية/ مستويات التخاطب

- تحليل الملفوظات حسب صيغة الإدراج

- فعل الحجاج وتعدد الأصوات في النموذج

عناصر الوضعية التلفظية⁽¹⁾ / مستويات التخاطب:

تبيننا فيما سبق أن دراسة الخطاب من منظور المقاربة التداولية الأصواتية يكشف عن تعدد في مستويات التخاطب، فليس الخطاب/ الملفوظ مهما كان حجمه مرهونا بواحدة المتكلم الناطق به، ولا بواحدة المسمتع المنطوق له، قد يكون الخطاب/ الملفوظ موجّهاً إلى شخص واحد باعتبار دور معيّن يطلب منه

(1)- الوضعية التلفظية أو مقام التلفظ: هناك تداخل في استعمال هذا المصطلح مع مصطلحي مقام التواصل و مقام الخطاب . لذلك يجذب التمييز بينها يجعل الأول يميل على دلالات الواسمات اللغوية ذات القيمة الإشارية (الضمائر، ظروف المكان و الزمان)، و جعل الثاني (مقام التواصل) يميل "على المحيط الخارج = لغوي" ، بينما يخص الثالث (مقام الخطاب) للإحالة على "معطيات المعرفة الجارية بين الخطابات، و التي تحدد أقصى التحديد ذوات التبادل" (ينظر: معجم تحليل الخطاب، ص519-

أدائه كمتلقٍ، لكن ذلك لا يمنع من توجيه الخطاب من مرسله (المتكلم/ كاتب الرسالة)، أو من المتلفظين داخله إلى أكثر من مخاطب ومتلفظ له.

في النموذج الذي نحن بصدد التطبيق عليه تبدو الوضعية التلفظية كما يلي:

1- المستوى الأول للتلفظ:

- الجاحظ (مرسل النموذج=الرسالة) :الشخص الذي يرّد عليه (متلقي الرسالة)/ الملفوظ (كل النموذج = كل الرسالة)

2- المستوى الثاني للتلفظ:

- المتلفظ 1 :المتلفظ له 2 و3... ن/ الملفوظ 1 (قول الجهمية)

- المتلفظ 2 :المتلفظ له 1 و3... ن/ الملفوظ 2 (قول الرافضة)

وهكذا تتعدد الملفوظات بحسب من يُسند إليه التلفظ بواسطة صيغ الإدراج الصريحة، التي ذكرناها سابقاً، فضلاً عن الملفوظات التي تُدرج بواسطة صيغ أخرى ضمن الملفوظات المدرجة بواسطة الصيغ الصريحة، مثل: قال وأشباهها، أو التي ترد ضمن الملفوظ الذي يسنده المتكلم منشئ الخطاب إلى نفسه.

عن الصنف الأول، نقدم المثال التالي:

قالت الخوارج: " القاذف كافر "

الملفوظ " القاذف كافر " المكوّن من جملة إسمية ذات مبتدأ هو اللفظ " القاذف " ، وخبر هو "كافر" ، وبتأويل أصواتي حجاجي ينبغي أن نستنبط نتيجة أخرى (مدلولا آخر)، بإعمال قانون "الاقتضاء أو الافتراض المسبق"؛ هذه النتيجة هي: أن القاذف مؤمن، أو فاسق، وأن الجهمية والمعتزلة القائلان بذلك على خطأ. هذا الافتراض المسبق، هو أحد نوعي الكلام الضمني،⁽¹⁾ في حين نسمي القول الأول قبل التأويل الكلام الصريح. ويقوم الكلام الضمني على نفي الأحكام المخالفة لما تم إثباته في الكلام الصريح.⁽²⁾

وعن الصنف الثاني، أي الملفوظات المسندة إلى متلفظ مغاير للمتكلم الناطق بالكلام، نقدم المثال التالي:

فهذا ما لا يحل لي أن أظنه بعلي بن أبي طالب

(1)- تتباين و تتعدد ترجمات المصطلح **Implicite** في الترجمات و الدراسات العربية ، فمن الباحثين من يترجمها بـ "مضمّر" (ريتا خاطر في ترجمتها لكتاب ك.ك. أوركويوني: **L'implicite**) ومنهم من يترجمها بـ ضمني (حمادي صمود وعبد القادر المهيري في ترجمتهما لمؤلف ب. شارودو ود. مانغونو : **Dictionnaire (d'analyse du discours**

(2) – Mainguenu. D :Les mots clés du discours, p 68

ما يقوله المتكلم، أي ما ينطق به غير ما يتلفظ به وفقا لمقاربة تعدد الأصوات، لأن ما يقوله يُسند على الأقل إلى متلفظين يتحملان مسؤولية قولين متعارضين هما:

- ق 1 أعدم الظن بعلي بن أبي طالب

- ق 2 أالظن بعلي بن أبي طالب

ق 2 تمثل الافتراض المسبق للحكم المتضمن في الملفوظ، والذي نستنبطه بتطبيق قاعدة النفي، فتبني الجاحظ ق 1 ساقه إليه معرفته المسبقة بـ ق 2، وهو ما حفز قوله وأكسبه قوته الحجاجية القائمة على استراتيجية النفي، وهي الاستراتيجية الشديدة الارتباط بظاهرة تعدد الأصوات، لأن الحكم الذي نفيه نستحضره في أقوالنا، ونشير ضمنا إلى المتلفظ به.

وعلى سبيل الخلاصة، نقول بأن الأصوات تتعدد وفقا لهذه الآليات اللغوية الأصواتية في الملفوظ، بقدر ما تحتاجه الوضعية التلفظية. وفي وضعية المجادلة أو المناظرة يكون الموقف التواصلي أحفل بالتفاعلات التحادثية من حيث إسناد الأقوال إلى أصحابها، والاعتراض عليها، ونفيها أو إثباتها، فقد رأينا في النموذج الذي استعرضناه تعددا بارزا للأصوات مكن من استحضار مقولات الفرق

الإسلامية المعروفة، وهي الجهمية والخوارج والرافضة والمعتزلة،⁽¹⁾ وهي المقولات التي نصّ عليها نصا، وأدرجت في الخطاب بواسطة صيغة صريحة، هي "قالت"، كما استحضر النموذج آي القرآن الكريم من خلال الإحالة بواسطة الصيغتين الإحاليّتين "كما سماه" و"أخبرنا الله"، و يضاف إلى هذا ما يُسنده الجاحظ إلى مناظره (الشخص الذي يردّ عليه) ضمن الملفوظات التي يتحدث فيها بضمير الجماعة "نحن" نيابة عن المعتزلة.

تحليل الملفوظات حسب صيغة الإدراج:

لئن كنا قد عرضنا في العنصر السابق لدور بعض الصيغ اللغوية في ظاهرة تعدد الأصوات، فإن ذلك تناول كان يخدم بالأساس تحليل مستويات التخاطب، ولم نستوف به التعرض للجوانب المتصلة بتصنيف الملفوظات وتمييزها باعتبار صيغة الإدراج التي اعتمدت في إلحاقها بجسم النص ككل.

تحدثنا عن صيغ ثلاث للإدراج؛ هي صيغ مقول القول، الوحدات اللغوية الدالة على الإحالة إلى متلفظ آخر، مثل أخبر... إلخ، و الروابط والعوامل الحجاجية المختلفة من شرط ونفي واستفهام والتي

(1) - سنعرض لتعيين مصادر الأصوات بواسطة هذا النوع من التسميات لاحقا في الفصل المخصص للتحليل الخطابي، تنظر: ص 278

يتم الإدراج فيها بواسطة مبدأ الافتراض المسبق⁽¹⁾، أي أن تلفظ الصوت الآخر لا يظهر على المستوى التركيبي والدلالي القاعدي، بل يظهر على المستوى الدلالي التداولي الذي يوفر لنا أدوات وموارد التأويل.

1 - الملفوظات المدرجة بواسطة صيغة مقول القول:

تتميز هذه الملفوظات من حيث دلالتها على تعدد الأصوات بوجود صيغة لغوية صريحة تدل على الانتقال إلى متلفظ آخر، ويظهر ذلك بوضوح في الخطابين الشفوي والكتابي، غير أنه في الخطاب الكتابي يدعم بعلامة التنصيص، وعزل الملفوظ المدرج بواسطة المعقوفين في حالة الخطاب المنقول المباشر، ودجمه في البنية التركيبية للجملة أو المقطع النص الذي يحمله في حالة الخطاب المنقول غير المباشر.

على المستوى التداولي لا يقع اللبس في نسبة الأحكام المتضمنة في هذا النوع من الملفوظات، فهي منسوبة بشكل صريح وقاطع إلى من تلفظ بها، بينما

(1) - يميز ديكرود بين المقتضى (الافتراض المسبق) **Présumé** والكلام المضمّن **Sous-entendu** باعتبارهما نوعان من الكلام المضمّر **Implicite**، بأن يقيّد الأول بالوسم اللغوي، ويربط الثاني أكثر بمعطيات السياق التواصلية. ففي المثال الأثير لديه: ألقع بيار عن التدخين، يكون المعطى **Le posé**: بيار لا يدخن حالياً، ويكون المقتضى (الافتراض المسبق) **Présumé**: بيار كان يدخن سابقاً (الوسم اللغوي يحمله الفعل "ألقع")، ويكون والكلام المضمّن **Sous-entendu**: افعل مثل بيار أيها الخائب (خطاب موجه إلى شخص آخر) ينظر:

يتحدد موقف المتلفظ الذي أدرجها لاحقاً، ولا يمكن بحال استنباط أي دلالة على موقفه في الملفوظ المنقول عن غيره.

على سبيل المثال: لو أخذنا من النموذج المقطع الخطابي التالي (قالت الجهمية: "لا نقول إن الله معنى ولا نقول إنه شيء، ومتى أضفنا إليه شيئاً فمتى نحن أضفناه إليه فذلك الشيء فعل من أفعاله، كذلك سمعه وبصره وعلمه وقدرته")، فإننا سنحصل على قولين:

ق1: قالت الجهمية / المتلفظ هو الجاحظ | المتلفظ له المخاطب

بالرسالة ككل

ق2: لا نقول إن الله معنى ولا نقول إنه شيء، ومتى أضفنا إليه شيئاً فمتى نحن أضفناه إليه فذلك الشيء فعل من أفعاله، كذلك سمعه وبصره وعلمه وقدرته / المتلفظ الجهمية | المتلفظ له عموم المسلمين، وخاصة أتباع الفرق الأخرى (الجاحظ ومخاطبه معنيان)

نلاحظ أن ق1 اقتصر على إعلان بداية التلفظ بالملفوظ ق2، وتحديد المتلفظ به (مؤشر سياقي)، وتضمن ق2 موقف الجهمية من صفات الله تعالى، وقد خلا الملفوظ من المؤشرات السياقية ما عدا ضمير الجماعة المتكلمين "نحن".

من الناحية التداولية عندما يُورد علينا رأي مُسند إلى شخص أو جماعة، واستنادا إلى ما نعرفه عن الموضوع وما نعتقد (المعرفة المرجعية المشتركة)⁽¹⁾ نأخذ في تقييمه لأجل تأكيده أو الاعتراض عليه. هذا ما سيتكفل به الجاحظ في ما تبقى من النموذج.

2- الملفوظات المدرجة بواسطة صيغ تفييد النقل والإحالة:

تصادفنا في النص حالتان ؛ الأولى في قوله: " هو فاسق كما سماه نصا"، والثانية في قوله: "وقد أخبرنا الله تعالى أنه مشؤوم من أهل النار"، والصيغتان المستخدمتان هنا للإدراج هما "كما سماه" في الملفوظ الأول، و"أخبرنا" في الملفوظ الثاني، وتحمل كلتاهما دلالة النقل عن متلفظ آخر، كما تعتبران من المؤشرات التداولية للخطاب.

نلاحظ على هذين الملفوظين أنهما جزءان من ملفوظ أكبر هو الملفوظ المكوّن من مقول القول المسند إلى المعتزلة، والمدرج بدوره في ملفوظ أكبر منه (النموذج ككل). ونصه كما يلي: وقالت المعتزلة: "هو فاسق كما سماه نصا ولا نسّميه كافرا فيلزمنا أن نلزمه أحكام الكفار وليس ذلك حكمه، ولا نقول: مؤمن، فيلزمنا ولايته ومدحه وإيجاب الثواب له، وقد أخبرنا الله تعالى أنه

(1)- هناك من يسميها الأطر والمدونات والخطاطات، وقد تم تطبيق تداخل الأطر وصراع الخطاطات في الأبحاث الأجنبية على النكت والألغاز والفكاهة. ينظر محمد مفتاح: دينامية النص ط2. المركز الثقافي العربي. بيروت - الدار البيضاء. 1990، ص47

مشؤوم من أهل النار، فترعم أنه في النار مع الكافر وأنه لا يجوز أن يكون في الجنة مع المؤمن".

ويتميز الملفوظان محل الدراسة هنا - خلافا للصنف الأول (مقول القول) بكون المتلفظ بـ ق1 (كما سماه) وهم جمهور المعتزلة يتبنى الحكم المتضمن في ق2 (هو فاسق) المسند إلى "متلفظ" آخر هو الله تعالى، (1) والذي يؤكد ذلك ليست الصيغة "كما سماه" لأنها قد تستعمل ولا توجه الملفوظ حجاجيا في نفس الاتجاه، كما لو أن المعتزلة يقولون عن فاعل الكبيرة فرضا "وهو كما سماه المرجئة مؤمن"، لذلك لا بد من البحث في السياق التداولي عن قرائن أخرى تفضي إلى تأكيد تبني الجاحظ لذلك؛ أول هذه القرائن الصيغة الصرفية "نصا" التي ينبغي أن تلحق بـ ق1، فيصبح (كما سماه نصا) وتكتسب هذه المفردة قيمتها الحجاجية من كونها تكشف عن قبول حكم ق2 وتبنيه من متلفظ ق1، بل واعتباره حكما قطعيا لا يرد لأنه حجة ذات سلطة مرجعية Argument d'autorité. (2) أما القرينة الثانية، فهي ما نعرفه عن طروحات المعتزلة ومبادئهم، مما يشكل الخلفية المعرفية المشتركة بينهم كمتلفظ، وبين المتلفظ لهم وهم في المقام الأول أتباع الفرق الأخرى. فمجرد كون الصوت

(1) - إن شئنا الدقة قلنا الآية القرآنية محل الشاهد كما يؤولها الجاحظ و سائر المعتزلة.

(2) - ينظر تعريفها في هـ 1، ص 299، من الفصل الرابع

هو صوت الله تعالى (الآية بلفظها أو بمعناها)، يستلزم في مقام تداولي مماثل أن يتبنى المتلفظ بـ ق 1 الحكم المتضمن في ق 2.

3- الملفوظات المدرجة بواسطة الحروف والروابط:

ويرد هذا الصنف بكثرة في القسم الثاني من النموذج، والذي يبدأ بقوله: "فلم نفرط ..."، وإن كنا نجده أيضا في القسم الأول الذي اقتصر فيه الجاحظ على إيراد مقولات الإسلاميين في التوحيد، وفاعل الكبيرة، وقاتل الفئة الباغية. ويمكننا تقسيم هذا الصنف إلى قسمين:

- قسم الملفوظات المقترنة بالحروف والظروف، وتتميز ظاهرة تعدد

الأصوات فيه بارتباطها بمفهوم الكلام المضمّن **Sous-entendus**،

- قسم الملفوظات المتضمنة للروابط، والتي تتضمن بنيتها عدة ملفوظات

تحيل إلى متلفظين متعددين، وكذلك إلى متلفظ لهم عديدين.

من القسم الأول نأخذ المثال التالي: " فلم نفرط إفراط الخوارج "

يظهر التعدد الصوتي أولا بإعمال مفهوم الكلام المضمّر حين يحيل

المتلفظ إلى مقولة أو مقولات الخوارج، ومنها: فاعل الكبيرة كافر، فنحصل

باعتبار الوضعية التداولية على ق 2، المتلفظ به هم الخوارج، والمتلفظ لهم

خصومهم ممن يخالفونهم الاعتقاد، أما ق 1 فيبقى كما هو في البنية التركيبية

للملفوظ رفض معتقدات الخوارج، والتي يمثّلها، ويرمز إليها ق2، والمتلفظ بها هو الجاحظ نيابة عن المعتزلة؛ لذلك تحدث بضمير الجماعة "نحن".

ومن الواضح أن الذي يؤدّي دورا حاسما في كشف الكلام المضمّر هنا، هو عناصر الوضعية التلفظية،⁽¹⁾ فدون معرفة المتلفظ وعلاقته بالمتلفظ له، و"معرفة العالم" أو "المعرفة الموسوعية" المشتركة بينهما، لا يمكن لأطراف العملية التلفظية تحقيق التواصل، المبني على قوانين الخطاب الأربعة، وهي: الشمولية، الإخبارية، الإفادة، الصدق، والوجهة⁽²⁾

أما القسم الثاني من هذه الملفوظات، فنمثل له بما يلي:

"فإن كان عندك برهان واضح ودليل بيّن يكشف لنا عن الحال فيه حتى يتبين به أنه كان سببا من إراقة الدماء، فعلينا السمع واليقين والإقرار، وعليك البيان والإفهام بالدليل والحرص..."

(1) - خلافا لما يحصل عند إعمال مبدأ الافتراض المسبق، الذي لا يتطلب استحضار السياق التداولي، إذ يكفينا التعامل مع البنية التركيبية (اللغوية المحض) للملفوظ لاستنباط الكلام الضمني المسمى افتراضا مسبقا، فقول الجاحظ "فنحن لم نفرط إفراط الخوارج" يفترض مسبقا وجود أقوال من قبيل: هناك من فرط إفراط الخوارج، وأن الخوارج فرطوا في أمر أو أكثر، إلى غير ذلك من الأقوال .

(2) - قوانين الخطاب وضعها ديكر، و تقابل عند غريس (قواعد المحادثة)، وهي التي تتيح الحساب التأويلي للدلالات المضمرة انطلاقا من الدلالات الحرفية، وعددها ستة: قانون الاستيعاب، قانون الإخبارية، قانون الاقتصاد، قانون كناية التقليل Litote، قانون المنفعة، قانون التسلسل. (ينظر: معجم تحليل الخطاب، ص346-347)

إذا قمنا بعزل العبارة (كان سببا في إراقة الدماء) الواقعة بعد "أنه" فإننا سنحصل على ملفوظ يختلف عن الملفوظ قبلها، فيصبح لدينا حسب الإجراء التي نتبعه في تحليل الملفوظات:

ق1: إن كان عندك برهان واضح ودليل بيّن يكشف لنا عن الحال فيه، فعلى السمع واليقين والإقرار، وعليك البيان والإفهام بالدليل والحرص

ق2: كان سببا من إراقة الدماء

يتبيّن لنا بعد القيام بهذا الإجراء أن متلفظ ق1 (الجاحظ) يتوجه إلى متلفظ ق2 (المخاطب بالرسالة)، وأن متلفظ ق2 لا يتوجه بالضرورة لمتلفظ ق1، لأن زمن تلفظ ق2 متقدم على زمن تلفظ ق1، ولأن التواصل ليس شفويا، كما أسلفنا، ولكنه تواصل كتابي يملك فيه صاحب الخطاب المعرفة الكاملة بوضعية التواصل والتلفظ، في حين ينتمي الملفوظ ق2 المحتوى في ق1 إلى وضعية تلفظية أخرى سابقة في الزمن.

زيادة على ذلك تكشف عناصر البنية اللغوية، ولا سيما المؤشرات السياقية عن ظاهرة التعدد الصوتي في هذا الملفوظ، فضمير المخاطب (الكاف)، والأمر الوارد بصيغة اسم الفعل (علينا، وعليك) يدلّان على حضور للمخاطب، وتأثيره في بنية الملفوظ تركيبيا ودلاليا وتداوليا. وعلى ضوء هذا الحضور تحددت خطاطة

الحجاج،⁽¹⁾ التي استدعت إقحام صوت المعارض عليه في الملفوظ، ومطالبته بتبرير الحكم الذي أثبتته في القول المنسوب إليه.

(1)- وضع الخطاطة الخطابية، و منها خطاطة الخطاب الحجاجي يحيل إلى مفهوم المسرحة الذي وضعه G. Vignaux (1976) والذي يتكون من العناصر التالية: الفاعلون، الإجراءات، الوضعيات، والواسمات الإجرائية، والذي يعني في أبسط معانيه الكيفية التي يبني بها المتكلم خطابه، واضعا في حسبانته من يتوجه إليه بالخطاب. فالخطاطة باعتبارها تمثيلا خطابيا هي في الآن ذاته عملية و نتيجة. يقول غريس: "إذا وجه متكلم أ، في مقام معين، خطابا إلى المتكلم ب (بلغة طبيعية)، أقول إن أ يقترح =على ب ترسيمة (خطاطة)، إنه يبني عالما صغيرا أمام ب، عالما يريد أن يكون محتمل التصديق عند ب ". (معجم تحليل الخطاب، ص505)

3) الواسمات الأصواتية ووجهات النظر التفاعلية

في مستوى التحليل النصي، ننتقل من الحديث عن وجهات النظر البسيطة المفردة إلى الحديث عن وجهات النظر التفاعلية. ومردّ ذلك إلى أن وجهات النظر حين ترصد في الملفوظات /الجمل المعزولة عن سياقها النصي تقدّم لنا وجهة نظر واحدة مقابل وجهة نظر واحدة أو أكثر، تخضع جميعها للتراتبية في حالة النفي والاستفهام، أو تكون ترابطية في حالة الروابط والعوامل الحجاجية.

وجهات النظر هذه نفسها حين تُرصد في المقاطع النصية أو في النصوص، أي في سياقها النصي الأوسع، تظهر مرتبطة بسلسلة من وجهات النظر التي تشاركها في التوجيه الحجاجي نحو نتيجة معينة. وفي حالة وجهات النظر التفاعلية المتضادة، توجّه مجموعة وجهات النظر التفاعلية "1" على سبيل المثال نحو النتيجة "ن"، بينما توجّه مجموعة وجهات النظر التفاعلية "2" نحو النتيجة "لا-ن". نلخص ذلك في الصيغة الرمزية التالية:

_ وجـ ن تف 1: وجـ ن 1 + وجـ ن 2 + وجـ ن 3 i النتيجة ن

_ وجـ ن تف 2: وجـ ن 1 + وجـ ن 2 + وجـ ن 3 i النتيجة

لا_ن (1)

(1)- وجهة النظر التفاعلية *Points de vue dynamiques* هي سلسلة من وجهات النظر (الثاوية أو الصريحة) والتي تشترك في محتوى دلالي حجاجي واحد. بنظر:

تؤدي الواسمات الأصواتية إذن على المستوى النصي وظيفة إيجاد تشكيلات من وجهات النظر التي تشترك في التوجيه الحجاجي، وتقوم بتنضيدتها لتشكّل منها وجهتي نظر تفاعليتين متضادتين، تسندان إلى ذوات خطائية تستحضرها هذه الواسمات من خلال استنفارها لظاهرة التعدد الصوتي.

وتحدد علاقة هذه الذوات بعضها مع بعض بالنظر إلى نوعية الواسم وخصائصه التركيبية والدلالية والتداولية من جهة، وما قد يقدمه السياق النصي من تعليمات إضافية حول مقام التلفظ وعناصره والخلفيات المعرفية لجهات التلفظ من جهة أخرى.⁽¹⁾

نمثّل لوجهات النظر التفاعلية بالمقتطف التالي الذي يتضمن النفي، باعتباره الواسم الأصواتي الأبرز، في حال تعامله مع الرابط " لكن " ⁽²⁾:

« ولم أقل إن معاوية ليس بمذكور بالعقل والحلم وبالدهاء والفهم وبالنكرى ^(*) والجزم والسؤدد والعزم، وبالبيان العجيب والغور البعيد، وإنه لم

(1)- تشتغل وجهات النظر التفاعلية على المستوى النصي (المقاطع الأصواتية أو النصوص)، بحيث تكون هناك سلسلتان من وجهات النظر التفاعلية، إحداها داحضة و الأخرى مدحوضة، وتلعب الواسمات الأصواتية النصية والخطائية دورا مهما في إحداث التفاعل بين وجهة النظر التفاعلية الداحضة ووجهة النظر المدحوضة. ينظر:

Roitman. Malin: op. cit, p114

(2)- يتفاعل النفي عادة مع "لكن" ضمن الصيغة الرمزية التالية: [ق لكن نفي ك]، ومن منظور أصواتي توصف المتوالية الأصل: [ق لكن ك] بأنها بنية يرتبط فيها المتكلم برابط مسؤولية مع ك، لا مع ق. ينظر:

DUCROT, Oswald et autres: Les mots du discours, p44

*- النكرى: غير موجودة في لسان العرب ، والنكرو النكراء: الدهاء و الفطنة، والنكاراة الدهاء، و المناكرة : المحاربة

يكن كاتب وحي الله وصاحب ديوان بيت مال الله، وإنَّ أبا بكر لم يُؤلِّه مُقدِّمة أخيه، وإن عمر لم يجمع له أرباع الشامات وإنَّه لم يعزله إلى أن تُوفِّي ولم يغضب عليه مذ رضي عنه، ولم يكتب له بفضل خصال القضاء ورتيب منازل الحكم، كما كتب إلى أبي موسى الأشعري و إلى قضاته في الأمصار ورجال الفُتيا في الأطراف، وإن عثمان لم يؤكِّد له ما تقدّم منهما ويثبت له ما جرى له من قبلهما وزاد في تثبيت عدالته وتزكية بجالته في سني الجماعة وسني الاختلاف، وأدنى حالاته أن يكون مؤمنا غير فاسق ووليا غير عدوّ وعادلا غير مزور، مع علمي بأنهم لم يكونوا ليولّوا الثغور والأحرام والإمارات العظام إلاّ القويّ الأمين وصاحب الرأي الرصين.

ولكنّ الخلافة، يا ابن حسان، لا تُستحقّ والإمامة لا تُستوجب إلاّ بالتقدّم في الفضل والتقدّم في السوابق، وإلاّ بأن يكون الفضل إما ظاهرا للعيون ومشهورا عند جميع المسلمين قد أجمَعوا على تقديم رجل وتأمير أمير من تلقاء أنفسهم بغير سيف ولا خوف ولا إكراه ظاهر ولا سبب يُوجب سوء الظن فضلا على غير ذلك، وإمّا بأن يختاروه عن تشاورٍ وتناظرٍ ويظهر فضلُه بعد طول التخابر؛ أو يكون له ذلك (في) مصره دون رهطه بميراث العمومة ويستحقها كما تُستحق المقامات الموروثة؛ أو يكون ذلك من جهة وصية أو وراثة مشهورة؛ أو يكون ذلك نتيجة خصال كريمة لاقت القرابة وحرمة العترة، فبلغ صاحبها باجتماع الخصلتين ما لا يبلغه صاحب الواحدة ويكون مقنعا للإلف لأنه أمسّ

بالمعدن وأقرب من صاحب المقام وأحرى أن لا يَخْفَى مكانه على بعيد الدار،
كما لا يَأْنَف منه العظيم الكبير، وإن كان نصيبه من الطاعة دون نصيب كثير
ممن لا يجري مجراه في شرفه ولا يشاكلة في موضعه...» (1)

يمكننا اختزال هذا المقطع النصي الأصواتي الطويل في ملفوظ يقوم على
جملة واحدة، تكشف لنا عن وجهتي النظر التفاعليتين المتضادين المعبر عنهما فيه،
كأن نقول: أنا لم أقل أن معاوية مجرد من الصفات التي تحدثت عنها، ولكن
هذه الصفات ليست هي التي تؤهله لتولي الخلافة.

بالتحليل الأولي لهذه الجملة المحاكية، نتبين ما يلي :

-ق1: لم أقل إن معاوية ليس = قلت إن معاوية (نفي النفي إثبات) i

النتيجة ن: معاوية يستحق الخلافة

-ق2: معاوية ليس موصوفا بـ... i النتيجة لا_ن: معاوية لا يستحق

الخلافة

يشتغل الرابط الحجاجي "لكن" أصواتيا، من خلال استنفار صوتين
متضادين تضادا يكشف عن ثنائية: الحجاج والحجاج المضاد، فالقول
الأول (وجـ ن 1) يقدم حجّة 1 (معاوية يتميز بكذا وكذا من الصفات) من

(1) - الجاحظ: رسالة الحكمين، ضمن الرسائل السياسية، ت وش علي بوملحم، ص: 344-345

أجل النتيجة ن: معاوية يستحق الخلافة، يسند المتكلم هذه الحجّة إلى المتلفظ (ابن حسان) ويوافقها عليها مؤقتاً، غير أنه سيقوم بدحضها لاحقاً، مما يعني أن القول المسند إلى ابن حسان صادق من منظور مطابقته للواقع، لكنه لا يصلح للاستدلال على صحة النتيجة ن. وهذا جوهر الحجاج المضاد أو الدحض. (1)

يدلنا على ذلك الرابط "لكن" الذي يُدرج القول الثاني (وجـ 2) الحامل للحجّة 2 التي توجه إلى النتيجة لا_ن: معاوية لا يستحق الخلافة.

يسند المتكلم هذا القول إلى متلفظ 2، ويتماهى معه بواسطة رابط المسؤولية التامة على التلفظ.

هذا إجمال القول في وجهتي النظر التفاعليتين المتضادتين في هذا المقتطف. يبقى علينا أن نبيّن كيف تشكّلت وجهتا النظر هاتان، عبر مسار الحجاج المضاد الذي اتبعه المتكلم / كاتب الرسالة.

نرمز إلى بنية الملفوظ بالصيغة النمطية التالية : [نفي ق (نفي ك)] لكن [نفي ص]، حيث نفي ق: "لم أقل..."، ونفي ك: "أن معاوية ليس..."، ونفي ك: "الخلافة لا تستحق..."، ينجز بواسطة هذه الصيغة في المقطع الذي بين أيدينا فعل كلامي، هو فعل الدحض، بواسطة حجاج، وحجاج مضاد، يعتمد فيه

(1) - ينظر تعريفه في هامش ص 143، من الفصل الثاني

المتكلم / كاتب الرسائل على إيراد سلسلة من الحجج والحجج المضادة، حيث تمثل الحجج وجهة النظر التفاعلية 1 المكوّنة من وجهات النظر الثاوية (المضمرة) المتضمنة في الملفوظ: نفي ك، وتمثل الحجج المضادة وجهة النظر التفاعلية 2 المكوّنة من وجهات النظر الصريحة المتضمنة في الملفوظ: نفي ص

وعليه يمكننا من وجهة نظر حجاجية تحديد بنية الملفوظ الدحضي على

النحو التالي:

أ- القضية ق(الإثبات)، وتتكون من: 1- فعل رئيسي: وصف معاوية بالصفات المذكورة في الفقرة الأولى 2- فعل ملحق (ضمني): استحقاقه للخلافة 3- العلاقة بينهما(الاستنتاج): الصفات المذكورة في الفقرة الأولى تؤهل معاوية للخلافة.

ب - القضية ك (الدحض)، وتتكون من :

1- فعل رئيسي: إثبات صفات أخرى لاستحقاق الخلافة

2- فعل ملحق (ضمني): معاوية لا تتوفر فيه هذه الصفات

3- العلاقة بينهما(الاستنتاج): معاوية لا يستحق الخلافة.

من منظور أصواتي نرّمز إلى وجهتي النظر التفاعليتين، وجهة نظر الفعل

الإثباتي، ووجهة نظر الفعل الدحضي بالصيغة التالية:

_ **وجـ ن تف 1 (الإثبات): وجـ ن 1 + وجـ ن 2 + وجـ ن 3...**

إ النتيجة **ن**: معاوية يستحق الخلافة

_ **وجـ ن تف 2 (الدحض): وجـ ن 1 + وجـ ن 2 + وجـ ن 3**

... **إ** النتيجة **لا_ن**: معاوية لا يستحق الخلافة

والجدول التالي يوضح كيف نضد المتكلم وجهات النظر الدحضية ورثبها

في مواجهة وجهات النظر الإثباتية (المدحوضة)، لينشأ عن ذلك التنضيد التقابلي

وجهتها النظر التفاعليتان ؛ وجهة النظر الدحضية (**وجـ ن تف 2**) المصرح بها،

ووجهة النظر الإثباتية المدحوضة المضمّنة (**وجـ ن تف 1**):

	<p>وجهاً النظر المشكلة لـ(وجـ تف 1) المدحوضة: نفي ق (نفي ك)</p>	<p>وجهاً النظر المشكلة لـ(وجـ تف 2) الداخضة: نفي ص</p>	
<p>وجـ ن1 ↓</p>	<p>تستحق الإمامة وتستوجب بالاتقدم في الفضل والتقدم في السوابق (افتراض ن1 مسبق، مضمّر في الملفوظ المقابل، بعد "لكن")</p>	<p>ولكن الخلافة، يا ابن حسان، لا تستحق ولا تستوجب الإمامة إلا بالتقدم في الفضل والتقدم في السوابق</p>	<p>وجـ ن1 ↓</p>
<p>وجـ ن2 ↓</p>	<p>إن معاوية مذکور بالعقل والحلم وبالدهاء والفهم وبالنكرى والجزم والسؤدد والعزم، وبالبيان العجيب والغور البعيد(افتراض مسبق، مضمّر في الملفوظ المقابل، قبل "لكن")</p>	<p>وإلا بان يكون الفضل إما ظاهراً للعيون ومشهوراً عند جميع المسلمين قد اجمعوا على تقديم رجل وتأمير أمير من تلقاء أنفسهم بغير سيف</p>	<p>وجـ ن2 ↓</p>
<p>وجـ ن3 ↓</p>	<p>انه كان كاتب وحي الله وصاحب ديوان بيت مال الله(افتراض مسبق، مضمّر في الملفوظ المقابل، قبل "لكن")</p>	<p>وإما بأن يختاروه عن تشاور وتناظر ويظهر فضله بعد طول التخابر</p>	<p>وجـ ن3 ↓</p>
<p>وجـ ن4 ↓</p>	<p>وان أبا بكر وواه مقدمة أخيه، وإن عمر جمع له أرباع الشامات ولم يعزله إلى أن توفي، ، وان عثمان أكد له ما تقدم منهما (افتراض مسبق، مضمّر في الملفوظ المقابل، قبل "لكن")</p>	<p>أويكون ذلك من جهة وصية أووراثة مشهورة</p>	<p>وجـ ن4 ↓</p>
<p>وجـ ن5 ↓</p>	<p>وأدى حالاته أن يكون مؤمناً غير فاسق وولياً غير عدو وعدا لا غير مزور(افتراض مسبق، مضمّر في الملفوظ المقابل، قبل "لكن")</p>	<p>أويكون ذلك نتيجة حصال كريمة لاقت القراية وحرمة العترة، فبلغ صاحبها باجتماع الخصلتين ما لا يبلغه صاحب الواحدة</p>	<p>وجـ ن5 ↓</p>
	<p>النتيجة ن: معاوية يستحق الخلافة</p>	<p>النتيجة لا_ن: معاوية لا يستحق الخلافة</p>	

ترمز الأسهم الأفقية في الجدول إلى تفاعل وجهات النظر، وترمز الأسهم العمودية النازلة إلى التوجيه الحجاجي، ويرمز الخط المتصل للتصريح بوجهات النظر، بينما يرمز الخط المتقطع لتضمين وجهات النظر المدحوضة.⁽¹⁾

نضيف إلى ما تقدّم أن المقتطف - وإن كان من تأليف الجاحظ - فهو نتاج مقام ترسلي، يقع فيه التفاعل الحواري بين متلفظين من خلال ظاهرة تعدد الأصوات؛ أحدهما يثبت (وهو المتلفظ 2 الذي يستحضره المتكلم ضمن الفعل الكلامي)، والثاني يدحض، وهو في الأوان ذاته المتكلم والمتلفظ 1. ويبرز التفاعل خصوصا في استخدام صيغ لغوية تثبت انخراط المتحاورين في وضعية التلفظ، ومنه على الخصوص: العبارة "لم أقل" التي تؤكد وجود قول سابق على التلفظ الراهن، وأن المتكلم/المتلفظ 1 لا يعترض عليه في ذاته، في حين تمثل صيغة النداء "يا ابن حسان" مؤشرا آخر على وجود تفاعل تواصلية، يتم ضمنه الأخذ والرد وقبول الحوار، بينما يردُ حرف الاستدراك "لكن" للإعلان عن بدء الحجاج المضاد.

(1) - استلهمنا الجدول وتحليل وجهات النظر التفاعلية من النموذج التحليلي الذي اقترحه مالين رويتمان في

كتابه (مع بعض التعديل):

4) استعادة وجهات النظر واستباقها⁽¹⁾:

تقوم الواسمات الحجاجية اللسانية من روابط وإحاليات وغيرها باستعادة وجهات نظر مضمرة، أو صريحة سبق إيرادها في النص، كما مرّ بنا في كثير من الأمثلة التي حللناها. وهذه هي القاعدة العامة في وجهات النظر الفاعلية التي تتشكل من سلسلة من وجهات النظر ذات التوجيه الحجاجي المشترك، ولاسيما عندما يتعلق الأمر بدحض وجهة نظر مضادة. وهناك حالات يتم فيها استباق وجهات نظر تقدّم لاحقاً في النص، إما صريحة أو مضمرة في ملفوظ ذي طبيعة دحضية.⁽²⁾

وتؤدي الإحاليات - في حال كونها واسمات أصواتية- في الأصل وظيفتي الاستعادة والاستباق بامتياز، لأنها مهياة لذلك تركيبياً ودلالياً أكثر من الواسمات الأخرى، مما يجعلها تجمع بين دور الرابط التركيبي الدلالي، ودور الرابط الحجاجي الأصواتي، على مستوى المقاطع النصية، وعلى مستوى البنية الكبرى للنصوص.

(1)- الاستباق **Anticipation** ويتم بمقتضاه تضمين وجهة نظر سيكشف عنها لاحقاً، بواسطة واسمات أصواتية معينة كإحاليات من قبيل أسماء الإشارة. أما الاستعادة **Reprise** فهي تضمين وجهات نظر سبق عرضها صريحة فيما تقدم من النص.

(2) - يجسده بامتياز الملفوظ المنفي كما تقدّم بيانه في أكثر من موضع

تؤثر الإحاليات غالباً على وجود وجهات نظر تفاعلية في سياق الملفوظات الدحضية، من خلال إحالتها إلى إحدى جهتي النظر المحمولتين في الملفوظ الدحضي. وفي هذه الحالة يتعلق الأمر باستعادة وجهة نظر موجودة فيما تقدم من النص.

نمثل لذلك بالمثل التالي حيث يمكننا وصف أصواتية النفي من خلال الاستعادة الموسومة بالإحالي اسم الإشارة " ذلك " والضمير " الهاء " لوجهة نظر سابقة يتم نفيها بعد ذلك:

« فإن كان ما رويتم في فضيلة علي حقا، وما رَوَوْا في فضيلة أبي بكر حقا فأبوبكر خير من علي، وعلي خير من أبي بكر، وهذا هو التناقض، والحق لا يتناقض، وفي هذا دليل أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بذلك ولا قاله، لأن الخبر إذا خرج مخرج العام في تفضيل أبي بكر، وكذلك في تفضيل علي، فليس له وجه إلا ما قلنا، إلا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد قال أحد القولين وصحت به الشهادة، ولم يقل الآخر وإنما ولّدتَه الرجال، وصنعتَه حملة السير، ولا سبيل لنا إلى معرفة ذلك إذا كان الإسناد متساويا، وعند الرجال متقاربا، وليس في هذه الأحاديث كلها حديث يضطر خصمه إلى معرفة صحته... » (1)

(1) - الجاحظ : العثمانية، ضمن الرسائل السياسية، ت وش علي بوملحم، ص: 222-223

ننطلق في التحليل من المساواة الإحالية الدلالية التالية:

ذلك أو "ه" = علي خير من أبي بكر، وأبوبكر خير من علي.

وجـ ن 1: (س يعتقد أن) علي خير من أبي بكر، وأبوبكر خير

من علي.

وجـ ن 2: (س لا يعتقد أن) علي خير من أبي بكر، وأبوبكر

خير من علي.

يُرجع الإحاليان (ذلك) و(هـ) إلى جملة جواب الشرط :

فأبوبكر خير من علي، وعلي خير من أبي بكر "، فوجهة النظر الصريحة المدحوضة المثبتة: "علي خير من أبي بكر، وأبوبكر خير من علي" والتي تسمُّها العبارة الجهمية التي تأتي بعد جملة الشرط مباشرة: "وهذا هوالتناقض، والحق لا يتناقض" تشترك في التوجيه الحجاجي مع وجهة النظر الثاوية في الملفوظ المنفي المتضمّن للإحاليين (ذلك) و(هـ) : "أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بذلك و قاله " وتشكل معها وجهة النظر التفاعلية " ما روitem في فضيلة علي حق، وما رووا في فضيلة أبي بكر حق " والتي استحضرت بواسطة الإحاليين (ذلك) و(هـ)، اللذين يستعيان هنا وجهة النظر الثاوية في جملة الشرط التي بدئ بها المقتطف، والتي يتم بعد ذلك دحضها بواسطة وجهة النظر السلبية: " وفي هذا دليل

أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بذلك ولا قاله، لأن الخبر إذا خرج مخرج العام في تفضيل أبي بكر، وكذلك في تفضيل علي، فليس له وجه إلا ما قلنا .

وفيما يلي مثال آخر تُحرَّك فيه أصواتية النفي باستباق تفاعلي في الملفوظ الدحضي لوجهة نظر كامنة في السياق:

«قلت لك إني قد سمعت من هذا روايات ورويت فيه أشعارا وسمعت من الناس فيه خوضا كثيرا، وسأقيمك على الواضحة وأقف لك على الجادة، بل على العلم العظيم والمنهج الفسيح إن شاء الله ؛ وخير الأقاويل بل أعد لها وأرضها عند الله أقصدها، ولذلك اخترنا الاعتزال مذهبنا وجعلناه نحلة و مفخرا؛ وسنقدم قبل القول في هذه المسألة قولاً، فافهمه، قالت الجهمية: "لا نقول إن الله معني ولا نقول إنه شيء، ومتى أضفنا إليه شيئاً فمتى نحن أضفناه إليه فذلك الشيء فعل من أفعاله، كذلك سمعه وبصره وعلمه وقدرته"، وقالت الراضية: "هو جسم فضلا عن أن نقول إنه شيء"؛ وقالت المعتزلة: "هو شيء وليس كمثله شيء، وليس بجسم وليس علمه بفعل ولا صنع، وإنما قولنا: له علم، كقولنا: هو عالم، نريد أنه لا يخفى عليه خافية".

وقالت المرجئة: "القاذف مؤمن"، وقالت الخوارج: "القاذف كافر"، وقال بعضهم: مشرك؛ وقالت البكرية: "بل هو أسوأ حالا من المشرك، والمنافق أشد عذابا من الكافر"؛ وقالت المعتزلة: "هو فاسق كما سماه نضا ولا نسميه كافرا فيلزمنا أن نلزمه أحكام الكفار وليس ذلك حكمه، ولا نقول: مؤمن، فيلزمنا ولايته ومدحه وإيجاب الثواب له، وقد أخبرنا الله تعالى أنه مشؤوم من أهل النار، فترعم أنه في النار مع الكافر وأنه لا يجوز أن يكون في الجنة مع المؤمن".

وقالت الخوارج في قتال الفئة الباغية: "نسير فيها بالإكفار وبالسبي والغنائم وبتأباع المدبر والإجهاز على الجريح"، وقالت المرجئة: "لا قتال"، وقالت المعتزلة بالقول المرضي وهو إيجاب القتل على جهة الدفع لا على القصد إلى القتال ولا على السبي ولا على الإجهاز على الجرحى ولا على استحلال الأموال، فلم نفرط إفراط الخوارج ولم نقصر تقصير المرجئة، ودين الله بين المقصر والغالي، وهذا الاشتقاق، وهو التوسط والاقتصاد، هو الاعتزال لغلو من غلا وتقصير من قصر؛ والأصل الذي نبي عليها أمورنا فيمن ليس عندنا كعلي وسابقته وأرومته وكامل خصاله بل في أدنى رجل من أوليائنا، أنما متى وجدنا له عملا يحتمل الخطأ والصواب لم يكن لنا أن نجعل عمله خطأ، حتى يعيننا فيه وجه الصواب، وليس لنا بعد أن قضينا بأنه خطأ أن نقضي بأنه

خطيئة حتى يعيننا القدر بأنه سليم من طريق المآثم، فإن قضينا بأنه إثم فليس لنا أن نقضي بأنه ضلال ونحن نجد لصرف الدفع عنه أنه ضلال إلى الإثم محتملا، وإن قضينا بأنه ضلال فليس لنا أن نقضي بأنه كفر إلا بعد ألا نجد من ذلك بدا، فيكون الحق أحق ما حكم به وصير عليه.» (1)

تحرك أصواتية النفي في هذا المقطع النصي باستباق تفاعلي في الملفوظ الدحضي لوجهة نظر كامنة في السياق، لاسيما وجهة النظر المستحضرة بواسطة الفعل المضارع المقترن بسين الاستقبال، وضمير الغائب في عبارات جبهة من قبيل: "خير الأقاويل"، "أعدّها"، "أرضها"، "أقصدها"، ثم تعيين الصوت الذي تسند إليه وجهة النظر المستبقة باسمه "الاعتزال"، في الملفوظ المثبت في بداية النص: "سأقيمك على الواضحة وأقف لك على الجادة، بل على العلم العظيم والمنهج الفسيح إن شاء الله؛ وخير الأقاويل بل أعدّها وأرضها عند الله أقصدها، ولذلك اخترنا الاعتزال مذهبنا وجعلناه نحلة ومفخرا؛ وسنقدّم قبل القول في هذه المسألة قولاً"

(1) - الجاحظ: رسالة الحكمين، ضمن الرسائل السياسية، ت وش علي بوملحم، ص: 380-381

- **وجـ ن 1:** " خير الأقاويل بل أعدلها وأرضاها عند الله أقصدها، ولذلك اخترنا الاعتزال مذهبا وجعلناه نحلة ومفخرا "

- **وجـ ن 2:** " فلم نفرط إفراط الخوارج ولم نقصر تقصير المرجئة، ودين الله بين المقصر والغالي، وهذا الاشتقاق، وهو التوسط والاقتصاد، هو الاعتزال لغو من غلا وتقصير من قصر "

خير الأقاويل : وجـ ن 2، تستبق وجهة النظر الثاوية في الملفوظ الدحضي " خير الأقاويل بل أعدلها وأرضاها عند الله أقصدها... الاعتزال "، وجهة النظر نفسها الثاوية أيضا " فرطتم إفراط الخوارج وقصرتم تقصير المرجئة" المستحضرة لاحقا في النص بواسطة الإحالي (الخوارج والمرجئة)، وعليه تكون وجهة النظر الثاوية ووجهة النظر المختزنة في الإحالي (الخوارج والمرجئة) ذات توجيه حجاجي واحد " المعتزلة فرطوا وقصروا كغيرهم " وتكوّنان مع الملفوظات الثاوية في النص وجهة نظر تفاعلية واحدة هي (وجـ ن تف 1) التي يتولى المتكلم دحضها بواسطة وجهة النظر التفاعلية (وجـ ن تف 2) المكوّنة من وجهتي النظر الصريحتين: " " خير الأقاويل بل أعدلها وأرضاها عند الله أقصدها... " و" فلم نفرط إفراط الخوارج ولم نقصر تقصير المرجئة

... " مضافا إليهما وجهات النظر الصريحة الأخرى الواردة في النص.
وعليه يمكننا تصور الخطاطة التالية:

- **وجـ ن تف 1:** وجـ ن 1+ وجـ 2+.....، **i** النتيجة

ن: المعتزلة فرطوا وقصروا كغيرهم

- **وجـ ن تف 2:** وجـ ن 1+ وجـ 2+.....، **i** النتيجة

لا_ن: المعتزلة لم يفرطوا ولم يقصروا كغيرهم

يسند المتكلم / كاتب الرسائل وجهة النظر المدحوضة (وجـ ن

تف 1) إلى صوت جماعي، هو صوت خصوم المعتزلة من مرجئة

وخوارج وغيرهم، ويسند وجهة النظر الدحضية (وجـ ن تف 2) إلى

صوت جماعي آخر، هو صوت المعتزلة ويتماهى معه.

الفصل الرابع

التحليل الأصواتي الخطابي

E الآليات الأصواتية الخطابية

E ذوات الخطاب وذوات الواقع

E هيمنة المتكلم / كاتب الرسائل على التلطف

E المتكلم كاتب الرسائل وكفالة الملفوظات

E استحضار خطاب الآخر

E إقحام القارئ في النص

توطئة:

تبيّن لنا مما تقدّم في الفصلين السابقين، أن الواسمات الأصواتية هي آليات تقوم بإيجاد مستويات متراتبّة من وجهات النظر، ومن جملة هذه الواسمات - كما رأينا - أدوات النفي والاستفهام، والروابط الحجاجية، والموجّهات، والإحاليات، وهي ما يصطلح على تسميته الواسمات اللغوية اللسانية والنصية.

يوازي هذه الواسمات في التحليل الأصواتى نوع آخر لا يقل أهمية، هو الواسمات الخطابية، أويين-الخطابية، Marqueurs interdiscursifs، وتتمثل في ظواهر بين-خطابية، مثل: الخطاب المستحضر Discours représenté، والأمثال Proverbes، والمشهورات Doxa، والافتراضات المسبقة Présupposé. وهي الظواهر التي سنعرض للتعريف النظري بها والتطبيق عليها في هذا الفصل.

الآليات الأصواتية الخطابية، مفهومها واشتغالها أصواتيا

نعرض في هذا الفصل للتعريف بالآليات الأصواتية الخطابية التي سنقوم بالتطبيق عليها لاحقا في تحليلنا الخطابي للمدونة. فعلى غرار الآليات اللسانية والنصية، تسهم الآليات الخطابية في إنشاء ظاهرة التعدد الصوتي على مستوى الخطاب، من خلال استنفارها لأصوات متعددة، يستحضر المتكلم خطاباتها تصرّحا أو تضمينا.

فقد تستحضر هذه الخطابات بواسطة واسمات لغوية، يعتمد عليها في إدراج الأصوات الأخرى المعبرة عن ذوات خطابية تحيل إلى ذوات حقيقية، تُعَيّن هوياتها، أو تترك مغفلة، كما تستحضر بواسطة إيجاءات وتلميحات لا تدل عليها أيّ واسمات لغوية. وعندها لا يتم الاهتمام إلى هذه الخطابات ولا تُرصد آثارها في الخطاب الأصل إلا عبر فحص السياق المقالي والمقامي، قصد استخلاص ما يحمله من تعليمات ومعطيات تكشف عن المواضيع التي يثوي فيها الخطاب المستحضر في النص المعني بالدراسة.

دأب محلّلو الخطاب على ربط ظاهرة التعدد الصوتي والحوارية في تمظهرهما الخطابي بظاهرة أوسع، هي ظاهرة التفاعل الخطابي، أو البين-خطابية - كما يسمّيها بعضهم - وهي مفهوم استقر في أدبيات تحليل الخطاب، وتكرّس تداوله واستعماله للدلالة على ما يعدّ خاصية جوهرية ملابسة لكل خطاب طبيعي؛ وهي أن كل خطاب لا بد أن يحمل في أطوائه بصورة من الصور خطابات أخرى سبقته، أو

يفترض أنها ستكون لاحقة له، بحيث لا يمكننا أن نتصور خطاباً مُبرَّأً من التقاطع والتفاعل مع الخطابات الأخرى من جنسه، ومن غير جنسه.

وقد أسس لهذا المفهوم م. باختين (M.Bakhtine) مؤكداً على جوهرية الظاهرة، بقوله: «إن التوجيه الحوارى هو بوضوح، ظاهرة مشخصة لكل خطاب، وهو الغاية الطبيعية لكل خطاب حى، يفاجئ الخطاب الآخر بكل الطرق التي تقود إلى غايته ولا يستطيع شيئاً سوى الدخول معه في تفاعل حاد وحي، " آدم " فقط هو الوحيد الذي يستطيع أن يتجنب تماماً إعادة التوجيه المتبادلة هذه فيما يخص خطاب الآخر الذي يتبع في الطريق إلى موضوعه، لأن آدم كان يقارب عالماً يتسم بالعدرية، ولم يكن قد تكلم فيه وانتهك بواسطة الخطاب الأول»⁽¹⁾

تعددت وتنوعت المقاربات التي سعى أصحابها إلى حصر الظاهرة وتقنينها قصد إخضاعها للدراسة العلمية الجادة. ولعل أشهر الدراسات في هذا الميدان، ما أنجزته الباحثة ج. أ. روفيز (Jacqueline Authier-Revuz)، التي اجترحت مفهومي اللاتجانس المظهر، واللاتجانس التكويني. فماذا عنت بهما؟ وما صلتهما بظاهرة التعدد الصوتي في المستوى الخطابى؟

تميز الباحثة بين نوعين من اللاتجانس الخطابى، اللاتجانس المظهر Hétérogénéité montrée، واللاتجانس التكويني Hétérogénéité constitutive؛ فتعني بالأول

(1) - نقلا عن: تودوروف. ترفيتان: ميخائيل باختين المبدأ الحوارى، ص125

حضور خطاب الآخر في النص حضوراً يمكن تحديد موضعه. (1) وتميز الباحثة في هذا النوع الأول بين أشكال موسومة (أو صريحة)، وأخرى غير موسومة؛ فتمثل للأشكال الموسومة التي يشار إليها بواسطة صريحة، بـ "الخطاب المباشر، والخطاب غير المباشر، والتنصيب، والخط المائل، والجمل المعترضة"، وتمثل للنوع الثاني بالأشكال غير الموسومة بـ "الخطاب غير المباشر الحر، والتلميحات، والتهكم، والمعارضة الساخرة... الخ" (2) ولأجل التعرف عليها، تتطلب هذه الأشكال من المتلفظ الشريك « التوليف بنسب متغيرة بين رصد مؤشرات نصية، وهامشية نصية، وتنشيط ثقافته الشخصية» (3)

أما اللاتجانس التكويني فيمكننا الحديث عنه - في نظر الباحثة - « عندما يسيطر ما بين الخطابات على الخطاب؛ فالخطاب ليس فقط فضاء يتسرب إليه من الخارج خطاب آخر، فهو يتكون من خلال مناظرة مع الغيرية، مستقلاً عن كل أثر ظاهر لشاهد أو تلميح» (4) ويتوافق هذا مع تصور م. باختين (M.Bakhtine) لتجدر ظاهرة التفاعل الخطابى في الخطاب الطبيعى الذي ينتجه أي متكلم. وهو ما يعرف بنظرية التحوارية المعممة. (5)

(1) - ب. شارودود. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 283
(2) - Jacqueline Authier-Revuz, Hétérogénéité(s) énonciative(s), In: Langages, 19e année, n°73, 1984. pp. 98-111.p98

(3) - ب. شارودود. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 283

(4) - نفسه، ص 284

(5) - نفسه، ص ن

نسعى في هذا المبحث إلى ضبط تصور للآليات الخطابية التي نقدر أنها تستنفر ظاهرة التعدد الصوتي في خطاب الجاحظ الرسائلي. وهذه الآليات منها ما هو ناتج عن ظاهرة اللاتجانس الخطابي المعروف أو المظهر، مثل الخطاب المباشر المنقول، والخطاب غير المباشر المنقول، ومنها ما هو ناتج عن ظاهرة اللاتجانس التكويني، كالخطاب غير المباشر الحر، والافتراض المسبق، والمشهورات المضمنة في الملفوظات، والأمثال الشعبية المدججة في النسيج التركيبي للملفوظات، بعد إزالة التكلس عنها. وفي الأسطر التالية نحاول أن نقدّم إضاءة نظرية لبعض من هذه الآليات الخطابية .

(أ) الخطاب المستحضر⁽¹⁾: حلّ مصطلح الخطاب المستحضر Discours

représenté محل مصطلح الخطاب المنقول Discours rapporté في أدبيات التحليل التداولي بعد التطور الذي أحرزته الدراسات المتخصصة في هذا الحقل، ولا سيما الدراسات الأصواتية والحوارية.² ويدين أقطاب هذا الحقل بهذا المصطلح للمحلل السوسيو لساني ن. فايركلو (N.Fairclough)، الذي اجترحه ليكون دالا على جميع الظواهر الخطابية التي تجسد حضور خطاب الآخر في خطاب المتكلم.⁽³⁾

(1) - فضلنا كلمة "مستحضر" ترجمة لـ "représenté" في وصف الخطاب على كلمة "ممثل" التي يقترحها مترجما معجم تحليل الخطاب، لأننا رأينا في كلمة مستحضر تناظرا معجميا مع قرينتها الأجنبية، بوجود معنى الحضور في جذريهما، ولأنها أيضا تحيل إلى مدلول الظاهرة الخطابية المعنية، فهي تحضر بعد استدعائها، ولا يكتفى بتمثيلها .

(2) - J. A. Revuz : La représentation du discours autre, un champ multiplement hétérogène, Dans : Le Discours rapporté dans tous ses états (Textes réunis et présentés par Juan Lopez Munoz, Sophie Marnette et Laurence Rosier), L'Harmattan, Paris, 2004, Actes du colloque international, 08-11 NOV 2001, p35-36

(3) - Henning Nølke: Polyphonie linguistique et discours rapporté, in Polyphonie – linguistique et littéraire Lingvistisk og litterær polyfoni Documents de travail/arbejdsrapporter, No VII, JUILLET 2003, p162

فإذا كان مصطلح الخطاب المنقول يتجاوز التقسيم التقليدي الثنائي للخطاب: خطاب مباشر، وخطاب غير مباشر، وخطاب غير مباشر حر، إلى ظواهر أخرى كتعيين الكلام المنقول بواسطة التنصيص، والأحرف المائلة، والإحالة إليه عبر الجهمية، فإن عددا من اللسانيين يفضلون عليه مصطلح الخطاب المستحضر الذي يعكس بطريقة أوسع تنوع الظواهر الخطابية المراد تعيينها.⁽¹⁾

يقترح هـ. نولكه (Henning Nølke) تعريفا للخطاب المستحضر، يقول عنه أنه يستند إلى الجهاز الاصطلاحي الأصواتي، في مقابل الاصطلاح اللساني الوظيفي. ونص هذا التعريف كما يلي: « يمثل الخطاب المستحضر نمطاً خاصاً من أنماط التعدد الصوتي الخارجى (...). يتميز بكونه يستحضر خطاب الآخر - أو بالأحرى ملفوظه - وليس فقط وجهة نظر تجسد صورة التلفظ، فإن المتكلم LOC يكون مسؤولاً عن التلفظ الذي يتم بواسطته استحضار تلفظ الآخر " المتكلم المستحضر، الذي نرّمز له اختصاراً بـ: LR، بعبارة أخرى: يستحضر (خ م، DR) شكل ومحتوى قول الآخر. »⁽²⁾

و بناء على هذا التعريف الذي لا يختلف كثيراً عن التقسيم التقليدي المشار إليه أعلاه، يقسم نولكه الخطاب المستحضر إلى أربعة أقسام، معتمداً في ذلك معيار

(1) - ب. شارودود، مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 185

(2) - Henning Nølke: Polyphonie linguistique et discours rapporté, p163

وجود الرابط "صيغة إدراج القول" Inquit⁽¹⁾(*) . وتتحدد الوظيفة التلفظية لهذه الأقوال أيضا بناء على معيار "صيغة الإدراج" و جودا وغيابا.⁽²⁾

يتحدث نولكه (Nölke.H) عن أربعة أنماط من الخطاب المستحضر، يُعتمد في تمييزها على حضور الرابط (صيغة إدراج القول) أو عدمه: الخطاب المباشر المنقول، والخطاب غير المباشر المنقول، وتحضر فيهما صيغة الإدراج (Inquit)؛ والخطاب المباشر الحر، والخطاب غير المباشر الحر، وتغيب فيهما صيغة الإدراج . ونراه يتحفظ على هذا التقسيم، مشيراً إلى أنه لا يعدو أن يكون تقسيماً قائماً على النمذجة غير الحصرية، إذ أن هناك أشكالاً عديدة مهجّنة للخطاب المستحضر، يتعدر حصرها وتمييزها كما يذهب إلى ذلك ل. روزيبي (L.Rosier).⁽³⁾

(1) - يؤكد هذا التحفظ آ. راباتال في مقاله المعنون: أفعال الإدراك في سياق الامحاء التلفظي، " من وجهة النظر إلى الخطابات المستحضرة" عندما يذهب إلى المرافعة من أجل توسيع دائرة الخطابات المستحضرة، لتشمل أشكالاً أخرى مختلطة، مثل الخطاب المباشر الموصول بالحروف المصدرية، " و القطع النصية العائمة" Ilots textuels والخطاب المباشر المحمول في الخطاب غير المباشر، أو ما يعرف بـ "الخطاب الممتص" Discours absorbé، و لتشمل أيضاً أشكالاً هجينة، مثل: يقال، أو يقولون، و الأقوال معادة الصياغة، و الجمل المحاكية، و الاستشهاد، و الاستشهاد الذاتي . ينظر:

Rabatel Alain , « Les verbes de perception en contexte d'effacement énonciatif: du point de vue représenté aux discours représentés » , Travaux de linguistique, 2003/1 no46, p. 49-88. DOI: 10.3917/tl.046.0049,p51

(*) - تعني Inquit في اللاتينية "يقول"، أي الفعل Inquam "قال"، مسندا إلى الغائب المفرد "الشخص الثالث". وقد اجتهدنا في ترجمتها بـ "صيغة إدراج القول" بناء على فحصنا للدلالة التي أعطاها إياها نولكه في مقاله المشار إليه أعلاه. نقرأ في قاموس غافيو اللاتيني - الفرنسي ما يلي:

Inquam: is, it, etc, v def [après un ou plus/ mots]=dis-je, dis-tu, dit-il... [dans une citation des paroles de qqn]. Gaffiot. Felix, 1934: Dictionnaire LATIN-FRANÇAIS, Hachette 79, Bd Saint-Germain, Paris, p826

(2) - يوضح د. مانغونو مفهوم الإظهار بقوله: "أن نقول شيئاً ما، لا يبدو فعلاً منفصلاً عن الفعل الذي يقوم على إظهار أننا نقوله. و هذا لا يتجلى فقط عبر أفعال الكلام، بل يتجلى أيضاً من خلال الواصلات ؛ فلكل ملفوظ واسمات للأشخاص و الزمن تنعكس فيها عملية التلفظ ذاتها . فالملفوظ يبرز بإظهار الفعل الذي كان وراء بروزه" ينظر:

D.Mainguenu: Pragmatique pour le discours littéraire.p13

(3) - Henning Nölke: Polyphonie linguistique et discours rapporté, p165

وتحدد الوظائف التلفظية للخطاب المستحضر في نظر نولكه (Nølke.H) على أساس النظر إلى وجود صيغة الإدراج، فإن وُجدت كما هو الحال في الخطاب المنقول بصنفيه، كانت الوظيفة التلفظية هي القول بأن المتكلم يستحضر فعل تلفظ الغير؛ وعندها يكون الخطاب المنقول مشمولاً بجزء صيغة الإدراج، وفي حال عدم وجود صيغة الإدراج يقتصر المتكلم على الإشارة إلى أنه يستحضر فعل تلفظ الغير، كما هو الحال في الخطاب الحر بنوعيه.⁽¹⁾ تُسمّى الحالة الأولى بالأصواتية المفتوحة (المكشوفة)، والثانية بالمحجوبة (المستترة).

و ينبغي أن نستحضر هنا آراء باحثين آخرين في مسألة أصواتية الخطاب المستحضر. فـديكرو (Ducrot. O) رائد التداولية المندجة، وواضع نظرية التعدد الصوتي اللسانية يستثني الخطاب المباشر المنقول من أصناف الخطابات المستحضرة ذات البعد الأصواتي، لأنه في نظره يقوم على فعلين تلفظيين متميزين؛ فعل يُسند إلى م1 متلفظ أصلي، والثاني يسند إلى م2 متلفظ آخر، ويكون هذا الأخير محددًا تحديدًا واضحًا، أي عندما يكون الخطاب المسند الى م2 مفصلاً بوضوح دلاليًا وتركيبيًا عن الخطاب المسند الى م1، لا يكون هناك تعدد صوتي، مثل الملفوظ: قال زيد: "إنها تمطر بغزارة".⁽²⁾

(1) - Henning Nølke: Polyphonie linguistique et discours rapporté, p167

(2)- Ducrot. Oswald: Le dire et le dit, p. 196-197

وهو بهذا يخالف الرأي المؤسس لنظرية الحوارية الباختينية، والذي مؤداه-وفقا لمقاربة باختين الخطائية - أن ظاهرة التعدد الصوتي والحوارية تتجاوز المستوى النحوي للخطاب المنقول، إلى الاعتداد بكل حالات الخطاب المستحضر، سواء كانت موسومة لغويا، أو لم تكن كذلك .

وقد تبنت مدرسة جنيف الحوارية هذه الرؤية، بل وجعلتها عمادَ نظريتها في التعدد الصوتي. فأقطاب هذه المدرسة، لا يعتقدون في تحليلاتهم سوى بالخطاب المستحضر، مطّرحين ما تبقى من ملفوظات أصواتية، دون أن ينكروا مقبولية التحليلات التي قام بها ديكر و لهذه الملفوظات المستثناة لديهم.⁽¹⁾

ومن وجهة نظر تداولية سوسيولسانية، يذهب فايركلو (N.Fairclough) مقتديا بهاليداي إلى توسيع دائرة الخطابات المستحضرة التي تشملها الظاهرة الحوارية - كما تقدّم بيانه - انطلاقا من مفهوم التناص أو التفاعل الخطابى، الذي يتم بواسطة استحضار التعدد الإيديولوجى، خاصة في الخطابات التي تتضمن ملفوظات النفي، باعتبارها تنطوي على علاقة التضاد الإيديولوجى.

يأخذ فايركلو في هذا بمبادئ البنائية التي ينظر بموجبها للنصوص، ليس فقط باعتبارها مُنتجة لوجهات نظر حول العالم، بل بما أنها أيضا تنشئ وجهات النظر هذه وتبنيها، انطلاقا من المبدأ القائل بأن الوحدات اللغوية تعكس تمثيلات اجتماعية

(1)- Roulet, E: L'organisation énonciative et l'organisation polyphonique, p277- 278

وثقافية عن العالم. فالتفاعل الخطابى لا يَنْتُج فقط عن استحضار وجهات النظر الخارجية على مستوى النص، بل ينتج أيضا عن كون النصوص ذاتها تنشئ وجهات نظر، قد تتبناها لاحقا ذوات حقيقية.⁽¹⁾

ستساعدنا هذه المناظير المختلفة على معالجة وافية لحالات الخطاب المستحضر التي تحفل بها مدونة الرسائل الجاحظية، لا سيما في مستوى التحليل الخطابى الذي نسعى فيه - حسب خطة البحث - إلى دراسة ظواهر خطابية تتعالق مع أصناف الخطاب المستحضر المختلفة، مثل: المطابقة بين ذوات الخطاب وذوات الواقع، وظاهرة الإمحاء التلفظى، ودرجات التكفل بالملفوظات، ومدى تبني المتكلم كاتب الرسائل للأصوات التي يقوم باستحضارها، وغيرها من القضايا التي يثيرها التحليل الخطابى للمدونة.

ب) المشهورات: نقارب مفهوم المشهورات Doxa في بحثنا هذا باعتباره آلية خطابية تسم الصوت الآخر الذي يستحضره المتكلم كاتب الرسالة في خطابه، لأجل بناء حجاجه وتقويته. ويُعنى بالمشهورات «مجموعة تمثيلات اجتماعية سائدة لا تتسم بصحة ثابتة، ويعبر عنها بصيغتها اللغوية الجارية»⁽²⁾(*)، لذلك يقال عنها أنها تدخل في نطاق المحتمل القابل للوقوع، وليس اليقيني، لارتباطها بالإيديولوجيا،

(1) - Roitman. Malin: op.cit, p44

(2) - ب. شارودو ود. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 191
 (*) - يعرفها ميشال بوجواز في "قاموس البلاغة" بأنها "مجموع الأفكار الشائعة، والمعتقدات، والتمثيلات المجمع على استساغتها". ينظر:

وما تعنيه من اختلاف في الرؤى والمقاربات. وذلك هو السبب أيضا في أن المشهورات تتعدد، بتعدد الحضارات والثقافات.⁽¹⁾

ويعود وضع المفهوم إلى أرسطو الذي حدّد معناه انطلاقاً من مصطلح شبيه هو (Endoxa) وجمعه (Endoxon)، بأنه « يحيل إلى الآراء المشتركة بين جميع الناس أو جميعهم تقريباً، أو بين الذين يمثلون الرأي المستنير جميعهم، أو تقريباً جميعهم، أو أشهرهم أو أحسن من يعتبرون ذوي سلطة». ⁽²⁾

بناء على مضمون هذا التعريف فالمشهوره «لا يمكن أن تحقق شرعيتها خارج إطار السلطة، بما هي مفهوم جامع يعني من جملة ما يعنيه الإرادة والإمكان» ⁽³⁾ ومن ثم تستعمل كلمة " المشهورات " غالبا في وصف المعتقدات الدوغمائية، السياسية والإيديولوجية، المعبرة عن حقائق متبناة لدى جماعات مختلفة والتي يعبر عنها بواسطة بنى متكلسة، مثل: الأمثال والحكم أو بواسطة بنى مرنة مثل التراكيب الحاملة للافتراض المسبق، أو الإثباتات. وتتشترك المشهورات في أنها ترفد الحجاج بخزان من الحجج، وتساعد على التدرج في إيراد سلاسل الملفوظات. ⁽⁴⁾

(1) - الشبعان.علي: الحجاج بين المنوال والمثال، - نظرات في أدب الجاحظ و تفسيرات الطبري، ط1، مسكيلياني للنشر و التوزيع، تونس2008 ص 39، 41

(2) - ب. شارودو ود.مانغونو:معجم تحليل الخطاب، ص 191

(3) - الشبعان.علي: مرجع سابق، ص 40

(4) - Roitman. Malin: op.cit, p51

أما باعتبارها واسما خطايا للأصواتية، فلا توسم المشهورات لغويا، بل قصارانا أن نَجهد في رصدها اعتمادا على معرفتنا بالعالم، أي السياق بمعناه الواسع، ولنعط الآن مثالا عن نفي أصواتي يتم بواسطته دحض المشهورة التالية:

- "كل شيء يمكن أن يبقى على حاله"

- "لا شيء يمكن أن يبقى على حاله"

بالفعل يمثل الملفوظ الداخض هو أيضا مشهورة: لا شيء يمكن أن يبقى على حاله، يكون أحيانا ممكنا ربط وجهات النظر المشهوراتية بصوت الجماعة من خلال ضمير الجماعة "نحن"، أو صيغة المبني للمجهول، وقد يقترن إيراد المشهورات بصيغ تعبيرية من قبيل "كما يعرف الجميع" و"كما تعودنا أن نفكر".⁽¹⁾

وعندما نصل إلى التحليل الخطابى، سنعكف على فحص العلاقة بين المشهورات والذوات الخطابية، وخاصة كاتب الرسائل.

(ج) المثل أو المشهورات الأمثالية: اهتم اللسانيون بالمثل، في مجال الدراسات المعجمية باعتباره وحدة معجمية متكلسة، كما اهتموا به في مجال الدراسات الخطابية اهتماما أكبر، حيث نظر إليه بعض محلي الخطاب باعتباره نمطا من أنماط الخطاب المستحضر، إن لم يكن في نظرهم الخطاب المستحضر بامتياز.

(1) - Roitman. Malin: op.cit, p51

ومن ثم اكتسب أهمية خاصة في الدراسات التداولية، منظورا إليه كحالة من حالات التعدد الصوتي. (1)

يرى ج.ك. أنكومبر (Anscombre J.-Cl) أن المثل لا يؤتى به ليقدم معلومات بما هو كذلك، بل يُلجأ إليه على العكس من ذلك ليكون إطارا للاستدلال وضامنا له. إن نمط الاستلزام الذي يتيح المثل هو استلزام ذو طبيعة خطابية أساسا، سواء كان صريحا أو ضمنيا. (2) ومردّ هذه النظرة إلى وظيفة المثل، تميّزه من الناحية التلفظية بازدواج الجهة التلفظية التي يصدر عنها عندما يقع الاستشهاد به (في مضربه)، فهو كما يقول أ.غريماس (A.Greimas) تلفظ «يتخلى فيه المتكلم طوعا عن صوته، ويستعير صوتا آخر لينقل قطعة من الكلام لا تعود إليه خاصة، الا بالقدر الذي يتيح له أن يستشهد بها» (3)

و ينجم عن هذا الاستشهاد استثمار ما تحتزنه عبارة المثل من دلالة مجردة تتعلق بكليات التفكير الإنساني، أو بالمواضيع الاجتماعية، مما يعبر عنه بالمشهورات أو المواضيع. لذلك وجدنا ج.ك. أنكومبر يؤكد أن المثل بطابعه اللازمي، يمثّل ما يشبه المعرفة غير الناتجة عن إدراك، أو استلزام يقوم بهما من يستعمله، بل الأحرى - كما يقول - ألا نعتبره من المقولات اليقينية " الإدراك " أو

(1) – Gresillon. Almuth, Maingueneau. Dominique : Polyphonie, proverbe et détournement, ou un proverbe peut en cacher un autre. In:Langages, 19e année, n°73, 1984. pp. 112-125. doi: 10.3406/lgge.1984.1168 ,p112

(2) - Anscombre J.-Cl: Proverbes et formes proverbiales: valeur évidentielle et argumentative. In: Langue française. N°102, 1994.pp. 95-107.doi: 10.3406/lfr. 1994. 5717, p106

(3) – Gresillon.Almuth, Maingueneau .Dominique: op.cit, p112

" الاستلزام "، بقدر ما يصح أن نضمه إلى مقولات " الاقتراض " ... وتحديدًا الاقتراض من مصدر مجهول،⁽¹⁾ مفترضا أن كل الأمثال مواضع، ولو أن كل المواضع لا يمكن التعبير عنها بواسطة الأشكال اللغوية الأمثالية.⁽²⁾

يقودنا هذا إلى القول إن المثل بما هو خطاب مستحضر، هو ملفوظ أصواتى بطبيعته، وهو مثال بارز عن التفاعل الخطابى، من حيث أنه استعادة لوجهة نظر تلفظ بها عدد من الأشخاص لا حصر لهم، عدداً من المرات لا سبيل إلى إحصائها، مما حدا ببعضهم إلى القول إن المثل هو "حكمة الشعب" يضعها المتكلم على الركب.⁽³⁾ لذلك يفضل الكثير من الباحثين الحديث صراحة عن مشهورات أمثالية Doxa proverbiales، لا عن أمثال Proverbes.⁽⁴⁾

وخلافاً لهذه الرؤية يرى كليبر (Kleiber) أن المثل، وبغض النظر عن بنيته التركيبية، لا يعدو أن يكون تسمية ميتالغوية تدل على معنى محدد، كسائر الأسماء،⁽⁵⁾ منبهاً بذلك إلى ثبات الدلالة في العبارة الأمثالية، مما يجعلها أقرب إلى الدلالة القاموسية منها إلى الدلالة المتولدة عن الممارسات الخطابية.

(1) - Anscombe J.-Cl: Proverbes et formes proverbiales: valeur évidentielle et argumentative, p105

(2) - Michaux. Christine: Le proverbe: nom ou phrase ?, Université Libre de Bruxelles, Paremia, 8: 1999. Madrid, p 342

(3) - Maingueneau. Dominique. 1994 : L'énonciation en linguistique française. Paris: Hachette, p149

(4) - Roitman. Malin: op.cit, p52

(5) - Michaux. Christine: : op.cit, p340-341

لكن هذه الرؤية المعجمية لا يعتد بها كثيرا في حقل الدراسات التداولية، التي تنظر معظم تياراتها كما أسلفنا إلى المثل باعتباره نموذجا تمثيلا للخطاب المستحضر؛ أحد أبرز تجليات التعدد الصوتي . فضمن مقاربة مدرسة السكابولين لهذا الموضوع، يُنظر إلى المثل على أنه ملفوظ مكوّن للكلام، يحمل معنى مركباً من مجموعة تعليمات، تقدّم للمخاطب أو المخاطبين، على نحو ييسر لهم عملية التأويل. ووفقا لهذه المقاربة، تشعّل الامثال-تماماً مثل النفي-تشكيلاً اصواتياً، مكوّنًا من الذوات الخطابية، ووجهات النظر، والروابط التلفظية. يُقحم المثل إذن متكلماً LOC يتبنى موقفاً ما من وجهة النظر المُسندة إلى إحدى الذوات الخطابية الموضوعة على الركح، ويتبنى كذلك نتيجة معيّنة، يسعى إلى توجيه مخاطبه إليها. (1)

ويرتبط التأويل الأصواتي للمثل بعوامل لسانية وغير لسانية؛ عوامل غير لسانية، لأن المثل ينتمي إلى خزان ملفوظات معروفة بهذه الصفة لدى جميع مستعملي لغة ما، ويؤكد ذلك أن حساب دلالة المثل، لا يتوقف فقط على مركباته اللغوية. أما العوامل اللسانية، فلأن المثل، بغض النظر عن كونه ملفوظا يمتاز بتخزين دلالاته في الذاكرة، يتميز بخصائص نوعية يمكن للسانين رصدها وتوثيقها، ووصفها كما توصف سائر الملفوظات. (2)

(1) - SOFIA, Dima: Le proverbe, un cas spécial de polyphonie. Recherches ACLIF: Actes du Séminaire de Didactique Universitaire, 2006, no 3, p235

(2) - Gresillon .Almuth, Maingueneau. Dominique. Polyphonie, proverbe et détournement, ou un proverbe peut en cacher un autre, p113

نخلص مما تقدّم إلى أن الأمثال أو المشهورات الأمثالية تمثل حالة أصواتية جديرة بالاهتمام في حقل الدراسات التداولية، باعتبارها واسما خطابيا يكثر وروده في الخطابات الأدبية بمختلف أنماطها، ولا سيما الخطابات ذات المضامين الإيديولوجية، بأصنافها السياسية والاجتماعية والدينية المذهبية. وهذا ما ينطبق بصورة لافتة للنظر على الخطاب الرسائلي عند الجاحظ، حيث تغطي النصوص بالاستشهادات الأمثالية التي ليست غريبة على كاتب موسوعي، عرف بالقدرة على الرواية والتصنيف، كما عرف بالقدرة على التحليل وإبداع المفاهيم والأفكار.

د- الافتراض المسبق: نتبى في هذا المستوى من البحث التصور القائل إن الافتراضات المسبقة ذات طبيعة تداولية، ترتبط عملية التقاطها باستنطاق السياق المقامي أكثر مما ترهن لبنية الملفوظ اللغوية، خلافا لما تفترضه نظرية التداولية اللسانية المندمجة. ودافعنا إلى ذلك هو اعتماد مفهوم موسع للافتراضات المسبقة، يتيح لنا إنجاز التحليل الخطابي لظواهر التعدد الصوتي في مدونة الرسائل، التي تقتضي دراستها تجاوز النص إلى ما يحيل إليه من ذوات حقيقية، ومرجعيات فكرية ودينية وسياسية، يتعذر إثبات وسمها بكل تفاصيلها في البنية اللغوية للملفوظات المشكلة لنسيج النصوص الرسائية .

و لا بد لنا والأمر هكذا متطلبه أن نعرض أولا لمفهوم الافتراض المسبق نظريا، ونقدم ما قيل في تعريفه وبيان أنواعه، وما نجم عن ذلك من اختلافات في

الجوانب المتصلة بتطبيقه، وكذلك في الجوانب المتصلة بتداخله مع الظواهر المشابهة له، مما يجمعه المختصون تحت اسم "المضمّر".

يُميّز يول (G.Yule) بين الافتراض المسبق والاستلزام، بقوله: «الافتراض المسبق هو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام، أي أن الافتراض المسبق موجود عند المتكلمين، وليس في الجمل، أما الاستلزام فهو شيء ينبع منطقياً مما قيل في الكلام . أي أن الجمل هي التي تحوي الاستلزام، وليس المتكلمون». (1) يظهر في هذا التعريف توجه صاحبه إلى عدم تبني الطرح اللساني الجذري الذي نادى به أ. ديكرود (Ducrot. O) في تأسيسه لجملة المفاهيم الخاصة بنظريته التداولية، ومنها مفهوم الافتراض المسبق أو الاقتضاء، هذا الطرح الذي يقرر أن كل الظواهر الدلالية موسومة في البنية اللغوية للملفوظات. و اعتماداً على هذا المبدأ يقدم ديكرود فرضية تقوم «على أن كل عمل لا قولي يفترض عمل اقتضاء» (*). لذلك فإن تحليل الاقتضاء يتحدد منذ المكوّن اللغوي باعتباره عنصراً دلالياً من القول». (2) والمثال التالي يحلّل - حسب نظريته - إلى مقول ومقتضاه على النحو التالي:

القول: كف زيد عن التدخين

المقول: زيد لا يدخن الآن

المقتضي " الافتراض المسبق ": كان زيد يدخن .

(1) - يول. جورج: مرجع سابق، ص 51

(*)- الاقتضاء مصطلح مرادف للافتراض المسبق، يميل إلى استعماله الكثير من الباحثين العرب

(2)- المبخوت. شكري: نظرية الحجاج في اللغة، ص 372

وقد اتخذ ديكرو بنيته النفي والاستفهام (التصديقي معيارين لضبط المقتضى) حيث لا يتغير المحتوى القضوي موضوع الافتراض المسبق، عندما يدخل النفي ولا استفهام على القول. (1)

غير أن هذا الطرح الجذري لم يصمد أمام النقد حتى لدى أقطاب المدرسة اللسانية التداولية، فقد وقفت ك.ك. أو ركيوني (C K-Orechionni) متحفظة، من مسألة اعتبار الافتراض المسبق عنصراً أصيلاً مكوناً للمحتوى الدلالي، يُستغنى عن المعطيات السياقية لتحديده، ورأت أن تخفف من جذرية طرح ديكرو، بقولها إن الافتراضات تكون «مدرجة في اللغة، ولا يتدخل السياق أو السياق الحالي للنص إلا لإزالة تعددية المعاني المحتملة الوقوع». (2)

و رغم ما في هذا الرأي الأخير من اعتدال في الطرح، ومحاولة لاستيعاب الظواهر الدلالية التي يتدخل في بنائها الافتراض المسبق، إلا أن تداوليين من آفاق معرفية أخرى نحو نحو مختلفا في مقارنة مفهوم الافتراض المسبق، فقدموا تعريفات تباينت في درجة اتساعها. و لعل أوسع هذه التعاريف ما جاء به السوسيولساني أ. غوفمان (E.Goffman) من تأكيد على عدم اشتراط الوسم اللغوي في الافتراضات المسبقة . يقول: « نحدد بصفة افتراضية اقتضاء [..] باعتباره حالة للأشياء نعتبرها حاصلة في نفس الوقت الذي نتعاطى فيه نشاطاً [..] وتعريف بهذا

(1) - المبخوت. شكري: نظرية الحجاج في اللغة، ص 372

(2) - أوركيوني ك.ك.: مرجع سابق، ص 50

الاتساع يؤدي إلى أن نقول إنا إذا أزمعنا في المساء الرحيل غداً سحراً فإن ذلك يقتضي أن الشمس ستطلع»⁽¹⁾ والحق أن هذا التعريف من الاتساع بحيث لا يمكننا الاعتماد عليه إجرائياً في الدراسة التطبيقية للملفوظات والخطابات. لذلك كان علينا أن نلتمس تعريفاً أكثر تحديداً وقابلية للتطبيق الإجرائي .

يقدم لنا د. مانغونو (Mainguenu, D) اقتراحاً لتجاوز الإشكالات المشار إليها سابقاً، بجنوحه إلى التمييز بين نمطين من الافتراض المسبق؛ هما الافتراض المسبق الدلالي، وهو الذي تحدث عنه ديكر و أوركويوني وغيرهما، والافتراض المسبق التداولي، مبينا أن الصنف الثاني ليس مكوناً من مكونات محتوى الملفوظ، بل هو عنصر يرتبط بعملية التلفظ، أي بشروط نجاح العمل اللغوي. ويضرب مثلاً بالاستفهام الذي يقتضي تداولياً عدداً من الاقتضاءات لا علاقة لها بالمحتوى القضوي لجملة الاستفهام، كافتراض أن السائل لا يعرف الجواب، أو أنه مهتم بسماع الجواب، أو أنه لا يرى أن الجواب بديهي.... الخ.⁽²⁾

و قريب من هذا الطرح ما ينادي به فايركلو (N.Fairclough) في كتابه " تحليل الخطاب _ التحليل النصي في البحث الاجتماعي " من ضرورة تخطي النصوص إلى سياقاتها المقامية الواسعة لإنجاز تحليل للخطاب يوصلنا إلى الكشف عن

(1) - ب . شارودود ود. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص454

(2) -Mainguenu D:Pragmatique pour le discours littéraire,p89

الافتراضات المسبقة الكامنة في بنىات الأنشطة الاجتماعية المختلفة، هذه الافتراضات المسبقة التي يسميها "الأرضية المشتركة" « common ground »⁽¹⁾

نتهي من هذا العرض إلى تأكيد ما بدأنا به من أن مفهوم الافتراض المسبق لا يكون إجرائياً في تحليل الخطابات الأصيلة، مثل الخطاب الأدبي دون توسيع مفهومه، بالصورة التي وضحتها حتى يمكننا من تحليل قضايا من قبيل المطابقة بين الذوات الخطابية والذوات الحقيقية، والكشف عن وجهات النظر المضمرة، وإسنادها إلى الأصوات والذوات المستحضرة في النصوص، ذلك الاستحضار الذي لا يتم دائماً بواسطة آليات لسانية خالصة .

(1)- نورمان فاركلوف: تحليل الخطاب_ التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبه، ط1، المنظمة العربية للترجمة- مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2009، ص120، 127

أ) ذوات الخطاب وذوات الواقع في الخطاب الرسائلى

1- ذوات الخطاب ومدى مطابقتها لذوات الواقع:

يتيح لنا خطاب الرسائل بدرجات متفاوتة من الصعوبة المطابقة بين ذوات الخطاب وذوات الواقع،⁽¹⁾ ويرجع ذلك في الأساس إلى إكراهات التجنيس الخارجية، التي تفرض على المتكلم / كاتب الرسائل في مقامات كالتى أنتجت فيها رسائل الجاحظ، أن يكشف عن هويته وهوية مخاطبيه، وهوية من يستحضرهم في الخطابات المحمولة في متون رسائله.

ولما كنا لا نستطيع استبعاد الافتراض القائل بإمكانية تعذر المطابقة بين ذوات الخطاب وذوات الواقع في الجنس الرسائلى عامة، فإننا نذكر هنا بما تقدم بيانه في الفصل المخصص لتصنيف الأجناسى لرسائل الجاحظ،⁽²⁾ وهو أن رسائل الجاحظ تمتاز على الأقل بميزتين بارزتين تؤثّران على مسألة المطابقة بين ذوات الخطاب وذوات الواقع؛ فهي من ناحية نصوص "ثبت" من خلال التحقيق النصوصى الذي خضعت له عدة مرات نسبتها إلى الشخصية الأدبية والفكرية المعروفة في تاريخنا، باسم **أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ**، ولا توجد إلا نصوص قليلة جدا تثير إشكالا في مسألة نسبتها، ومن ناحية ثانية أن متون هذه الرسائل فى الغالب هي خطابات محمولة فى الرسائل، يطغى عليها المكوّن الحجاجى، أيّا كانت الصفة التحديدية التي تعطى لها؛ رسائل أدبية، أو سياسية، أو كلامية كما صنّفها **علي بوملحم**، أو

(1) - ذوات الواقع وذوات الخطاب: يميز شارودو بين الذات المتواصلة والذات المؤولة الخارجيتين عن المقول (الخطاب)، ويندرج هذا التمييز ضمن تمييزه بين المستوى المقامى و المستوى الخطابى (معجم تحليل الخطاب، ص538)

(2) - ينظر تفصيل ذلك فى الفصل الأول، ص88، 103-104

مفاخرات، أو ردود، أو مناظرات، كما يسمّيها آخرون في الدراسات التي أنجزت حول هذا النمط من الكتابات الجاحظية.⁽¹⁾ وغلبة هذا المكوّن استدعت من الجاحظ أن يسند الأقوال والطروحات إلى أصحابها في جل الحالات، وبدرجات متفاوتة من الوضوح، لا سيما أن القضايا التي تعالجها متون الرسائل، هي مما يندرج ضمن الخصومات السياسية والكلامية، أو من القضايا الاجتماعية المثيرة للجدل في زمن الجاحظ، أو من القضايا الشخصية التي لم تبرأ من أبعاد الانتماء المذهبي والولاء السياسي لكاتب الرسائل.

سيكون هدفنا الأساسي إذن من هذا التحليل، الإجابة عن الأسئلة التالية: ما هي الروابط الموجودة بين المشاركين، الذوات الحقيقية والذوات الخطابية؟ وما هي الاستراتيجيات الحجاجية التي استدعتها الإكراهات المقامية؟ وما هي الفائدة التي نجنيها من الإجابة عن هذه الأسئلة في تعميق فهمنا للخطاب الرسائلي وكيفية اشتغاله؟

الروابط التي يمكن إقامتها بين المشاركين، لنا تصورها على النحو التالي⁽²⁾:

المستوى الواقعي	المستوى الخطابي
كاتب الرسائل / من يمثله أو يمثلهم	المتكلم
الصوت الايديولوجي أو المذهبي... الخ	الصوت الجماعي
القارئ الخاص والقارئ العام	المتكلم له
المخاطب داخل متن الرسالة	المتلفظ له
المتلفظ (متلفظ معيّن يستحضر خطابه للاستشهاد)	الشخص الثالث (الغائب)

(1) - ينظر صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص 61، 64

(2) - نستلهم هنا النموذج التحليلي لرويتمان الذي سبقت الإشارة إليه (مع بعض التعديل)، ص 232

لا يعني هذا أنه سيكون متاحاً لنا دائماً إقامة هذه الروابط المفترضة، والمرسومة في الخطاطة السابقة، بين الذوات الخطابية والذوات الحقيقية، ذلك أننا حتى عندما نكتشف الصوت الحقيقي المطابق لذلك الموجود في النص، فإن ذلك لا يزيل كل لبس حول هذه المطابقة، إذ يتعذر علينا أن نظل في درجة عالية من الوضوح والشفافية في تصور العلاقة بين المستويين. وهذا ما يحتم علينا أن نعني كثيراً بفحص كيفية إعادة إنتاج الأصوات الحقيقية على مستوى النص، والبحث عن أنجع طريقة تسمح لنا بالحديث عن هذه الذوات الحقيقية، وتأكيد أنها هي المعنية في النص.

وينطبق هذا التحفظ أكثر ما ينطبق على الشخص الثالث (الغائب)، فهو لا يطابق دائماً متلفظاً بعينه، بل يكون في الغالب تمثيلاً نصياً لذات حقيقية. أما كاتب الرسائل فإنه عملياً القائم على مشهدة* وجهات النظر على المستوى الواقعي، كما أن المتكلم هو القائم على مشهدة وجهات النظر على المستوى الخطابي.

سننخذ كنقطة انطلاق دائماً الذوات الخطابية في علاقة إسناد مع الملفوظ الموسوم أصواتياً، ومع سياقه. وعند قيامنا بضبط هذه العلاقة، نكون في مستوى التشكيل الأصواتي (الروابط بين الذوات الخطابية ووجهات النظر)، وخلافاً لما فعلناه في الفصول السابقة، لن نستخدم هذا المفهوم في تحليلاتنا إلا قليلاً، وعند الضرورة، لأننا سنستخدم مفهوماً آخر في التحليل الخطابي، هو مصطلح "الصوت" للإحالة إلى التشكيل الأصواتي خطابياً كان أو حقيقياً.

(*) - "مشهدة" هي ترجمة نقترحها للعبارة الفرنسية *Mise en scène* التي يترجمها بعض الباحثين حرفياً بـ: "وضع على الركب"

وللتمثيل الاستدلالي من نصوص الرسائل، نورد ما انتهينا إليه من تصور عام حول تباين درجة وضوح المطابقة بين الذوات الخطابية والذوات الواقعية، قبل أن نعمّق بحث هذه المسألة من خلال فحص التعيين النصي للذوات في المبحث الموالي.

لاحظنا بعد قراءتنا المتكررة للرسائل أن مطابقة ذوات الخطاب وذوات الواقع تزداد وضوحاً كلما تعلق الأمر بالسجل السياسي والكلامي، وتقلّ في الحالات التي يكون الخطاب المحمول في متون الرسائل موجهاً لمعالجة قضايا اجتماعية أو شخصية. يحرص كاتب الرسائل في مقامات الجدل السياسي والكلامي على نسبة الآراء إلى أصحابها من خلال تسمية الجماعات وأحياناً الأشخاص تسمية علمية، وقد يلجأ إلى التسميات التحقيرية الدالة على موقفه الفكري أو المذهبي منها. فهو يسمي المرجئة، والخوارج، والشيع، والعثمانية، والبكرية، والسفانية،⁽¹⁾ وهي التسميات المعتمدة للفرق الدينية المعروفة. وفي مواضع أخرى لا يجد حرجاً من استعمال تسميات يرفضها الخصوم لما تنطوي عليه من دلالة قدحية، مثل: النابتة، المشبهة، الروافض، الحشوية⁽²⁾... وغيرها.

وبالمقابل، تقلّ عناية الجاحظ بتعيين الذوات الحقيقية في الرسائل الخاصة بالشأن الاجتماعي، أو الشخصي، إذ لاحظ بعض الدارسين أن الجاحظ يصطنع

(1) - مثلاً، في رسالة: العثمانية، ص 129، 138

(2) - مثلاً، في الرسالة نفسها، ص 133

(*) - الحق أن الفرق كانت تتبادل هذه التسميات القدحية، فأسوأ ما يوصف به المعتزلة أنهم مجوس الأمة، ويترتب عن هذا الوصف إخراجهم من الملة (ينظر تفصيل هذا الوصف في: ابن قيم الجوزية: شفاء العليل في مسائل والقضاء والقدر والحكمة والتعليل، د ط، تصحيح محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر، دمشق - سوريا 1988، ص 3)

المخاطب اصطناعاً في بعض رسائله،⁽¹⁾ لا لشيء إلا لفتح له استخدام المنهج الجدالي في معالجة قضايا اجتماعية معينة، تمتاز بنوع من الحساسية، وتفترض معالجة قائمة على الإقناع العقلي والاستمالة العاطفية معاً، ولا تستدعي فضح الخصم ومجادلته وإفحامه، وتمثل لهذا النوع من الرسائل، برسالة "تفضيل البطن على الظهر"⁽²⁾ حيث لا يمكننا الجزم بهوية المخاطب بهذه الرسالة، لا بصفته الشخصية، ولا بانتمائه الجماعي مذهبياً أو اجتماعياً. كما لا نستطيع المطابقة بين الذوات الخطابية المستحضرة بواسطة الأصوات المستنفرة في النص، والذوات الواقعية، إلا على سبيل الاحتمال والترجيح، ما عدا الأصوات التي يتم تعيينها نصاً بواسطة أسماء العلم أو التسميات المتعارف عليها.

2- تعيين الذوات نصياً: عرضنا فيما تقدم التصور العام لمسألة مطابقة

الذوات الخطابية للذوات الواقعية في الخطاب الرسائلى للجاحظ، وحاولنا أن نبرز إجمالاً الإكراهات المقامية والخطابية التي تتدخل في تيسير تلك المطابقة، أو جعلها تحتاج إلى جهد فاحص يستدعي استحضار المقام التلفظى الترسلى، انطلاقاً مما تمدنا به النصوص من تعليمات يحتزنها السياق النصي بمؤشرات وواسماته الأصواتية، أو السياق المقامي وما يشتمل عليه من معرفة نستقيها مما تحيل إليه الخطابات المختلفة التي يستعيدها خطاب الرسائل، كالنصوص المتقدمة عليه، أو اللاحقة له.

(1) - يقول بوملحم عن اصطناع الجاحظ للمخاطب في تقديم رسالة "تفضيل البطن على الظهر": "وهذا الشخص الذي كتب إلى الجاحظ في تفضيل الظهور على البطون، أو الغلمان على النساء، إنما هو شخص وهمي، فزع إليه الجاحظ إلى توهمه ليبر الخوض في هذا الموضوع الشاذ" (علي بوملحم رسائل الجاحظ - الرسائل الأدبية، ص 25)

(2) - يعين المخاطب في هذه الرسالة بضمير المخاطب، كما نجد في قوله: "عصمنا الله وإياك من الشبهة..." أو قوله: "وقد كان كتابك يا ابن أخي..." ص 149

بعد تقديم هذا التصور، نعكف الآن على التفصيل في هذه المسألة، وتتبع المطابقة بين الذوات حسب تصنيفها ضمن التفاعل الرسائلى القائم على مستويين تلفظيين متميزين :

المستوى التلفظى 1: المتكلم (كاتب الرسائل) / المتكلم له (المراسل)

(1) - المتكلم / كاتب الرسائل: يعين المتكلم كاتب الرسائل نفسه، ويحيل إلى ذاته الواقعية (الجاحظ الشخصية التاريخية المعروفة) بواسطة ضمير المتكلم المفرد في صدور الرسالة غالباً، وفي متونها أحياناً، ويقلّ استخدامه لضمير المتكلم المفرد في الخواتم حتى يكاد ينعدم. ويلجأ أحياناً إلى المزاوجة بين ضمير المفرد وضمير الجماعة في صدور الرسائل وفي متونها. ويغلب عليه استخدام ضمير الجماعة في خواتمها، ويبرز في المشهد التلفظى أحياناً متكلماً دون أن يعين نفسه بضمير، مكتفياً بدلالة عملية التلفظ ذاتها عليه. (1)

نمثل للحالات السابقة بما يلي:

في رسالة "المعاش والمعاد" يعين الكاتب نفسه بواسطة ضمير المتكلم المفرد في صدر الرسالة ومنتها وخاتمتها ، يبدأ بقوله: « حفظك الله وأمتع بك ... وإني عرفتك - أكرمك الله - في أيام الحداثة ... فلم أزل أبقاك الله في أحوالك تلك كلُّها بفضيلتك عارفاً ... طلبت الوسيلة إليك والاتصال بجللك ... ولم أزل أبقاك الله بالموضع الذي قد

(1) - ينظر تفصيل ذلك في مبحث "النظام التأشيرى" في الرسائل، ضمن الفصل الأول، ص 123

عرفت من جمع الكتب ... فرأيت أن أجمع لك كتاباً من الأدب جامعاً لعلم كثيرٍ من المعاد والمعاش... وعلمت أن ذلك من أعظم ما أبرُّك به وأرجح ما أتقرب به إليك» (1)

ويستأنف في المتن: « واعلم أن الآداب إنما هي... فأول ما أوصيك به... » (2)

ويختتمها بضمير المتكلم المفرد داعياً للمخاطب بقوله: « أسأل الله المبتدئ بكل نعمة والمتولّي لكل إحسان أن يصلي على محمد خيرته من خلقه وصفوته من بريّته وأن يتم عليك نعمته ويشفع لك ما حوّلك من نعمته بالنعمة التي يُؤمّن معها الزوال في جواره ومرافقة أنبيائه» (3)

وفي رسالة "كتمان السر وحفظ اللسان" (4) يعين المتكلم كاتب الرسائل نفسه في صدر الرسالة بضمير المفرد، لكنه في مواضع عديدة من المتن يعدّل عنه إلى ضمير الجماعة، كما في المقتطفات التالية: « وليس قولنا "طبع الإنسان على حب الخير والاستخبار" حجّة على الله... » (5) وفي قوله: « فنريد أن نعلم: لم صار الإنسان على ما مُنِع - وإن كان - لا ينفعه، أحرّص منه... » (6) وفي قوله: « فنقول: إن الله تبارك وتعالى جعل لكل نفس مَبْلَغاً من الوُسْع... » (7) أما في الختام، ويكاد ذلك يطرد في جل الرسائل - كما أسلفنا - فيستخدم ضمير الجماعة معلّقاً على ما تقدم في

(1) - ضمن الرسائل السياسية، ص 65-68

(2) - نفسه، ص 70

(3) - نفسه، ص 91

(4) - ضمن الرسائل الأدبية، ص 85

(5) - كتمان السر وحفظ اللسان، ضمن الرسائل الأدبية، ص 91

(6) - نفسه، ص 97

(7) - نفسه، ص 98

الرسالة بقوله: « ولو اقتصرنا في هذا الكتاب على حرف مما فيه، لكان بإذن الله كافياً لمن له لبّ وعقل»⁽¹⁾

وفي رسالة "القيان" ينسحب المتكلم كاتب الرسائل (الجاحظ) من المشهد التلفظي، ويضع على الركح مجموعة من الأشخاص، يعينهم بأسمائهم، ويسند التلفظ من بدايته إليهم،⁽²⁾ فيأخذون في التكلم بضمير الجماعة، في غياب تام للمتكلم كاتب الرسائل الذي نجد اسمه في عتبة العنوان: رسائل الجاحظ.

نقرأ في بداية نص الرسالة ما يلي: « من أبي موسى بن إسحاق بن موسى ومحمد بن خالد خذار خذاه وعبد الله بن أيوب أبي سُمير ومحمد بن حماد كاتب راشد والحسن بن إبراهيم بن (...) وإخوانهم المستمتعين بالنعمة والمؤثرين للذة المتمتعين بالقيان وبالإخوان المعدّين لوظائف الأطعمة وصنوف الأشربة والراغبين بأنفسهم عن قبول شيء من الناس أصحاب الستر والستارات والسرور والمروءات، إلى أهل الجهالة والجفاء وغلظ الطبع وفساد الحسّ»⁽³⁾

ولا يعود المتكلم كاتب الرسائل للظهور إلا في خاتمة الرسالة حيث يعلّق على تلفظ الجماعة المتقدّم ذكرها مستخدماً ضمير الجماعة كالمعتاد، بقوله: « هذه الرسالة التي كتبناها من الرواة منسوبة إلى من سمّيناها في صدرها، فإن كانت صحيحة

(1) - كتمان السر وحفظ اللسان، ضمن الرسائل الأدبية، ص 110

(2) - يقول علي بوملحم معلقاً على ذلك: " يذكر الجاحظ أسماء عدد من طلاب اللذة المشهورين في عصره الذين ينحلهم هذه الرسالة، وهو يفعل ذلك كعادته في كثير من رسائله، ويبدو أن الدافع الذي حمله على النحل هو رغبته في عدم تحمل مسؤولية الآراء التحريرية التي سيوردها في تضاعيف الرسالة لأنه يدرك أنها تلقى معارضة عنيفة من جانب أصحاب الحديث ... " ينظر: هوامش رسالة القيان، ضمن الرسائل الأدبية، ص 87

(3) - ضمن الرسائل الأدبية، ص 63

فقد أدّينا منها حقّ الرواية والذين كتبوها أولى بما قد تقلّدوا من الحجّة منها، وإن كانت منحولة فمن قبل الطّفيليين إذ كانوا قد أقاموا الحجّة في أطراح الحشمة والمرتبطين ليسهلّوا على المقيّنين ما صنعه المقترفون»⁽¹⁾

ولا يفوتنا في هذا الموضوع من الدراسة أن نشير إلى انزياح يميّز النص الرسائلى عند الجاحظ، باعتبارها نصا تراثيا "ناقص" الموثوقية، من ناحية روايته وتدوينه ونسخه، ويتمثل هذا الانزياح في وجود رسائل يتدخل الناسخ في مشاهدتها التلفظية، منشئا مستوى تلفظيا ثالثا خاصا به، عندما يعمد إلى تقديم تلفظ كاتب الرسائل، بقوله مثلا: «قال أبو عثمان: ...» في صدور بعض الرسائل وفي متونها،⁽²⁾ أو بإنهاء لها أحيانا بعبارات من قبيل: «تم كتاب الحجاب، والله الحمد والمّنة ...».⁽³⁾

وفي هذه الحال نكون أمام متكلم غير المتكلم كاتب/ الرسائل، ويفرض علينا ذلك الرجوع إلى النصوص المؤوّلة،⁽⁴⁾ للقيام بالمطابقة بين الذات الخطابية ممثلة في المتكلم/الناسخ، والذات الحقيقية/الشخص التاريخي الذي قام بعملية النسخ.

(2) - المتكلم له/ المرسل إليه⁽⁵⁾: لا تتيح لنا المقاربة التلفظية الأصواتية أن

نطابق ببسر وسهولة بين المتكلم له (المرسل إليه) والذوات الواقعية، فنصوص

(1) - ضمن الرسائل الأدبية، ص 86

(2) - في رسالة "فضل هاشم على عبد شمس" تتكرر عبارة "قال أبو عثمان" في الصفحات: 410، 412، 413، 414، 415، 416، 417... حتى الصفحة 432 فضلا عن العطف عليها بالإحالة الضميرية "وقال" والتي تتكرر هي الأخرى كثيرا، كما نجد هذه الظاهرة التلفظية أيضا في رسالة "العباسية"

(3) - كتاب الحجاب، ضمن الرسائل السياسية، ص 598، ويتكرر ذلك في الكثير من الرسائل

(4) - جملة النصوص القديمة والحديثة التي تفاعلت خطابيا مع نصوص الرسائل: نصوص المحققين، والتراجم، والدراسات الحديثة والمعاصرة

(5) - لا نستخدم هنا المصطلح اللساني الذي يقابل المرسل والمرسلة، وإنما اللفظ العادي الذي يحيل إلى الشخص الحقيقي الذي وجهت إليه الرسالة في زمان ومكان معينين، أي المراسل .

الرسائل تسكت في الغالب عن تعيين هذه الذوات الحقيقية بأسمائها، ذلك أن المتكلم كاتب الرسائل، وتبعاً لإكراهات المقام الترسلية، يصرح بهذه الأسماء في نص الرسالة، وهذا نادر وقليل، وفي كثير من الأحيان يغفلها. وفي هذه الحالة الثانية لا نجد في نص الرسالة سوى ضمائر خطاب مبهمّة الإحالة (الإحالة الواقعية)، مما يحتم علينا أن نبحث عنها اعتماداً على تحليل المقام التلفظي كما تجلّيه الظواهر النصية والخطابية، أي اعتماداً على ظاهرة التعدد الصوتي، وما يرتبط بها من وجهات نظر، يتبناها المتكلم كاتب/ الرسائل، أو يدحضها، أو يقف منها موقف المحايد.

ومن بين المعايير التي نعتمدها في ذلك دلالة ضمير الخطاب على علاقة المتكلم كاتب الرسالة بالمتكلم له /متلقي الرسالة، من حيث التراتبية الاجتماعية والعلاقة العاطفية، والانتماء المذهبي... وغيرها من المعطيات التي يمدنا بها السياقان النصي والمقامي.

يعيّن المتكلم كاتب الرسائل مراسليه بضمير المخاطب المفرد، ويغلب هذا على صدور الرسائل ومتونها وخواتمها -خلافاً للقاعدة المرساة في التقليد العربي القديم التي تقتضي مخاطبة الأعلى مرتبة بضمير الجماعة - سواءً تعلّق الأمر بمخاطبة مراسلين ذوي مرتبة اجتماعية عليا أو دنيا، والملاحظ أن بعض الرسائل تخلو من ضمائر الخطاب مطلقاً، فلا تبدو الرسالة موجهة إلى مخاطب بعينه، ويغلب ذلك على الرسائل الكلامية وبعض الرسائل السياسية.

تمثل لحالات المطابقة بين الذوات الخطابية والذوات الواقعية، فيما يخص المتكلم لهم المخاطبين الأوائل بالرسائل، بما يلي:

ـ اطّراد استخدام ضمير المخاطب المفرد في الرسائل: خلافا للطقوسية التي كرّسها منظّرو الكتابة الترسلية في الأدب العربي القديم،⁽¹⁾ يندر في مدونة الرسائل الجاحظية تعيين المخاطب بضمير الجماعة، تعبيرا عن علو المرتبة الاجتماعية، وتقيّدا بآداب مخاطبة الأعلين مرتبة، فعلى امتداد نصوص الرسائل، تطغى مخاطبة المتكلم / كاتب الرسائل مراسليه جميعا بضمير المفرد، وفيما يلي أمثلة مقتطفة من هذه الرسائل:

يخاطب الجاحظ محمد بن أحمد بن أبي دؤاد^(*) في رسالة "نفي التشبيه" بقوله: « وكان من أسباب دفعي إليك هذا الكتاب - أبقاك الله - دون أبي عبد الله أكرمه الله أنكما قد تجريان في بعض الأمور مجرىً واحداً ولأنك وإن كنت كثير الشُّغل فهو أقلُّ فراغاً منك على كثرة شُغلك وفرط عنايتك بما استكفأك واسترعاك ».⁽²⁾

ويتكرر ذلك في رسالة "الفتيا" التي يوجّهها إلى أبيه أحمد بن أبي دؤاد: « أطال الله بقاءك وأعزّك وأصلح على يديك... وأنت أيّها العالم معلم الخير وطالبه والداعي إليه وحامل الناس عليه... فنسأل الذي منحك حسن الرعاية أن يمنحنا حسن الطاعة... وعندي -أبقاك الله- كتابٌ جامعٌ لاختلاف الناس في أصول الفتيا... ».⁽³⁾ ويتكرر ذلك أيضاً، في رسالة "الحكمين وتصويب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب" التي يوجّهها إلى شخص غير معروف يسميه ابن حسان: « وفقك الله للسلامة والغنيمة

(1) - ينظر تفصيل ذلك في المبحث المعنون: "نظام التأشيرات الشخصية" ضمن الفصل الأول، ص 116 وما بعدها
 (*) - ابن أحمد بن أبي دؤاد قاضي القضاة في عهد الخليفة المعتصم، كان أبوه معتزلياً من أتباع واصل (ت 240 هـ)، وقد خلفه في منصب قاضي القضاة في عهد المتوكل، وتوفي قبله بنحو عشرين يوماً، كما جاء في وفيات ابن خلكان

(2) - ضمن الرسائل الكلامية، ص 218

(3) - رسالة الفتيا، ضمن الرسائل الكلامية، ص 247 وما بعدها

...وقد كنت حذرتك، يا ابن حسان، أمورا فكأنى أغريتك بها...عتبت عليك بمجادلة
الرافضة...فاجمع الآن بالك...خبرني أي شيء نصيت عن علي بن أبي طالب من
الفضل...فكيف تزعم أن عليا...»⁽¹⁾.

ويخاطب أبا الفرج بن نجاح بالصيغة نفسها في رسالة "إلى أبي الفرج"، قائلا:
« جُعِلْتُ فداك، وأطال الله بقاءك، وأعزك وأكرمك، وأتم نعمته عليك وأيدك...قد
نسخت لك -أعزك الله - في صدر هذا الكتاب قصيدة قيلت في أبي الفرج أدام الله
عزه...»⁽²⁾ وفي خاتمتها: « ونعوذ بالله أن يكون فيكم ما يستدعي الألفاظ الشريفة
والمعاني النفيسة...»⁽³⁾؛ وفي رسالة "المودة والخلطة" بقوله: « أطال الله بقاءك،
وأعزك وأكرمك، وأتم نعمته عليك، زعم -أبقاك الله - كثير ممن يقرض الشعر... وأنا
أزعم -أبقاك الله- أن إقرار المسؤول بما ينحل من ذلك نوك...»⁽⁴⁾ ثم يعدل عنه إلى
ضمير الجماعة: « على أنكم لم تحملونا إلا الخف...وأنا أسأل الله الذي ألزمكم المؤمن
الثقال...»⁽⁵⁾ ليعود إلى صيغة الإفراد بعد ذلك: « ثم اعلم-أصلحك الله- أن الذي
وجد في العبرة...»⁽⁶⁾.

ولا تخرج رسالة "استنجاز الوعد" عن التصرف في ضمائر الخطاب على هذا
النمط، مما يدل على أطراد هذه الصيغة الخطابية في مدونة الرسائل، وشمولها زيادة

(1) - ضمن الرسائل السياسية، ص 339-341

(2) - ضمن الرسائل الأدبية، ص 397

(3) - نفسه، ص 401

(4) - نفسه، ص 407

(5) - نفسه، ص 409

(6) - نفسه، ص ن

على المخاطبين العاديين، أصحاب الدرجات الاجتماعية العليا، إلا في مواضع نادرة كالتى أشرنا إليها.

_ **خلو صدور بعض الرسائل من ضمير الخطاب:** تخلو صدور بعض الرسائل من ضمائر الخطاب، فلا نجد لها أثرا في مفتتح الرسائل، وتصادفنا هذه الظاهرة التلفظية المتراحة في الرسائل التي بترت صدورها، ولم تتحدث الروايات عن توجيهها إلى مرسل إليه محدد، والغالب على هذا النمط من الرسائل هو تناولها للقضايا الكلامية والاجتماعية، على نحو ما نجد في رسالة "العثمانية" التي يستهلها الجاحظ بقوله: « ثم إنا مخبرون عن مقالة العثمانية، وباللّٰه نستهدي وإياه نستعين وعليه نتوكل، وما توفيقنا إلا باللّٰه... »⁽¹⁾ أو رسالة "طبقات المغنين" والتي يرد في مفتتحها: « ثم إنا وجدنا الفلاسفة المتقدمين في الحكمة... »⁽²⁾ أو رسالة "المسائل والجوابات في المعرفة" والتي تبدأ بـ: « باللّٰه نستعين وعليه نتوكل، وما توفيقنا إلا باللّٰه... »⁽³⁾ يختلف الناس في المعرفة اختلافا شديدا...».

ربما تُفسّر هذه الظاهرة بتعرض نصوص هذه الرسائل للبت، وهي الآفة التي تحدّث عنها كثير من دارسي آثار الجاحظ، التي لا تختلف في ذلك عن آثار غيره من الأعلام القدماء في شتى حقول العلم والمعرفة.⁽⁴⁾ لذلك ينبغي التحفظ في إصدار الأحكام على مثل هذه النصوص، لتعذر إعادة بناء السياق التلفظي الذي أنتجت فيه

(1) - ضمن الرسائل السياسية، ص 129

(2) - ضمن الرسائل الأدبية، ص 217

(3) - ضمن الرسائل الكلامية، ص 109

(4) - يتحدث الكثير من المعاصرين عن تعرض تراث المعتزلة للإتلاف بعد انقلاب الخليفة المتوكل عليهم، و انتصاره لأهل الحديث. للتعرف على مؤلفات الجاحظ التي لم تصلنا ينظر: علي بوملحم: كشاف الجاحظ، ملحق بالرسائل، ص 311-

بصورته الكاملة والصحيحة، لا سيما وأنا نعتمد في هذه الدراسة مفهوم السياق التفاعلي الذي يتبادل التأثير مع النص؛ فيبني الخطاب فيما يسهم الخطاب من جهته في بنائه.

المستوى التلفظى 2: المتلفظون (الصوت الجماعي والفردى)/المتلفظ لهم

ونعني بهذه الذوات الخطابية تلك الأصوات التي تستحضر في الخطاب المحمول في متون الرسائل، أي في المستوى التلفظى الثانى، وتتوجه بالخطاب إلى ذوات أخرى نسميها المتلفظ لهم، ويتم استحضار هذه الذوات بواسطة آليات أصواتية شتى، كالأسماء الأصواتية، والخطاب المستحضر بأصنافه المختلفة.

(1)- المتلفظون (الصوت الجماعي والفردى): يتم تعيين هذه الأصوات في

متون الرسائل بواسطة أسماء العلم الفردية والجماعية، ويحال إليها بعد ذلك بالضمائر المناسبة، وهذه هي الحالة الغالبة. كما يتم أحيانا إغفال هوياتها والاقتصار على الضمائر في تعيينها، لا سيما إذا تماهت هذه الذوات مع المتكلم لهم المخاطبين بالرسائل ممن أغفلت أسماءهم، وقد يلجأ الجاحظ أحيانا إلى رفع شيء من الإبهام الذي تحاط به الإحالة الواقعية للضمائر المعينة للمتلفظين، باستخدام نعوت معينة تدل على انتمائهم.

وكما دأبنا فيما تقدم، نمثل للحالات التي عرضنا لها بما يلي:

§ ضمير المتكلم المفرد / اسم العلم الفردى: يحيل ضمير المتكلم المفرد في

الخطاب المستحضر المحمول في الخطاب الأصل لرسالة "رسالة في الجد والهزل" إلى الذات الحقيقية التي يحدد المتكلم كاتب الرسالة هويتها باسم العلم "محمد بن عبد

الملك بن الزيات"(*) وهو شخصية معروفة في تاريخ الأدب العربي، يسند المتكلم كاتب الرسائل لها الكلام، ويستحضر خطابها في مواضع عدة من رسالته هذه، ومن ذلك: « سمعتك وأنت تريدني وكأنك تريد غيري أو كأنك تشير علي من غير أن تنصني وتقول: إني لأعجب ممن ترك دفاتر علمه متفرقة وكراريس درسه غير مجموعة ولا منظومة كيف يُعَرِّضُهَا لِلتَّخَرُّمِ وكيف لا يمنعها من التَّخَرُّقِ! »⁽¹⁾ وينطبق ذلك على أسماء أعلام أخرى منها:

أبو الفرج بن نجاح الكاتب في رسالة "المودة والخلطة"، ومحمد بن أحمد بن أبي دؤاد أبي دؤاد في رسالة "في نفي التشبيه"، وأبوه أحمد بن أبي دؤاد في رسالة "الفتيا". وهؤلاء من المرسلين المخاطبين بالرسائل الذين يندر في مدونة الجاحظ الرسائلية الإحالة النصية إلى هوياتهم. ومن ثم يتعذر علينا المطابقة بين الذوات الخطابية والذوات الحقيقية في غير هذه الحالات.

§ ضمير المتكلم الجماعي / اسم العلم الجماعي: خلافا للذوات الخطابية

المعينة بواسطة ضمير المتكلم المفرد، يحضّر في خطاب الرسائل متلفظون يضعهم المتكلم الكاتب على الركح، ويُسند إليهم مسؤولية التلفظ وكفالة الملفوظات.

يجل ضمير المتكلم الجماعي في الخطاب المستحضر المحمول في الخطاب الأصل لرسالة "الرد على النصارى" إلى الذات الحقيقية التي يحدد المتكلم / كاتب الرسالة هويتها باسم العلم الجماعي "اليهود" و"النجارى" وهم أتباع الديانتين السماويتين المعروفتين، يقول: « ولولا أن الله قد حكى عن اليهود أنهم قالوا: إن "عزيزاً ابن الله" »

(*) - محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة أبو جعفر الزيات الكاتب، وزير المعتصم و الوثائق (ت 233 هـ)

(1) - ضمن الرسائل الأدبية، ص 336

" ويد الله مغلولة " و " إن الله فقير ونحن أغنياء " وحكى عن النصارى أنهم قالوا: " المسيح ابن الله " وقال: " قالت النصارى المسيح ابن الله «. (1)

وينطبق ذلك على أسماء أعلام أخرى منها: "العثمانية" و"الشيعة" و"العلوية" في رسالة "العثمانية"، و"المرجئة" و"المعتزلة" و"الخوارج" في رسالة "الحكمين"، و"الموالي" في رسالة "في النابتة".

§ الضمائر مبهمة الإحالة/الصوت الآخر: تصادفنا في بعض الرسائل ضمائر تكلم فردية وجماعية أغفل المتكلم كاتب الرسالة تعيين إحالتها إلى ذوات واقعية محددة، ولكنها مع ذلك تعبر عن آراء وطروحات متبناة لدى طوائف وجماعات في المجتمع. لذلك تسمى هذه الذوات المبهمة المحال إليها بالصوت الجماعي أو صوت الآخر. وعندما نحاول إيجاد رابط بين هذه الذوات الخطابية المعينة بواسطة الإشارات الضمائية، والذوات الواقعية التي يمكن أن تطابقها انطلاقاً من فحص وجهات النظر المسندة إليها، وموقف المتكلم كاتب الرسالة من كفالة تلفظها، فإننا لا نتجاوز في محاولتنا تلك طرح احتمالات والترجيح بينها.

تمثل لهذه الحالة المتصلة بالضمائر مبهمة الإحالة بالأمثلة التالية:

في رسالة " الشارب والمشروب" يضع المتكلم/ كاتب الرسالة على الركن متلفظاً، يسند إليه خطاباً مستحضراً، يعين هذا المتلفظ نفسه بواسطة ضمير المفرد إضماراً لا تصريحاً قائلاً: « وقلت: وما فرق ما بين الجر والسقاء والمزفت والحنتم والدباء؟ وما القول في الممتل والمكسوب؟ وما فرق ما بين النقيع والدادي؟ وما المطبوخ

(1) - ضمن الرسائل الكلامية، ص: 273

والبادق؟ وما الغربي والمروق؟ وما الذي يجل من الطبخ؟ وما القول في شرب الفضيخ؟ وهل يكره نبيذ العكر؟ وما القول في عتيق السكر وأنبذة الجرار؟ وما يعمل من السكر؟ ولم كره النكير والمكير؟⁽¹⁾ ويخلو الخطاب الحامل له من أيّ إحالة تعيّن هوية هذا المتلفظ، وتتيح المطابقة بين ذات الخطاب المستحضر، والذات الواقعية المفترض أنّها تتحمل كفالة تلفظه. وتنضم إلى هذا المثال أمثلة أخرى في رسائل "الحاسد والمحسود" و"مناقب الترك" وغيرهما.

§ ضمير المتكلم / التسميات النعتية: تطرح هذه الثنائية المطابقة بين ذوات

الخطاب والذوات الحقيقية التي يمكننا التعرف عليها، لا بأسمائها المتعارف عليها، بل بصفة من صفاتها الإيجابية أو الحيادية، أو السلبية، وأمثلة ذلك كثير في رسائل الجاحظ، نورد بعضها فيما يلي للتمثيل:

في رسالة "الرد على المشبهة" نطابق بين الذات الخطابية الجماعية والجماعة المعينة بواسطة الوصف "المشبهة" وهي الجماعة المتعارف على تسميتها بـ "أهل السنة والجماعة"، في قوله مثلاً: «وقالت - أيضاً - المشبهة: الدليل على أنه جسم قوله عز ذكره: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (*).

قالوا: فلا يجيء إلا إلى مكان هو وفيه ولو جاز أن يجيء إلى مكان هو فيه جاز أن يخرج منه وهو فيه.»⁽²⁾ وفي رسالة "خلق القرآن" يحيل ضمير الجماعة / الذات الخطابية إلى الجماعة المسماة "الناطقة" إحالة قبلية في قوله: «وخطأ الناطقة وقول

(1) - ضمن الرسائل الأدبية، ص 275.

(*) - الآية 22، من سورة الفجر

(2) - ضمن الرسائل الكلامية، ص 234-235.

الرافضة تشبيه مصرح وكفر مجلح...وأما قولهم: إن معنا العامة والعباد والفقهاء وأصحاب الحديث...» (1)

(2)- المتلفظ لهم Enonciataires: يقوم المتلفظون بتعيين من يخاطبهم

في متون الرسائل، في الخطابات المحمولة التي تتمايز عن الخطاب الحامل الأصل، أي في المستوى الثاني من التلفظ الذي يميز التفاعل الرسائلى في مدونة الرسائل الجاحظية، ويتم هذا التعيين بحسب ما يقتضيه هذا التفاعل ومقامات الترسل الخاصة بكل نمط من الرسائل، ويمكننا تصنيف الرسائل من هذا المنظور كما يلي:

- رسائل المفاخرات والمناظرات: تعيين طرفي المفاخرة بأسمائهم، ثم الإحالة إليهم لاحقاً بالضمائر المناسبة، وتتميز هذه الرسائل بدرجة عالية من الامحاء التلفظي (2) للمتكلم كاتب الرسائل، مثل: تعيين المتلفظ لهم في مناظرة العثمانية للشيعه، إذ يميلنا ضمير الجماعة المخاطبين في الخطاب المستحضر المنسوب لأحدهما، إلى اسميهما المذكورين في خطاب المتكلم كاتب الرسائل، الذي يقوم بوضعهما على الركح ومسرحه أصواتهما من خلال عبارات مثل: "قالت العثمانية" أو "قالت الشيعه" (3) في رسالة العثمانية، وعبارات مثل: "قالت المرجئة" أو "قالت الخوارج" أو "قالت المعتزلة" في رسالة "الحكمين"

- رسائل الردّ والمهاججة: يغفل الجاحظ تعيين المتلفظ إليهم بأسمائهم في الغالب، ويكتفي بمخاطبتهم خطاباً مباشراً، يقوم على مشهدة الأصوات من خلال

(1) - ضمن الرسائل الكلامية، ص 171

(2) - ينظر تعريفه في مبحث لاحق من هذا الفصل، ص 280

(3) - رسالة العثمانية، ضمن الرسائل السياسية، ص 129، 135 وفي غيرهما من المواضع

الإحالة إليهم بواسطة ضمائر الخطاب، أو التسميات المبهمة، وتمثل لذلك برسالة "مفاخرة الجوارى والغلمان" حيث يعين المتلفظ له بواسطة ضمير المخاطب المفرد، الذي يحيل في الخطاب المحمول ذاته إلى "صاحب الغلمان"⁽¹⁾ مما يجعل المطابقة بين الذات الخطابية والذات الواقعية متعذرة، ويمنع من تحديد روابط المسؤولية على التلفظ وكفالاته، لكننا مع ذلك نستطيع التعرف على موقف المتكلم كاتب الرسائل من وجهات النظر المسندة إلى الصوت الجماعى الذي تمثله هذه الذات المبهمة الهوية في الخطاب المحمول الذي أنتجه المستوى التلفظى الثانى لخطاب الرسالة.

(3)- الشخص الثالث⁽²⁾: يلجأ المتكلم كاتب الرسائل إلى استحضار

أصوات يعينها بواسطة ضمائر الغائب، وصيغة البناء للمجهول، والنكرة غير المقصودة، وهو ما يعرف فى الجهاز الاصطلاحي للتحليل الأصواتى بـ "الشخص الثالث" إشارة إلى المرتبة التى يشغلها فى وضعية التلفظ التى يفترض أن يهيمن عليها المتكلم والمخاطب (المتكلم له) العنصران الأصيلان فى مقام التلفظ.

لذلك تطرح مسألة المطابقة بين الذوات الخطابية التى تعينها ضمائر الغائب، وصيغة البناء للمجهول، والنكرة المقصودة، والذوات الواقعية صعوبة كبرى، تتأتى من كون هذه الوحدات اللغوية تتميز بضعابية الإحالة الشخصية، فلا تتحدد الذوات الواقعية التى تحيل إليها إلا من خلال فحص السياق بمكوناته النصية والمقامية. فقد

(1) - ضمن الرسائل الأدبية، ص 166

(2)- الشخص الثالث La troisième personne يعنى به الشخص الغائب الذى يحال إليه بضميرى الغياب فى الفرنسية II للمفرد، وهو الضمير الثالث من ضمائر الإفراد؛ وIls/Elles للمثنى والجمع، وهو الضمير الثالث من ضمائر الجمع

يحيل الشخص الثالث إلى صوت جماعى غير متجانس، وقد يحيل إلى القارئ، وقد يحيل أحيانا إلى المتكلم كاتب الرسالة ذاته.⁽¹⁾

وبفحصنا لمقاطع نصية مقتطفة من الرسائل نتبين بصورة أوضح الأصوات التي يستنفرها الشخص الثالث، ويسند إليها وجهات النظر المختلفة.

إن من يستحضرهم كاتب الرسائل بواسطة ضمير الغيبة للاستشهاد بأقوالهم من الأعلام الذين ينتمون إلى ميادين مختلفة، من الحكماء، والخطباء، والكتاب، والشعراء، والساسة، والفقهاء، والمتكلمين، والمحدثين، فهؤلاء جميعا يعينون في الخطاب الأصل الحامل، بأسمائهم أو ألقابهم التي عرفوا بها، ويعينون أنفسهم في خطاباتهم المستحضرة بواسطة ضمير المتكلم، باعتبارهم متلفظين يتكفلون بالملفوظات في المستوى التلفظى الثانى لا كمشاركين، بل كأصوات تستدعى لدعم الحجاج وتقويته، لأن أغلبهم لا يمثل طرفا من طرفى التواصل، بقدر ما تمثل أقوالهم المستحضرة "الخلفية المشتركة" أو "المعرفة الموسوعية" التي يحتكم إليها المتحاورون: المتكلم (كاتب الرسائل) / المتكلم له (المراسل)، أو المتلفظون (أصحاب الخطابات المستحضرة) / المتلفظ لهم (خصومهم ومحاوروهم).

هذا الصنف (الشخص الثالث) من المتلفظين سنعرض له لاحقا عندما نتناول الخطابات المستحضرة التي توظف في الحجاج ذى السلطة المرجعية.

(1) - خاصة في المستوى التلفظى الثالث الذي يأخذ فيه الناسخ مسؤولية التلفظ، و يتحدث عن كاتب الرسائل بضمير الغائب، في مثل قوله: "قال أبو عثمان..."، كما مر بنا في غير هذا الموضع

ب) هيمنة المتكلم / كاتب الرسائل على التلفظ

-درجات هيمنة كاتب الرسائل على التلفظ:يربط الباحثون في حقل الدراسات التداولية ظاهرة الهيمنة على التلفظ⁽¹⁾ بدراسة الخطاب المستحضر من منظور حوارى أو أصواتى، ويدرجون دراستها أحيانا ضمن ظاهرة أوسع منها، هي ظاهرة الامحاء التلفظى للمتكلم⁽²⁾ والتي تبرز في الخطاب الحامل للخطاب المستحضر بدرجات متفاوتة، بحيث كلما زادت درجة حضور المتكلم في التلفظ المنسوب للمتلفظ بالخطاب المستحضر، تحققت ظاهرة الهيمنة على التلفظ، وبقدر ما يقل حضوره في ذلك الخطاب، تنشأ الظاهرة المقابلة، وهي المسماة فقدان الهيمنة على التلفظ.⁽³⁾

وتتحقق ظاهرة الهيمنة على التلفظ من خلال آليات لغوية كالموجّهات، وأزمة الأفعال، ونوعية الخطاب المستحضر. وفي هذه الحال نقول إن المتلفظ المتكفل

(1) -الهيمنة على التلفظ Sur-énonciation: "ظاهرة تفاعلية تبرز على مستوى التفاعلات [التواصلية] غير المتكافئة والتضادية (على صعيد تراتبية المتكلمين، وعلى الصعيدين العرفاني والتداولي) وفيها يعدل المتكلم الناقل أقوال المتكلم المنقول عنه حسب ما يناسبه، وذلك بحجب مصدر التلفظ بالأقوال المنقولة ومقصديتها". ينظر:

Rabatel.Alain:L'effacement énonciatif dans les discours représentés et ses effets pragmatiques et sous-et sur-énonciation,in:Estudios de LENGUA Y Literatura francesa.14.2003. 33-66 ,P36

(2) - الامحاء التلفظى Effacement énonciatif يعرفه شارودو. بقوله: "تمحي الذات المتكلمة من فعلها التلفظى، دون أن تقحم المخاطب المباشر فيه. وفي ذلك ترسم للطريقة التي تم بها فرض خطابات العالم (الشخص الثالث) عليه. ينتج عن ذلك تلفظ يبدو موضوعيا (معنى "مجرد من ذاتية المتكلم") يسمح بظهور فعل تواصلى على الركح، حامل لأقوال ونصوص لا تعود للذات المتكلمة (وجهة نظر خارجية) " نقلا عن:

Rabatel.Alain:L'effacement énonciatif dans les discours représentés et ses effets pragmatiques et sous-et sur-énonciation,,P33

(3) - فقدان الهيمنة على التلفظ Sous- énonciation: "يحيل إلى مقامات [تلفظية] مرتبكة تمحي فيها وجهة نظر المتكلم الناقل (أو المنقول عنه) بسبب استحضر وجهه نظر الآخر ". ينظر:

بالخطاب المستحضر امّحى تلفظيا، لصالح المتكلم المتكفل بالخطاب الأصل الحامل للخطاب المستحضر، فيكون لدينا:

_متكلم/خطاب أصل حامل للخطاب المستحضر(المتكلم هو من يعرض الخطاب المستحضر) /هيمنة المتكلم على التلفظ

_متلفظ/خطاب مستحضر محمول في الخطاب الأصل(المتلفظ هو من يعرض خطابه بنفسه)/فقدان المتكلم الهيمنة على التلفظ

وإذا خلا الخطاب الأصل الحامل للخطاب المستحضر من الآليات المذكورة سابقا، ونحا نحو الموضوعية، وتعرى من واسمات الذاتية الخطابية، تسلط الامّحاء التلفظي بدرجة معينة على المتكلم، وفي هذه الحالة نكون حيال وضعية تلفظية، تأخذ الصورة التالية:

- متكلم / خطاب أصل حامل للخطاب المستحضر / امّحاء تلفظي جزئي أو كلي للمتلفظ

- متلفظ/خطاب مستحضر محمول في الخطاب الأصل / هيمنة المتلفظ على تلفظه الخاص

ولابد لنا قبل الانتقال إلى التطبيق على أمثلة من مدونة الرسائل، أن نستكمل توضيح المفاهيم النظرية المتقدم عرضها.

يمّحى المتكلم تلفظيا عادة في الخطابات النظرية، وما أشبهها من الخطابات التي تتطلب درجة من الحياد والموضوعية، أو تلك التي يصطنع فيها المتكلم الكاتب الحياد لأسباب تتعلق بالإكراهات الجنسية المقامية والخطابية؛ كأن يفرض الجنس الخطابى النقل الأمين لأقوال الآخر، أو مشهدة التفاعل الحوارى بين متلفظين

يستحضرهم المتكلم الكاتب، ويأخذ نفسه بالتزام الحياد في المناظرة التي تدور بينهما.

وبالمقابل تدعو المتكلم/الكاتب إكراهات أخرى إلى التدخل في خطاب الغير الذي يستحضره، ويتكفل بوجهة النظر التي يحملها، من خلال التماهي مع المتلفظ صاحب الخطاب المستحضر أو النأي عنه، ويتجلى ذلك أكثر ما يتجلى في صورة الخطاب المروي غير المباشر، أو الخطاب المروي غير المباشر الحر، أو في الافتراضات المسبقة، ووجهات النظر الثاوية المستنفرة بواسطة الواسمات الأصواتية، من روابط وموجهات وغيرها.⁽¹⁾

تمثل لحالات الامحاء التلفظي التي عرضنا لها فيما تقدم بأمثلة من مدونة الرسائل، ففي رسالة "العثمانية" تصادفنا حالة الامحاء التلفظي للمتكلم كاتب الرسائل، الذي يكتفي بوضع المتلفظين على الركح من خلال استحضار خطاباتهم، والتواري عن الأنظار حتى نهاية الرسالة، حيث يعود إلى الظهور لإسدال الستارة على المشهد التلفظي الذي نأى بنفسه عن المشاركة فيه، أي عن التكفل بتلفظه وما حملة من وجهات نظر متعارضة، تبناها المتلفظون الذين يمثلون صوتين جماعيين، عينهما المتكلم بضميري متكلمين يجيلان إلى كل من "العثمانية" و"الشيعة" الوارد ذكرهما في الخطاب الأصل للمتكلم كاتب الرسالة.⁽²⁾

أما الحالة الثانية، وهي التي تخص الامحاء التلفظي للمتلفظ صاحب الخطاب المستحضر، فتمثل لها برسالة "تفضيل الظهر على البطن" التي يعتمد فيها المتكلم

(1) -Rabatel.Alain:L'effacement énonciatif dans les discours représentés et ses effets pragmatiques et sous-et sur-énonciation,p34-35

(2) -انظر الشاهد في ص 205-206 ، من الفصل الثالث

كاتب الرسالة على استحضار خطاب المتلفظ دون أن يُمَشَّهَد حضوره في الخطاب من خلال تلفظ صريح وتام الأركان، بل نراه يتدخل في هذا التلفظ من خلال الآليات اللغوية التي تؤدي إلى تعديل البنية التركيبية للقول المسند إلى المتلفظ، مثل قوله: «يا أخي - أرشدك الله - إنك أغرقت في مدح الظهر من الجهة التي كان ينبغي لك أن تدممها، وما رأينا هلاك الأمم الخالية من قوم لوط وشمود وأشياعهم وأتباعهم وحلول الخسف والرجفة والآيات الأمثلة والعذاب الأليم والريح العقيم والغير والنكير، ووجوب نار السعير، إلا بما دانوا به من اختيار الظهور. قال الله تعالى في قصة لوط: (أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ. وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) (*)...» (1)

وهو ما يجعل التلفظ الثاني مندجاً في التلفظ الأول، بصورة لا يتضح فيها مدى تكفل المتلفظ المستحضر خطاباً بتلفظه، لكونه قد افتقد الهيمنة عليه، وتعرض للامحاء من المشهد التلفظي، الذي ملأه المتكلم كاتب الرسالة بحضوره الطاغى "المحيط علماً بكل شيء". (2)

- هيمنة المتكلم/الكاتب على التلفظ وتصنيف الرسائل: يقودنا التحليل الذي تقدّم إلى استثمار مفهوم الامحاء التلفظي كما طبقناه على الرسائل إلى البحث في مسألة تأثير هذه الظاهرة في تصنيف الرسائل، فنطرح السؤال التالي: هل تتيح لنا

(*) - الآياتان 165-166 من سورة الشعراء

(1) - ضمن الرسائل الأدبية، ص 151

(2) - الإحاطة علماً بكل شيء Omniscience مفهوم مستعار من حقل السرديات، حيث ينعت به السارد عندما تكون زاوية نظره (التبئير) للأحداث والشخصيات في درجة الصفر (يقابله التبئير الداخلي و التبئير الخارجي عند جينيت)، أي يكون قد أحاط علماً بكل شيء، وكانت معرفته أكبر من معرفة الشخصيات (ينظر على سبيل المثال: جيران جينيت و آخ: نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تر: ناجي مصطفى، ط1، منشورات الحوار الأكاديمي و الجامعي، الدار البيضاء، المغرب 1989، ص 115 وما بعدها)

تجليات هذه الظاهرة في الرسائل أن نربط بين درجات تحققها في الرسائل وبين التصنيفات التي درج الدارسون على وضعها لنصوصها؟ وما هي الإكراهات الجنسية التي تفرض على المتكلم كاتب الرسائل أن يمارس الامحاء التلفظي تارة على نفسه، وتارة على المتلفظين الذين يستحضر خطاباتهم في متون رسائله؟ وإلى أي مدى يكون هذا التصنيف المبني على معايير تلفظية كفيلا بحسم مسألة تصنيف الرسائل الجاحظية التي لم يتوقف الجدل حولها بين المعاصرين؟

درج دارسو الرسائل على العناية بوضع تصنيفات فرعية للرسائل في إطار اهتمامهم بتجنيسها تجنيسا أكثر دلالة على محتوياتها، وعلى قيمتها الأدبية، فاعتمد بعضهم معيار الموضوع، وبعضهم معيار المقام الترسلّي، إلا أن هذه التصنيفات وإن ساعدت القارئ على تلقُّ أحسن للرسائل من خلال إضافة دلالات توضيحية لعتبة العنوان والفهارس، فهي لم تقدّم الكثير فيما يتصل بالتمييز الدقيق الذي يمكن أن يطمأن إليه في اقتراح تصنيف جديد لهذه الخطابات، ونعني بالجدّة هنا التصنيف الذي يأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات التلفظية لكل رسالة، كهوية المراسلين من حيث التحديد وعدمه، والفرق بين النصوص المسماة "كتبا" والمسماة "رسائل"، والرسائل التي يتدخل فيها الناسخ ومدى موثوقية نصوصها، ومسألة تقديم الرسائل باعتبارها نصوصا متجانسة في مؤلف واحد موجه للاستهلاك القرائي... وغير ذلك من القضايا التي تعيد من جديد طرح إشكالات الجنس الرسائلي كجنس يتأبى على التصنيف، ويداخل أجناسا خطابية كثيرة "أدبية" وغير "أدبية". (1)

(1)- ينظر رأي صالح بن رمضان في المتن، وبسمة عروس في الهامش، في مبحث سابق، ص 88

ج) تبني الأصوات ودحضاها

- اللاتجانس الخطابي وأنماط الخطابات المحمولة في متون الرسائل:

يفرق محللو الخطاب بين لاتجانس خطابي صريح مظهر ولاجانس خطابي تكويني، فيعنون بالأول حضور خطاب الآخر في خطاب المتكلم عبر آليات لغوية تدل صراحة على مصدره، كالخطاب المروي بأصنافه الثلاثة، والاستشهادات المنصّصة؛ بينما يقصد بالصف الثاني، الموصوف بالتكويني ذلك الخطاب الذي يداخل بنية الخطاب الأصل للمتكلم، ويكون مضمرا فيه،⁽¹⁾ بحيث نحتاج للتعرف عليه إلى أن نتوسل تشغيل إجراءات تواصلية تأويلية، كالفروض المسبق، وفحص إحالات التأشيريات والواسمات الأصواتية.

وتمثل هاتان الظاهرتان حالات أصواتية، تتمفصل أحيانا مع الاستراتيجيات الحجاجية التي يعتمدها المتكلم في دحض وجهات النظر المسندة إلى الأصوات الجماعية، أو الاتكاء عليها لدحض وجهات نظر أخرى.

ويمتاز الخطاب الحجاجي ب بروز لافت لظاهرتي اللاتجانس الخطابي، لما تفرضه إكراهات هذا الجنس من تفاعل بين المتكلم ومن يستحضرهم من المخاطبين الشركاء في التلفظ،⁽²⁾ أو من أصوات تُستدعى في خطابه الخاص الذي يتكفل فيه بالتلفظ، أو في الخطابات المحمولة للمتلفظين الآخرين من أصوات جماعية، تسند إليها

(1)- ينظر تفصيل ذلك في الفصل الأول ، هامش ص92؛ وفي هذا الفصل، ص244-245

(2)- ينظر تفصيل الإكراهات الجنسية الداخلية و الخارجية للجنس الرسائلي في الفصل الأول، ص104، 74، 116

وجهاً نظراً لها قيمة مرجعية تقوّي الحجاج وتدعمه، كالمشهورات، والأمثال، والأقوال ذات السلطة... وغيرها.

يضاف إلى هذا الإكراه الجنسي إكراه آخر متصل بمقام الترسّل الذي يفرض ابتداء حضور المتكلم له (المراسل) في خطاب الردّ الذي يكتبه المتكلم كاتب الرسالة، ويستحضر فيه بالضرورة خطاباً حقيقياً أو افتراضياً يرد عليه، أو يستبق الرد عليه. لذلك تغطي نصوص الرسائل بالتفاعل الخطابي بين ذوات الخطاب التي يضعها الكاتب منشئ الخطاب على الرّكح.

_ الروابط التلفظية والمسؤولية عن وجهات النظر⁽¹⁾/اختراق المتكلم

للصوت الجماعي:

يتباين الموقف التحليلي من وجهات النظر التي تنتج عن تفاعل ذوات الخطاب، وما يتمخض عنه من ظواهر اللاتجانس الخطابي، إذ نكون أحياناً أمام وجهات نظر لا تتحدد فيها بصورة حاسمة مسؤوليات التلفظ وكفالة الملفوظات. فقد يتبنى المتكلم موقف الموافقة على وجهة النظر المسندة إلى الصوت الجماعي المستحضر، وقد ينأى بنفسه عنها ويظهر الحياد، وقد يبدي اعتراضه عليها ويدحضها.

ولأجل الوقوف على ذلك نفحص الروابط التلفظية القائمة بين وجهات النظر وذوات الخطاب، لنحدّد مسؤوليات التلفظ ودرجة كفالة الملفوظات. وسنعنى هنا تحديداً بالحالات التي تتميز بضمائية في كفالة الملفوظات، أي بالحالات

(1)- ينظر تفصيل هذين المفهومين في مبحث سابق، ص 62، 68

التي يخرق فيها المتكلم ملفوظات الآخرين،⁽¹⁾ ليبنى حججا ضد الصوت الجماعي، أو معه.

- المتكلم / كاتب الرسائل وكفالة الملفوظات:

لئن كان المرسل، أي الكاتب ذاتا مكشوفة الهوية، وكان المرسل إليه، أي القارئ ذوات محجوبة الهوية غالبا، وكان تعيينهما يتم بواسطة ضمائر الجمع (وإن بطريقتين متباينتين أشد التباين) في حالة إقحام القارئ في دحض وجهات النظر، فإن المقصد الإقناعي للخطاب الرسائلى يفرض على كاتب الرسائل أن ينطق باسمه الشخصى تارة، وباسم جماعات مختلفة تارة أخرى، بحسب نمط الرسالة، وموضوعها. وقد ينطق في أحيان أخرى، باسم من يتوجه إليه بالرسالة فرداً أو جماعة، أو للقراء بصورة عامة.

وهذا يعنى أن كاتب الرسائل يدحض وجهات النظر بهذه الصفات جميعاً، كما يفرض عليه هذا الإكراه الأجناسى المقامى أن يدحض وجهات نظر منسوبة لمختلف المجموعات الإيديولوجية، المذهبية، والعرقية، والدينية في مجتمعه؛ كما يدحض أقوالاً منسوبة إلى أشخاص بأعيانهم. بيد أننا ينبغي أن ننبه إلى أن وجهات النظر المدحوضة أو الداخضة ليست حكراً على ذات أو ذوات معينة، إذ يمكن نسبتها أو عدم نسبتها إلى صوت جماعي.

(1) - يصطلح على ذلك في اللغة الفرنسية بـ: **Intrusion du locuteur**، يعرفه لندكويست **Lundquist** بأنه تسلل المتكلم إلى وجهة نظر الغير، من خلال الموجهات، أي "كل التعابير الدالة على حضور الكاتب في نصه، و التي ينبغي النظر إليها كواسمات للذات المتكلمة (أو الكاتبة)". ينظر:

فمن جانب تقتضى الإستراتيجية أن تسند وجهات النظر المدحوضة إلى جماعة ما (كيان جماعي)، لنثبت أن هذه الجماعة مجانية للصواب، ونرفع الكاتب إلى مقام رائد متبوع في مجتمعه، وهي الحالة التي تكون فيها الجماعة مكوّنة من أفواج متجانسة من حيث عناصرها، (أهل السنة والجماعة، الشيعة، النصارى، اليهود، فئة الكتاب...)؛ ومن جانب آخر، قد يستدعي الموقف أن نسند وجهات النظر الداحضة إلى جماعة (المعتزلة، أنصار بني عباس، جمهور العلماء...)، والتي يندمج فيها كاتب الرسائل، ليبين لنا أن هذه الجماعة ذات رأي صائب، أو أنها توافق رأي كاتب الرسائل.

في هذه الحالة الثانية قد لا نستطيع أحياناً تمييز الجماعة بدقة، خاصة عندما يتعلق الأمر بجماعة لا نستطيع حسم انتماء الكاتب إليها (الرسائل السياسية، المناظرة بين الشيعة والعثمانية)، فنقول بأن هذه الجماعة غير متجانسة، أو أنها غير متميزة.

ففيما يخص هذه الجماعات غير المتجانسة/غير محسومة الانتماء، تفرض الإكراهات الخطابية للجنس الرسائلي على الكاتب تعيينها أحياناً بضمائر مبهمة " المبني للمجهول، ضمير الغائب غير المحيل إلى متقدم: لا أحد، أولئك، هؤلاء، إن لم يسمّهم نصاً، كما قد يلجأ إلى صيغ لغوية مبهمة/غير تعيينية مثل: "لا يجب ... " أو إضرابية " حقاً إنه... لكن " أو لمشجّرات الافتراض المسبق.⁽¹⁾ لذلك ننبه إلى أن

(1)- Nølke. Henning ; Fløttum.Kjersti et Norén.Coco: Scapoline, La théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p39-40

الأمثلة التي سندرسها، والخاصة بتحويل كفالة التلفظ، يُعيّن فيها الصوت الجماعي بواسطة الضمائر خاصة، وأحياناً بواسطة الصيغ المبهمة.

سنرى من خلال التحليل اللاحق أن الصوت الجماعي الداحض لا يتطابق دائماً مع صوت إيديولوجي، وأن اختراق المتكلم للصوت الجماعي ينتج آثاراً خطائية مؤكدة، إذ عادة ما تتناسب الأصوات الجماعية مع صوت المشهورات/المواضع. وعندما تسند إلى كاتب الرسائل، فإنه بذلك يتسّم مقعد الرائد الناطق باسم جماعة إيديولوجية على مستوى الواقع، لكنه عندما ينأى بنفسه عنها، ويدحض وجهة نظر جماعة ما، فإنه يقوّي وجهة نظره الخاصة، وهذا تحديداً ما سنعكف على دراسته وتحليله، من خلال فحص الآثار التي تنجم عن تحويل كفالة الملفوظات على التأويل الأصواتي للملفوظات.

_ دحض دعاوى الصوت الجماعي:

لإسناد وجهة النظر إلى الجماعة ثم القيام بدحضها، ينبغي توسل استراتيجيات حجاجية وحوارية تأخذ في الحسبان الإكراهات الخطائية للجنس الرسائلي، الذي هو—في صورة من صورهِ— جنس أحادي الصوت Monlogal.⁽¹⁾ تساعد البنية (ق لكن نفي ك) مثلاً المتكلم نفسه على تقديم وجهة نظر ما، ثم القيام بدحضها.

في المثال الموالي، تُدحض وجهات النظر المسندة إلى جماعة معينة، وتحديدًا إلى أولئك الذين ينتمون إلى الفرقة الإسلامية المعروفة بـ"أهل السنة والجماعة"

(1)- ينظر عرض المفهوم في مبحث سابق، ص 203

أو "أهل الحديث" كما يسميها خصومها، و"المشبهة" كما يسميها المتكلم/كاتب الرسائل في هذا المقتطف، وفي غير ما موضع من رسائله. نقرأ في هذا المثال:

«وقالت - أيضاً - المشبهة: الدليل على أنه جسم قوله عز ذكره: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)^(*)،... فهذا ما قال القوم، ونحن نقول: إن الشيء قد يكون في الشيء على وجوه وسندكر لك الوجوه ونلحق كل واحد منها بشكله وبما يجوز فيه إن شاء الله تعالى.

قلنا للقوم: أليس قد خاطب الله الصُّمَّ البكم الذين لا يعقلون والذين خبَّرَ أنهم لا يستطيعون سمعاً فإن قالوا: إن العرب قد تسمى المتعمى أعمى والمتصامم أصم ويقولون لمن عمل عمل من لا يعقل: لا يعقل وإنما الكلام محمول على كلام، وذلك أن المتعمى إذا تعامى صار في الجهل كالأعمى فلما أشبهه من وجه سمي باسمه.

قلنا: قد صدقتم ولكن ليس الأصل، والمستعمل في تسميتهم بالعمى إنما هو الذي لا ناظر له.

فإذا قالوا ذلك قلنا: فلم زعمتم أن له ناظراً وأخذتم بالمجاز والتشبيه وتركتم الأصل الذي هذا الاسم محمول عليه فإن قالوا: إنما قلنا من أجل أن الأول لا يجوز على الله تعالى والثاني جائز عليه والله لا يتكلم بكلام إلا ولذلك الكلام وجه، إما أن يكون هو الأصل والمحمول عليه، وإما أن يكون هو الفرع والاشتقاق الذي تسميه العرب مجازاً. فإذا نظرنا في كلام الله وهو عندنا عادل غير جائز وهو جل جلاله يقول: (صُمُّ بكم عُمى فهم لا يعقلون)^(**) علمنا أنهم لو كانوا منقوصين غير وافرين كانوا قد

(*) الآية 22، من سورة الفجر

(**) الآية 171 من سورة البقرة

كُفُّوا ما لا يطيقون والمكُفُّ لعباده ما لا يطيقون جائر ظالم، فإذا كان لا يليق ذلك به علمنا أنهم قد كانوا وافرين غير عاجزين ولا منقوصين» (1)

فوجهتا النظر ق وك " قد صدقتم ولكن ليس الأصل" تسند إلى المعتزلة (ضمير الجماعة يميل إلى المعتزلة)، بينما تسند وجهة النظر "ع" إلى " الدليل على أنه جسم قوله عز ذكره: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) " للمشبهة، إنهم هم من يردون على المعتزلة ويجادلونهم، فيكون المقتطف الذي بين أيدينا حاملاً لخطابين مستحضرين، في نوع من الحوار الافتراضي بين المعتزلة والمشبهة، فالأسئلة الواردة في المقتطف موجهة إلى هؤلاء الآخرين، وإليهم ينبغي أن تسند الإجابة الافتراضية التي جاءت بعد ذلك وهي " إنما قلنا من أجل أن الأول لا يجوز على الله تعالى والثاني جائز عليه... " .

فالصيغة الاستفهامية، وما تلاها من أجوبة، وصيغة إدراج الأقوال الصريحة "قالوا، قلنا" تدل على وجود خطابين مستحضرين مسندين إلى ذاتين خطابيتين مختلفتين، تطابقان ذاتين حقيقتين معروفتين أحال المقتطف إلى إحداهما إحالة صريحة، ودل السياق النصي على الأخرى دلالة تكاد تكون يقينية وقاطعة.

توجّه وجهة النظر ع " الدليل على أنه جسم... " المسندة للمشبهة إلى النتيجة ن "اعتقاد أهل السنة فيما يتصل بالجسمية صحيح لوجود الدليل اللغوي عليه في القرآن الكريم". وجهة النظر الاستنتاجية هذه تستعاد بعد ذلك وتُدحّض في (ق لكن ك) " قد صدقتم ولكن ليس الأصل " التي توجّه إلى لا ن: "اعتقاد المشبهة ليس صحيحاً لأنهم أولوا الدليل اللغوي تأويلاً خاطئاً"، وهي وجهة النظر

(1) - الرد على المشبهة، ضمن الرسائل الكلامية، ص 234-236

التي يتكفل بها الكاتب، ويؤيد هذا الاستنتاج مقارنة تأويل المشبهة بتأويل المعتزلة في ختام المقتطف "فإذا نظرنا في كلام الله وهو عندنا عادل..."

بهذه الطريقة يدحض الكاتب صوتاً جماعياً إيديولوجياً، صوت المشبهة، وهو ما يدعم دوره كرائد في المذهب المعتزلي، ضد وجهة النظر القائلة "لا يعتد بالمجاز في تناول موضوع الصفات الإلهية"⁽¹⁾ فتكون وجهة نظره مضادة، تمثل حجاجاً لصالح القول بأن "المشبهة يصرون على آرائهم الخاطئة، رغم ثبوت خطئها بالدليل القاطع"

-دحض الدعاوى بواسطة الصوت الجماعي

في الأمثلة التالية، يتكئ الكاتب على جماعة ما لتقوية حججه ودحض وجهات النظر المضادة لقناعاته، وذلك من خلال اختراقه للصوت الجماعي بواسطة صيغة "البناء للمجهول"، ولا يخفى ما في إسناد وجهة النظر إلى جماعة كبيرة ومشهورة من دعم لوجهتها، وتأكيد لمصداقية الكاتب. تستجيب هذه الإستراتيجية للمقصد الحجاجي للخطاب الرسائلي، خاصة ذلك الخطاب الذي تفرض إكراهاته المقامية التعرض للقضايا السياسية⁽²⁾، والكلامية، والاجتماعية، التي تعني عامة الناس.

(1)- كانت وجهة النظر هذه سائدة عند أهل السنة و الجماعة قبل ظهور الأشاعرة، الذين أجمعوا مع المعتزلة على استخدام التأويل كآلية لتفسير النص، و استنباط الأحكام والدلالات منه، لكون ذلك خاصية طبيعية في اللغة التي نزل بها القرآن، و التي يشيع فيها استخدام المجاز بالصورة التي يتعذر معها فهمه دون مراعاة القواعد المتحكمة في الاستعمال اللغوي المتعارف عليه عند العرب. (ينظر: محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، ص: 66؛ و نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن. ط1. المركز الثقافي العربي . بيروت، الدار البيضاء. 1990، ص 55-57.)

(2)- أجمعت الدراسات التي مجوزتنا، على أن كتابات الجاحظ السياسية سواء كانت تنظيراً أو نقداً تطبيقياً، كانت استجابة مباشرة أو غير مباشرة لرغبة الحكم القائم يومئذ، و هو حكم بني العباس (أنظر شارل بيللا، الجاحظ في البصرة و بغداد وسامراء، ص: 365؛ والجاحري، الجاحظ حياته وآثاره، ص 184؛ و علي بوملحم، المناحي الفلسفية عند الجاحظ ص: 56، و أحمد خالد، شخصيات وتيارات، ص: 254).

المثال التالى يتناول قضية تمم فئة مهنية، هي فئة الكتاب التي كان الجاحظ يقف منها موقف المناوى المتحدّي:

«...وحدّثني عُمر بن سيف أنه حضر مجلس أبي عبّاد ثابت بن يحيى يوماً في منزله وعنده جماعة من الكتاب، فذكر ما هم عليه من ملائم الأخلاق ومدانس الأفعال. قال: ووصف تقاطعهم عند الاحتياج... فقال: معاشر الكتاب ما أعلم أهل صناعة أملاً لقلوب العامّة منكم، ولا النّعَم على قومٍ أظهرَ منها عليكم. ثم إنكم في غاية التقاطع عند الاحتياج وفي ذروة الزُّهد في التعاطف عند الاختلال.

وإنّه ليبلغني أنّ رجلاً من القصّابين يكون في سوقه، فيتلف ما في يديه فيخلّي له القصّابون سوقهم يوماً، ويجعلون له أرباحهم، فيكون بربحها منفرداً وبالبيع مُفرداً، فيسُدُّون بذلك خلّته ويجبرون منه كسره.

وإنكم لتناكرون عند الاجتماع والتعارف تناكر الضباب والسّلاحف، ثم مع استحواذكم على صناعتكم وقلة ملابسة أهل الصناعات لها معكم، لم أر صناعة من الصناعات إلّا وقد يجمع أهلها غيرها إليها، فيعانونها جميعاً ويتزلون لضربٍ من التجارات معاً، إلّا صناعتكم هذه فإنّ المتعاطي لها منكم والمتسمّي بها من نظرائكم لا يليق به ملابسة سواها ولا ينساغ له التّشاغل بغيرها.

ثم كأنكم أولاد علاتٍ(*) وضرائر أمهات في عداوة بعضكم بعضاً وحنق بعضكم على بعض. أفّ لكم ولأخلاقكم!»⁽¹⁾

(*)- علات: ضرائر، بنو علات: بنو رجل واحد و أمهات شتى(لسان العرب، مادة:علل - العلة)

(1)- رسالة في ذم الكتاب، ضمن الرسائل السياسية، ص612

يحمل هذا المقتطف نقداً لاكتفاء الكتاب بممارسة مهنة الكتابة دون غيرها من المهن، فالكاتب يدحض وجهة النظر التي بموجبها " يقتصر الكتاب على ممارسة مهنة الكتابة وحدها...". يمشهد الكاتب صوتاً جماعياً " لا يليق به ملاسبة سواها(الكتابة) ولا ينساع له التّشاغل بغيرها" من أجل القيام بدحض وجهة النظر السابقة، بعد أن يندمج في الصوت الجماعي الذي يُسند إليه الملفوظ الدحضي.

فاحتراق الكاتب للصوت الجماعي، مضافاً إليه استعمال اللفظ التقديري السلبى (لا يليق) يمثلان إستراتيجيتين تكسبان الدحض قوة ومصداقية أكبر، نؤول " المجهول " هنا بأنه يحيل إلى الجماعة التي يمكن أن ينضم إليها القارئ أيضاً، ذلك أن الكاتب يدحض باسم صوت جماعي يمثل سلطة الخبير.

وفيما يلي مثال آخر:

« فكل ذلك يراى به أنّ الفضل قليل والنقص قليل لا على نسب ما يتلقاه الاجتماع من هذه الأعداد لأننا قد نجد الرجل يُوزن بالأمة ونجد الأمة لا تساوي قلامه ظفر الرجل، فإذا كان من تقع عليه الشّريطة معدوماً - سيّما من يوثق بجلمه وعقله وأمانته ونصحه، ومن لا ضرر عليه ولا نفع له في السر الذي يضمّر ولا يجرّم عليه كتمانته، ومن قد وأى على نفسه بالسّرّ والحفظ، فإنه ليس كلُّ من ضمّن فلم يضمن ضامناً، ولا من استودع فلم يقبل مستحفظاً، ولا من استخلف فلم يخلف خائناً، وإنما يلحقه الحمد والدم والأجر والإثم إذا ضمن الأمانة ثم ختّرها (*) - فكأن القوم قالوا: لا تودعنّ سرّك أحداً.

(*)- ختر: غدر وخدع، وهنا "خان"(لسان العرب - مادة "ختر")

وإلا فمتى تجد رجلاً فيه الصفة التي وصف بها مسكينٌ الدارمى نفسه حيث

يقول:

إني امرؤٌ منِّي الحياءُ الذي ترى أنوءُ بأخلاقٍ قليلٍ خداعُها

أواخي رجلاً لست أُطلعُ بعضَهم على سرِّ بعضٍ غيرِ أنِّي جماعُها

يظنون شتى في البلادِ وسرُّهم إلى صخرةٍ أعيا الرجالِ انصداعُها

وقيل لرجلٍ: كيف كتمانك للسر قال: أجعل قلبي له قبراً أدفنه فيه إلى يوم النشور.

وقال الآخر:

وأكتم السرَّ فيه ضربة العنق

وهذه صفاتٌ موجودةٌ بالأقوال معدومةٌ بالأفعال. (1) «

فالجهول في هذا الخطاب المستحضر "... كل ذلك يراد به أنَّ الفضل قليل والنقص قليل... " يحيل إلى " جماعة من الحكماء "، وهي صوت قام الكاتب بإنشائه بصورة كاملة، فحسب تقديره يُجمِع أهل الحكمة والنظر على " أن " الفضل قليل والنقص قليل... "، فهذا الخطاب المستحضر ليس وجهة نظر حقيقية مسندة إلى أشخاص بأعيانهم، بل هو أقرب إلى تأويلٍ يقدِّمه الكاتب لما يمكن أن تفكر به هذه الجماعة. فالكاتب يُمشِّهد إذاً صوتاً جماعياً يمكنه هو ذاته أن يندمج فيه. والذي قام به هنا هو اختراق صوت جماعي، نتج عنه تحويل لكفالة التلفظ، من المتكلم نحو الصوت الجماعي، وقد ساعده على ذلك استعمال الموجهات: سيما، وكأن القوم، والجملة الجهمية التقديرية: " وهذه صفاتٌ موجودةٌ بالأقوال معدومةٌ بالأفعال ".

(1) - كتمان السر وحفظ اللسان، ضمن الرسائل الأدبية، ص 96

نستخلص مما تقدم أن عرض وجهة النظر هذه في صورة خطاب مستحضر مسند إلى جماعة يقوَّى الحجاج الذي قام به الكاتب.⁽¹⁾ فلا شك أن الكثير من الناس يعتقدون بتعذر وجود الشخص المؤمن الكامل، لكن مشهدة هذا الصوت لا يمثل سوى استراتيجية في الحجاج، ليست بطبيعة الحال مشهدة لوجهة نظر محاكية وحقيقية، لذلك يحاول الكاتب أن يوثق بالعبرة المحاكية " لا تودعن سرك أحداً ".

(1)- يراجع ما يتعلق بأصواتية الخطاب المستحضر في المبحث الخاص به ضمن هذا الفصل، ص 246 وما بعدها

(د) استحضار خطاب الآخر

رغم أن كاتب الرسائل ينسب إلى نفسه صفة "الإحاطة علما بالموضوع"، فإنه يظل بحاجة إلى سلطات أخرى، ليصل إلى إقناع قرائه بوجهة نظره، وهذا ما يتطابق مع استراتيجية البلاغة التقليدية، وقد عكف ديكرت و O.Ducrot على استعادة هذه الاستراتيجية في إطار نظريته الأصواتية.⁽¹⁾ ولما كان جريد الموضوعات في الرسائل يتعلق بالميادين السياسية والكلامية والشخصية، فإن السلطة التي سيتكئ عليها الكاتب في حججه، والمثلة في ذات خطابية/حقيقية يفترض بطبيعة الحال أن تنتمي إلى أحد هذه الميادين.

-الحجاج المستند إلى مرجعيات ذات سلطة⁽²⁾: يكثر الاعتماد في الرسائل على الاستدلال المستند إلى المرجعيات ذات السلطة، متمثلا في تقديم وجهة نظر ذات خطابية أخرى، ينضم إليها كاتب الرسائل، فالإكراهات المقامية لخطاب الرسائل تقتضي حضور عدد من المرجعيات ذات السلطة في النص، لأن الكاتب حين يستحضر خطاباتها، يكون بصدد دعم حججه وتقويته، فـ« يتبوأ المرسل (المتكلم) بخطابه

(1)- ينظر تفصيل ذلك في كتابه سابقا :

Le dire et le dit, chapitre intitulé : L'argumentation par autorité, p249-170

(2)- يترجم المصطلح الأجنبي **Argument d'autorité** عادة بحجة السلطة، و هي عبارة ملتبسة، اقترحنا بديلا لها "حجة ذات سلطة مرجعية". تعرّف السلطة في منظور تحليل الخطاب، و في ميدان الحجاج تحديدا بأنها قبول وجهة نظر أو معلومة على أساس السلطة "إن كان معترفا بما لا على أساس مطابقة الملفوظ للأشياء ذاتها". و تتجلى السلطة خطايا في الخطاب المستحضر خاصة في صورتين؛ صورة السلطة المظهرة من خلال "الشفرات السيميولوجية المتنوعة (تعبيرية، سلوكية/لباسية)..." و صورة السلطة المستشهد بها -و هي التي تعيننا هنا- و "عملها تقوية خطاب يقوله متكلم مك1 لإضفاء مشروعية، أمام مخاطب مك2، على قول أو طريقة عمل يارجاعهما إلى مصدر يعتبر كفيلا بإضفاء تلك المشروعية. و يمكن أن يكون هذا المصدر موضوع إحالة ظاهرة... و يمكن للمتكلم أن يكتفي بمجرد تلميح إلى خطاب سائد مشهور أو متسم بخبرة" ينظر للتفصيل: ب. شارودود، د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص86-87

مكافئاً عليّاً، ويستمد ذلك من سلطة الخطاب المنقول على لسانه فقط. وبالتالي تصبح السلطة هي سلطة الخطاب الذي يتوارى المرسل وراءه.» (1)

نعرض في البداية ملفوظاً منفيًا يظهر فيه الشخص الثالث (الغائب) من خلال مشهدة المتكلم له - محيلاً إلى متلفظ معين. وهذا النوع من الخطاب المستحضر هو الشائع في خطاب الرسائل، وهو خطاب مفصول حجاجياً عن صوت المتكلم، في أغلب الأحيان، يخضع الشخص الثالث فيه إلى اختراق المتكلم لصوته.

قبل أن نتناول أمثلة حجاج المرجعيات ذات السلطة التي تتميز بتوافق صوت المتكلم مع الشخص الثالث، ننبه إلى أن هناك بعض الحالات الاستثنائية التي ينأى فيها المتكلم بنفسه صراحة عن التوافق مع وجهة نظر الشخص الثالث/ المتلفظ، المعبر عنها في الخطاب المستحضر. مثال ذلك فيما يلي:

« وقد كان إبراهيم بن سيار النظام^(*) يجيب بجواب وأنا أذكره إن شاء الله، وعليه كانت علماء المعتزلة، ولا أراه مقنعاً ولا شافياً، وذلك أنه كان يجعل الخليل مثل الحبيب مثل الولي...»

قالوا: ولما كانت كلها عنده سواء جاز أن يسمي عبداً له ولداً لمكان التربية التي ليست بحضانة... لأن إنساناً لو رَحِمَ جروَ كلب فرّباه لم يَجُزْ أن يسميه ولداً ويسمي نفسه أباً، ولو التقط صبيّاً فرّباه جاز أن يسميه ولداً ويسمي نفسه له أباً لأنه شبيهٌ ولده وقد يولد لمثله مثله، وليس بين الكلاب والبشر أرحام فإذا كان شبه الإنسان

(1) - الشهري. عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 537

(*) - إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام البصري أستاذ الجاحظ في الاعتزال، وأحد أشهر أعلام المعتزلة، وُلد سنة 185 هـ - في البصرة، تتلمذ على يد أبي هذيل العلاف في الاعتزال، ثم انفرد عنه وكون له مذهباً خاصاً (النظامية)، توفي وهو شاب في نحو السادسة والثلاثين من عمره سنة 221

قلنا لإبراهيم النظام عند جوابه هذا وقياسه...: رأيت كلباً ألف كلابه وجامى وأحمى
دونه، هل يجوز أن يتخذه بذلك كله خليلاً مع بعد التشابه والتناسب، فإذا قال: لا.

قلنا: فالعبد الصالح أبعد شبيهاً من الله من ذلك الكلب المحسن إلى كلابه، فكيف
جاز في قياسك أن يكون الله خليل من لا يشاكله لمكان إحسانه؟ ولا يجوز للكلاب أن
يسمى كلبه خليلاً أو ولداً لمكان حسن تربيته له وتأديبه إياه ...

والعبد الصالح لا يشبه الله في وجه من الوجوه، والكلب قد يشبه كلابه لوجوه

كثيرة...

فلو قلت: فما الجواب الذي أجبت فيه... قلنا: إن إبراهيم صلوات الله عليه وإن
كان خليلاً فلم يكن خليله بخلة كانت بينه وبين الله تعالى، لأن الخلة والإخاء... وأشبه
ذلك منفية عن الله تعالى... ويجوز أن يكون إبراهيم خليلاً بالخلة التي أدخلها الله على
نفسه وماله...

وذلك أن إبراهيم عليه السلام اختل في الله تعالى اختلا لا لم يختلله أحد قبله،
لقد فهم إياه في النار وذبحه ابنه و... فصار لهذه الشدائد مختلفاً في الله وخليلاً في الله،

والخليل والمختل سواء في كلام العرب.*

والدليل على أن يكون الخليل من الخلة كما يكون من الخلة، قول زهير بن أبي

سلمى وهو يمدح هرمًا:

وإن أتاه خليلٌ يوم مسبغةٍ يقول لا عاجزٌ مالي ولا حرمٌ

(*) - بينه نصر حامد أبوزيد إلى خطورة المسلك الذي يستبعد اللغة في تفسير القرآن الكريم، بتجريدتها من القابلية
للتأويل، على النحو الذي أشار إليه الجاحظ، مشيراً إلى أن " أي حديث عن الكلام الإلهي خارج اللغة من شأنه أن
يجذبنا شتناً ذلك أم أبنينا إلى دائرة الخرافة والأسطورة " (النص، السلطة، الحقيقة، ط1، المركز الثقافى العربى، الدار
البيضاء-بيروت، 1995، ص92)

... وهو لا يمدحه بأن خليله وصديقه يكون فقيراً سائلاً يأتي يوم المسألة ويبسط يده للصدقة والعطية وإنما الخليل في هذا الموضع من الخلة والاختلال لا من الخلة والخلال» (1)

إن عدم تطابق وجهة نظر الكاتب مع الخطاب المستحضر للنظام: "ولما كانت كلها عنده سواء جاز أن يسمي عبداً له ولداً مكان التربية التي ليست بحضنة... "تجليه الموجهات التقديرية المحيطة بالاستشهاد، فكلام النظام يقدر سليماً، وتخفص قيمته من طرف الكاتب الذي يعلق على "... جاز أن يسمي عبداً له ولداً..." بقوله في العبارة الجهمية: "لا أراه مقنعاً ولا شافياً" وكذلك عندما يستعيد الكاتب في الملفوظ المنفي قول النظام المستشهد به ويقبله رأساً على عقب: "العبد الصالح لا يشبه الله في وجهه من الوجوه..." حيث يستنفر النفي وجهة النظر المثبتة المدحوضة المسندة إلى النظام، والقائلة بمجازية البنوة، وهي نوع من التشبيه (*) في نظر الجاحظ.

يقوي الحجاج المضاد في وجهات النظر التي يتبنى الكاتب مسؤوليتها والتي تشكل وجهة نظر تفاعلية دحضية، واسمات أصواتية متعددة، مثل: الروابط التضادية "لما"، "ليس"، "لو"، "إنما"، والموجهات، مثل الفعل الجهي "جاز" واسم التفضيل "أبعد شبيهاً". وزيادة على ذلك يستحضر الكاتب خطاباً مرجعياً ذا سلطة، هو الشاهد الشعري لحسم مسألة الدلالة اللغوية للفظ المختلف فيه، ومن هنا نؤول هذا الملفوظ كحجاج مضاد، فالكاتب يقول: "إنه لمن الخطأ الشنيع أن نقول بمجازية البنوة لله".

(1) - الرد على النصارى، ضمن الرسائل الكلامية ص 275-277

(*) - التشبيه مصطلح كلامي، ضده التزيه عند المعتزلة

فأصواتية النفي في هذا المقتطف تقوم على فكرة دحض انطباق التأويل الدلالي للنظام على عبارة "خليل الله"، وهكذا يناقض الكاتب صوت المرجعية ذات السلطة، ممثلاً في النظام أستاذه، أشهر أعلام المعتزلة. (1)

وخلافاً لما تقدّم يمثل حجاج المرجعية ذات السلطة القائم على التوافق بين وجهتي نظر خطابتين؛ وجهة نظر المرجعية ذات السلطة ووجهة نظر الكاتب، حالة من حالات ضبابية كفالة الملفوظات تنشأ عن استخدام الإثبات في تقديم رأي الشخص الثالث / المرجعية ذات السلطة. لذلك يفضل الكاتب عندما يلجأ إلى هذا النوع من حجاج المرجعية ذات السلطة، دعم استراتيجيته الحجاجية بواسطة النفي الأصواتي.

المثال التالي يوضح ذلك. يتعلق هذا المثال بتشريح صفة الحسد

« وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " ما أحدث الله بعبدٍ نعمةً إلا وجدت له عليها حاسداً، ولو أن امرأً كان أقوم من القدح لوجدت له غامزاً "، وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: الحاسد لا يملك إلا عنان حسده لأنه مغلوبٌ على نفسه...، وإنما حمل اليهود على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم - وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أنه نبيٌّ صادق، ورسول محقٌّ يقرءون بعثه في توراتهم، ويتدارسونه في بيت مدراسهم - الحسد، وحجز بين علمائهم والإيمان به، ثم نتج لهم الحسد عداوته، ومن الدليل على أن الحسد آلم وآذى وأوجع وأوضع من العداوة، أنه مُغرَى بفعل الله عزّ

(1)- يخالف الجاحظ المعتزلة في الكثير من القضايا، كقوله بأن المعرفة طباع لا اضطرار، وقوله بالنظم لا بالصرفة في قضية اعجاز القرآن الكريم بعد أن كان يتبع النظام في القول بالصرفة. ولا أدل على هذه المخالفة من وجود فرقة معتزلية تنسب إليه، هي الفرقة المسماة بالجاحظية (تنظر كتب الفرق: الفرق بين الفرق، للبغدادي؛ الملل والنحل، للشهرستاني؛ الفصل بين الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الأندلسي؛ مقالات الإسلاميين، للأشعري، وغيرها).

وجلّ، والعداوة عارية من ذلك لا تتصل إذا اتصلت إلا بأفعال العباد، ولا يُعادى على فعل الله تباركت أسماؤه.

ألا ترى أنك لم تسمع أحداً عادى أحداً لأنه حسن الصورة جميل المحاسن
فصيح اللسان حسن البيان؟

وقد رأيت حاسد هذه الطبقة وسمعت به، وهم كثير تعرفهم بالخبر والمشاهدة.
فهذا دليل على أن الحسد لا يكون إلا عن فساد الطبع واعوجاج التركيب واضطراب
السّوس.

والحسد أخو الكذب يجريان في مضمار واحد، فهما أليفان لا يفترقان
وضجيعان لا يتباينان، والعداوة قد تخلو من الكذب، ألا ترى أن أولياء الله قد عادوا
أعداء الله إذ لم يستحلّوا أن يكذبوا عليهم؟ والحسد لا يبرأ من البُهت، وكيف يبرأ منه
وهو عموده الذي عليه يعتمد وأساسه به البناء يُعقد؟ وأنشد:

كضرائر الحسناء قلن لوجهها كذباً وزوراً إنه لدميمٌ

والحسد نارٌ وقودُه الرُّوح لا تبوخ أبداً أو يَفنى الوقود، والحسد لا يبلى المحسود أو
الحاسد، والعداوة جمرٌ يُوقده الغضب ويطفئه الرِّضا فهو مؤمّل الرجوع مرجو الإنابة،
والحسد جوهرٌ والعداوة اكتساب. وقال بعضهم: الحسد أنشئ لأنه ذليل والعداوة ذكرٌ
فحلٌّ لأنها عزيزة.

والحسد وإن كان موكلاً بالأدنى فالأدنى فإنه لم يَعْرِ منه الأبعد فالأبعد» (1)

(1)- رسالة فصل ما بين العداوة و الحسد، ضمن الرسائل الأدبية، ص372-374

يسند الملفوظ المنفي إلى الشخص الثالث / المتلفظ المعين "عمر بن الخطاب (ض)"، ثم إلى "عمر بن عبد العزيز(ض)"، ويتم اختراق المتكلم لوجهة نظر الشخص الثالث من خلال التوليفة التفاعلية بين السؤال البلاغى وملفوظ النفي، والسؤال البلاغى اللاحق لصوت الشخص الثالث يستعيد موضوع الرسالة "الحاسد والمحسود" ويضعه موضع تساؤل: "ألا ترى أنك لم تسمع أحداً عادياً أحداً لأنه حسن الصورة جميل المحاسن فصيح اللسان حسن البيان؟" وكما رأينا سابقاً، فالإجابة على سؤال بلاغى لا تطرح إشكالا، بما أنه ليس في الحقيقة سؤالاً، بقدر ما هو طريقة يتبعها المتكلم في إثبات شيء أو نفيه. (1)

وتؤكد العبارة التقديرية السلبية: "لا ترى"، ثم "لم تسمع أحداً" بصورة خاصة الطابع البلاغى لهذا السؤال. وفي هذا الحوار الافتراضى بين المتكلم الكاتب وشخصيتى عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، يتوافق الجواب الضمنى على السؤال البلاغى: "فعلاً، إنني لم أسمع... مع النفي الصريح للشخصيتين المتضمن في قولهما: "ما أحدث الله بعبدٍ نعمةً إلا وجدت له..." و"الحاسد لا يملك إلا عنان حسده"، بين هذين الصوتين من جهة، وصوت الكاتب، وهو ما نتج عن دمج وقع على مستوى كفالة الملفوظ. وبإثبات وجهة نظر المرجعية ذات السلطة في سياق معارضة القائلين بأن الحسد أهون من العداوة، يكون الكاتب قد دعم حجاجه وجعله أكثر قوة.

(1) - ينظر مبحث الاستفهام و السؤال البلاغى ضمن الفصل الثانى، ص 147 وما بعدها

وزيادة على ذلك فقد تضمّن المقتطف في موضع آخر إشارة إلى معارضة الكثير من الأصوات ذات السلطة المرجعية، لهذا الرأي المهوّن من خطر الحسد، كالصوت الشعري، وصوت الحكمة الشعبية، متجليا في الحكم والأمثال⁽¹⁾ التي ساقها: "الحسد نارٌ وقوده الرُّوح" و"الحسد أنثى لأنه ذليل"، فالجهول معبراً عنه هنا بـ"قال بعضهم" فيه إحالة إلى الصوت الجماعي، وتحديدًا صوت الصفوة من الحكماء.

في المقتطف التالي والذي يعالج مسألة الإمامة،⁽²⁾ تتمثل المرجعية ذات السلطة في آراء الفرق الدينية:

« وأن الناس إن تُركوا أن يقيموا إماماً واحداً جاز لهم ذلك ولم يكونوا بتركه ضالين ولا عاصين ولا كافرين فإن أقاموه كان ذلك رأياً رأوه وغير مضيق عليهم تركه. ولهم أن يقيموا اثنين وجائز لهم أن يقيموا أكثر من ذلك ولا بأس أن يكونوا عجمًا وموالي ولكن لا بد من حاكم واحداً كان أو أكثر على حال. ولا يجوز أن يكون الرجل حاكماً على نفسه وقائماً عليها بالحدود. ولم يقل أحد البتة أن من الحكم والحاكم بدّاً، ولكنهم اختلفوا في جهاتهم ومعانيهم.

وقالوا: وأي ذلك كان إقامة الواحد والاثنين أو أكثر من ذلك، فعلى الناس الكف عن محارمهم وترك التباعي فيما بينهم والتخاذل عند الحادثة تنوهم من عدو

(1)- ينظر لأجل التوسع في أصواتية الأمثال مبحث سابق، ص 252 وما بعدها

(2)- اهتم الجاحظ بموضوع الإمامة لدواع مذهبية و سياسية، وألف فيها عددا من الرسائل (ينظر: علي بوملحم: المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ص 225 وما بعدها)

يدهمهم من غيرهم، أو خارب يخيف سبلهم من أهل دعوتهم، وعليهم فيما شجر بينهم إعطاء النَّصْفَةَ من أنفسهم بالغاً ما بلغ في عسر الأمر ويسره.» (1)

إن مشهدة "جواز تعدد الأئمة" هي مشهدة تقوم بها مرجعية ذات سلطة تتبنى وجهة النظر القائلة: "لم يقل أحد البتة أن من الحكم والحاكم بدأ ولكنهم اختلفوا في جهاتهم ومعانيهم" فالتمهيد الذي سبق الملفوظ الأصواتى " أن الناس إن تركوا أن يقيموا إماماً واحداً "يجيل إلى "ضرورة إقامة الإمام ". وهذا يجيل بدوره إلى رأى المرجعية ذات السلطة التي تركز على وجوب نصب الإمام دون اشتراط أن يكون واحداً.

هناك تبعاً لذلك مشهورتان (2) في حالة تضاد، قام المتكلم الكاتب بمشهدتهما من خلال النفي الأصواتى؛ الأولى ثابوية: "لا بد أن ينصب الإمام، وأن يكون واحداً" والثانية صريحة تنفي الأولى، ويتحقق اختراق المتكلم للشخص الثالث، المستحضر افتراضياً في النص من خلال " وأي ذلك كان إقامة الواحد والاثنين أو أكثر من ذلك فعلى الناس الكف عن... "الموضوعة في حالة تضاد مع " لا بد أن ينصب الإمام، وأن يكون واحداً " وكذلك بواسطة الموجهات "غير مضيق عليهم" و " لهم أن "و" لا بد "و" لا يجوز "و" البتة ". وبذلك لا يُسند دحض وجهة النظر الثابوية إلى المرجعية (المحال إليها بـ "قالوا")، أي "أصحاب الرأى الفقهي القائل بتعدد الأئمة "فقط، بل أيضا وبكل تأكيد إلى المتكلم الكاتب، الذي تحققت كفالاته للملفوظ

(1)- كتاب استحقاق الإمامة، ضمن الرسائل الكلامية، ص 187

(2)- يراجع مفهوم المشهورة Doxa في المبحث الخاص به ضمن هذا الفصل، ص 250

عبر اختراقه له، بواسطة الموجهات المختلفة، ومنها الفعل الجهمى الإلزامى (1) (جاز، لا يجوز) التى تفترض مسبقاً أن محتوى الملفوظ المنفى القضوى صحىح بالنسبة للمتكمم، فالتضاد الدلالى بين الفعلين (جاز، لا يجوز) مستعاد أيضاً فى الملفوظ المنفى، والصوت الجماعى "لا بد من إمام واحد" يسند إلى المشهورة المدحوضة القائلة: "الإمام الواحد يعصم من الفتنة والتضارع على السلطة"

فى المثال التالى سنلاحظ تداخلاً بين الشخص الثالث والمتكمم، وعلى مستوى الواقع بين المتلفظ بعينه والكاتب. يُسند إلى الشخص الثالث / المتلفظ المعين الخطاب المستحضر التالى: « وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قبل أن تناله الخلافة يتغنى، فمما يعرف من غنائه:

أما صاحبي نزر سعادا لقرب مزارها ودعا البعادا

وله:

عاود القلب سعادا فقلا الطرف السهادا

ولا نرى بالغناء بأساً إذا كان أصله شعراً مكسوّاً نغماً: فما كان منه صدقاً فحسنٌ وما كان منه كذباً فقبیح.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: " الشعر كلامٌ فحسنه حسنٌ وقبيحه قبيح "، ولا نرى وزن الشعر أزال الكلام عن جهته، فقد يوجد ولا يضره ذلك، ولا يزيل منزلته من الحكمة. فإذا وجب أن الكلام غير محرّم فإنّ وزنه وتقفيته لا يوجبان تحريماً لعلّة من العلل، وإنّ الترجيع له أيضاً لا يخرج إلى حرام.

(1) - الإلزامى ترجمة لـ (Déontique). ينظر: المبخوت. شكري: توجيه النفي فى تعامله مع الجهات و الأسوار و الروابط، ص20

وإن وزن الشعر من جنس وزن الغناء وكتاب الموسيقى، وهو من كتاب حدّ النفوس تحذّه الألسن بحدّ مقنع، وقد يعرف بالهاجس كما يعرف بالإحصاء والوزن. فلا وجه لتحريمه، ولا أصل لذلك في كتاب الله تعالى ولا سنّة نبيّه عليه السلام.⁽²⁾

فالمفوظان الداحضان هنا، السابق واللاحق للخطاب المستحضر، ليسا سوى جملتين محاكيتين له، فالعبارة " الشعر كلامٌ فحسّنه حسنٌ وقبيحه قبيحٌ " تعاد صياغتها في: " فإذا وجب أن الكلام غير محرّم فإنّ وزنه وتقفيته لا يوجبان تحريمًا لعلّة من العلل، وإنّ الترجيع له أيضاً لا يخرج إلى حرام، " وقبلها في: " ولا نرى بالغناء بأساً إذا كان أصله شعراً مكسوّاً نغماً: فما كان منه صدقاً فحسناً وما كان منه كذباً فقبيحاً ". واللافت للانتباه أن المفوظين الأخيرين يتكفل بهما المتكلم، كما تدلنا عبارة " فإذا وجب أن الكلام غير محرّم " بوضوح أن الأمر يتعلق بجملة محاكية Paraphrase⁽³⁾ لهذا الصوت مسندةً إلى الكاتب، غير أن النفي في المفوظ المحاكي ليس فقط إعادة صياغة للمفوظ الإثباتى السابق، الخطاب المستحضر لسيدنا عمر بن الخطاب (ض)، ولكنه زيادة على ذلك تثنين للصوت المستشهد به من خلال الألفاظ والعبارات الجهية: " لا نرى... بأساً " و " وجب " و " لا يوجبان " و " فلا وجه لتحريمه ولا أصل " وبذلك يكون النفي الجدلي مدعوماً بموجّهات أكثر ذاتية، إذ ساهمت الموجّهات الذاتية المشار إليها، في تقوية الجدل المثار بواسطة

(2) - كتاب القيان، ضمن الرسائل الكلامية ص73-74

(3) - الجملة المحاكية Paraphrase يعرفها ج.ديبوا و آخ. بما نصه: "نقول عن المفوظ (أ) أنه جملة محاكية للمفوظ (ب)، إذا كان (أ) إعادة صياغة لـ (ب)، مع كونه أكبر منه وأكثر تصريحاً. و عليه يمكننا القول إن الجملة المبنية للمجهول هي جملة محاكية للجملة المبنية للمعلوم... " ينظر:

الخطاب المستحضر، ولو عُدنا إلى الخطاب الممهّد للاستشهاد، وهو خبر سبيري مروي معلقا عليه: " كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قبل أن تناله الخلافة يتغنّى... ولا نرى بالغناء بأساً إذا كان أصله شعراً مكسوّاً نغماً... " لتبيّن لنا أن المتكلم توافق مع صوت سيدنا عمر بن الخطاب (ض) " الشعر كلامٌ فحسنه حسنٌ وقبيحه قبيحٌ ". لقد قام اختراق الكاتب المتكلم لصوت سيدنا عمر أولاً على تمهيد تميمي للشاهد، ثم على استعادة وجهة النظر المنفية الثاوية فيه.

هـ) إقحام القارئ في النص

يفرض المقصد الإقناعي على كاتب الرسائل أن يقحم قارئه (قراءه) في حاجه، بطريقة تؤدي إلى إلزامه بدور معين (للتحول فيما بعد إلى إقناعه)، وسبيله إلى ذلك هو التحوار معه. ولما كان الجنس الرسائلي بما يخضع له من إكراهات يفرض حضور ضمائر الخطاب (أنت، أنتم) كما هو الحال في الحوار العادي، حيث يتناول المتكلمون كلهم الكلمة حسب الدور، فإن كاتب الرسائل يستطيع أن يتوجه بالخطاب مباشرة إلى قارئه الخاص. لذلك يقع عليه عبء البحث عن استراتيجيات حاجية مناسبة للإكراهات المقامية التي يخضع لها هذا الجنس من الخطابات.

وهو حين يفعل ذلك يعطي الانطباع أن قارئه يشاركه ممارسة الحجاج، وأهم ما يعتمد عليه كاتب الرسائل في تجسيد ذلك التفاعل وتنفيذه إجرائيا، هو السؤال والجواب. ومن ثم يكون السؤال البلاغي، بما يحمله من صيغة استفهامية، الأقدر من بين الأساليب على إقحام القارئ في الحجاج من دون إخلال بالإكراهات الخطابية للجنس الرسائلي.⁽¹⁾

تقوم الاستراتيجية الحجاجية للسؤال البلاغي المنفي خاصة على تقديم وجهتي نظر (أو ثلاث على الأرجح) من خلال الاستشارة/الاستشهاد، ثم دحض إحداها.⁽²⁾ ولا يعدو الأمر أن يكون هنا حوارا افتراضيا يديره الكاتب مع قارئه، على

(1) - يستخدم الأمر كذلك، لكن الأمر لا يستتبعه استحضر لصوت القارئ (وجهة نظره)

(2) - يراجع تفصيل الاشتغال الأصواتي للسؤال البلاغي في مبحث الاستفهام ضمن هذا الفصل، ص 153 وما بعدها

نحو يؤدي إلى اقتران الحوارية مع الأصواتية في المقاطع المعنية المقتطفة من الخطاب الرسائلى .

وفي هذا المبحث سنتناول السؤال البلاغى باعتباره صنفا من أصناف تحويل كفالة التللفظ، ومشهدة التللفظ له على مستوى النص من خلال استعمالات معينة للضميرين "نحن" وصيغة البناء للمجهول. ولما كانت الحدود غير واضحة بين الصوت الجماعى والتلفظ له أحيانا، فسنتصر هنا على تتبع الحالات التى يدمج فيها المتكلم التللفظ له والصوت الجماعى كليهما في وجهة النظر المنفية، في الأمثلة التى سنعكف على دراستها.

إن ما يميز إقحام التللفظ له عن إقحام الصوت الجماعى في الخطاب هو الطريقة المباشرة في توجيه الكلام إلى التللفظ له، عبر السؤال، كما يحدث في الحوار الحقيقى، في الحالات العادية، يؤسس الاستفهام لحضور التللفظ له على مستوى النص، فنقول إن النص يمكن أن يكون حواريا، دون أن يكون تحاوريا،⁽¹⁾ أو إنه يكون أصواتيا بالمفهوم الذى يعطيه إياه ديكر و(O.Ducrot)، أى أنه يحتفظ بالمتكلم الواحد نفسه، مع تضمّنه لسمات الحوار (الأسئلة، التوجه إلى شخص آخر).⁽²⁾ هذا هو التصور الذى نتبناه لحضور المتكلم له (القارئ) في النص، عبر الأسئلة البلاغية، غير أننا ننبه إلى أن المتكلم يسند إلى الصوت الجماعى وجهات النظر المتضمنة في الأسئلة، مادام يستخدم الضمير "نحن" وصيغة المبني للمجهول.

(1)- سبق التفريق بين الحوارى و التحاورى . ينظر ذلك في ص 203، ضمن الفصل الثالث

(2)- ينظر تفصيل ذلك في مبحث سابق، ص 149 وما بعدها، ضمن الفصل الثانى

للتطبيق على ما تقدم نتناول المثال التالي المقتطف من رسالة "الردّ على النصارى" حيث يتعلق الجدل الممشهد في السؤال البلاغى، بدحض وجهة النظر القائلة "إن عيسى (ع) ابن الله":

« ولو أننا جوّزنا ما في لغتنا ما لا يجوز وقلنا على الله تعالى ما لا نعرف، كنا بذلك عند الله والسامعين في حد المكاثرين، وأسوأ حالاً من المنقطعين، وكنا قد أعطيناكم أكثر مما سألتكم وجُزنا بكم فوق أمنيّتكم.

ولو كنا إذا قلنا: عيسى روح الله وكلمته وجب علينا في لغتنا أن يجعله الله ولداً ونجعله مع الله تعالى إلهاً، ونقول: إن روحاً كانت في الله فانفصلت منه إلى بدن عيسى وبطن مريم.

فكنا إذا قلنا: إن الله سمى جبريل روح الله وروح القدس، وجب علينا أن نقول فيه ما يقولون في عيسى.

وقد علمتم أن ذلك ليس من ديننا، ولا يجوز ذلك بوجه من الوجوه عندنا، فكيف نظهر للناس قولاً لا نقوله وديناً لا نرتضيه؟

ولو كان قوله جل ذكره: (فَفَخَنَّا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا)^(*) يوجب نفخاً كنفخ الزُّق، أو كنفخ الصائغ في المنفاخ، وأن بعض الروح التي كانت فيه انفصلت فاصلة إلى بطنه وبطن أمه، لكان قوله في آدم يوجب له ذلك لأنه قال: (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ)^(**) إلى قوله: (وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ)^(***) فيقال لهم: هل

(*)- الآية 12 من سورة التحريم

(**) - الآية 7-8 من سورة السجدة

(***) - الآية 9 من سورة السجدة

يخلو المسيح أن يكون إنساناً بلا إله، أو إلهاً بلا إنسان، أو أن يكون إلهاً وإنساناً؟ فإن زعموا أنه كان إلهاً بلا إنسان قلنا لهم: فهو الذي كان صغيراً فشبَّ والتَّحَى، والذي كان يأكل ويشرب وينجو ويبول وقَتِل بزعمكم وصُلب، وولدتَه مريم وأرضعته أمُّ غيرُه، هو الذي كان يأكل ويشرب على ما وصفنا، فأىُّ شيء معنى الإنسان إلا ما وصفنا وعدَّدنا. وكيف يكون إلهاً بلا إنسان وهو الموصوف بجميع صفات الإنسان؟»⁽¹⁾

فالسؤال: هل يخلو المسيح أن يكون إنساناً بلا إله، أو إلهاً بلا إنسان، أو أن يكون إلهاً وإنساناً؟ يوجِّه حجاجياً نحو وجهة النظر النافية التي مؤداها: " لا يخلو المسيح أن يكون... "والجواب موجود ضمناً في السياق المتقدم: "ولو كنا إذا قلنا: عيسى روح الله وكلمته وجب علينا في لغتنا أن يجعله الله ولداً ونجعله مع الله تعالى إلهاً... "وهكذا. فبتقديم وجهة نظره عن طريق السؤال البلاغي، لم ينجح الكاتب فقط في إقحام القارئ في حجاجه، عبر التوجه إليه بالكلام، بل تجاوزه إلى إقحام الصوت الجماعي أيضاً، وهو صوت جمهور علماء المسلمين بمختلف فرقهم، إلا من قال بمجازية النبوة.

وفي مقابل وجهة النظر هذه يستنفر المتكلم الكاتب -متماهياً مع قارئه وصوت جمهور العلماء المسلمين، بواسطة الاستفهام البلاغي المقترن بالنفي - وجهة النظر الثاوية المثبتة، ويُسندُها إلى صوت جماعي، هو صوت النصارى، ثم يقوم بدحضها. ولنا أن نلاحظ -بعد هذا- كيف عمد الكاتب إلى صيغة "المبني للمجهول" ليتيح للقارئ والصوت الجماعي أن يشاركاه محاجة النصارى في قوله: "فيقال لهم "

(1)- الرد على النصارى، ضمن الرسائل الكلامية ص282-284

زيادة على استخدام ضمير الجماعة دون أن يتبعه باسم علمي معيّن يخصّصه، أو يحيل إليه، لوضوح هذه الإحالة تلقائياً من السياق النصي والمقامي على السواء.

تأمل الألفاظ التالية: "لغتنا، ديننا" و"جوزنا، قلنا، ارتضينا"... إلخ

ولنفحص الآن مثالا آخر:

« وإذا كان قول المهاجرين والأنصار والذين جرى بينهم التنافس والمشاحة على ما وصفنا في يوم السقيفة، ثم صنيع أبي بكر وقوله لطلحة في عمر وصنيع عمر في وضع الشورى وتوعدهم له بالقتل إن هم لم يُقيموا رجلاً قبل انقضاء المدّة ونجوم الفتنة، ثم صنيع عثمان وقوله وصبره حتى قُتل دونهما ولم يخلعها، وأقوال طلحة والزبير وعائشة وعلي رحمة الله عليهم وعليها، ليست بحجّة على ما قلنا فليست في الأرض دلالة ولا حجة قاطعة.

وفي هذا الباب الذي وصفنا ونزلنا من حالاتهم وبيّنا، دليل على أنهم كانوا يرون أن إقامة الإمام فريضة واجبة، وأن الشراكة عنها منفية، وأن الإمامة تجمع صلاح الدين وإيثار خير الآخرة والأولى.

وأبي مذهب هو أشنع وأي قول هو أفحش من قول من قال: لا بد للشاهد من أن يكون طاهراً عدلاً مأموناً ولا بأس أن يكون القاضي جائراً نطفياً فاجراً، وهذا لا يشبه حكم الحكيم وصفة الحلّيم ونظر المرشد وترتيب العالم.»⁽¹⁾

على غرار المثال السابق يوجه السؤال البلاغي هنا إلى نفي، هو: "لا يوجد

مذهب هو أشنع ولا قول هو أفحش من قول من قال: لا بد للشاهد...؟"

(1) - استحقاق الإمامة، ضمن الرسائل الكلامية ص 197-198

فمجرد عرض هذا القول بطريقة غير مباشرة، في صورة سؤال بلاغى موجّه إلى القارئ، يؤكد لنا أنه لا يوجد قطعا من يقول بإمكان اشتراط الأمانة والعدل في الشاهد، وعدم اشتراطهما في القاضي، وأن الكاتب لا ينضم إلى وجهة النظر القائلة بأن "الشاهد لا بد أن يكون عدلا، ولا بأس أن يكون القاضي فاجرا...". وبهذا يمثّل هذا السؤال دحضا لوجهات النظر الثاوية القائلة "أن إقامة الإمام ليست فريضة واجبة وأن الشركة عنها ليست منفية وأن الإمامة لا يشترط فيها أن تجمع صلاح الدين وإيثار خير الآخرة والأولى." وهي وجهات نظر مشهوراتية يمكن إسنادها إلى صوت جماعى، لا سيما القائلين بجواز حكم المتغلب، أي إلى فقهاء "أهل السنة والجماعة" الموالين لبني أمية، وإلى القائلين بعدم وجوب الإمامة أصلا.

وخلاصة ما تقدّم أن الكاتب بدحضه لوجهات النظر السابق ذكرها، بالاعتماد على الضمير "نحن" مقترنا بالاستفهام البلاغى، يقحم القارئ في الحجاج الذي يقوم به، لاسيما أن هذا الضمير لا يتبعه إسم علم يخصّصه، وأن الملفوظ الاستفهامى تضمّن موجّهات هيأت المحتوى القضوي، ليسهل تبنيّه لدى القارئ. تأمل صيغة التفضيل: "أشنع، أفحش" ودورها في تضيق دائرة المؤمنين بوجهة النظر المدحوضة. وبهذا يتوصل المتكلم الكاتب إلى تجنيد القارئ وإقحامه في حجاجه، وإشراكه في عملية الدحض عبر حوار افتراضى انبنى أساسا على أصواتية السؤال البلاغى.

خاتمة

لقد كان هدفنا من هذا البحث فحص جملة من الفرضيات ومحاولة الإجابة على عدد من الإشكالات التي يطرحها الخطاب الرسائلي عند الجاحظ. ولأجل تحقيق ذلك اخترنا المقاربة التداولية الأصواتية لما تتميز به من أطر مفاهيمية وأدوات اختبار وفحص إجرائية تتيح الكشف عن آليات اشتغال الخطاب الرسائلي على المستويين النصي والخطابي. فقد مكّنتنا هذه المقاربة من الوقوف على درجة تأثير الإكراهات المقامية الخارجية، والنصية الأجناسية الداخلية على مستويات التلفظ الرسائلي، وتعالقها، وكيف يتجاوز النص الجاحظي الإكراه المقامي للتفاعل الثنائي في الرسائل إلى مشهدة الحوار والمناظرة والرد على المخالفين من خلال المستوى التلفظي الثاني الذي تحمله عادة متون الرسائل.

كما دلّنا توظيف مفهوم المستويات التلفظية على وجود مستويين تلفظيين آخرين، طرف أحدهما الناسخ متكلماً في بعض الرسائل، والقارئ العام مخاطباً وشريكاً في التلفظ في جل الرسائل. ومن هنا جاء تساؤلنا حول ضرورة إعادة النظر في تصنيف الرسائل أجناسياً.

ومن الافتراضات التي انطلقنا منها افتراض هيمنة المكون الحجاجي على نصوص الرسائل. وقد قادنا التحليل المعتمد على مفهوم المقاطع النصية ووجهات النظر التفاعلية إلى تأكيد هذه الفرضية، التأكيد الذي قواه اعتماد المتكلم كاتب الرسائل على واسمات أصواتية ذات طبيعة حجاجية من حيث خصائصها التركيبية الدلالية، ومن حيث توظيفها التداولي، مثل النفي والموجهات التقديرية، والخطاب المستحضر المسند إلى أصوات ذات سلطة مرجعية (الاستشهادات).

في جانب آخر دلنا الانزياح الذي ميّز استخدام التأشيريات الضمائية، وتراوح إحالاتها إلى ذوات الواقع بين الوضوح والغموض والإظهار والإخفاء، على استجابة المتكلم كاتب الرسائل لمقامات التلفظ وارتباطها بالموقف الإيديولوجي والعاطفي لكاتب الرسائل من محاوريه ومن مجتمعه؛ فبين رسالة ورسالة، وإن لم تتغير تراتبية المتكلم والمخاطب، يتغير استخدام الضمائر متأرجحا بين الجمع والإفراد ليعكس توترات الموقف التواصلي بملابساته وظروفه.

وتأتي ظاهرة الامحاء التلفظي في الرسائل لتكشف عن المسافة التي تفصل بين كاتب الرسائل وتلفظ الذوات التي يستحضر أصواتها، فبقدر ما يكون حياده

وتحفظه يزداد محاؤه من المشهد التلفضي، وبقدر ما يزيد التزامه وتعاطفه تقوى هيمنته على التلفظ ويُمحي المتلفظون الذين يُمشهدهم في الفضاء التلفضي الذي تحتضنه متون الرسائل.

وينبني على ذلك بالطبع قياس درجة كفاءة الكاتب للملفوظات، وما يتصل بذلك من تماهٍ مع الأصوات المستحضرة في الرسائل، أو معارضة لها، أو حياد نسبي حيالها. يتحكم في ذلك علاقة المتكلم بالصوت الجماعي الذي نراه يتكئ عليه في دحض وجهات النظر، وينأى بنفسه عنه، أو يلجأ إلى اختراق صوت جماعي آخر ليعارضه ويدحض ما يُسند إليه من وجهات النظر.

تمنح هذه الظواهر الأصواتية جميعها نصوص الرسائل ميزتها الحوارية الحجاجية، فتكون الخطابات التي تحملها خلافا لما يفترض فيها من تفاعل ثنائي يحكمه إكراه التباعد المكاني والزمني، فضاء تواصليا حافلا بأصوات كثيرة تأتينا من ذلك الزمن البعيد، حاملة خلافتها وصراعاتها وطروحاتها المتباينة التي كان كاتب الرسائل طرفا فيها، وشاهدا عليها. فكأنما جمعت الرسائل في رسالة واحدة وبلغتنا ما كان يفترض أن تبلغنا إياه: تعدد الرأي واختلافه "لا يفسد للود قضية".

فهرس نصوص المقتبسات المترجمة

نصوص المقتبسات وإحالاتها	صفحة الورود
«La pragmatique textuelle est confrontée à des séquences plus ou moins longues d'actes de langage qui permettent d'établir à un niveau supérieur une valeur illocutoire globale, celle de macro- actes de langage. On retrouve ici la problématique des genres de discours ; si le destinataire comprend à quel genre(...)appartient un ensemble d'énoncés, il en a une interprétation adéquate, qui ne résulte pas de la simple somme des actes de langage élémentaires»	نص المقتبس ص16
D.Mainguenau:Pragmatique pour le discours littéraire,p11-12	المرجع
«on ne peut pas imaginer aucun niveau de description sémantique où l'on ferait comme si ces langues n'étaient pas destinées à être parlées »	نص المقتبس ص38
DUCROT, Oswald, 1972: Dire et ne pas dire, Hermann, Collection « Savoir », Paris ,p130	المرجع
« l'action humaine accomplie au moyen du langage »	نص المقتبس ص39
Ducrot, O ,1984 ,Le dire et le dit,p173	المرجع
« de ce que la parole, d'après l'énoncé lui-même, est censée faire ,En utilisant un énoncé interrogatif, on prétend obliger, par sa parole même, la personne à qui on s'adresse à adopter un comportement particulier, celui de réponse, et de même, on prétend l'inciter à agir d'une certaine façon si on recourt à un impératif, etc ,»	نص المقتبس ص39
_ Ibid ,p 174	المرجع
«Un ensemble d'instructions données aux personnes qui ont à interpréter les énoncés de la phrase, instructions précisant quelles manœuvres accomplir pour associer un sens àces énoncés»	نص المقتبس ص40
ibid , p181	المرجع
« Je ne dis pas que l'énonciation, c'est l'acte de quelqu'un qui produit un énoncé : pour moi, c'est simplement le fait qu'un énoncé apparaisse, et je ne veux pas prendre position, au niveau de ces définitions préliminaires, par rapport au problème de l'auteur de l'énoncé ,Je n'ai pas à décider s'il y a un auteur et quel il est ,[...] j'ai besoin, pour construire une théorie du sens, une théorie de ce qui est communiqué, d'un concept d'énonciation qui ne renferme pas en lui dès le départ, la notion de sujet parlant »	نص المقتبس ص42
_ Ibid ,179-180	المرجع
«Le locuteur prendrait en charge les 'paroles' mais pas le point de vue que défend l'énoncé : ce 'point de vue' serait attribué à un personnage,	نص المقتبس ص51

L'énonciateur, mis en scène dans l'énonciation ironique».		
Mainguenu. D: Les mots clés du discours, Ed seuil, Paris, p 64	المرجع	
«Une extension (très libre)à la linguistique des recherches de Bakhtine sur la littérature»	نص المقتبس	ص53
Ducrot, O ,1984 ,Le dire et le dit,p173	المرجع	
« Non seulement la présence de plusieurs parties différentes, mais encore que ces parties soient d'importance égales »	نص المقتبس	ص53
Encyclopaedia universalis, France SA 2008, p 405	المرجع	
« repérer les segments de discours produits et représentés qui constituent[une intervention] à différents niveaux, ce que nous appelons l'organisation énonciative, puis de décrire les fonctions des discours représentés dans cette intervention »	نص المقتبس	ص55
Roulet, E ,L'organisation énonciative et l'organisation polyphonique ,p278-279	المرجع	
«L'objet véritable de la recherche doit être justement l'interaction dynamique de ces deux dimensions, le discours à transmettre et celui qui sert à la transmission»	نص المقتبس	ص55
Bakhtine. M:Le marxisme et la philosophie du langage ,p166	المرجع	
«La relation qui existe –selon l'énoncé- entre le contenu propositionnel et le locuteur»	نص المقتبس	ص57
Nøike. H, Fløttum. K & Norén.C , 2004 : ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, Paris, Editions Kimé,p46	المرجع	
«Alors que le but avoué de Ducrot est de fournir une description sémantique de la langue, en principe en complète indépendance de la parole, notre est de développer un appareil d'analyses textuelles»	نص المقتبس	ص58
Ibid, p21	المرجع	
«Fournit des instructions relatives à l'interprétation de l'énoncé de la phrase, ou précisément aux interprétations possibles de celui-ci»	نص المقتبس	ص58
Ibid ,p28	المرجع	
« c'est LOC qui assume la responsabilité des actes illocutoires et argumentatifs véhiculés par l'énoncé »	نص المقتبس	ص62
Nøike, H ,2009a ,La polyphonie de la ScaPoLine 2008 ,In : Kratschmer, A, M.Birkelund & R ,Therkelsen (éds) ,2009 ,La polyphonie : outil heuristique,linguistique, littéraire et culturel ,Berlin : Frank & Timme,p,20	المرجع	
«relie des pdv simples ou complexes entre eux sur l'axe syntagmatique »	نص	ص64

	المقتبس المرجع	
Nølke, H., K. Fløttum & C. Norén, 2004, 'ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique', p35		
« les formes et expressions linguistiques qui combinent des unités sémantiques – les arguments dudit connecteur – pour créer un nouveau sens complexe à partir de leurs sens plus primitifs en combinant et en spécifiant ceux-ci »	نص المقتبس	ص 64
_ Nølke, H, 2009a, 'La polyphonie de la ScaPoLine 2008', p 28	المرجع	
« réfère aux relations que tout énoncé entretient avec les énoncés produits antérieurement ainsi qu'avec les énoncés à venir que pourraient produire ses destinataires »	نص المقتبس	ص 76 □
- Charaudeau, Patrick et Maingueneau, Dominique, 2002, 'Dictionnaire d'analyse de discours', Paris : Seuil, p175	المرجع	
- «the use of language associated with a particular social activity»	نص المقتبس	ص 77
Malin Roitman, Polyphonie argumentative Étude de la négation dans des éditoriaux du Figaro, de Libération et du Monde, Printed by Universitetservice US-AB, Stockholm 2006, p16	المرجع	
« overreaches the other types, in the sens that genre corresponds closely to types of social practice»	نص المقتبس	ص 77-78
Ibid	المرجع	
« À faire dépendre la signification des discours du statut de l'acteur producteur de l'acte de langage, de sa position de légitimité plus que de son rôle de sujet énonciateur, cela voudrait dire que quelle que soit la façon de parler, il produirait un discours typique du domaine concerné »	نص المقتبس	ص 79
- Charaudeau, Patrick, 2001, « Visées discursives, genres situationnels et construction textuelle » in Analyse des discours, Textes, types et genres, Actes du colloque de Toulouse, 2-5 décembre 1998, Éditions Universitaires du Sud, p 3	المرجع	
« articulation entre ces trois niveaux, et la mise en corrélation (et non en implication successive) des données que propose chacun de ces niveaux »	نص المقتبس	ص 81
- Ibid, p23	المرجع	
« Les genres ne suffisent pourtant pas à définir tous les contrats possibles de la littérature, puisque les œuvres aussi peuvent instituer des contrats singuliers. »	نص المقتبس	ص 82
D. Maingueneau 2005: Pragmatique pour le discours littéraire, éd Armand Colin, p 122	المرجع	
« le contrat singulier qu'elle établit n'est qu'un îlot dans l'ensemble des règles tacites qu'elle respecte (ne serait-ce que par l'inscription dans	نص المقتبس	ص 83

cette institution qu'est la littérature). »		
- Ibid.p123	المرجع	
« se pose la question de la prise en charge des énoncés et, plus largement, celle de la cohésion-cohérence énonciative d'un texte »	نص المقتبس	ص 84
- Adam: Jean-Michel ,2002 « Textualité et polyphonie ,Analyse textuelle d'une préface de Perrault » in Olsen, M ,(éd.).Polyphonie littéraire et linguistique ,Documents de travail V ,Roskilde : Samfundslitteratur ,p39-84 ,p52	المرجع	
« des ouvrages qui n'ont des Lettres que le nom »	نص المقتبس	ص 86 (في الهامش)
- J-M.Adam: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives. p51	المرجع	
«Et rappelons aussi ce fait souvent signalé, que cette distance spatio-temporelle qui caractérise la relation émetteur-récepteur dans la communication épistolaire constitue une donnée fondamentale de cette forme de communication : on écrit parce qu'on est séparés, en même temps que pour créer l'illusion qu'on est ensemble ; du fait de l'existence de ce fossé, et pour tenter de le combler. La surabondance des références au cadre spatio-temporel dans le discours épistolaire a à cet égard un statut bien paradoxal, puisqu'en même temps qu'elles produisent un effet-de-présence, ces références soulignent aussi, puisqu'elles seraient superflues en situation partagée, la réalité de l'absence »	نص المقتبس	ص 91
Catherine kerbrat-Orechionni:L'interaction épistolaire Dans: La lettre entre réel et fiction.Sous la direction de Jurgen Siess.Ed.SEDES 1998 ,p17	المرجع	
« L'erreur vient du mot dont on se sert. Il n'y a pas d'art épistolaire.Il n'y a pas de genre épistolaire :du moins dans le sens littéraire du mot genre »	نص المقتبس	ص 98
J-M.Adam: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives. Dans: La lettre entre réel et fiction.Sous la direction de Jurgen Siess.Ed.SEDES 1998 ,p 39	المرجع	
« lorsque la sphère de l'activité sociale (la formation socio-discursive) se complexifie dans son organisation, les pratiques discursives (genres) qu'elle exige se complexifient »	نص المقتبس	ص 98
- Ibid. p 52	المرجع	
« Pour que l'échange épistolaire soit accepté comme genre littéraire, il faut encore qu'un œil étranger, celui du lecteur hors champ, transperce l'intimité à peine inaugurée en la transformant en spectacle et en configuration discursive »	نص المقتبس	ص 99
- Ibid.	المرجع	
«Une phrase interrogative donne, en vertu de sa signification, les deux instructions suivantes aux auditeurs qui ont à construire le sens des énoncés de cette phrase :	نص المقتبس	ص 149

(a) ces énoncés doivent faire apparaître un énonciateur exprimant son doute en ce qui concerne la proposition sur laquelle porte l'interrogation ; (b) lorsque cet énonciateur est assimilé au locuteur, l'expression du doute doit être lue comme une question, c'est-à-dire que l'énonciation doit être décrite comme obligeant l'allocutaire à répondre A partir de cette valeur de la phrase on peut prévoir deux possibilités en ce qui concerne les actes de langage illocutoires liés à l'énonciation. Tantôt il y aura un acte de "primitif" de question, tantôt un acte "dérivé"- qui peut être, entre autres, un acte de demande»		
O Ducrot , Le dire et le dit, p : 227	المرجع	
«La diversité des attitudes psychiques qui se traduisent par des phrases interrogatives : appel d'information, délibération, demande de confirmation, mise en doute, refus, hypothèse, appel à l'approbation, se ramène à un facteur commun, qui est de constituer des attitudes non thétiqes, c'est-à-dire, ne visant pas à poser le procès, mais au contraire, à le mettre en débat»	نص المقتبس	ص153
Moignet. Gérard. 1974 : Études de psycho-systématique française. Paris : Klincksieck,100	المرجع	
Un connecteur pragmatique est une marque linguistique, appartenant à des catégories grammaticales variées (conjonctions de coordination, conjonctions de subordination, adverbess, locutions adverbiales), qui a) articule des unités linguistiques maximales ou des unités discursives quelconques. b) donne des instructions sur la manière de relier ces unités.c) impose de tirer de la connexion discursive des conclusions qui ne seraient pas tirées en leur absence.	نص المقتبس	ص163
Reboul ,A.&Moeschler. J, 1998. Pragmatique du discours.Paris: A.Colin. p 77	المرجع	
« prétende dire E2 sur la simple foi de l'allocutaire. qu'il le dise parce que l'allocutaire l'a dit .En revanche. il peut très bien dire E2 s'il le prend sous sa responsabilité, s'il le reprend à son propre compte - en signalant seulement qu'il parle en conformité avec l'allocutaire »	نص المقتبس	ص166
-Ducrot, Oswald. 1980b. Les échelles argumentatives,p 48	المرجع	
«La modalisation est le processus par lequel le sujet de l'énonciation manifeste son attitude à l'égard de son énoncé»	نص المقتبس	ص177
Vion.Robert :Dimensions énonciatives, discursives et dialogiques de la modalisation,in :LINGUAS & LETRAS , vol 8.n°15 .2° sem.2007.p.193-224 ,p194	المرجع	
«L'ensemble des idées reçues, des croyances, des représentations généralement admises »	نص المقتبس	ص251
Peugoise.Michel,2001: Dictionnaire de la rhétorique, Armand Colin, VUEF, Paris, p 213	المرجع	
« Le locuteur abandonne volontairement sa voix et en emprunte une autre pour préférer un segment de la parole qui ne lui appartient pas en propre, qu'il ne fait que citer»	نص المقتبس	ص254
Gresillon Almuth, Maingueneau Dominique : Polyphonie, proverbe et détournement, ou un proverbe peut en cacher un autre, p112	المرجع	

« Un phénomène interactionnel intervenant dans des interactions inégales, dissensuelles (sur les plans du statut des locuteurs, sur les plans cognitifs, pragmatiques), dans lesquelles le locuteur citant déforme à son avantage le dire du locuteur cité en estompant l'origine énonciative et la visée des propos rapportés»	نص المقتبس	ص282 (في الهامش)
Rabatel.Alain:L'effacement énonciatif dans les discours représentés et ses effets pragmatiques et sous-et sur-énonciation,in:Estudios de LENGUA Y Literatura francesa.14.2003. 33-66 ,p36	المرجع	
«Le sujet parlant s'efface de son acte d'énonciation, et n'implique pas l'interlocuteur. Il témoigne de la façon dont les discours du monde(le tiers) s'imposent à lui. Il en résulte une énonciation apparemment objective (au sens de «déliée de la subjectivité du locuteur») qui laisse apparaître sur la scène de l'acte de communication des propos et des Textes qui n'appartiennent pas au sujet parlant(point de vue externe)»	نص المقتبس	ص282 (في الهامش)
Ibid , p33	المرجع	
« Renvoie à des situations déséquilibrées dans lesquelles le point de vue du locuteur citant(ou cité) s'efface devant la représentation du point de vue d'autrui »	نص المقتبس	ص282 (في الهامش)
Ibid, p36	المرجع	
«Un énoncé A est dit paraphrase d'un énoncé B si A est la reformulation de B, tout en étant plus long et plus explicite que lui. On peut dire ainsi que la phrase passive est la paraphrase de la phrase active correspondante»	نص المقتبس	ص309(في الهامش)
Jean Dubois & autres:Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage,Larousse-Bordas/HER1999 .PARIS,p 343	المرجع	

ثبت المصطلحات المترجمة

A

Actes de langage	أعمال اللغة
Acte illocutionnaire	العمل المتضمن في القول
Acte locutionnaire	عمل القول
Acte perlocutionnaire	عمل التأثير بالقول
Adverbes	ردائف
Adverbes de phrases	ردائف جمالية
Allocutaire	المتكلم له
Analyse de discours	تحليل الخطاب
Anaphores	الإحاليات

C

Catégories grammaticales	مقولات نحوية
chaînes intertextuelles	سلاسل التفاعلات النصية
Clôture	خاتمة أو اختتام
Codification	الترميز
Cohérence	الانسجام
Cohésion	الاتساق
Communication ostensive-inferentielle	التواصل الإشاري الاستدلالي

Communicative, Communicationnelle	تواصلية
communiqué(Le_)	ما تم تبليغه
Comportatifs	السلوكيات
Configuration polyphonique	التشكيل الأصواتي
Connecteurs	روابط
Connecteurs argumentatifs	الروابط الحجاجية
Connecteurs pragmatiques	الروابط التداولية
Constatifs	وصفيات"
Contenu propositionnel	المحتوى قضوي
Contexte dynamique	السياق التفاعلي
Contexte situationnel	السياق المقامي
Contraintes discursives	الإكراهات الخطابية
Contraintes situationnelles	الإكراهات المقامية
Contrat global	التعاقد الشامل
Contrat littéraire	التعاقد الأدبي
Conventions	القواعد(المواضعات)
Corps de la lettre	متن أو جسم الرسالة

D

Déclaratives(Phrases_)	تصريحية (جمل_)
Déictiques personnels	إشارات الشخصية
Déictiques spatio-temporels	الإشارات المكانية والزمانية
Dialogal	تخاطب ثنائي
Dialogisme	الحوارية
Dialogique	حواري/حوارية(وصف)
Discours anticipé	خطاب استباقي
Discours constituant	خطاب مؤسس

Discours direct rapporté	الخطاب المباشر المنقول
Discours épistolaire	الخطاب الرسائلي
Discours fictif	خطاب متخيل
Discours indirect libre	الخطاب غير المباشر الحر
Discours indirect rapporté	الخطاب غير المباشر المنقول
Discours rapporté	الخطاب غير المباشر المنقول
Discours représenté	الخطاب المستحضر
dit(Le_)	ما قيل أو المقول
Doxa	المشهورات
Doxa proverbiales	المشهورات الأمثالية

E

Effacement énonciatif	الامحاء التلفظي
Embrayeurs	واصلات
Enoncés assertives	المفوضات الإثباتية
Enonciatif(ve)	تلفظي(ة)
Etres discursifs	الذوات الخطابية
Etres discursifs	ذوات الخطاب
Etres réels	ذوات الواقع
Exercitifs	التنفيذيات
Exorde	مخاطبة استهلالية
Expositifs	العرضيات
Exprimabilité	القابلية للتعبير

F

Félicité	إسعاد
Figée	متكلسة(عبارة، بنية_)
Fonction phatique	وظيفة تنبيهية

Fonctionnaliste	وظيفية
Formalisation	شكلنة
Formalisme	الشكلانية
Fusion sémantique	الدمج الدلالي
G	
Généricité	تجنيس
Genre littéraire	الجنس الأدبي
Genres primaires	أجناس أولية
Genres secondaires	أجناس ثانوية
Genres situationnels	الأجناس المقامية
H	
Hétérogénéité constitutive	اللاتجانس التكويني
Hétérogénéité montrée	اللاتجانس المظهر
Hierarchie sociale	تراتبية اجتماعية
I	
Illusion descriptive	الوهم الوصفي
Ilots textuels	القطع النصية المعزولة
Implication	الاستلزام
Implicatures	التضمينات
Implicatures généralisées	التضمينات المعممة
Implicatures conventionnelles	التضمينات التواضعية (العرفية)
Implicatures conversationnelles	التضمينات التحادثية
Infélicité	الإخفاق
Entrée encyclopédique	المدخل الموسوعي
Entrée lexicale	المدخل المعجمي
Entrée logique	المدخل المنطقي

Institutions	مؤسسات
Instructionnelle	تعليماتية
Instructions sémantiques	التعليمات الدلالية
Intention	القصد
Interaction épistolaire	التفاعل الرسائلي
Interaction orale	التفاعل الشفوي
Interdiscursivité	تفاعل خطابي أو بينخطابية
Intersubjectivité	تفاعل ذوات أو تذاوت
Intertextualité	تفاعل نصي (تناص)

L

Lien de réfutation	الرابط الدحضى
Liens de non- responsabilité	روابط عدم المسؤولية
Liens de responsabilité	روابط المسؤولية
Liens énonciatifs	الروابط التلفظية
Linguistique énonciative	اللسانيات التلفظية
Locuteur	المتكلم
Locuteur représenté	المتكلم المستحضر
Loi de modalité	قانون الجهة
Lois de discours	قوانين الخطاب

M

Macro-acte de parole	الفعل الكلامي الأكبر
Marqueur de contenu propositionnel	واسم المحتوى القضوي
Marqueur de force illocutionnaire	واسم القوة المتضمنة في القول
Marqueurs contextuels	واسمات سياقية
Marqueurs formels	واسمات شكلية
Marqueurs situationnels	واسمات مقامية

Maxime de manière	قاعدة الكيفية
Maxime de modalité	قاعدة الجهة
Maxime de quantité	قاعدة الكمية
Maximes de conversation	قواعد المحادثة
Mémoire discursive	ذاكرة الخطابات
Méta-discours	خطاب واصف
Mise en scène	مشهدة
Modalisation	الجهة
Modalité épistémique	الجهة الإبتيمية
Modalités	الموجهات
Modules	المقاييس أو القوالب
modus – dictum	موضوع - تعليق

N

Négation de constituant	نفي مركب
Négation de phrase	نفي جملة
Négation polémique	النفي الجدلي
Négation polyphonique	نفي الاصواتي
Niveau d'expression	مستوى التعبير
Niveau d'intention	مستوى المقصد

O

Opérateurs argumentatifs	العوامل الحجاجية
Organisation énonciative	التنظيم التلفظي
Organisation polyphonique	التنظيم الأصواتي
Organisation textuelle	نظام النص
Ouverture	صدر أو افتتاح (_ الرسالة)

P

Paradigmes	جداول إبدالية
Performatifs	إنجازات
Péroration	تخلص (_ الرسالة)
Pertinence	ملاءمة
Plan textuel de base	المخطط النصي القاعدي
Point de vue	وجهة نظر
Point de vue sous-jacent	وجهة نظر ثانوية
Points de vue doxiques	وجهات نظر مشهوراتية
Points de vue dynamiques	وجهة نظر تفاعلية
Portée de la négation	حيز النفي
Portée étendue	الحيز الواسع
Porté restreinte	الحيز المحدود
Pragmatique cognitive	التداولية العرفانية
Pragmatique intégrée	التداولية المندمجة
Présumé	الافتراض المسبق أو الاقتضاء
Principe de coopération	مبدأ التعاون
Principe dialogique	المبدأ الحوارية
Prise en charge des énoncés	التكفل بالملفوظات
Promissifs	الوعديات
propos(Le)	موضوع الحديث
Q	
Quantificateurs	المكمّات
Question rhétorique	السؤال البلاغية
R	
Réflexivité	انعكاسية
Réfutation	دحض

Registres linguistiques		سجّلات لغوية
Rituel		طقوسية
	S	
Scalaire		الألفاظ والعبارات التدرجية
Sens dérivé		معنى مشتق
Sens littéral		معنى حرفي
Situation d'énonciation		مقام التلفظ
Sociolinguistique		السوسيولسانية
Stratégies argumentatives		استراتيجيات الحجج
	T	
Taxinomie		صنافة
Textuel(le)		نصي(ة)
Tours de parole		أدوار الكلام
Translinguistique		عبر لغوية
transmis(Le_)		ما تم إيصاله
Troisième personne		الشخص الثالث (الغائب)
Typologie textuelle		تنميط النصوص
	U	
Unicité du sujet parlant		واحدية الذات المتكلمة
	V	
Verbes modaux		الأفعال الجهمية
Verdictifs		الحكميات
Véri-conditionalité		شروط الصدق المنطقي
Voix collective		صوت جماعي

فهرس مطابقة الإحالة إلى مدونة الرسائل

(بين رسائل الجاحظ، تح: علي بوملحم من جهة، ورسائل الجاحظ، وكتاب العثمانية، تح: عبد السلام هارون + كتاب التريبع والتدوير،

تح: شارل بيلات من جهة أخرى)

* يشار إلى هذه المصادر اختصاراً في الجدول كما يلي: رسائل هارون، العثمانية، التريبع. أما الإحالة إلى رسائل علي

بوملحم فموجودة في هوامش البحث

** لم ندرج الشواهد المأخوذة من "رسالة الحكمين وتصويب علي بن أبي طالب في فعله"، لأنها غير موجودة ضمن

الرسائل التي حققها عبد السلام هارون

الفصل الأول

موضع ورود الشاهد في متن البحث	نص الشاهد مختصراً (يورد النص القصير الذي لا يتجاوز ثلاثة أسطر كاملاً، ويقتصر على بدايته ونهايته إذا طال أكثر من ذلك)	إحالة الشاهد في المصادر الثلاثة الأخرى
ص 106	على أن قراءة الكتب أبلغ في إرشادهم من تلافيفهم، إذ كان مع التلاقي يكثر التظام.... ويظهر التباين، وإذا كانت القلوب على هذه الصفة وهذه الخلية، امتنت من المعرفة، وعميت عن الدلالة	رسائل هارون، ج 1، ص 315
ص 112	جعلت فداك، ليس من أجل اختياري النخل على الزرع أقصيتني، ولا على ميل إلى الصدقة دون إعطائي الخراج عاقبتني	رسائل هارون، ج 1، ص 231
ص 112	كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر، ويدعي أنه مفرط الطول	التريبع، ص 5
ص 113	خفض عليك أيها السامع، فإن الخطأ كثير غامر (...). والصواب قليل خاص، ومقموع مستخف (...). فالصواب اليوم غريب وصاحبه مجهول	رسائل هارون، ج 3، ص 107
ص 113	وقد كتبت لك في هذا الكتاب ما فيه الجزاية والكفاية، ولو بسطت القول لوجدته متسعا، ولأتاك منه الدهم، وربما [كان] الإقلال في الإيجاز أجدى من (...) فجعلت الهزل بعد الجدم جماما، والملحة بعد الحجة مستراحا	رسائل هارون، ج 4، ص 280- 281
ص 115	هذا كتاب - أطال الله بقاءك - نبيل بارع، فصل فيه بين الحسد والعداوة، ولم يسبقني إليه أحد	رسائل هارون، ج 1، ص 337
ص 116	ولولا أن هذا كلام لم يكن من ذكره بد لأنه تأسيس لما بعده ومقدمة لما بين يديه وتوطئة له، لاقتضبت الكلام في المعرفة اقتضابا، ولكن بمنعني عجز أكثر	رسائل هارون، ج 4، ص 65

	الناس عن فهم غايته فيه إلا تزييله وترتيبه	
رسائل هارون، ج 4 ص 281	فخلطت لك جدا بهزل، وقرنت لك حجة بملحة، لتخف مؤونة الكتاب على القارئ، وليزيد ذلك في نشاط المستمع	ص 116
العثمانية، ص 5	ثم إنا مخبرون عن مقالة العثمانية، وباللّٰه نستهدي وإياه نستعين، وعليه نتوكل، وما توفيقنا إلا باللّٰه	ص 118
العثمانية، ص 279	ولولا أنّ فيما قدّمنا غنى عما أخرنا لقد فسّرنا كما أجملنا... فاحذر حوادث الدهر، واتصال المشاكلة	ص 118
التربيع، ص 26	حدثني كيف رأيت الطوفان؟»،	ص 119
التربيع، ص 29	«خبرني كيف صار الماء أبعد من الفلك	ص 119
التربيع، ص 6	فلما طال اضطبارنا حتى بلغ المجهود منا	ص 119
التربيع، ص 24+ رسائل هارون، ج 3، ص 68	يا عمّ لمّ تحملنا على الصدق، ولم تجرّعنا مرارة الحق	ص 119
رسائل هارون، ج 4، ص 113	ونحن وإن أطنبنا في ذكر جملة القول	ص 119
رسائل هارون، ج 4، ص 129	ونحن قد ندخل دجلة في الأسحار، ولسنا نشك أن أناسا ينتابون المواضيع	ص 119- 120
رسائل هارون، ج 2، ص 144	وقد كنا ممسكين عن القول بحجتنا فيما تضمنه كتابنا هذا	ص 120
رسائل هارون ج 2، ص 187	قد قرأت كتابك ومدحتك أخلاق الكتاب وأفعالهم، ووصفك فضائلهم وأيامهم، وفهمته	ص 120
رسائل هارون، ج 2، ص 209	قد أتينا على بعض ما أردنا فيما له قصدنا	ص 120
رسائل هارون، ج 1، ص 225	فهذا جملة ما حضرنا من مفاخر السودان	ص 120
رسائل هارون، ج 3، ص 163	وجعلنا وإياك ممن يقول بالحق ويعمل به	ص 120
رسائل هارون، ج 3، ص 164	وقد أعجبني ما رأيت من شغفك بطاعة إمامك	ص 120- 121
رسائل هارون، ج	وقد قلنا في مناقب جميع الأصناف بجمل ما انتهى إلينا وبلغه علمنا	ص 121

1، ص 86		
رسائل هارون، ج 4، ص 248	ومن مظالم صناعة الكلام عند أصحاب الصناعات.... وأن في الهندسة ما لا يُدرك ولا يُفهم، والمتكلمون لا يقرون بذلك العجز في صناعتهم، وبذلك النقص في غرائزهم.	ص 124

الفصل الثاني

رسائل هارون، ج 2، ص 148	فلم يكن بين رجال العرب ونسائها حجاب، ولا كانوا يرضون مع سقوط الحجاب بنظرة الفتنة ولحظة الخلسة....، المشتق من الزيارة، كل ذلك بأعين الأولياء وحضور الزواج، لا ينكرون ما ليس بمنكر إذا أمنوا المنكر	ص 142
رسائل هارون، ج 4، ص 303	ولكننا نقول: لا يجوز أن يلي أمر المسلمين على ظاهر الرأي والحزم والحيطة أكثر من واحد، لأن الحكام والسادة إذا تقاربت أقدارهم وتساوت غايتهم قويت دواعيهم إلى طلب الاستعلاء واشتدت منافستهم في الغلبة	ص 143
رسائل هارون، ج 3، ص 123	ليس شيء من المأكول والمشروب أجمع للظرفاء، ولا أشد تألفاً للأدباء، ولا أحلب للمؤمنين منه، ولا أدعى إلى خلاف الممتعين، ولا أجدر أن يستدام به حديثهم ويخرج مكنونهم، ويطول به مجلسهم، منه	ص 145
رسائل هارون، ج 1، ص 252	«جعلت فداك، ما هذا الاستقصاء و ما هذا البلاء؟! و ما هذا التبع لغوامض المسألة، والتعرض لدقائق المكروه؟! و ما هذا التغلغل في كل شيء يخمل ذكري؟! و ما هذا الترفي إلى كل ما يحط قدري?!»	ص 155
رسائل هارون، ج 1، ص 272	ولو أن شيبتي التي بما استعطفتك، وكبرة سني التي بما استرحمتك، اللتان لم يحدثا....، ثم تريد أن توهنه أرقّ مما كان. وهل هرمت إلا في طاعتك، وهل أخلقني إلا معاناة خدمتك؟	ص 157
التربيع، ص 29-30	خبرني: كيف صار الماء أبعد من الفلك و لا يكون إلا في بطن الأرض، وهو أشبه بالهواء كما أن الهواء أشبه بالنار.... وكيف كان بدء أمر البد في الهند، وعبادة الأصنام في الأمم، وقصة عمرو بن لحي في العرب[؟]	ص 159
التربيع، ص 79	فإن أردت أن تعرف حق هذه المسائل و باطلها و ما فيها خرافة و ما فيها محال و ما فيها صحيح و ما فيها فاسد، فالزم نفسك قراءة كتيبي ولزوم بابي	ص 159
رسائل هارون، ج 4، ص 55	فإن قالوا: "ليس أحد يعرف أن علامة الحق استشهاد الضرورات غيرنا، قلنا: أو لستم - معشر أبي إسحاق النظام - تختلفون في أمور كثيرة و قد كنتم يؤمنكم أن تكونوا على باطل أن تقولوا: استشهادنا للضرورات على باطل؟	ص 160-161
رسائل هارون، ج 1، ص 101	وقد قال الله تعالى: (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ) وهذا مثل ضربه الله،	ص 168-169

 ومن مالت سيئاته بحسناته كان العطب والعذاب أولى به	
رسائل هارون، ج 4 ص 322	ولولا أن في طاقة الناس قبول التلقين وفهم الإشارة لكانوا هملا ولتركوا نشرا وحشرا، ولسقط عنهم الأمر والنهي،، ولن يبلغوا بذلك القدر قدر المستغني بنفسه المستبد برأيه المكتفي بفطنته عن إرشاد الرسل وتلقين الأئمة	ص 170
رسائل هارون، ج 1 ص 319	وليست بحمد الله من باب الطفرة والمداخلة، ولا من باب الجوهر والعرض، بل كلها في الكتاب والسنة، وبجميع الأمة إليها أعظم الحاجة	ص 172
رسائل هارون، ج 2 ص 160	فإذا وجب أن الكلام غير محرم فإنّ وزنه وتقفيته لا يوجبان تحريما لعله من العلل، وإن الترجيع له أيضا لا يخرج إلى حرام، ...، فلا وجه لتحريمه، ولا أصل لذلك في كتاب الله تعالى ولا سنة نبيّه عليه السلام	ص 174
رسائل هارون، ج 3 ص 157	ونحن وإن رأينا أن فضل الرجل على المرأة في جملة القول في الرجال والنساء أكثر وأظهر فليس ينبغي لنا أن نقصّر في حقوق المرأة.... وكذلك الأخوة والأخوات والبنون والبنات، وأنا وإن كنت أرى أن حق هذا أعظم فإن هذا أرحم	ص 181
رسائل هارون، ج 4، ص 285- 286	ولكن لا بدّ من حاكم واحدا كان أو أكثر على [كل] حال، ولا يجوز أن يكون الرجل حاكما على نفسه وقائما عليها بالحدود، وعليهم فيما شجر بينهم إعطاء النّصف من أنفسهم بالغاً ما بلغ في عسر الأمر ويسره	ص 184

الفصل الثالث

التربيع، ص 5	كان أحمد بن عبد الوهاب مفطر القصر وهو يدعي أنه مفطر الطول	ص 204
التربيع، ص 10	بسم الله الرحمن الرحيم : أطال الله بقاءك	ص 204
العثمانية، ص 5	ثم إنا مخبرون عن مقالة العثمانية، وبالله نستهدي وإياه نستعين، وعليه نتوكل، وما توفيقنا إلا به	ص 206
العثمانية، ص 279	هذا جمل جوابات العثمانية بجملة مسائل الرافضة والزيدية، ولولا أن فيما قدمنا غنى عما أحرنا لقد فسرنا كما أجملنا	ص 206

الفصل الرابع

رسائل هارون، ج 4، ص 71	حفظك الله وأمتع بك... وإني عرفتك - أكرمك الله - في أيام الحداثة... فلم أزل أبقاك الله... وعلمت أن ذلك من أعظم ما أبرك به وأرجح ما أتقرب به إليك	ص 267- 268
رسائل هارون، ج 1، ص 99	واعلم أن الآداب إنما هي... فأول ما أوصيك به	ص 268
رسائل هارون، ج 1، ص 134	أسأل الله المبتدئ بكل نعمة والمتولّي لكل إحسان أن يصلي على محمد خيرته من خلقه وصفوته من بريته وأن يتم عليك نعمته ويشفع لك ما حوّلك من نعمته	ص 268

	بالنعمة التي يؤمن معها الزوال في جواره ومرافقة أنبيائه	
رسائل هارون، ج 1، ص 145	طبع الإنسان على حب الإخبار والاستخبار حجة على الله	ص 268
رسائل هارون، ج 1، ص 154	فتريد أن نعلم : لم صار الإنسان على ما منع - وإن كان - لا ينفعه أحرص منه	ص 268
رسائل هارون، ج 1، ص 154	فنعول: إن الله تبارك وتعالى جعل لكل نفس مبلغاً من الوسع	ص 268
رسائل هارون، ج 1، ص 171	ولو اقتصرنا في هذا الكتاب على حرف مما فيه، لكان بإذن الله كافياً لمن له لب وعقل	ص 269
رسائل هارون، ج 2، ص 143	من أبي موسى بن إسحاق بن موسى ومحمد بن خالد خذار خذاه وعبد الله بن أيوب أبي سُمير ومحمد بن حماد كاتب ... إلى أهل الجهالة والجفاء وغلظ الطبع وفساد الحسّ	ص 269
رسائل هارون، ج 2، ص 181	هذه الرسالة التي كتبناها من الرواة منسوبة إلى من سمّيناها في صدرها، فإن كانت صحيحة فقد أديننا منها ... ليسهلوا على المقينين ما صنعه المقترفون	ص 269- 270
رسائل هارون، ج 2، ص 185	تم كتاب الحجاب، والله الحمد والمنة	ص 270
رسائل هارون، ج 1، ص 303	وكان من أسباب دفعي إليك هذا الكتاب - أبقاك الله - دون أبي عبد الله أكرمه الله أنكما قد تجريان في بعض الأمور مجرى واحداً ولأنك وإن كنت كثير الشغل فهو أقل فراغاً منك على كثرة شغلك وفرط عنايتك بما استكفأك واسترعاك	ص 272
رسائل هارون، ج 1، ص 313	أطال الله بقاءك وأعزك وأصلح على يديك... وأنت أيها العالم معلم الخير وطالبه والداعي إليه وحامل الناس عليه... كتاب جامع لاختلاف الناس في أصول الفتيا	ص 272
رسائل هارون، ج 1، ص 325	جعلت فداك، وأطال الله بقاءك، وأعزك وأكرمك، وأتم نعمته عليك وأيدك ... في صدر هذا الكتاب قصيدة قيلت في أبي الفرج أدام الله عزه	ص 273
رسائل هارون، ج 1، ص 332	ونعوذ بالله أن يكون فيكم ما يستعي الألفاظ الشريفة والمعاني النفيسة	ص 273
رسائل هارون، ج 4، ص 191	أطال الله بقاءك، وأعزك وأكرمك، وأتم نعمته عليك، زعم -أبقاك الله - كثير ممن يقرض الشعر...-أبقاك الله- أن إقرار المسؤول بما ينحل من ذلك نوك	ص 273
رسائل هارون، ج 4، ص 194	على أنكم لم تحملونا إلا الخف...وأنا أسأل الله الذي ألزمكم المؤن الثقال	ص 273
رسائل هارون، ج	ثم اعلم -أصلحك الله- أن الذي وجد في العبرة	ص 273

4، ص 195		
العثمانية، ص 5	ثم إنا نخبرون عن مقالة العثمانية، و بالله نستهدي و إياه نستعين و عليه نتوكل، و ما توفيقنا إلا بالله	ص 274
رسائل هارون، ج 3، ص 131	ثم إنا وجدنا الفلاسفة المتقدمين في الحكمة	ص 274
رسائل هارون، ج 4 ص 47	بالله نستعين و عليه نتوكل، و ما توفيقنا إلا بالله... اختلف الناس في المعرفة اختلفا شديدا	ص 274
رسائل هارون، ج 1، ص 246+ ج 4، ص 88-89	سمعتك وأنت تريدني وكأنك تريد غيري أو كأنك تشير علي من غير أن تنصني وتقول: إني لأعجب ممن ترك دفاتر علمه متفرقة وكراريس درسه غير مجموعة... وكيف لا يمنعها من التحرق!	ص 276
رسائل هارون، ج 3، ص 334	ولولا أن الله قد حكى عن اليهود أنهم قالوا: إن "عزيراً ابن الله" "ويد الله مغلولة" و"إن الله فقير ونحن أغنياء" وحكى عن النصارى أنهم قالوا: "المسيح ابن الله" وقال: "قالت النصارى المسيح ابن الله"	ص 276-277
رسائل هارون، ج 4، ص 261	وقلت: وما فرق ما بين الجر والسقاء والمزفت والحنتم والدباء؟... وما القول في شرب الفضيخ؟ وهل يكره نبيذ العكر؟...؟ ولم كره النقيير والمقيير؟	ص 277-278
رسائل هارون، ج 4، ص 13	وقالت - أيضاً - المشبهة: الدليل على أنه... قالوا: فلا يجيء إلا إلى مكان هو وفيه ولو جاز أن يجيء إلى مكان هو فيه جاز أن يخرج منه وهو فيه	ص 278
رسائل هارون، ج 3، ص 296	وخطأ النابتة وقول الرافضة تشبيهه مصرح وكفر مجملح، وأما قولهم: إن معنا العامة والعباد والفقهاء وأصحاب الحديث	ص 278-279
رسائل هارون، ج 4، ص 158	يا أخي - أرشدك الله - إنك أغرقت في مدح الظهر من الجهة التي كان ينبغي لك أن تدمها،.... قال الله تعالى في قصة لوط: "اتَّأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ. وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ"	ص 285
رسائل هارون، ج 4، ص 15-13	وقالت - أيضاً - المشبهة: الدليل على أنه جسم..... كان لا يليق ذلك به علمنا أنهم قد كانوا وافرين غير عاجزين ولا منقوصين»	ص 292-293
رسائل هارون، ج 2، ص 200	وحدثني عمر بن سيف أنه حضر مجلس أبي عباد ثابت بن يحيى يوماً في منزله وعنده جماعة من الكتاب..... بعضكم على بعض. أف لكم ولأخلاقكم!	ص 295-
رسائل هارون، ج 1، ص 151	فكل ذلك يراد به أن الفضل قليل والنقص قليل لا على نسب ما يتلقاه الاجتماع من هذه الأعداد..... وهذه صفات موجودة بالأقوال معدومة بالأفعال.	ص 296-297
رسائل هارون، ج 3، ص 338-	وقد كان إبراهيم بن سيار النظام يجيب بجواب وأنا أذكره إن شاء الله، وعليه كانت علماء المعتزلة، ولا أراه مقتعاً ولا شافياً... والعطية وإنما الخليل في هذا	ص 300-302

340	الموضع من الخلة والاحتلال لا من الخلة والحلال	
رسائل هارون، ج 1، ص 344 - 348	وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "ما أحدث الله بعبدٍ نعمةً إلا وجدت له عليها حاسداً..... والحسد وإن كان موكلاً بالأدين فالأدين فإنه لم يعر منه الأبعد فالأبعد	ص 303-304
رسائل هارون، ج 4، ص 285-286	وأن الناس إن تُركوا أن يقيموا إماماً واحداً جاز لهم ذلك ولم يكونوا بتركة ضالين ولا عاصين... إعطاء النَّصْفَةَ من أنفسهم بالغاً ما بلغ في عسر الأمر ويسره	ص 306-307
رسائل هارون، ج 2، ص 160 - 161	وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قبل أن تناله الخلافة يتغنّى..... فلا وجه لتجريمه، ولا أصل لذلك في كتاب الله تعالى ولا سنة نبيه عليه السلام.	ص 308-309
رسائل هارون، ج 3، ص 347 - 349	ولو أننا جوزنا ما في لغتنا ما لا يجوز وقلنا على الله تعالى ما لا نعرف، كنا بذلك عند الله والسامعين في حد المكائرين..... وصفنا وعددنا. وكيف يكون إلهاً بلا إنسان وهو الموصوف بجميع صفات الإنسان؟	ص 313-314
رسائل هارون، ج 4، ص 306 - 307	وإذا كان قول المهاجرين والأنصار والذين جرى بينهم التنافس والمشاحة على ما وصفنا في يوم السقيفة..... وهذا لا يشبه حكم الحكيم وصفة الحلِيم ونظر المرشد وترتيب العالم	ص 315

- القرآن الكريم (رواية ورش)

أولاً: المصادر

1. البلخي. أبو القاسم و آخرون: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق فؤاد سيد. ط2. الدار العربية للكتاب ليبيا - تونس و المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1990
2. ابن جعفر. قدامة: نقد النثر، تح: طه حسين بك وعبد الحميد العبادي، د ط، المطبعة الأميرية بيولاق، القاهرة 1941
3. ابن قيم الجوزية: شفاء العليل في مسائل والقضاء والقدر والحكمة والتعليل، د ط، تصحيح محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر، دمشق-سوريا 1988
4. الجاحظ: البيان والتبيين. ج 4/1 ط 2. تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار الجيل. بيروت. بدون تاريخ
5. الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام هارون ج 1، ط 2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر، القاهرة 1965
6. الجاحظ: الرسائل. ج 3/1. د ط. تقديم وشرح علي بوملحم. دار مكتبة الهلال. بدون تاريخ
7. الجاحظ: الرسائل. ج 2/1 (مجلد). ط 1. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة 1964
8. الجاحظ: الرسائل. ج 4/3 (مجلد). ط 1. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة 1979
9. الجاحظ: كتاب الحيوان. ج 1. د ط. تح: عبد السلام هارون ج 1، ط 2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر- القاهرة 1965
10. الجاحظ: كتاب التربيعة والتدوير، نشر وتحقيق: شارل بلات، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق 1955
11. الجاحظ: كتاب العثمانية، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط 1، دار الجيل بيروت 1991
12. السكاكي. أبو يعقوب: مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان 1987

13. عبد الجبار (القاضي): شرح الأصول الخمسة (جزآن). تقديم عبد الرحمن بوزيدة. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. وحدة الرعاية. الجزائر. 1990
14. عبد الجبار. القاضي: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تح: فؤاد سيد يونس. ط2. الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب. تونس، الجزائر. 1986
15. العسكري. أبو هلال: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة 1952

ثانيا: المراجع:

أ) الكتب باللغة العربية:

16. أبو زيد. نصر حامد: إشكاليات القراءة و آليات التأويل. ط2. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت 1992
17. أبو زيد. نصر حامد: النص، السلطة، الحقيقة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، 1995
18. أبو زيد. نصر حامد: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن. ط1. المركز الثقافي العربي . بيروت، الدار البيضاء. 1990
19. بلحاج رحومة الشكيلي. بسملة: السؤال البلاغي الإنشاء و التأويل/ط1، دار محمد علي للنشر ، تونس 2007
20. بن رمضان. صالح: أدبية النص الثري عند الجاحظ، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، سوسة- تونس 1990
21. بن رمضان. صالح: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، ط1، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات-دار الفارابي، منوبة، تونس 2001
22. بناني. محمد الصغير: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين. ط4. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1994
23. بوملحم. علي: المناحي الفلسفية عند الجاحظ. ط2. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت 1988

24. الجابري. محمد عابد: العقل السياسي العربي . ط4 . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت .
2000
25. الجابري. محمد عابد: بنية العقل العربي. ط3. مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . 1990
26. الجابري. محمد عابد: تكوين العقل العربي. ط7. مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت .
1998
27. الحاجري. طه: الجاحظ. حياته و آثاره. د.ط. دار المعارف.مصر. 1962
28. حسين. طه: من حديث الشعر والنثر ضمن (المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين المجلد الخامس). ط 1. دار الكتاب اللبناني. بيروت- لبنان 1973
29. خالد. أحمد: تيارات وشخصيات، ط2، مطبعة الشلي ، سوسة -تونس 1970
30. خطابي. محمد : لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت. 1991.
31. دهري. آمنة: الترسل الأدبي في المغرب_النص والخطاب، جامعة الحسن الثاني- المحمدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، سلسلة الرسائل والأطروحات، رقم5
32. الراوي. عبد الستار: العقل والحرية، دراسة في فكر القاضي عبد الجبار المعتزلي ط1. المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . 1980
33. الزناد. الأزهر: نسيج النص، البحث في ما يكون الملفوظ نصا ، ط1 المركز الثقافي العربي. الدر البيضاء، بيروت 1993
34. سلمان. علي محمد علي : كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج(رسائله نموذجاً)، ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت -لبنان 2010
35. الشبعان.علي: الحجاج بين المنوال والمثال، -نظرات في أدب الجاحظ و تفسيرات الطبري، ط1، مسكيلياني للنشر و التوزيع، تونس 2008
36. الشهري.عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب،مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت -لبنان 2004
37. صبحي. أحمد محمود: في علم الكلام،المعتزلة، ج1. دار النهضة العربية للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1305هـ - 1985م
38. صحراوي. مسعود: التداولية عند العلماء العرب _ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ،دار الطليعة للطباعة والنشر / بيروت 2005

39. عبد الرحمن .طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت. 1998
40. عبد الرحمن. طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ط2. المؤسسة الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع. الدار البيضاء. المغرب. 2000
41. عروس. بسمة: التفاعل في الأجناس الأدبية/مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة من القرن الثالث إلى السادس الهجري، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس 2008
42. العزاوي. أبو بكر: اللغة والحجاج، د ط، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت 2009
43. عشير. عبد السلام: عندما تتواصل نغير، د ط ، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب 2006
44. كيليطو. عبد الفتاح: الأدب و الغرابية، دراسة بنيوية في الأدب العربي، ط3، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب 2006
45. المبخوت. شكري : دائرة الأعمال اللغوية، ط1 ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2010
46. المبخوت. شكري: إنشاء النفي و شروطه النحوية والدلالية، د ط، مركز النشر الجامعي -كلية الآداب و العلوم الإنسانية منوبة ، تونس 2006
47. المبخوت. شكري: توجيه النفي في تعامله مع الجهات والأسوار والروابط، ط1 ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت 2009
48. المتوكل. أحمد : قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية / بنية الخطاب من الجملة إلى النص، د ط، دار الأمان للنشر و التوزيع، الرباط - المغرب 2001
49. المتوكل. أحمد: الخطاب وخصائص اللغة العربية-دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2010
50. محمد القاضي. الشريف: الخبر في الأدب العربي دراسة في السردية العربية، سلسلة: الآداب، مجلد: XXXI، كلية الآداب منوبة-تونس ودار الغرب الإسلامي-بيروت 1998
51. مروة. حسين: التزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية (مجلدان) ط4. دار الفارابي. بيروت لبنان 1981
52. المسدي. عبد السلام: قراءات مع الشابي و المتنبي والجاحظ وابن خلدون، ط4، دار سعاد الصباح، الكويت- القاهرة 1993

53. مشبال. محمد: البلاغة والسرد- جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، د ط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان المغرب 2010
54. مفتاح. محمد: دينامية النص ط2 . المركز الثقافي العربي . بيروت - الدار البيضاء. 1990
55. الميساوي. خليفة ، الوصائل في تحليل المحادثة _دراسة في استراتيجيات الخطاب ، ط1، عالم الكتب الحديث ، الأردن 2012
56. ناصف. مصطفى: محاورات مع النثر العربي، سلسلة عالم المعرفة، د ط، الكويت، 1997
57. ودیعة. طه نجم : أثر الجاحظ في تطوير مفهوم الرسالة الأدبية، مجلة كلية الآداب العراقية العدد الحادي عشر - حزيران 1968م
58. يقطين. سعيد: الكلام و الخبر، مقدمة للسرد العربي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب 1997
59. يوسف نجم. محمد: فن المقالة، سلسلة الفنون الأدبية-1، ط4، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت -لبنان (د ت)

ب) الكتب المترجمة:

60. أرمنغو. فرانسواز: المقاربة التداولية ، تر: سعيد علوش، د ط، مركز الإنماء القومي، دت
61. أوركيوني.ك.ك: المضمّر، تر: ريتا خاطر، ط1، المنظمة العربية للترجمة-مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2008
62. أوستين. ج. ل. : نظرية أفعال الكلام العامة _ كيف نصنع الأشياء بالكلمات، تر: عبد القادر قنيني، ط2، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء - المغرب 2008،
63. باختين. م : شعرية دوستويفسكي، تر: جميل نصيف التكريتي، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب 1986
64. بلانشيه. فيليب: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية-سوريا 2007
65. بيللا. شارل: الجاحظ في البصرة. بغداد وسامراء. تر: د. ابراهيم الكيلاني. د. ط. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1986

66. تودوروف. ت: الأدب و الدلالة، تر: محمد نديم خشفة، ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب- سوريا 1996
67. تودوروف: ميخائيل باختين المبدأ الحوارية، تر: فخري صالح، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان 1996
68. راستيي. فرانسوا: فنون النص وعلومه، تر: ادريس الخطاب، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب 2010
69. ريكور. بول: من النص إلى الفعل أبحاث التأويل، تر: محمد برادة وحسان بورقية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة 2001
70. ريكور. بول: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب 2006
71. ريكور. بول: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب 2006
72. زتسيسلاف وأورزنيك: مدخل إلى علم بناء النص، مشكلات بناء النص، تر: سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة 2003
73. سارفوني. جان : الملفوظية ،، ترجمة قاسم المقداد ،من منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998
74. شارودو. ب.: الحجاج بين النظرية و الأسلوب، تر: أحمد الوديني، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان 2009
75. شيفر. جان ماري: ما الجنس الأدبي؟ تر: غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، يونيو 2005
76. فاركلوف. نورمان: تحليل الخطاب _ التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبه، ط1، المنظمة العربية للترجمة- مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2009
77. فان دايك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، تر: عبد القادر قنيني، د ط، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب 2000
78. فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، سلسلة اللغويات الجرمانية الكتاب رقم 115، النشر العلمي والمطابع- جامعة الملك سعود، الرياض- السعودية 1999

79. كيمبسون. راث: نظرية علم الدلالة (السيمانطيقا)، ترجمة: عبد القادر قنيني، ط1، منشورات الاختلاف و دور أخرى، الجزائر 2009
80. ليونز. جون: اللغة و المعنى و السياق، تر: عباس صادق الوهاب، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد-العراق 1987
81. مارتان. ر: في سبيل منطق للمعنى، تر: الطيب البكوش و صالح الماحري، ط1، المنظمة العربية للترجمة - مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان 2006
82. موشر. ج. _ روبول. آن: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني، ط1، المنظمة العربية للترجمة- دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت - لبنان 2003
83. والتر ج. أونج: الشفاهية و الكتابية، تر حسن البنا عز الدين، د ط المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، فبراير 1994 (سلسلة عالم المعرفة)
84. وليك. رنيه و وآرن. أوستن: نظرية الأدب، تر: عادل سلامة، (د ط)، دار المريخ للنشر، الرياض- السعودية 1992
85. يول. جورج: التداولية، تر: قصي العتاي، ط1، دار الأمان للنشر و التوزيع، الرباط-المغرب 2010

ج) المقالات و الأعمال الجماعية:

86. جاك روجو Jacques Rougeot: الأدب الترسلّي، ضمن: نخبة من الأساتذة: الأدب و الأنواع الأدبية، تر: طاهر حجار، (د ط)، طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، دمشق - سوريا (د ت)
87. جيرار جينيت و آخ: نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تر: ناجي مصطفى، ط1، منشورات الحوار الأكاديمي و الجامعي، الدار البيضاء، المغرب 1989
88. القاضي. و داد: نحو منهج سليم في قضية موثوقية الرسائل العربية الإسلامية المبكرة، ضمن: في قراءة النص الديني (سلسلة موافقات)، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس 1990
89. المبخوت. شكري: نظرية الحجاج في اللغة، ضمن: فريق البحث في البلاغة و الحجاج تحت إشراف حمادي صمود: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، سلسلة: الآداب، مجلد: XXXIX، منشورات جامعة الآداب و العلوم الإنسانية تونس 1 - كلية الآداب منوبة، دت

د) الموسوعات والقواميس:

- .90 إدريس. سهيل: المنهل قاموس فرنسي عربي، دار الاداب للنشر والتوزيع، بيروت، 2002
- .91 التهانوي . محمد: موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، تر: عبد الله الخالدي، ج2، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت 1996
- .92 ديكرو. أ. وسشايفر . ج.م: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب 2007
- .93 شارودوب. د.د. مانغونو: معجم مصطلحات تحليل الخطاب، تر: جمعة: صمادي حمود وعبد القادر المهيري، د ط، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس 2008
- .94 لالاند "الموسوعة الفلسفية، تع: خليل أحمد خليل، ط2، دار عويدات للنشر و التوزيع، بيروت- باريس 2001
- .95 المسدي. عبد السلام: قاموس اللسانيات: عربي -فرنسي، فرنسي- عربي، مع مقدمة في علم المصطلح ، الدار العربية للكتاب، تونس-ليبيا، 1984
- .96 موشر. جاك وروبول. آن: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الباحثين، ط2، دار سيناترا للنشر_المركز الوطني للترجمة، تونس 2010

ثالثا: المراجع باللغة الفرنسية: Références en langue française

أ) الكتب : Ouvrages

- .97 Bakhtine. M ,1977 [1929]: Le marxisme et la philosophie du langage, Paris, Seuil
- .98 Bakhtine. Mikhaïl, 1978: Esthétique et théorie du roman, Paris, Gallimard
- .99 Bracops. M ,2006: Introduction à la pragmatique – Les théories fondatrices, actes de langage, pragmatique cognitive, pragmatique intégrée, Louvain-la-Neuve :Duculot
- .100 Combe. Dominique,1992: Les genres littéraires , éd. HACHETTE , Paris
- .101 Ducrot .O et Anscombe J-C, 1983: L'argumentation dans la langue, Pierre Mardaga, éditeur, Collection « Philosophie et langage », Bruxelles
- .102 Ducrot. O, 1973: La Preuve et le Dire, Repères: Mame, Paris,
- .103 Ducrot. Oswald, 1972: Dire et ne pas dire, Hermann. Collection « Savoir », Paris
- .104 Ducrot.O1980,: Les échelles argumentatives. Paris , Minuit

- .105 Gjestard. Øyvind: La polyphonie discursive _ Pour un dialogisme ancré dans la langue et l'interaction
- .106 Maingueneau. D,2005:Pragmatique pour le discours littéraire.éd Armand Colin
- .107 Maingueneau. Dominique, 1998: Analyser les textes de communication, Paris, Nathan.
- .108 Maingueneau. Dominique. 1994 : L'énonciation en linguistique française Paris: Hachette
- .109 MARTIN, Robert, 1987: Langage et croyance. Les « univers de croyance » dans la théorie sémantique », Pierre Mardaga, éditeur, Bruxelles
- .110 Moeshler.Jacques & Auchlin. Antoine , 2009: Initiation à la linguistique contemporaine ,3e éd, Armand Colin.Paris
- .111 Moignet. Gérard, 1974: Études de psycho-systématique française, Paris, Klincksieck,
- .112 Nølke. Henning. 1993: Le regard du locuteur. Pour une linguistique des traces énonciatives , Paris : Kimé
- .113 Orrechioni. C-K, 2005: Les actes de langage dans le discours, théorie et fonctionnement, Armand Colin
- .114 Reboul .A.&Moeschler. J, 1998: Pragmatique du discours, Paris, A.Colin

:Articles et Ouvrages collectifs (ب) المقالات والأعمال الجماعية

- .115 _ Adam .Jean-Michel. L'argumentation dans le dialogue. In: Langue française. N°112, 1996. pp. 31-49.doi : 10.3406/lfr.1996.5359
- .116 Adam. Jean-Michel, 2002: Textualité et polyphonie, Analyse textuelle d'une préface de Perrault, in Olsen. M,(éd,): Polyphonie littéraire et linguistique ,Documents de travail V, Roskilde, Samfundslitteratur
- .117 Adam. Jean-Michel,1997: Unités rédactionnelles et genres discursifs, cadre général pour une approche de la presse écrite, Pratiques 94, Paris : CRESEF
- .118 Adam. J. M: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives, Dans: La lettre entre réel et fiction, Sous la direction de Jurgen Siess, Ed SEDES, 1998
- .119 Anscombe J.-Cl : Proverbes et formes proverbiales: valeur évidentielle et argumentative. In: Langue française. N°102, 1994.pp. 95-107.doi: 10.3406/lfr.1994. 5717
- .120 Bres. Jacques et Nowakowska. Aleksandra: Dis-moi avec qui tu«dialogues», je te dirai qui tu es ...De la pertinence de la notion de dialogisme pour l'analyse du discours .in Marges linguistiques - Numéro 9. Mai 2005 - M.L .M .S.éditeur <http://www.marges-linguistiques.com-13250> Saint-Chamas (France)
- .121 Carel. Marion et Ducrot. Oswald: Mise au point sur la polyphonie, Langue française, 2009/4 n° 164, p. 33-43. DOI: 10.3917/lf.164.0011
- .122 Charaudeau. Patrick, 2001: Visées discursives, genres situationnels et construction textuelle, in: Analyse des discours,Textes, types et genres. Actes du colloque de Toulouse, 2-5 décembre 1998, Éditions Universitaires du Sud
- .123 Ducrot. O et autres, 1980: Les mots du discours, Les Éditions de Minuit, Paris

- .124 Ducrot. O: Argumentation rhétorique et argumentation linguistique.
Dans :L'argumentation aujourd'hui-Positions théoriques en confrontation(Textes réunis par Mariane DOURY et Sophie MOIRAND) ,2004,Presse Sorbonne Nouvelle
- .125 Fløttum. K, 2003b: Polyphonie dans les textes scientifiques, Étude de deux cas français, In: Polyphonie linguistique et littéraire VII, Roskilde, Samfundslitteratur Roskilde
- .126 Gresillon. Almuth, Maingueneau. Dominique : Polyphonie, proverbe et détournement, ou un proverbe peut en cacher un autre. In:Langages, 19e année, n°73, 1984. pp. 112-125.doi: 10.3406/lgge.1984.1168 .
- .127 HEDERMAN. Pascale, PIERARD. Michel et VAN RAEMDONCK. Dan :La scalarité : autant de moyens d'expression, autant d'effets de sens, De boeck Université, Travaux linguistiques, 2007/1- N° 54, pages 7 à 15
- .128 J .A . Revuz : La représentation du discours autre, un champ multiplement hétérogène, Dans : Le Discours rapporté dans tous ses états(Textes réunis et présentés par Juan Lopez Munoz, Sophie Marnette et Laurence Rosier), L'Harmattan, Paris,2004 ,Actes du colloque international, 08-11 NOV 2001
- .129 Jacqueline Authier-Revuz, Hétérogénéité(s) énonciative(s),In: Langages, 19e année, n°73, 1984. pp. 98-111
- .130 kerbrat-Orechionni.Catherine: L'interaction épistolaire, Dans:La lettre entre réel et fiction , Sous la direction de Jurgen Siess,Ed,SEDES 1998
- .131 Maingueneau. Dominique, 2005: L'Analyse de discours et ses frontières, Marges linguistiques 9, [http : //www .margeslinguistiques, com](http://www.margeslinguistiques.com)
- .132 Michaux. Christine: Le proverbe:nom ou phrase ?,Université Libre de Bruxelles , Paremia, 8: 1999. Madrid
- .133 Nølke .Henning: Polyphonie linguistique et discours rapporté,in Polyphonie – linguistique et littéraire Lingvistisk og litterær polyfoni Documents de travail/arbejdspapirer, No VII, JUILLET 2003
- .134 Nølke. H ,2009a: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, In: Kratschmer.A, M.Birkelund & R .Therkelsen
- .135 Nølke. H, 2009b: Types d'êtres discursifs dans la ScaPoLine ,In: Langue française 164
- .136 Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C , 2004 : ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, Paris, Editions Kimé
- .137 Olsen. M, 2002: Polyphonie littéraire et linguistique, Documents de travail V, Roskilde, Samfundslitteratur
- .138 Perelman, Chaim et Obrechts Tyteca,Olga.1970 (1958) :Traité de l'argumentation . La (nouvelle rhétorique . Bruxelles : Éditions de l'Université de Bruxelles
- .139 Rabatel Alain , « Les verbes de perception en contexte d'effacement énonciatif: du point de vue représenté aux discours représentés » ,Travaux de linguistique, 2003/1 no46, p. 49-88. DOI: 10.3917/tl.046.0049
- .140 Rabatel.Alain:L'effacement énonciatif dans les discours représentés et ses effets pragmatiques et sous-et sur-énonciation,in:Estudios de LENGUA Y Literatura francesa.14.2003. 33-66
- .141 REICHLER-BEGUELIN.Marie-José: Anaphore ,cataphore et mémoire

- discursive, PRATIQUES N° 57, Mars 1988
- .142 Roulet. E: L'organisation énonciative et l'organisation polyphonique, In: Roulet .E, L .Fillietaz & A .Grobet ,2001 :Un modèle et un instrument d'analyse de l'organisation du discours ,Frankfurt , Peter Lang
- .143 SOFIA, Dima: Le proverbe, un cas spécial de polyphonie. Recherches ACLIF: Actes du Séminaire de Didactique Universitaire, 2006, no 3
- .144 -Vion.Robert :Dimensions énonciatives, discursives et dialogiques de la modalisation:in :LINGUAS & LETRAS , vol 8.n°15 .2° sem.2007

: Dictionnaires et Encyclopédies (ج) المعاجم والموسوعات

- .145 Charaudeau .Patrick et Maingueneau.Dominique ,2002: Dictionnaire d'analyse de discours,Paris ,Seuil
- .146 Dubois .Jean & autres:Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse-Bordas/HER1999 .PARIS
- .147 Encyclopaedia Universalis, France SA 2008
- .148 Gaffiot. Felix, 1934: Dictionnaire LATIN-FRANÇAIS, Hachette79,Bd Saint-Germain,Paris
- .149 Le petit Larousse illustré en couleur, Larousse/VUEF, 2003
- .150 Le Petit Robert. Dictionnaire de la langue française, Le Robert, 2001
- .151 Mainguenu. DOMINIQUE ,1996 : Les mots clés du discours, Ed seuil, Paris
- .152 Moeschler. Jacques et Reboul. Anne ,1994: Dictionnaire encyclopédique de pragmatique ,Paris , Seuil
- .153 Peugoise.Michel,2001: Dictionnaire de la rhétorique, Armand Colin, VUEF, Paris

تعريف بأهم الأعلام

إدّي رولي **Eddy Roulet** (1939-...) لسانية سويسرية، عملت أستاذة للسانيات العامة واللسانية التطبيقية بجامعة نوساتل و جنيف. اشتغلت مع مجموعة من الباحثين على مشروع تحليل الحوارات، وتحليل الخطاب، وهو مشروع لا يزال في حالة تطوير. أنشأت سنة 1980 دورية "دفاتر اللسانيات الفرنسية" **les Cahiers de linguistique française**، لنشر أعمال فريق البحث الذي ترأسه. كما تشرف على تنظيم ملتقى التداولية بجنيف الذي تخصص أشغاله لمناقشة نتائج بحوث فريق البحث، مع باحثين من خارج سويسرا. أشهر أعمالها: وصف تنظيم الخطاب من الحوار إلى النص **La description de l'organisation du discours. Du dialogue au texte** - تنظيم الخطاب، نموذج التحليل و أدواته **Un modèle et un instrument d'analyse de l'organisation du discours**

آلان راباتال **Alain Rabatel** (1953-...): أستاذ علوم اللسان بجامعة كلود بارنار - ليون (المعهد العالي لتكوين المعلمين)، مؤهل للبحث في (علوم اللسان والأدب ولسانيات اللغة الفرنسية)، عضو مدرسة الدكتوراه **HSH** (الإنسانيات وعلوم الإنسان)، وعضو دائم بمختبر **ICAR** (تفاعلات، مدونات، تعلمات، تمثيلات) التابع لجامعة ليون 1. أهم أعماله: البناء النصي لوجهة النظر **La Construction textuelle du point de vue**، الحجاج بواسطة القص **Argumenter en racontant**، الإنسان الحاكي - من أجل تحليل تلفظي تفاعلي للسرد **Homo narrans. Pour une analyse énonciative et interactionnelle du récit**، وجهات النظر ومنطق عملية السرد **Les points de vue et la logique de la narration**.

آن ريبول **Anne Reboul** (1956-...) حاصلة على دكتوراه في اللسانيات ودكتوراه في الفلسفة. بعد متابعتها لدراسات ما بعد الدكتوراه بلندن في **University College**، شغلت عدة مناصب متصلة بالبحث في حقل اللسانيات بسويسرا. وفي سنة 1993 التحقت بالمركز الوطني للبحث العلمي **CNRS** بفرنسا. وفي عام 1999 التحقت بمعهد العلوم المعرفية بليون، حيث تشغل منصب مسؤول على فرقة بحث "التداولية و العلوم المعرفية". أهم أعمالها: **La pragmatique aujourd'hui: une nouvelle science de la communication** (بالاشتراك مع موشلر. ج)، تداولية الخطاب: من تأويل المفوض إلى تأويل الخطاب **Pragmatique du discours: de l'interprétation de l'énoncé à l'interprétation du discours** (بالاشتراك مع موشلر. ج)، اللغة و العرفنة البشرية **Langage et cognition humaine** (عمل فردي)

أوزوالد ديكرود **Oswald Ducrot** (1930-...) لسان فرنسي، أستاذ ميرز في الفلسفة، عمل سابقا في المركز الوطني للبحث العلمي **CNRS** بفرنسا، يشغل حاليا منصب مدير الدراسات بمدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية (**EHESS**) بباريس. للباحث عدة أعمال حول التلفظ و الحجاج في اللغة، و التعدد الصوتي. من أشهر أعماله: الدليل والقول **La Preuve et le dire**، البنيوية في حقل اللسانيات **Le Structuralisme en linguistique**، أن نقول ولانقول **Dire et ne pas dire**، مبادئ في الدلالة اللغوية **Principes de**

Les Échelles ، السلام الحجاجية ، Le Dire et le Dit ، القول والمقول ، sémantique linguistique ، argumentatives ، كلمات الخطاب ، Les Mots du discours (مع آخرين) ، الحجاج في اللغة ، L'argumentation dans la langue (بالاشتراك مع ج. ك. أنكومير) ، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. Nouveau Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage (بالاشتراك مع ج. م. شايفر)

باتريك شارودو **Patrick Charaudeau**: مؤسس مركز تحليل الخطاب بجامعة باريس 8، يشغل حاليا منصب أستاذ مميز في علوم اللسان، كما يعمل باحثا بمخبر التواصل والسياسة (LCP). التابع للمركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا CNRS. أهم أعماله: الكلام المصادر ، La parole confisquée ، خطاب الإخبار الإعلامي Le Dictionnaire d'analyse du discours d'information médiatique ، معجم تحليل الخطاب ، Le discours politique : les discours (بالاشتراك مع د. مانغونو)، الخطاب السياسي-أقنعة السلطة ، Le discours politique : les masques du pouvoir

جاك موشلر **Jacques Moeschler** (1954-.....): أستاذ لسانيات اللغة الفرنسية بجامعة جنيف، متخصص في علم الدلالة والتداولية. تناولت أبحاثه موضوعات الإحالة الزمنية، و الروابط التداولية، والسببية، والكلمات المنطقية المرتبطة بالحجاج. تمثل كتبه المعتمدة على محاضراته ونشاطه التدريسي مرجعا في باهما. يرأس حاليا الجمعية السويسرية للسانيات، وقد أسندت إليه رئاسة لجنة تنظيم الملتقى العالمي للسانيات الذي سينعقد في الفترة من: 07 إلى 12 جويلية 2013، بجامعة جنيف. أهم أعماله: النظرية التداولية والتداولية التحادثية et Théorie pragmatique et pragmatique conversationnelle ، الحجاج والمحادثة ، Argumentation et conversation ، مبادئ للتحليل التداولي للخطاب ، Éléments pour une analyse pragmatique du discours ، القول ونقيض القول. Dire et contredire ، تداولية النفي وفعل الدحض في المحادثة ، Pragmatique de la négation et acte de réfutation dans la conversation

جان ماري شايفر **Jean-Marie Schaeffer** (1952-....): باحث فرنسي متخصص في فلسفة التلقي الجمالي ونظرية الفن، منتسب إلى المركز الوطني للبحث العلمي CNRS بفرنسا، حيث ترأس المركز الفرعي للبحث في الفنون واللغة و CRAL التابع للمدرسة العليا للدراسات الاجتماعية EHESS ، المدرسة التي يشغل بها منذ 2002 مديرا للدراسات. أهم أعماله: ما الجنس الأدبي؟ ، Qu'est-ce qu'un genre littéraire ؟ ، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان Nouveau Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage (بالاشتراك مع أ. ديكرو)، الفن، الإبداع والتمثيل Art, création, fiction

جون روجرس سيرل **John Rogers Searle** (1932-....) فيلسوف أمريكي من أعلام الفلسفة التحليلية، اهتم خاصة بفلسفة اللغة و فلسفة العقل. اشتغل أستاذا للفلسفة بجامعة كاليفورنيا-بيركلي. وهو أشهر أتباع

An Essay in the Philosophy of Language (1969) - المعنى و التعبير
Speech Acts , of Language (1969) - المعنى و التعبير
Mind, Language and Society: Philosophy in the Real World (1998) - العقل، اللغة و المجتمع

جون لانغشو أوستين (1911-1960) فيلسوف إنجليزي من أقطاب الفلسفة التحليلية. اهتم بدراسة المعنى من منظور فلسفي ، فعد رائدا لفلسفة اللغة العادية، من خلال نظرية أعمال اللغة التي وضعها (في محاضراته: كيف نصنع أشياء بالكلمات How to do Things with Words) ، و تابعه جون سيرل فطورها و أكمل بناءها النظري. أشهر أعماله: أوراق فلسفية [1961] Philosophical Papers - لغة الإدراك Sense and Sensibilia

جون ميشال أدام Jean-Michel Adam (1947-...) لساني فرنسي، متخصص في لسانيات النص و تحليل الخطاب. عمل في عدة جامعات. يشغل حاليا منصب أستاذ شرفي لللسانيات الفرنسية بجامعة لوزان السويسرية. أشهر أعماله: أنماط النصوص و نماذجها Les textes : types et prototypes - لسانيات النص مدخل إلى التحليل النصي للخطاب La linguistique textuelle, Introduction à l'analyse textuelle -des discours لسانيات النص ، من أجناس الخطاب إلى النصوص Linguistique textuelle, des genres de discours aux textes

دان سبربر Dan Sperber (1942-...) أنثروبولوجي ولساني فرنسي، باحث في حقل العلوم العرفانية. يعمل حاليا مديرا للبحث المتميز بمعهد جون نيكو التابع للمركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا، ويعمل أيضا أستاذا للعلوم العرفانية والفلسفة بالجامعة المركزية الأوروبية ببودابست. عرف بأعماله في حقل التداولية، ولاسيما ما يتصل بنظرية الملاءمة التي طورها بالاشتراك مع دايردر ولسن Deirdre Wilson. حصل سبربر عام 2009 على جائزة ك.ل. ستراوس التي تمنح لأحسن عمل في حقل العلوم الاجتماعية، يصدر بفرنسا. أشهر أعماله: التواصل، الملاءمة و العرفنة، بالاشتراك مع دايردر ولسن - La Pertinence, Communication et Cognition, avec Deirdre Wilson - عدوى الأفكار La Contagion des Idées

دومينيك مانغونو Dominique Maingueneau: أستاذ لسانيات اللغة الفرنسية بجامعة السوربون بباريس. تركزت أبحاثه على لسانيات اللغة الفرنسية، وتحليل الخطاب، متأثرا بإسهامات م. فوكو، والتيار التداولي، ونظريات التلفظ اللسانية. تحول مؤخرا إلى الاهتمام بتحليل الخطابات المؤسسة (الفلسفية، والدينية، والعلمية، والأدبية). أهم أعماله: مدخل إلى مناهج تحليل الخطاب Initiation aux méthodes de l'analyse du discours ، التلفظ الأدبي L'énonciation littéraire ، من أجل تداولية للخطاب الأدبي Pragmatique pour le discours littéraire ، مدخل إلى اللسانيات الفرنسية Introduction à la linguistique française ، الخطاب الأدبي Le discours littéraire ، من أجل لسانيات للنص الأدبي Linguistique pour le texte littéraire

كاترين كبربات أوركويوني **Catherine Kerbrat-Orecchioni** (؟-.....) لسانية فرنسية من أصل روماني، تعمل حاليا أستاذة باحثة بجامعة ليون2، حيث تنتسب إلى مخبر البحث ICAR المتخصص في دراسة التفاعلات، المدونات، التعليمات، والتمثيلات) تهتم على وجه الخصوص بموضوع الحوار، وتسعى إلى بلورة مفهوم "المجاز الحوارية" الذي يتعلق بالكيفية التي ينطوي من خلالها الملفوظ الموجه إلى المعنى بالحوار، على مرسله موجهة إلى شخص آخر شاهد على هذا الحوار. أهم أعمالها: التلفظ - حول الذاتية في اللغة **L'énonciation : De la subjectivité dans le langage**، التفاعلات الشفوية **Les Interactions verbales**، الخطاب في حال التفاعل **Le discours en interaction**، أعمال اللغة في الخطاب، النظرية والاشتغال **actes de langage dans le discours : Théories et fonctionnement**

ميخائيل ميخايلوفتش باختين (1895-1975) علم روسي بارز في حقول متعددة: تاريخ الأدب ونظريته، التحليل النفسي، علم الجمال، علم الأخلاق. يعد مؤسس اللسانيات الاجتماعية. وقد عرف واشتهر بدراساته حول الرواية (أعمال دوستويفسكي وتولستوي وغيرهما). خالف في منهجه الشكلانيين الروس ونقدتهم مبينا محدودية نموذجهم التحليلي. أشهر ما ينسب إليه في حقل الدراسات الأدبية مفهومها الحوارية والتعدد الصوتي. أشهر أعماله: شعرية دوستويفسكي **Problèmes de la poétique de Dostoïevski - Esthétique et théorie du roman**

نورمان فايركلو **Norman Fairclough** (1941-...) أستاذ مميز في اللسانيات بجامعة لانكاستر. يعدّ أحد المؤسسين للتحليل النقدي للخطاب (CDA) في مجال الدراسات السوسiolسانية، وهو تخصص يعنى بدراسة كيفية ممارسة القوة من خلال اللغة. تأثر فايركلو بميخائيل باختين و ميخائيل هاليداي في طروحاتهما اللسانية، كما تأثر بكل من أ. غرامشي ول. ألتوسير وم. فوكو وب. بورديو في منظوراتهم السوسولوجية. أشهر أعماله: الخطاب والتغير الاجتماعي **Discourse and Social Change** (1992). - التحليل النقدي للخطاب **Critical Discourse Analysis** (1995). - الخطاب الإعلامي **Media Discourse** (1995).

هيربرت بول غرايس **Herbert Paul Grice** (1913-1988) فيلسوف بريطاني، بدأ حياته المهنية في بريطانيا، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة حيث قضى العشرين سنة الأخيرة من حياته. عرف بأبحاثه في فلسفة اللغة، إذ اهتم بالتداولية و اللسانيات. أهم المفاهيم التي اترحها، مفهوم التعاون، وحكم المحادثة، والاستلزامات التحادثية. أشهر أعماله: مقالة بعنوان "المعنى" المجلة الفلسفية **"Meaning," The Philosophical Review** 1957. - كتاب "المنطق والمحادثة" **Logic and conversation** 1975. - مفهوم القيمة **The Conception of Value** 1991.

هينينغ نولكه Henning Nølke: مختص في الأصواتية اللسانية. عمل أستاذا في معهد الدراسات التجارية العليا بأرهيس بالدانمارك سنة 1993، وانتقل منها إلى قسم اللغة الفرنسية بجامعة آرهيس سنة 2004، حيث شغل منصب أستاذ اللسانيات. يرأس فريق البحث السكندنافية في التعدد الصوتي اللساني والأدبي المعروف بـ *scapoline*. أهم أعماله: السكابولين النظرية السكندنافية للتعدد الصوتي اللساني *ScaPoLine, la théorie scandinave* *Le regard du locuteur* ، من أجل لسانيات للآثار التلفظية *de la polyphonie linguistique* ، نظرة المتكلم (بالاشتراك مع ك. فلوتوم، ك. نورن)، *pour une linguistique des traces énonciatives* ، من أجل لسانيات القالبية *Linguistique modulaire* ، من الشكل إلى المعنى *de la forme au sens*

فهرس الموضوعات

69 – 1	مدخل نظري: نظرية التعدد الصوتي
44-4	أ)الأصول التداولية لنظرية التعدد الصوتي
6	1- نظرية أعمال اللغة.....
17	2- تداولية التضمينات عند غرايس.....
30	3- نظرية الملاءمة: التداولية العرفانية.....
37	4- التداولية المندمجة.....
69 - 45	ب) :التعدد الصوتي، نظرياته وجهازه المفاهيمي
45	توطئة: المصطلح و الماهية.....
52	أولا :نظريات التعدد الصوتي.....
60	ثانيا:الجهاز المفاهيمي للتحليل الأصواتي.....
129 – 70	الفصل الأول:مدونة الرسائل من منظور أجناسي تداولي
71	- في التصنيف الأجناسي التداولي للخطابات
86	- إشكاليات التصنيف الأجناسي التداولي لخطاب الرسائل.....
102	- في التصنيف الأجناسي التداولي للخطاب الرسائلي عند الجاحظ.....
187 - 130	الفصل الثاني: التحليل الأصواتي اللساني
131	توطئة.....
146-133	النفي الجدلي:

133 مفهومه واشتغاله أصواتيا
140 النفي الجدلي في خطاب الرسائل
161-147	الاستفهام/ السؤال البلاغي:
147 مفهومه واشتغاله أصواتيا
153 الاستفهام في خطاب الرسائل
175-162	ج) الروابط والعوامل الحجاجية:
162 مفهومها واشتغالها أصواتيا
167 الروابط والعوامل الحجاجية في خطاب الرسائل
187-176	د) الموجهات:
176	- مفهومها واشتغالها أصواتيا
179	- الموجهات في خطاب الرسائل
240-188	الفصل الثالث: التحليل الأصواتي النصي
189 توطئة
192 (1) الإحاليات واشتغالها أصواتيا
199 (2) مستوى التنظيم النصي وإدراج الأصوات
224 (3) الواسمات الأصواتية ووجهات النظر التفاعلية
233 (4) استعادة وجهات النظر واستباقها
316-241	الفصل الرابع: التحليل الأصواتي الخطابي
243 (أ) الآليات الأصواتية الخطابية واشتغالها أصواتيا
262 (ب) ذوات الخطاب وذوات الواقع

282 (ج) هيمنة المتكلم / كاتب الرسائل على التلفظ.
287 (ب) تبني الأصوات ودحضاها.
299 (د) استحضار خطاب الآخر.
311 (هـ) إقحام القارئ في النص.
317 خاتمة.
361-321	فهارس وملاحق
322 فهرس نصوص المقتبسات المترجمة.
328 ثبت المصطلحات المترجمة.
336 فهرس مطابقة الإحالة إلى مدونة الرسائل.
343 مكتبة البحث.
354 ملحق التعريف بأهم الأعلام.
359 فهرس الموضوعات.

فهرس نصوص المقتبسات المترجمة

نصوص المقتبسات وإحالاتها	صفحة الورود
«La pragmatique textuelle est confrontée à des séquences plus ou moins longues d'actes de langage qui permettent d'établir à un niveau supérieur une valeur illocutoire globale, celle de macro- actes de langage. On retrouve ici la problématique des genres de discours ; si le destinataire comprend à quel genre(...)appartient un ensemble d'énoncés, il en a une interprétation adéquate, qui ne résulte pas de la simple somme des actes de langage élémentaires»	نص المقتبس ص16
D.Mainguenau:Pragmatique pour le discours littéraire,p11-12	المرجع
«on ne peut pas imaginer aucun niveau de description sémantique où l'on ferait comme si ces langues n'étaient pas destinées à être parlées »	نص المقتبس ص38
DUCROT, Oswald, 1972: Dire et ne pas dire, Hermann, Collection « Savoir », Paris ,p130	المرجع
« l'action humaine accomplie au moyen du langage »	نص المقتبس ص39
Ducrot, O ,1984 ,Le dire et le dit,p173	المرجع
« de ce que la parole, d'après l'énoncé lui-même, est censée faire ,En utilisant un énoncé interrogatif, on prétend obliger, par sa parole même, la personne à qui on s'adresse à adopter un comportement particulier, celui de réponse, et de même, on prétend l'inciter à agir d'une certaine façon si on recourt à un impératif, etc »	نص المقتبس ص39
_ Ibid ,p 174	المرجع
«Un ensemble d'instructions données aux personnes qui ont à interpréter les énoncés de la phrase, instructions précisant quelles manœuvres accomplir pour associer un sens àces énoncés»	نص المقتبس ص40
Ibid , p181	المرجع
« Je ne dis pas que l'énonciation, c'est l'acte de quelqu'un qui produit un énoncé : pour moi, c'est simplement le fait qu'un énoncé apparaisse, et je ne veux pas prendre position, au niveau de ces définitions préliminaires, par rapport au problème de l'auteur de l'énoncé ,Je n'ai pas à décider s'il y a un auteur et quel il est ,[...] j'ai besoin, pour construire une théorie du sens, une théorie de ce qui est communiqué, d'un concept d'énonciation qui ne renferme pas en lui dès le départ, la notion de sujet parlant »	نص المقتبس ص42
_ Ibid ,179-180	المرجع
«Le locuteur prendrait en charge les 'paroles' mais pas le point de vue que défend l'énoncé : ce 'point de vue' serait attribué à un personnage, l'énonciateur, mis en scène dans l'énonciation ironique».	نص المقتبس ص51
Mainguenau. D: Les mots clés du discours, Ed seuil, Paris, p 64	المرجع
«Une extension (très libre)à la linguistique des recherches de Bakhtine	نص ص53

sur la littérature»	المقتبس	
Ducrot, O, 1984, «Le dire et le dit», p173	المرجع	
« Non seulement la présence de plusieurs parties différentes, mais encore que ces parties soient d'importance égales »	نص المقتبس	ص53
Encyclopaedia universalis, France SA 2008, p 405	المرجع	
« repérer les segments de discours produits et représentés qui constituent[une intervention] à différents niveaux, ce que nous appelons l'organisation énonciative, puis de décrire les fonctions des discours représentés dans cette intervention »	نص المقتبس	ص55
Roulet, E, «L'organisation énonciative et l'organisation polyphonique», p278-279	المرجع	
«L'objet véritable de la recherche doit être justement l'interaction dynamique de ces deux dimensions, le discours à transmettre et celui qui sert à la transmission»	نص المقتبس	ص55
Bakhtine. M:Le marxisme et la philosophie du langage, p166	المرجع	
«La relation qui existe –selon l'énoncé- entre le contenu propositionnel et le locuteur»	نص المقتبس	ص57
Nølle. H, Fløttum. K & Norén.C, 2004 : ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, Paris, Editions Kimé,p46	المرجع	
«Alors que le but avoué de Ducrot est de fournir une description sémantique de la langue, en principe en complète indépendance de la parole, notre est de développer un appareil d'analyses textuelles»	نص المقتبس	ص58
Ibid, p21	المرجع	
«Fournit des instructions relatives à l'interprétation de l'énoncé de la phrase, ou précisément aux interprétations possibles de celui-ci»	نص المقتبس	ص58
Ibid, p28	المرجع	
« c'est LOC qui assume la responsabilité des actes illocutoires et argumentatifs véhiculés par l'énoncé »	نص المقتبس	ص62
_ Nølle, H, 2009a, «La polyphonie de la ScaPoLine 2008», In : Kratschmer, A, M.Birkelund & R, Therkelsen (éds), 2009, «La polyphonie : outil heuristique», linguistique, littéraire et culturel, Berlin : Frank & Timme,p,20	المرجع	
«relie des pdv simples ou complexes entre eux sur l'axe syntagmatique »	نص المقتبس	ص64
Nølle, H, K, Fløttum & C, Norén, 2004, «ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique», p35	المرجع	
« les formes et expressions linguistiques qui combinent des unités	نص	ص64

sémantiques – les arguments dudit connecteur – pour créer un nouveau sens complexe à partir de leurs sens plus primitifs en combinant et en spécifiant ceux-ci »	المقتبس	
_ Nølke, H ,2009a «La polyphonie de la ScaPoLine 2008»p 28	المرجع	
« réfère aux relations que tout énoncé entretient avec les énoncés produits antérieurement ainsi qu’avec les énoncés à venir que pourraient produire ses destinataires »	نص المقتبس	ص76□
- Charaudeau, Patrick et Maingueneau, Dominique ,2002 ,Dictionnaire d’analyse de discours ,Paris : Seuil, p175	المرجع	
- «the use of language associated with a particular social activity»	نص المقتبس	ص77
Malin Roitman, Polyphonie argumentative Étude de la négation dans des éditoriaux du Figaro , de Libération et du Monde, Printed by Universitetservice US-AB, Stockholm 2006, , p16	المرجع	
« overreaches the other types, in the sens that genre corresponds closely to types of social practice»	نص المقتبس	ص78-77
Ibid	المرجع	
« À faire dépendre la signification des discours du statut de l’acteur producteur de l’acte de langage, de sa position de légitimité plus que de son rôle de sujet énonciateur, cela voudrait dire que quelle que soit la façon de parler, il produirait un discours typique du domaine concerné »	نص المقتبس	ص79
- Charaudeau, Patrick .2001 .« Visées discursives, genres situationnels et construction textuelle » in Analyse des discours ,Textes, types et genres .Actes du colloque de Toulouse, 2-5 décembre 1998 ,Éditions Universitaires du Sud, p 3	المرجع	
« articulation entre ces trois niveaux, et la mise en corrélation (et non en implication successive) des données que propose chacun de ces niveaux »	نص المقتبس	ص81
- Ibid , p23	المرجع	
« Les genres ne suffisent pourtant pas à définir tous les contrats possibles de la littérature, puisque les œuvres aussi peuvent instituer des contrats singuliers. »	نص المقتبس	ص82
D.Mainguenau2005:Pragmatique pour le discours littéraire.éd Armand Colin.p 122	المرجع	
« le contrat singulier qu’elle établit n’est qu’un ilot dans l’ensemble des règles tacites qu’elle respecte(ne serait-ce que par l’inscription dans cette institution qu’est la littérature). »	نص المقتبس	ص83
- Ibid.p123	المرجع	
« se pose la question de la prise en charge des énoncés et, plus largement, celle de la cohésion-cohérence énonciative d’un texte »	نص المقتبس	ص84

- Adam, Jean-Michel, 2002, « Textualité et polyphonie, Analyse textuelle d'une préface de Perrault » in Olsen, M, (éd.), Polyphonie littéraire et linguistique, Documents de travail V, Roskilde : Samfundslitteratur, p39-84, p52	المرجع	
« des ouvrages qui n'ont des Lettres que le nom »	نص المقتبس	ص 86 (في الهامش)
- J-M.Adam: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives. p51	المرجع	
«Et rappelons aussi ce fait souvent signalé, que cette distance spatio-temporelle qui caractérise la relation émetteur-récepteur dans la communication épistolaire constitue une donnée fondamentale de cette forme de communication : on écrit parce qu'on est séparés, en même temps que pour créer l'illusion qu'on est ensemble ; du fait de l'existence de ce fossé, et pour tenter de le combler. La surabondance des références au cadre spatio-temporel dans le discours épistolaire a à cet égard un statut bien paradoxal, puisqu'en même temps qu'elles produisent un effet-de-présence, ces références soulignent aussi, puisqu'elles seraient superflues en situation partagée, la réalité de l'absence »	نص المقتبس	ص 91
Catherine kerbrat-Orechionni:L'interaction épistolaire Dans: La lettre entre réel et fiction.Sous la direction de Jurgen Siess.Ed.SEDES 1998 ,p17	المرجع	
« L'erreur vient du mot dont on se sert. Il n'y a pas d'art épistolaire.Il n'y a pas de genre épistolaire :du moins dans le sens littéraire du mot genre »	نص المقتبس	ص 98
J-M.Adam: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives. Dans: La lettre entre réel et fiction.Sous la direction de Jurgen Siess.Ed.SEDES 1998 , p 39	المرجع	
« lorsque la sphère de l'activité sociale (la formation socio-discursive) se complexifie dans son organisation, les pratiques discursives (genres) qu'elle exige se complexifient »	نص المقتبس	ص 98
- Ibid. p 52	المرجع	
« Pour que l'échange épistolaire soit accepté comme genre littéraire, il faut encore qu'un œil étranger, celui du lecteur hors champ, transperce l'intimité à peine inaugurée en la transformant en spectacle et en configuration discursive »	نص المقتبس	ص 99
- Ibid.	المرجع	
«Une phrase interrogative donne, en vertu de sa signification, les deux instructions suivantes aux auditeurs qui ont à construire le sens des énoncés de cette phrase : (a) ces énoncés doivent faire apparaître un énonciateur exprimant son doute en ce qui concerne la proposition sur laquelle porte l'interrogation ; (b) lorsque cette énonciateur est assimilé au locuteur, l'expression du doute doit être lue comme une question, c'est-à-dire que l'énonciation	نص المقتبس	ص 149

doit être décrite comme obligeant l'allocutaire à répondre A partir de cette valeur de la phrase on peut prévoir deux possibilités en ce qui concerne les actes de langage illocutoires liés à l'énonciation. Tantôt il y aura un acte de "primitif" de question, tantôt un acte "dérivé"- qui peut être, entre autres, un acte de demande»		
O Ducrot , Le dire et le dit. p : 227	المرجع	
«La diversité des attitudes psychiques qui se traduisent par des phrases interrogatives : appel d'information, délibération, demande de confirmation, mise en doute, refus, hypothèse, appel à l'approbation, se ramène à un facteur commun, qui est de constituer des attitudes non thétiqes, c'est-à-dire, ne visant pas à poser le procès, mais au contraire, à le mettre en débat»	نص المقتبس	ص153
Moignet. Gérard. 1974 : Études de psycho-systématique française. Paris : Klincksieck,100	المرجع	
Un connecteur pragmatique est une marque linguistique, appartenant à des catégories grammaticales variées (conjonctions de coordination, conjonctions de subordination, adverbess, locutions adverbiales), qui a) articule des unités linguistiques maximales ou des unités discursives quelconques. b) donne des instructions sur la manière de relier ces unités.c) impose de tirer de la connexion discursive des conclusions qui ne seraient pas tirées en leur absence.	نص المقتبس	ص163
Reboul ,A.&Moeschler. J, 1998. Pragmatique du discours.Paris: A.Colin. p 77	المرجع	
« prétende dire E2 sur la simple foi de l'allocutaire. qu'il le dise parce que l'allocutaire l'a dit ,En revanche. il peut très bien dire E2 s'il le prend sous sa responsabilité, s'il le reprend à son propre compte - en signalant seulement qu'il parle en conformité avec l'allocutaire »	نص المقتبس	ص166
-Ducrot, Oswald. 1980b. Les échelles argumentatives,p 48	المرجع	
«La modalisation est le processus par lequel le sujet de l'énonciation manifeste son attitude à l'égard de son énoncé»	نص المقتبس	ص177
Vion.Robert :Dimensions énonciatives, discursives et dialogiques de la modalisation,in :LINGUAS & LETRAS , vol 8.n°15 .2° sem.2007.p.193-224 ,p194	المرجع	
«L'ensemble des idées reçues, des croyances, des représentations généralement admises »	نص المقتبس	ص251
Peugoise.Michel,2001: Dictionnaire de la rhétorique, Armand Colin, VUEF, Paris, p 213	المرجع	
« Le locuteur abandonne volontairement sa voix et en emprunte une autre pour préférer un segment de la parole qui ne lui appartient pas en propre, qu'il ne fait que citer»	نص المقتبس	ص254
Gresillon Almuth, Maingueneau Dominique : Polyphonie, proverbe et détournement, ou un proverbe peut en cacher un autre, p112	المرجع	
« Un phénomène interactionnel intervenant dans des interactions inégales, dissensuelles (sur les plans du statut des locuteurs, sur les plans cognitifs, pragmatiques), dans lesquelles le locuteur citant déforme à son avantage le dire du locuteur cité en estompant l'origine	نص المقتبس	ص282 (في الهامش)

énonciative et la visée des propos rapportés» Rabatel.Alain:L'effacement énonciatif dans les discours représentés et ses effets pragmatiques et sous-et sur-énonciation,in:Estudios de LENGUA Y Literatura francesa.14.2003. 33-66 ,p36	المرجع	
«Le sujet parlant s'efface de son acte d'énonciation, et n'implique pas l'interlocuteur. Il témoigne de la façon dont les discours du monde(le tiers) s'imposent à lui. Il en résulte une énonciation apparemment objective (au sens de «déliée de la subjectivité du locuteur») qui laisse apparaître sur la scène de l'acte de communication des propos et des Textes qui n'appartiennent pas au sujet parlant(point de vue externe)» ibid , p33	نص المقتبس	ص282 (في الهامش)
« Renvoie à des situations déséquilibrées dans lesquelles le point de vue du locuteur citant(ou cité) s'efface devant la représentation du point de vue d'autrui » ibid, p36	نص المقتبس	ص282 (في الهامش)
«Un énoncé A est dit paraphrase d'un énoncé B si A est la reformulation de B, tout en étant plus long et plus explicite que lui. On peut dire ainsi que la phrase passive est la paraphrase de la phrase active correspondante» Jean Dubois & autres:Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage,Larousse-Bordas/HER1999 .PARIS,p 343	نص المقتبس	ص309(في الهامش)
	المرجع	

ثبت المصطلحات المترجمة

A

Actes de langage	أعمال اللغة
Acte illocutionnaire	العمل المتضمن في القول
Acte locutionnaire	عمل القول
Acte perlocutionnaire	عمل التأثير بالقول
Adverbes	ردائف
Adverbes de phrases	ردائف جمالية
Allocutaire	المتكلم له
Analyse de discours	تحليل الخطاب
Anaphores	الإحاليات

C

Catégories grammaticales	مقولات نحوية
chaînes intertextuelles	سلاسل التفاعلات النصية
Clôture	خاتمة أو اختتام
Codification	الترميز
Cohérence	الانسجام
Cohésion	الاتساق
Communication ostensive-inferentielle	التواصل الإشاري الاستدلالي
Communicative, Communicationnelle	تواصلية
communiqué(Le_)	ما تم تبليغه

Comportatifs	السلوكيات
Configuration polyphonique	التشكيل الأصواتي
Connecteurs	روابط
Connecteurs argumentatifs	الروابط الحجاجية
Connecteurs pragmatiques	الروابط التداولية
Constatifs	وصفيات"
Contenu propositionnel	المحتوى قضوي
Contexte dynamique	السياق التفاعلي
Contexte situationnel	السياق المقامي
Contraintes discursives	الإكراهات الخطابية
Contraintes situationnelles	الإكراهات المقامية
Contrat global	التعاقد الشامل
Contrat littéraire	التعاقد الأدبي
Conventions	القواعد (المواضعات)
Corps de la lettre	متن أو جسم الرسالة

D

Déclaratives(Phrases_)	تصريحية (جمل_)
Déictiques personnels	إشارات الشخصية
Déictiques spatio-temporels	الإشارات المكانية والزمانية
Dialogal	تخاطب ثنائي
Dialogisme	الحوارية
Dialogique	حواري/حوارية(وصف)
Discours anticipé	خطاب استباقي
Discours constituant	خطاب مؤسس
Discours direct rapporté	الخطاب المباشر المنقول
Discours épistolaire	الخطاب الرسائلي

Discours fictif	خطاب متخيل
Discours indirect libre	الخطاب غير المباشر الحر
Discours indirect rapporté	الخطاب غير المباشر المنقول
Discours rapporté	الخطاب غير المباشر المنقول
Discours représenté	الخطاب المستحضر
dit(Le_)	ما قيل أو المقول
Doxa	المشهورات
Doxa proverbiales	المشهورات الأمثالية

E

Effacement énonciatif	الاحماء التلفظي
Embrayeurs	واصلات
Enoncés assertives	الملفوظات الإثباتية
Enonciatif(ve)	تلفظي(ة)
Etres discursifs	الذوات الخطابية
Etres discursifs	ذوات الخطاب
Etres réels	ذوات الواقع
Exercitifs	التنفيذيات
Exorde	مخاطبة استهلالية
Expositifs	العروضيات
Exprimabilité	القابلية للتعبير

F

Félicité	إسعاد
Figée	متكلسة(عبارة، بنية_)
Fonction phatique	وظيفة تنبيهية
Fonctionnaliste	وظيفية
Formalisation	شكلنة

Formalisme	الشكلانية
Fusion sémantique	الدمج الدلالي
G	
Généricité	تجنيس
Genre littéraire	الجنس الأدبي
Genres primaires	أجناس أولية
Genres secondaires	أجناس ثانوية
Genres situationnels	الأجناس المقامية
H	
Hétérogénéité constitutive	اللاتجانس التكويني
Hétérogénéité montrée	اللاتجانس المُظهِر
Hierarchie sociale	تراتبية اجتماعية
I	
Illusion descriptive	الوهم الوصفي
Ilots textuels	القطع النصية المعزولة
Implication	الاستلزام
Implicatures	التضمينات
Implicatures généralisées	التضمينات المعممة
Implicatures conventionnelles	التضمينات التواضعية (العرفية)
Implicatures conversationnelles	التضمينات التحادثية
Infélicité	الإخفاق
Entrée encyclopédique	المدخل الموسوعي
Entrée lexicale	المدخل المعجمي
Entrée logique	المدخل المنطقي
Institutions	مؤسسات
Instructionnelle	تعليماتية

Instructions sémantiques	التعليمات الدلالية
Intention	القصد
Interaction épistolaire	التفاعل الرسائلي
Interaction orale	التفاعل الشفوي
Interdiscursivité	تفاعل خطابي أو بينخطابية
Intersubjectivité	تفاعل ذوات أو تذاوت
Intertextualité	تفاعل نصي(تناص)

L

Lien de réfutation	الرابط الدحضى
Liens de non- responsabilité	روابط عدم المسؤولية
Liens de responsabilité	روابط المسؤولية
Liens énonciatifs	الروابط التلفظية
Linguistique énonciative	اللسانيات التلفظية
Locuteur	المتكلم
Locuteur représenté	المتكلم المستحضر
Loi de modalité	قانون الجهة
Lois de discours	قوانين الخطاب

M

Macro-acte de parole	الفعل الكلامي الأكبر
Marqueur de contenu propositionnel	واسم المحتوى القضوي
Marqueur de force illocutionnaire	واسم القوة المتضمنة في القول
Marqueurs contextuels	واسمات سياقية
Marqueurs formels	واسمات شكلية
Marqueurs situationnels	واسمات مقامية
Maxime de manière	قاعدة الكيفية
Maxime de modalité	قاعدة الجهة

Maxime de quantité	قاعدة الكمية
Maximes de conversation	قواعد المحادثة
Mémoire discursive	ذاكرة الخطابات
Méta-discours	خطاب واصف
Mise en scène	مشهدة
Modalisation	الجهية
Modalité épistémique	الجهية الإبتيمية
Modalités	الموجهات
Modules	المقاييس أو القوالب
modus – dictum	موضوع - تعليق

N

Négation de constituant	نفي مركب
Négation de phrase	نفي جملة
Négation polémique	النفي الجدلي
Négation polyphonique	نفي الاصواتي
Niveau d'expression	مستوى التعبير
Niveau d'intention	مستوى المقصد

O

Opérateurs argumentatifs	العوامل الحجاجية
Organisation énonciative	التنظيم التلفظي
Organisation polyphonique	التنظيم الأصواتي
Organisation textuelle	نظام النص
Ouverture	صدر أو افتتاح (_ الرسالة)

P

Paradigmes	جداول إبدالية
Performatifs	إنجازات

Péroration	تخلص (_ الرسالة)
Pertinence	ملاءمة
Plan textuel de base	المخطط النصي القاعدي
Point de vue	وجهة نظر
Point de vue sous-jacent	وجهة نظر ثانوية
Points de vue doxiques	وجهات نظر مشهوراتية
Points de vue dynamiques	وجهة نظر تفاعلية
Portée de la négation	حيز النفي
Portée étendue	الحيز الواسع
Porté restreinte	الحيز المحدود
Pragmatique cognitive	التداولية العرفانية
Pragmatique intégrée	التداولية المندمجة
Présumé	الافتراض المسبق أو الاقتضاء
Principe de coopération	مبدأ التعاون
Principe dialogique	المبدأ الحوارية
Prise en charge des énoncés	التكفل بالملفوظات
Promissifs	الوعديات
propos(Le)	موضوع الحديث

Q

Quantificateurs	المكّمات
Question rhétorique	السؤال البلاغي

R

Réflexivité	انعكاسية
Réfutation	دحض
Registres linguistiques	سجلات لغوية
Rituel	طقوسية

S

Scalaire	الألفاظ والعبارات التدرجية
Sens dérivé	معنى مشتق
Sens littéral	معنى حرفي
Situation d'énonciation	مقام التلفظ
Sociolinguistique	السوسيولسانية
Stratégies argumentatives	استراتيجيات الحجج

T

Taxinomie	صنافة
Textuel(elle)	نصي(ة)
Tours de parole	أدوار الكلام
Translinguistique	عبر لغوية
transmis(Le_)	ما تم إيصاله
Troisième personne	الشخص الثالث (الغائب)
Typologie textuelle	تنميط النصوص

U

Unicité du sujet parlant	واحدية الذات المتكلمة
--------------------------	-----------------------

V

Verbes modaux	الأفعال الجهمية
Verdictifs	الحكميات
Véri-conditionalité	شروط الصدق المنطقي
Voix collective	صوت جماعي

فهرس مطابقة الإحالة إلى مدونة الرسائل

(بين رسائل الجاحظ، تح: علي بوملحم من جهة، ورسائل الجاحظ، وكتاب العثمانية، تح: عبد السلام هارون + كتاب التريبع والتدوير،

تح: شارل بيلات من جهة أخرى)

* يشار إلى هذه المصادر اختصاراً في الجدول كما يلي: رسائل هارون، العثمانية، التريبع. أما الإحالة إلى رسائل علي

بوملحم فموجودة في هوامش البحث

** لم ندرج الشواهد المأخوذة من "رسالة الحكمين وتصويب علي بن أبي طالب في فعله"، لأنها غير موجودة ضمن

الرسائل التي حققها عبد السلام هارون

الفصل الأول

موضع ورود الشاهد في متن البحث	نص الشاهد مختصراً (يورد النص القصير الذي لا يتجاوز ثلاثة أسطر كاملاً، ويقتصر على بدايته ونهايته إذا طال أكثر من ذلك)	إحالة الشاهد في المصادر الثلاثة الأخرى
ص 106	على أن قراءة الكتب أبلغ في إرشادهم من تلافيفهم، إذ كان مع التلاقي يكثر التظام.... ويظهر التباين، وإذا كانت القلوب على هذه الصفة وهذه الخلية، امتنت من المعرفة، وعميت عن الدلالة	رسائل هارون، ج 1، ص 315
ص 112	جعلت فذاك، ليس من أجل اختياري النخل على الزرع أقصيتني، ولا على ميل إلى الصدقة دون إعطائي الخراج عاقبتني	رسائل هارون، ج 1، ص 231
ص 112	كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر، ويدعي أنه مفرط الطول	التريبع، ص 5
ص 113	خفض عليك أيها السامع، فإن الخطأ كثير غامر (...). والصواب قليل خاص، ومقموع مستخف (...). فالصواب اليوم غريب وصاحبه مجهول	رسائل هارون، ج 3، ص 107
ص 113	وقد كتبت لك في هذا الكتاب ما فيه الجزاية والكفاية، ولو بسطت القول لوجدته متسعا، ولأتاك منه الدهم، وربما [كان] الإقلال في الإيجاز أجدى من (...) فجعلت الهزل بعد الجدمام، والملحة بعد الحجة مستراحا	رسائل هارون، ج 4، ص 280- 281
ص 115	هذا كتاب - أطال الله بقاءك - نبيل بارع، فصل فيه بين الحسد والعداوة، ولم يسبقني إليه أحد	رسائل هارون، ج 1، ص 337
ص 116	ولولا أن هذا كلام لم يكن من ذكره بد لأنه تأسيس لما بعده ومقدمة لما بين يديه وتوطئة له، لاقتضبت الكلام في المعرفة اقتضابا، ولكن بمنعني عجز أكثر	رسائل هارون، ج 4، ص 65

	الناس عن فهم غايته فيه إلا تزييله وترتيبه	
رسائل هارون، ج 4 ص 281	فخلطت لك جدا بهزل، وقرنت لك حجة بملحة، لتخف مؤونة الكتاب على القارئ، وليزيد ذلك في نشاط المستمع	ص 116
العثمانية، ص 5	ثم إنا مخبرون عن مقالة العثمانية، وبالله نستهدي وإياه نستعين، وعليه نتوكل، وما توفيقنا إلا بالله	ص 118
العثمانية، ص 279	ولولا أن فيما قدّمنا غنى عما أخرنا لقد فسّرنا كما أجملنا... فاحذر حوادث الدهر، واتصال المشاكلة	ص 118
التربيع، ص 26	حدثني كيف رأيت الطوفان؟»،	ص 119
التربيع، ص 29	«خبرني كيف صار الماء أبعد من الفلك	ص 119
التربيع، ص 6	فلما طال اضطبارنا حتى بلغ المجهود منا	ص 119
التربيع، ص 24+ رسائل هارون، ج 3، ص 68	يا عمّ لمّ تحملنا على الصدق، ولم تجرّعنا مرارة الحق	ص 119
رسائل هارون، ج 4، ص 113	ونحن وإن أطنبنا في ذكر جملة القول	ص 119
رسائل هارون، ج 4، ص 129	ونحن قد ندخل دجلة في الأسحار، ولسنا نشك أن أناسا يتتابون المواضيع	ص 119- 120
رسائل هارون، ج 2، ص 144	وقد كنا ممسكين عن القول بحجتنا فيما تضمنه كتابنا هذا	ص 120
رسائل هارون ج 2، ص 187	قد قرأت كتابك ومدحتك أخلاق الكتاب وأفعالهم، ووصفك فضائلهم وأيامهم، وفهمته	ص 120
رسائل هارون، ج 2، ص 209	قد أتينا على بعض ما أردنا فيما له قصدنا	ص 120
رسائل هارون، ج 1، ص 225	فهذا جملة ما حضرنا من مفاخر السودان	ص 120
رسائل هارون، ج 3، ص 163	وجعلنا وإياك ممن يقول بالحق ويعمل به	ص 120
رسائل هارون، ج 3، ص 164	وقد أعجبتني ما رأيت من شغفك بطاعة إمامك	ص 120- 121
رسائل هارون، ج	وقد قلنا في مناقب جميع الأصناف بجمل ما انتهى إلينا وبلغه علمنا	ص 121

1، ص 86		
رسائل هارون، ج 4، ص 248	ومن مظالم صناعة الكلام عند أصحاب الصناعات.... وأن في الهندسة ما لا يُدرَك ولا يُفهم، والمتكلمون لا يقرون بذلك العجز في صناعتهم، وبذلك النقص في غرائزهم.	ص 124

الفصل الثاني

رسائل هارون، ج 2، ص 148	فلم يكن بين رجال العرب ونسائها حجاب، ولا كانوا يرضون مع سقوط الحجاب بنظرة الفتنة ولحظة الخلسة....، المشتق من الزيارة، كل ذلك بأعين الأولياء وحضور الزواج، لا ينكرون ما ليس بمنكر إذا أمنوا المنكر	ص 142
رسائل هارون، ج 4، ص 303	ولكننا نقول: لا يجوز أن يلي أمر المسلمين على ظاهر الرأي والحزم والحيطة أكثر من واحد، لأن الحكام والسادة إذا تقاربت أقدارهم وتساوت غايتهم قويت دواعيهم إلى طلب الاستعلاء واشتدت منافستهم في الغلبة	ص 143
رسائل هارون، ج 3، ص 123	ليس شيء من المأكول والمشروب أجمع للظرفاء، ولا أشد تألفاً للأدباء، ولا أحلب للمؤمنين منه، ولا أدعى إلى خلاف الممتعين، ولا أجدر أن يستدام به حديثهم ويخرج مكنونهم، ويطول به مجلسهم، منه	ص 145
رسائل هارون، ج 1، ص 252	«جعلت فداك، ما هذا الاستقصاء و ما هذا البلاء؟! و ما هذا التبع لغوامض المسألة، والتعرض لدقائق المكروه؟! و ما هذا التغلغل في كل شيء يخمل ذكري؟! و ما هذا الترفي إلى كل ما يحط قدرتي؟!»	ص 155
رسائل هارون، ج 1، ص 272	ولو أن شيبتي التي بها استعطفتك، وكبرة سني التي بها استرحمتك، اللتان لم يحدثا....، ثم تريد أن توهنه أرقّ مما كان. و هل هرمت إلا في طاعتك، وهل أخلقتني إلا معاناة خدمتك؟	ص 157
التربيع، ص 29-30	خبرني: كيف صار الماء أبعد من الفلك و لا يكون إلا في بطن الأرض، وهو أشبه بالهواء كما أن الهواء أشبه بالنار.... وكيف كان بدء أمر البد في الهند، وعبادة الأصنام في الأمم، وقصة عمرو بن لحي في العرب[؟]	ص 159
التربيع، ص 79	فإن أردت أن تعرف حق هذه المسائل و باطلها و ما فيها خرافة و ما فيها محال و ما فيها صحيح و ما فيها فاسد، فالزم نفسك قراءة كتيبي ولزوم بابي	ص 159
رسائل هارون، ج 4، ص 55	فإن قالوا: "ليس أحد يعرف أن علامة الحق استشهاد الضرورات غيرنا، قلنا: أو لستم - معشر أبي إسحاق النظام - تختلفون في أمور كثيرة و قد كنتم يؤمنكم أن تكونوا على باطل أن تقولوا: استشهادنا للضرورات على باطل؟	ص 160-161
رسائل هارون، ج 1، ص 101	وقد قال الله تعالى: (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ) وهذا مثل ضربه الله،	ص 168-169

 ومن مالت سيئاته بحسناته كان العطب والعذاب أولى به	
رسائل هارون، ج 4 ص 322	ولولا أن في طاقة الناس قبول التلقين وفهم الإشارة لكانوا هملا ولتركوا نشرا وحشرا، ولسقط عنهم الأمر والنهي،، ولن يبلغوا بذلك القدر قدر المستغني بنفسه المستبد برأيه المكتفي بفطنته عن إرشاد الرسل وتلقين الأئمة	ص 170
رسائل هارون، ج 1 ص 319	وليست بحمد الله من باب الطفرة والمداخلة، ولا من باب الجوهر والعرض، بل كلها في الكتاب والسنة، وبجميع الأمة إليها أعظم الحاجة	ص 172
رسائل هارون، ج 2 ص 160	فإذا وجب أن الكلام غير محرم فإن وزنه وتقفيته لا يوجبان تحريما لعله من العلل، وإن الترجيع له أيضا لا يخرج إلى حرام، ...، فلا وجه لتحريمه، ولا أصل لذلك في كتاب الله تعالى ولا سنة نبيه عليه السلام	ص 174
رسائل هارون، ج 3 ص 157	ونحن وإن رأينا أن فضل الرجل على المرأة في جملة القول في الرجال والنساء أكثر وأظهر فليس ينبغي لنا أن نقصر في حقوق المرأة.... وكذلك الأخوة والأخوات والبنون والبنات، وأنا وإن كنت أرى أن حق هذا أعظم فإن هذا أرحم	ص 181
رسائل هارون، ج 4، ص 285- 286	ولكن لا بدّ من حاكم واحدا كان أو أكثر على [كل] حال، ولا يجوز أن يكون الرجل حاكما على نفسه وقائما عليها بالحدود، وعليهم فيما شجر بينهم إعطاء النصف من أنفسهم بالغاً ما بلغ في عسر الأمر ويسره	ص 184

الفصل الثالث

التربيع، ص 5	كان أحمد بن عبد الوهاب مفطر القصر وهو يدعي أنه مفطر الطول	ص 204
التربيع، ص 10	بسم الله الرحمن الرحيم : أطال الله بقاءك	ص 204
العثمانية، ص 5	ثم إنا مخبرون عن مقالة العثمانية، وبالله نستهدي وإياه نستعين، وعليه نتوكل، وما توفيقنا إلا به	ص 206
العثمانية، ص 279	هذا جمل جوابات العثمانية بجملة مسائل الرافضة والزيدية، ولولا أن فيما قدمنا غنى عما أحرنا لقد فسرنا كما أجملنا	ص 206

الفصل الرابع

رسائل هارون، ج 4، ص 71	حفظك الله وأمتع بك... وإني عرفتك - أكرمك الله - في أيام الحداثة... فلم أزل أبقاك الله... وعلمت أن ذلك من أعظم ما أبرك به وأرجح ما أتقرب به إليك	ص 267- 268
رسائل هارون، ج 1، ص 99	واعلم أن الآداب إنما هي... فأول ما أوصيك به	ص 268
رسائل هارون، ج 1، ص 134	أسأل الله المبتدئ بكل نعمة والمتولّي لكل إحسان أن يصلي على محمد خيرته من خلقه وصفوته من بريته وأن يتم عليك نعمته ويشفع لك ما حوّلك من نعمته	ص 268

	بالنعمة التي يؤمن معها الزوال في جواره ومرافقة أنبيائه	
رسائل هارون، ج 1، ص 145	طبع الإنسان على حب الإخبار والاستخبار حجة على الله	ص 268
رسائل هارون، ج 1، ص 154	فتريد أن نعلم : لم صار الإنسان على ما منع - وإن كان - لا ينفعه أحرص منه	ص 268
رسائل هارون، ج 1، ص 154	فنعول: إن الله تبارك وتعالى جعل لكل نفس مبلغاً من الوسع	ص 268
رسائل هارون، ج 1، ص 171	ولو اقتصرنا في هذا الكتاب على حرف مما فيه، لكان بإذن الله كافياً لمن له لب وعقل	ص 269
رسائل هارون، ج 2، ص 143	من أبي موسى بن إسحاق بن موسى ومحمد بن خالد خذار خذاه وعبد الله بن أيوب أبي سُمير ومحمد بن حماد كاتب ... إلى أهل الجهالة والجفاء وغلظ الطبع وفساد الحسّ	ص 269
رسائل هارون، ج 2، ص 181	هذه الرسالة التي كتبناها من الرواة منسوبة إلى من سمّيناها في صدرها، فإن كانت صحيحة فقد أديننا منها ... ليسهلوا على المقينين ما صنعه المقترفون	ص 269- 270
رسائل هارون، ج 2، ص 185	تم كتاب الحجاب، والله الحمد والمنة	ص 270
رسائل هارون، ج 1، ص 303	وكان من أسباب دفعي إليك هذا الكتاب - أبقاك الله - دون أبي عبد الله أكرمه الله أنكما قد تجريان في بعض الأمور مجرى واحداً ولأنك وإن كنت كثير الشغل فهو أقل فراغاً منك على كثرة شغلك وفرط عنايتك بما استكفأك واسترعاك	ص 272
رسائل هارون، ج 1، ص 313	أطال الله بقاءك وأعزك وأصلح على يديك... وأنت أيها العالم معلم الخير وطالبه والداعي إليه وحامل الناس عليه... كتاب جامع لاختلاف الناس في أصول الفتيا	ص 272
رسائل هارون، ج 1، ص 325	جعلت فداك، وأطال الله بقاءك، وأعزك وأكرمك، وأتم نعمته عليك وأيدك ... في صدر هذا الكتاب قصيدة قيلت في أبي الفرج أدام الله عزه	ص 273
رسائل هارون، ج 1، ص 332	ونعوذ بالله أن يكون فيكم ما يستعي الألفاظ الشريفة والمعاني النفيسة	ص 273
رسائل هارون، ج 4، ص 191	أطال الله بقاءك، وأعزك وأكرمك، وأتم نعمته عليك، زعم -أبقاك الله - كثير ممن يقرض الشعر...-أبقاك الله- أن إقرار المسؤول بما ينحل من ذلك نوك	ص 273
رسائل هارون، ج 4، ص 194	على أنكم لم تحملونا إلا الخف... وأنا أسأل الله الذي ألزمكم المؤن النقال	ص 273
رسائل هارون، ج	ثم اعلم -أصلحك الله- أن الذي وجد في العبرة	ص 273

4، ص 195		
العثمانية، ص 5	ثم إنا نخبرون عن مقالة العثمانية، و بالله نستهدي و إياه نستعين و عليه نتوكل، و ما توفيقنا إلا بالله	ص 274
رسائل هارون، ج 3، ص 131	ثم إنا وجدنا الفلاسفة المتقدمين في الحكمة	ص 274
رسائل هارون، ج 4 ص 47	بالله نستعين و عليه نتوكل، و ما توفيقنا إلا بالله... اختلف الناس في المعرفة اختلفا شديدا	ص 274
رسائل هارون، ج 1، ص 246+ ج 4، ص 88-89	سمعتك وأنت تريدني وكأنك تريد غيري أو كأنك تشير علي من غير أن تنصني وتقول: إني لأعجب ممن ترك دفاتر علمه متفرقة وكراريس درسه غير مجموعة... وكيف لا يمنعها من التحرق!	ص 276
رسائل هارون، ج 3، ص 334	ولولا أن الله قد حكى عن اليهود أنهم قالوا: إن "عزيراً ابن الله" "ويد الله مغلولة" و"إن الله فقير ونحن أغنياء" وحكى عن النصارى أنهم قالوا: "المسيح ابن الله" وقال: "قالت النصارى المسيح ابن الله"	ص 276-277
رسائل هارون، ج 4، ص 261	وقلت: وما فرق ما بين الجر والسقاء والمزفت والحنتم والدباء؟... وما القول في شرب الفضيخ؟ وهل يكره نبيذ العكر؟...؟ ولم كره النقيير والمقير؟	ص 277-278
رسائل هارون، ج 4، ص 13	وقالت - أيضاً - المشبهة: الدليل على أنه... قالوا: فلا يجيء إلا إلى مكان هو وفيه ولو جاز أن يجيء إلى مكان هو فيه جاز أن يخرج منه وهو فيه	ص 278
رسائل هارون، ج 3، ص 296	وخطأ النابتة وقول الرافضة تشبيهه مصرح وكفر مجملح، وأما قولهم: إن معنا العامة والعباد والفقهاء وأصحاب الحديث	ص 278-279
رسائل هارون، ج 4، ص 158	يا أخي - أرشدك الله - إنك أغرقت في مدح الظهر من الجهة التي كان ينبغي لك أن تدمها،.... قال الله تعالى في قصة لوط: "اتَّأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ. وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ"	ص 285
رسائل هارون، ج 4، ص 15-13	وقالت - أيضاً - المشبهة: الدليل على أنه جسم..... كان لا يليق ذلك به علمنا أنهم قد كانوا وافرين غير عاجزين ولا منقوصين»	ص 292-293
رسائل هارون، ج 2، ص 200	وحدثني عمر بن سيف أنه حضر مجلس أبي عباد ثابت بن يحيى يوماً في منزله وعنده جماعة من الكتاب..... بعضكم على بعض. أف لكم ولأخلاقكم!	ص 295-
رسائل هارون، ج 1، ص 151	فكل ذلك يراد به أن الفضل قليل والنقص قليل لا على نسب ما يتلقاه الاجتماع من هذه الأعداد..... وهذه صفات موجودة بالأقوال معدومة بالأفعال.	ص 296-297
رسائل هارون، ج 3، ص 338-	وقد كان إبراهيم بن سيار النظام يجيب بجواب وأنا أذكره إن شاء الله، وعليه كانت علماء المعتزلة، ولا أراه مقتعاً ولا شافياً... والعطية وإنما الخليل في هذا	ص 300-302

340	الموضع من الخلة والاحتلال لا من الخلة والحلال	
رسائل هارون، ج 1، ص 344 - 348	وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "ما أحدث الله بعبدٍ نعمةً إلا وجدت له عليها حاسداً..... والحسد وإن كان موكلاً بالأدين فالأدين فإنه لم يعر منه الأبعد فالأبعد	ص -303 304
رسائل هارون، ج 4، ص 285 - 286	وأن الناس إن تُركوا أن يقيموا إماماً واحداً جاز لهم ذلك ولم يكونوا بتركة ضالين ولا عاصين... إعطاء النَّصْفَةَ من أنفسهم بالغاً ما بلغ في عسر الأمر ويسره	ص-306 307
رسائل هارون، ج 2، ص 160 - 161	وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قبل أن تناله الخلافة يتغنّى..... فلا وجه لتجريمه، ولا أصل لذلك في كتاب الله تعالى ولا سنة نبيه عليه السلام.	ص -308 309
رسائل هارون، ج 3، ص 347 - 349	ولو أننا جوزنا ما في لغتنا ما لا يجوز وقلنا على الله تعالى ما لا نعرف، كنا بذلك عند الله والسامعين في حد المكائرين..... وصفنا وعددنا. وكيف يكون إلهاً بلا إنسان وهو الموصوف بجميع صفات الإنسان؟	ص -313 314
رسائل هارون، ج 4، ص 306 - 307	وإذا كان قول المهاجرين والأنصار والذين جرى بينهم التنافس والمشاحة على ما وصفنا في يوم السقيفة..... وهذا لا يشبه حكم الحكيم وصفة الحلِيم ونظر المرشد وترتيب العالم	ص 315

- القرآن الكريم (رواية ورش)

أولاً: المصادر

1. البلخي. أبو القاسم و آخرون: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق فؤاد سيد. ط2. الدار العربية للكتاب ليبيا - تونس و المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1990
2. الجاحظ: كتاب العثمانية، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الجيل بيروت 1991
3. الجاحظ: كتاب التبريع والتدوير، نشر وتحقيق: شارل بلات، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق 1955
4. ابن جعفر. قدامة: نقد النثر، تح: طه حسين بك وعبد الحميد العبادي، د ط، المطبعة الأميرية بيولاق، القاهرة 1941
5. ابن قيم الجوزية: شفاء العليل في مسائل والقضاء والقدر والحكمة والتعليل، د ط، تصحيح محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر، دمشق-سوريا 1988
6. الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام هارون ج1، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر، القاهرة 1965
7. السكاكي. أبو يعقوب: مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان 1987
8. عبد الجبار. القاضي: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تح: فؤاد سيد يونس. ط2. الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب. تونس، الجزائر. 1986
9. عبد الجبار (القاضي): شرح الأصول الخمسة (جزآن). تقديم عبد الرحمن بوزيدة. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. وحدة الرعاية. الجزائر. 1990
10. العسكري. أبو هلال: كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر، تحقيق: علي محمد البحراوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة 1952
11. الجاحظ: الرسائل. ج2/1 (مجلد). ط1. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة 1964

12. الجاحظ: الرسائل. ج 4/3 (مجلد). ط 1. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة 1979
13. الجاحظ: الرسائل. ج 3/1. د ط. تقديم وشرح علي بوملحم. دار مكتبة الهلال. بدون تاريخ
14. الجاحظ: البيان والتبيين. ج 4/1 ط 2. تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار الجليل. بيروت. بدون تاريخ
15. الجاحظ: كتاب الحيوان. ج 1. د ط. تح: عبد السلام هارون ج 1، ط 2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي و أولاده. مصر-القاهرة 1965

ثانيا: المراجع:

أ) الكتب باللغة العربية:

16. أبو زيد. نصر حامد: إشكاليات القراءة و آليات التأويل. ط 2. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت 1992
17. أبو زيد. نصر حامد: النص، السلطة، الحقيقة، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، 1995
18. أبو زيد. نصر حامد: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن. ط 1. المركز الثقافي العربي . بيروت، الدار البيضاء. 1990
19. بلحاج رحومة الشكلي. بسملة: السؤال البلاغي الإنشاء و التأويل/ط 1، دار محمد علي للنشر ، تونس 2007
20. بن رمضان. صالح: أدبية النص النثري عند الجاحظ، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، سوسة-تونس 1990
21. بن رمضان. صالح: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، ط 1، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات-دار الفارابي، منوبة، تونس 2001
22. بناني. محمد الصغير: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين. ط 4. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1994
23. بوملحم. علي: المناحي الفلسفية عند الجاحظ. ط 2. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت 1988

24. الجابري. محمد عابد: العقل السياسي العربي . ط4 . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت .
2000
25. الجابري. محمد عابد: بنية العقل العربي. ط3. مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . 1990
26. الجابري. محمد عابد: تكوين العقل العربي. ط7. مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت .
1998
27. الحاجري. طه: الجاحظ. حياته و آثاره. د.ط. دار المعارف.مصر. 1962
28. حسين. طه: من حديث الشعر والنثر ضمن (المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين المجلد الخامس). ط 1. دار الكتاب اللبناني. بيروت- لبنان 1973
29. خالد. أحمد: تيارات وشخصيات، ط2، مطبعة الشلي ، سوسة -تونس 1970
30. خطابي. محمد : لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت. 1991.
31. دهري. آمنة: الترسل الأدبي في المغرب_النص والخطاب، جامعة الحسن الثاني- المحمدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، سلسلة الرسائل والأطروحات، رقم5
32. الراوي. عبد الستار: العقل والحرية، دراسة في فكر القاضي عبد الجبار المعتزلي ط1. المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . 1980.
33. الزناد. الأزهر: نسيج النص، البحث في ما يكون الملفوظ نصا ، ط1 المركز الثقافي العربي. الدر البيضاء، بيروت 1993
34. سلمان. علي محمد علي : كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج(رسائله نموذجاً)، ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت -لبنان 2010
35. الشبعان.علي: الحجاج بين المنوال والمثال، -نظرات في أدب الجاحظ و تفسيرات الطبري، ط1، مسكيلياني للنشر و التوزيع، تونس 2008
36. الشهري.عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب،مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت -لبنان 2004
37. صبحي. أحمد محمود: في علم الكلام،المعتزلة، ج1. دار النهضة العربية للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1305هـ - 1985م
38. صحراوي. مسعود: التداولية عند العلماء العرب _ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ،دار الطليعة للطباعة والنشر / بيروت 2005

39. عبد الرحمن .طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت. 1998
40. عبد الرحمن. طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ط2. المؤسسة الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع. الدار البيضاء. المغرب. 2000
41. عروس. بسمة: التفاعل في الأجناس الأدبية/مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة من القرن الثالث إلى السادس الهجري، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس 2008
42. العزاوي. أبو بكر: اللغة والحجاج، د ط، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت 2009
43. عشير. عبد السلام: عندما تتواصل نغير، د ط ، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب 2006
44. كيليطو. عبد الفتاح: الأدب و الغرابية، دراسة بنيوية في الأدب العربي، ط3، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب 2006
45. المبخوت. شكري : دائرة الأعمال اللغوية، ط1 ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2010
46. المبخوت. شكري: إنشاء النفي و شروطه النحوية والدلالية، د ط، مركز النشر الجامعي -كلية الآداب و العلوم الإنسانية منوبة ، تونس 2006
47. المبخوت. شكري: توجيه النفي في تعامله مع الجهات والأسوار والروابط، ط1 ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت 2009
48. المتوكل. أحمد : قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية / بنية الخطاب من الجملة إلى النص، د ط، دار الأمان للنشر و التوزيع، الرباط - المغرب 2001
49. المتوكل. أحمد: الخطاب وخصائص اللغة العربية-دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2010
50. محمد القاضي. الشريف: الخبر في الأدب العربي دراسة في السردية العربية، سلسلة: الآداب، مجلد: XXXI، كلية الآداب منوبة-تونس ودار الغرب الإسلامي-بيروت 1998
51. مروة. حسين: التزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية (مجلدان) ط4. دار الفارابي. بيروت لبنان 1981
52. المسدي. عبد السلام: قراءات مع الشابي و المتنبي والجاحظ وابن خلدون، ط4، دار سعاد الصباح، الكويت- القاهرة 1993

53. مشبال. محمد: البلاغة والسرد- جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، د ط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان المغرب 2010
54. مفتاح. محمد: دينامية النص ط2 . المركز الثقافي العربي . بيروت - الدار البيضاء. 1990
55. الميساوي. خليفة ، الوصائل في تحليل المحادثة _دراسة في استراتيجيات الخطاب ، ط1، عالم الكتب الحديث ، الأردن 2012
56. ناصف. مصطفى: محاورات مع النثر العربي، سلسلة عالم المعرفة، د ط، الكويت، 1997
57. ودیعة. طه نجم : أثر الجاحظ في تطوير مفهوم الرسالة الأدبية، مجلة كلية الآداب العراقية العدد الحادي عشر - حزيران 1968م
58. يقطين. سعيد: الكلام و الخبر، مقدمة للسرد العربي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب 1997
59. يوسف نجم. محمد: فن المقالة، سلسلة الفنون الأدبية-1، ط4، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت -لبنان (د ت)

ب) الكتب المترجمة:

60. أرمنغو. فرانسواز: المقاربة التداولية ، تر: سعيد علوش، د ط، مركز الإنماء القومي، دت
61. أوركيوني.ك.ك: المضمّر، تر: ريتا خاطر، ط1، المنظمة العربية للترجمة-مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2008
62. أوستين. ج. ل. : نظرية أفعال الكلام العامة _ كيف نصنع الأشياء بالكلمات، تر: عبد القادر قنيني، ط2، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء - المغرب 2008،
63. باختين. م : شعرية دوستويفسكي، تر: جميل نصيف التكريتي، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب 1986
64. بلانشيه. فيليب: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية-سوريا 2007
65. بيللا. شارل: الجاحظ في البصرة. بغداد وسامراء. تر: د. ابراهيم الكيلاني. د. ط. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1986

66. تودوروف. ت: الأدب و الدلالة، تر: محمد نديم خشفة، ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب- سوريا 1996
67. تودوروف: ميخائيل باختين المبدأ الحوارية، تر: فخري صالح، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان 1996
68. راستي. فرانسوا: فنون النص وعلومه، تر: ادريس الخطاب، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب 2010
69. ريكور. بول: من النص إلى الفعل أبحاث التأويل، تر: محمد برادة وحسان بورقية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة 2001
70. ريكور. بول: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب 2006
71. ريكور. بول: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب 2006
72. زتسيسلاف وأورزنيك: مدخل إلى علم بناء النص، مشكلات بناء النص، تر: سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة 2003
73. سارفوني. جان : الملفوظية ،، ترجمة قاسم المقداد ،من منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998
74. شارودو. ب.: الحجاج بين النظرية و الأسلوب، تر: أحمد الوديني، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان 2009
75. شيفر. جان ماري: ما الجنس الأدبي؟ تر: غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، يونيو 2005
76. فاركلوف. نورمان: تحليل الخطاب _ التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبه، ط1، المنظمة العربية للترجمة- مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2009
77. فان دايك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، تر: عبد القادر قنيني، د ط، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب 2000
78. فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، سلسلة اللغويات الجرمانية الكتاب رقم 115، النشر العلمي والمطابع- جامعة الملك سعود، الرياض- السعودية 1999

79. كيمبسون. راث: نظرية علم الدلالة (السيمانطيقا)، ترجمة: عبد القادر قنيني، ط1، منشورات الاختلاف و دور أخرى، الجزائر 2009
80. ليونز. جون: اللغة و المعنى و السياق، تر: عباس صادق الوهاب، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد-العراق 1987
81. مارتان. ر: في سبيل منطق للمعنى، تر: الطيب البكوش و صالح الماحري، ط1، المنظمة العربية للترجمة - مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان 2006
82. موشر. ج. _ روبول. آن: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني، ط1، المنظمة العربية للترجمة- دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت - لبنان 2003
83. والتر ج. أونج: الشفاهية و الكتابية، تر حسن البنا عز الدين، د ط المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، فبراير 1994 (سلسلة عالم المعرفة)
84. وليك. رنيه و وآرن. أوستن: نظرية الأدب، تر: عادل سلامة، (د ط)، دار المريخ للنشر، الرياض- السعودية 1992
85. يول. جورج: التداولية، تر: قصي العتاي، ط1، دار الأمان للنشر و التوزيع، الرباط-المغرب 2010

ج) المقالات و الأعمال الجماعية:

86. جاك روجو Jacques Rougeot: الأدب الترسلّي، ضمن: نخبة من الأساتذة: الأدب و الأنواع الأدبية، تر: طاهر حجار، (د ط)، طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، دمشق - سوريا (د ت)
87. جيرار جينيت و آخ: نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تر: ناجي مصطفى، ط1، منشورات الحوار الأكاديمي و الجامعي، الدار البيضاء، المغرب 1989
88. القاضي. و داد: نحو منهج سليم في قضية موثوقية الرسائل العربية الإسلامية المبكرة، ضمن: في قراءة النص الديني (سلسلة موافقات)، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس 1990
89. المبخوت. شكري: نظرية الحجاج في اللغة، ضمن: فريق البحث في البلاغة و الحجاج تحت إشراف حمادي صمود: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، سلسلة: الآداب، مجلد: XXXIX، منشورات جامعة الآداب و العلوم الإنسانية تونس 1 - كلية الآداب منوبة، دت

د) الموسوعات والقواميس:

90. ادريس . سهيل: المنهل قاموس فرنسي عربي، دار الاداب للنشر والتوزيع، بيروت، 2002
91. التهانوي . محمد: موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، تر: عبد الله الخالدي، ج2، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت 1996
92. ديكر و.أ وسشايفر . ج.م: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب 2007
93. شارودوب ود. مانغونو: معجم مصطلحات تحليل الخطاب، تر: جمعة: صمادي حمود وعبد القادر المهيري، د ط، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس 2008
94. لالاند "الموسوعة الفلسفية، تع: خليل أحمد خليل، ط2، دار عويدات للنشر و التوزيع، بيروت- باريس 2001
95. المسدي. عبد السلام: قاموس اللسانيات: عربي -فرنسي، فرنسي- عربي، مع مقدمة في علم المصطلح ، الدار العربية للكتاب، تونس-ليبيا، 1984
96. موشر . جاك وروبول. آن: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الباحثين، ط2، دار سيناترا للنشر_المركز الوطني للترجمة، تونس 2010

ثالثا: المراجع باللغة الفرنسية: Références en langue française

أ) الكتب Ouvrages :

97. Bakhtine. M ,1977 [1929]: Le marxisme et la philosophie du langage, Paris, Seuil
98. Bakhtine. Mikhaïl, 1978: Esthétique et théorie du roman, Paris, Gallimard
99. Bracops. M ,2006: Introduction à la pragmatique – Les théories fondatrices, actes de langage, pragmatique cognitive, pragmatique intégrée, Louvain-la-Neuve :Duculot
100. Combe. Dominique,1992: Les genres littéraires , éd. HACHETTE , Paris
101. Ducrot .O et Anscombe J-C, 1983: L'argumentation dans la langue, Pierre Mardaga, éditeur, Collection « Philosophie et langage », Bruxelles
102. Ducrot. O, 1973: La Preuve et le Dire, Repères: Mame, Paris,
103. Ducrot. Oswald, 1972: Dire et ne pas dire, Hermann. Collection « Savoir », Paris
104. Ducrot.O1980,: Les échelles argumentatives. Paris , Minuit

- .105 Gjestard. Øyvind: La polyphonie discursive _ Pour un dialogisme ancré dans la langue et l'interaction
- .106 Maingueneau. D,2005:Pragmatique pour le discours littéraire.éd Armand Colin
- .107 Maingueneau. Dominique, 1998: Analyser les textes de communication, Paris, Nathan.
- .108 Maingueneau. Dominique. 1994 : L'énonciation en linguistique française Paris: Hachette
- .109 MARTIN, Robert, 1987: Langage et croyance. Les « univers de croyance » dans la théorie sémantique », Pierre Mardaga, éditeur, Bruxelles
- .110 Moeshler.Jacques & Auchlin. Antoine , 2009: Initiation à la linguistique contemporaine ,3e éd, Armand Colin.Paris
- .111 Moignet. Gérard, 1974: Études de psycho-systématique française, Paris, Klincksieck,
- .112 Nølke. Henning. 1993: Le regard du locuteur. Pour une linguistique des traces énonciatives , Paris : Kimé
- .113 Orrechioni. C-K, 2005: Les actes de langage dans le discours, théorie et fonctionnement, Armand Colin
- .114 Reboul .A.&Moeschler. J, 1998: Pragmatique du discours, Paris, A.Colin

:Articles et Ouvrages collectifs (ب) المقالات والأعمال الجماعية

- .115 Fløttum. K, 2003b: Polyphonie dans les textes scientifiques, Étude de deux cas français, In: Polyphonie linguistique et littéraire VII, Roskilde, Samfundslitteratur Roskilde
- .116 _ Adam .Jean-Michel. L'argumentation dans le dialogue. In: Langue française. N°112, 1996. pp. 31-49.doi : 10.3406/lfr.1996.5359
- .117 Adam. Jean-Michel, 2002: Textualité et polyphonie, Analyse textuelle d'une préface de Perrault, in Olsen. M,(éd,): Polyphonie littéraire et linguistique ,Documents de travail V, Roskilde, Samfundslitteratur
- .118 Adam. Jean-Michel,1997: Unités rédactionnelles et genres discursifs, cadre général pour une approche de la presse écrite, Pratiques 94, Paris : CRESEF
- .119 Adam. J. M: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives, Dans: La lettre entre réel et fiction, Sous la direction de Jurgen Siess, Ed SEDES, 1998
- .120 Anscombe J.-Cl : Proverbes et formes proverbiales: valeur évidentielle et argumentative. In: Langue française. N°102, 1994.pp. 95-107.doi: 10.3406/lfr.1994. 5717
- .121 Bres. Jacques et Nowakowska. Aleksandra: Dis-moi avec qui tu«dialogues»: je te dirai qui tu es ...De la pertinence de la notion de dialogisme pour l'analyse du discours .in Marges linguistiques - Numéro 9, Mai 2005 - M.L M S,éditeur <http://www.marges-linguistiques.com>-13250 Saint-Chamas (France)
- .122 Carel. Marion et Ducrot. Oswald: Mise au point sur la polyphonie, Langue française, 2009/4 n° 164, p. 33-43. DOI: 10.3917/lf.164.0011
- .123 Charaudeau. Patrick, 2001: Visées discursives, genres situationnels et

- construction textuelle, in: Analyse des discours, Textes, types et genres. Actes du colloque de Toulouse, 2-5 décembre 1998, Éditions Universitaires du Sud
- .124 Ducrot. O et autres, 1980: Les mots du discours, Les Éditions de Minuit, Paris
- .125 Ducrot. O: Argumentation rhétorique et argumentation linguistique.
Dans :L'argumentation aujourd'hui-Positions théoriques en confrontation(Textes réunis par Mariane DOURY et Sophie MOIRAND) ,2004,Presse Sorbonne Nouvelle
- .126 Gresillon. Almuth, Maingueneau. Dominique : Polyphonie, proverbe et détournement, ou un proverbe peut en cacher un autre. In:Langages, 19e année, n°73, 1984. pp. 112-125.doi: 10.3406/lgge.1984.1168 .
- .127 HEDERMAN. Pascale, PIERARD. Michel et VAN RAEMDONCK. Dan :La scalarité : autant de moyens d'expression, autant d'effets de sens, De boeck Université, Travaux linguistiques, 2007/1- N° 54, pages 7 à 15
- .128 J. A . Revuz : La représentation du discours autre, un champ multiplement hétérogène, Dans : Le Discours rapporté dans tous ses états(Textes réunis et présentés par Juan Lopez Munoz, Sophie Marnette et Laurence Rosier), L'Harmattan, Paris,2004 ,Actes du colloque international, 08-11 NOV 2001
- .129 Jacqueline Authier-Revuz, Hétérogénéité(s) énonciative(s),In: Langages, 19e année, n°73, 1984. pp. 98-111
- .130 kerbrat-Orechionni.Catherine: L'interaction épistolaire, Dans:La lettre entre réel et fiction , Sous la direction de Jurgen Siess,Ed,SEDES 1998
- .131 Maingueneau. Dominique, 2005: L'Analyse de discours et ses frontières, Marges linguistiques 9, [http : //www .margeslinguistiques, com](http://www.margeslinguistiques.com)
- .132 Michaux. Christine: Le proverbe:nom ou phrase ?,Université Libre de Bruxelles , Paremia, 8: 1999. Madrid
- .133 Nølke .Henning: Polyphonie linguistique et discours rapporté,in Polyphonie – linguistique et littéraire Lingvistisk og litterær polyfoni Documents de travail/arbejdspapirer, No VII, JUILLET 2003
- .134 Nølke. H ,2009a: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, In: Kratschmer.A, M.Birkelund & R .Therkelsen
- .135 Nølke. H, 2009b: Types d'êtres discursifs dans la ScaPoLine ,In: Langue française 164
- .136 Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C , 2004 : ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, Paris, Editions Kimé
- .137 Olsen. M, 2002: Polyphonie littéraire et linguistique, Documents de travail V, Roskilde, Samfundslitteratur
- .138 Perelman, Chaim et Obrechts Tyteca,Olga.1970 (1958) :Traité de l'argumentation . La (nouvelle rhétorique . Bruxelles : Éditions de l'Université de Bruxelles
- .139 Rabatel Alain , « Les verbes de perception en contexte d'effacement énonciatif: du point de vue représenté aux discours représentés » ,Travaux de linguistique, 2003/1 no46, p. 49-88. DOI: 10.3917/tl.046.0049
- .140 Rabatel.Alain:L'effacement énonciatif dans les discours représentés et ses effets pragmatiques et sous-et sur-énonciation,in:Estudios de LENGUA Y Literatura francesa.14.2003. 33-66
- .141 REICHLER-BEGUELIN.Marie-José: Anaphore ,cataphore et mémoire

- discursive, PRATIQUES N° 57, Mars 1988
- .142 Roulet. E: L'organisation énonciative et l'organisation polyphonique, In: Roulet .E, L .Filliettaz & A .Grobet ,2001 :Un modèle et un instrument d'analyse de l'organisation du discours ,Frankfurt , Peter Lang
- .143 SOFIA, Dima: Le proverbe, un cas spécial de polyphonie. Recherches ACLIF: Actes du Séminaire de Didactique Universitaire, 2006, no 3
- .144 -Vion.Robert :Dimensions énonciatives, discursives et dialogiques de la modalisation:in :LINGUAS & LETRAS , vol 8.n°15 .2° sem.2007

: Dictionnaires et Encyclopédies (ج) المعاجم والموسوعات

- .145 Charaudeau .Patrick et Maingueneau.Dominique ,2002: Dictionnaire d'analyse de discours,Paris ,Seuil
- .146 Dubois .Jean & autres:Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse-Bordas/HER1999 .PARIS
- .147 Encyclopaedia Universalis, France SA 2008
- .148 Gaffiot. Felix, 1934: Dictionnaire LATIN-FRANÇAIS, Hachette79,Bd Saint-Germain,Paris
- .149 Le petit Larousse illustré en couleur, Larousse/VUEF, 2003
- .150 Le Petit Robert. Dictionnaire de la langue française, Le Robert, 2001
- .151 Mainguenu. DOMINIQUE ,1996 : Les mots clés du discours, Ed seuil, Paris
- .152 Moeschler. Jacques et Reboul. Anne ,1994: Dictionnaire encyclopédique de pragmatique ,Paris , Seuil
- .153 Peugoise.Michel,2001: Dictionnaire de la rhétorique, Armand Colin, VUEF, Paris

تعريف بأهم الأعلام

إدّي رولي **Eddy Roulet** (1939-...) لسانية سويسرية، عملت أستاذة للسانيات العامة واللسانية التطبيقية بجامعة نوساتل و جنيف. اشتغلت مع مجموعة من الباحثين على مشروع تحليل الحوارات، وتحليل الخطاب، وهو مشروع لا يزال في حالة تطوير. أنشأت سنة 1980 دورية "دفاتر اللسانيات الفرنسية" *les Cahiers de linguistique française*، لنشر أعمال فريق البحث الذي ترأسه. كما تشرف على تنظيم ملتقى التداولية بجنيف الذي تخصص أشغاله لمناقشة نتائج بحوث فريق البحث، مع باحثين من خارج سويسرا. أشهر أعمالها: وصف تنظيم الخطاب من الحوار إلى النص *La description de l'organisation du discours. Du dialogue au texte* - تنظيم الخطاب، نموذج التحليل و أدواته *Un modèle et un instrument d'analyse de l'organisation du discours*

آلان راباتال **Alain Rabatel** (1953-.....): أستاذ علوم اللسان بجامعة كلود بارنار - ليون (المعهد العالي لتكوين المعلمين)، مؤهل للبحث في (علوم اللسان والأدب ولسانيات اللغة الفرنسية)، عضو مدرسة الدكتوراه **HSH** (الإنسانيات وعلوم الإنسان)، وعضو دائم بمختبر **ICAR** (تفاعلات، مدونات، تعلمات، تمثيلات) التابع لجامعة ليون 1. أهم أعماله: البناء النصي لوجهة النظر *La Construction textuelle du point de vue*، الحجاج بواسطة القص *Argumenter en racontant*، الإنسان الحاكي - من أجل تحليل تلفظي تفاعلي للسرد *Homo narrans. Pour une analyse énonciative et interactionnelle du récit*، وجهات النظر ومنطق عملية السرد *Les points de vue et la logique de la narration*.

آن ريبول **Anne Reboul** (1956-....) حاصلة على دكتوراه في اللسانيات ودكتوراه في الفلسفة. بعد متابعتها لدراسات ما بعد الدكتوراه بلندن في **University College**، شغلت عدة مناصب متصلة بالبحث في حقل اللسانيات بسويسرا. وفي سنة 1993 التحقت بالمركز الوطني للبحث العلمي **CNRS** بفرنسا. وفي عام 1999 التحقت بمعهد العلوم المعرفية بليون، حيث تشغل منصب مسؤول على فرقة بحث "التداولية و العلوم المعرفية". أهم أعمالها: *La pragmatique aujourd'hui: une nouvelle science de la communication* (بالاشتراك مع موشلر. ج)، تداولية الخطاب: من تأويل المفوظ إلى تأويل الخطاب *Pragmatique du discours: de l'interprétation de l'énoncé à l'interprétation du discours* (بالاشتراك مع موشلر. ج)، اللغة و العرفنة البشرية *Langage et cognition humaine* (عمل فردي)

أوزوالد ديكر **Oswald Ducrot** (1930-.....) لسان فرنسي، أستاذ ميرز في الفلسفة، عمل سابقا في المركز الوطني للبحث العلمي **CNRS** بفرنسا، يشغل حاليا منصب مدير الدراسات بمدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية (EHESS) بباريس. للباحث عدة أعمال حول التلفظ و الحجاج في اللغة، و التعدد الصوتي. من أشهر أعماله: الدليل والقول *La Preuve et le dire*، البنيوية في حقل اللسانيات *Le Structuralisme en linguistique*، أن نقول ولانقول *Dire et ne pas dire*، مبادئ في الدلالة اللغوية *Principes de*

Les Échelles ، السلام الحجاجية ، Le Dire et le Dit ، القول والمقول ، sémantique linguistique ، argumentatives ، كلمات الخطاب ، Les Mots du discours (مع آخرين) ، الحجاج في اللغة ، L'argumentation dans la langue (بالاشتراك مع ج. ك. أنكومير) ، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. Nouveau Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage (بالاشتراك مع ج. م. شايفر)

باتريك شارودو **Patrick Charaudeau**: مؤسس مركز تحليل الخطاب بجامعة باريس 8، يشغل حاليا منصب أستاذ مميز في علوم اللسان، كما يعمل باحثا بمخبر التواصل والسياسة (LCP). التابع للمركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا CNRS. أهم أعماله: الكلام المصادر ، La parole confisquée ، خطاب الإخبار الإعلامي Le Dictionnaire d'analyse du discours d'information médiatique ، معجم تحليل الخطاب ، Le discours politique : les discours (بالاشتراك مع د. مانغونو)، الخطاب السياسي-أقنعة السلطة ، Le discours politique : les masques du pouvoir

جاك موشلر **Jacques Moeschler** (1954-.....): أستاذ لسانيات اللغة الفرنسية بجامعة جنيف، متخصص في علم الدلالة والتداولية. تناولت أبحاثه موضوعات الإحالة الزمنية، و الروابط التداولية، والسببية، والكلمات المنطقية المرتبطة بالحجاج. تمثل كتبه المعتمدة على محاضراته ونشاطه التدريسي مرجعا في باهما. يرأس حاليا الجمعية السويسرية للسانيات، وقد أسندت إليه رئاسة لجنة تنظيم الملتقى العالمي للسانيات الذي سينعقد في الفترة من: 07 إلى 12 جويلية 2013، بجامعة جنيف. أهم أعماله: النظرية التداولية والتداولية التحادثية et Théorie pragmatique et pragmatique conversationnelle ، الحجاج والمحادثة ، Argumentation et conversation ، مبادئ للتحليل التداولي للخطاب ، Éléments pour une analyse pragmatique du discours ، القول ونقيض القول. Dire et contredire ، تداولية النفي وفعل الدحض في المحادثة ، Pragmatique de la négation et acte de réfutation dans la conversation

جان ماري شايفر **Jean-Marie Schaeffer** (1952-....): باحث فرنسي متخصص في فلسفة التلقي الجمالي ونظرية الفن، منتسب إلى المركز الوطني للبحث العلمي CNRS بفرنسا، حيث ترأس المركز الفرعي للبحث في الفنون واللغة و CRAL التابع للمدرسة العليا للدراسات الاجتماعية EHESS ، المدرسة التي يشغل بها منذ 2002 مديرا للدراسات. أهم أعماله: ما الجنس الأدبي؟ ، Qu'est-ce qu'un genre littéraire ؟ ، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان Nouveau Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage (بالاشتراك مع أ. ديكرو)، الفن، الإبداع والتمثيل Art, création, fiction

جون روجرس سيرل **John Rogers Searle** (1932-....) فيلسوف أمريكي من أعلام الفلسفة التحليلية، اهتم خاصة بفلسفة اللغة و فلسفة العقل. اشتغل أستاذا للفلسفة بجامعة كاليفورنيا-بيركلي. وهو أشهر أتباع

An Essay in the Philosophy of Language (1969) - المعنى و التعبير
Speech Acts , of Language (1969) - المعنى و التعبير
Mind, Language and Society: Philosophy in the Real World (1998) - العقل، اللغة و المجتمع

جون لانغشو أوستين (1911-1960) فيلسوف إنجليزي من أقطاب الفلسفة التحليلية. اهتم بدراسة المعنى من منظور فلسفي ، فعد رائدا لفلسفة اللغة العادية، من خلال نظرية أعمال اللغة التي وضعها (في محاضراته: كيف نصنع أشياء بالكلمات How to do Things with Words) ، و تابعه جون سيرل فطورها و أكمل بناءها النظري. أشهر أعماله: أوراق فلسفية [1961] Philosophical Papers - لغة الإدراك Sense and Sensibilia

جون ميشال أدام Jean-Michel Adam (1947-...) لساني فرنسي، متخصص في لسانيات النص و تحليل الخطاب. عمل في عدة جامعات. يشغل حاليا منصب أستاذ شرفي للسانيات الفرنسية بجامعة لوزان السويسرية. أشهر أعماله: أنماط النصوص و نماذجها Les textes : types et prototypes - لسانيات النص مدخل إلى التحليل النصي للخطاب La linguistique textuelle, Introduction à l'analyse textuelle -des discours لسانيات النص ، من أجناس الخطاب إلى النصوص Linguistique textuelle, des genres de discours aux textes

دان سبربر Dan Sperber (1942-...) أنثروبولوجي ولساني فرنسي، باحث في حقل العلوم العرفانية. يعمل حاليا مديرا للبحث المتميز بمعهد جون نيكو التابع للمركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا، ويعمل أيضا أستاذا للعلوم العرفانية والفلسفة بالجامعة المركزية الأوروبية ببودابست. عرف بأعماله في حقل التداولية، ولاسيما ما يتصل بنظرية الملاءمة التي طورها بالاشتراك مع دايردر ولسن Deirdre Wilson. حصل سبربر عام 2009 على جائزة ك.ل. ستراوس التي تمنح لأحسن عمل في حقل العلوم الاجتماعية، يصدر بفرنسا. أشهر أعماله: التواصل، الملاءمة و العرفنة، بالاشتراك مع دايردر ولسن - La Pertinence, Communication et Cognition, avec Deirdre Wilson - عدوى الأفكار La Contagion des Idées

دومينيك مانغونو Dominique Maingueneau: أستاذ لسانيات اللغة الفرنسية بجامعة السوربون بباريس. تركزت أبحاثه على لسانيات اللغة الفرنسية، وتحليل الخطاب، متأثرا بإسهامات م. فوكو، والتيار التداولي، ونظريات التلفظ اللسانية. تحول مؤخرا إلى الاهتمام بتحليل الخطابات المؤسسة (الفلسفية، والدينية، والعلمية، والأدبية). أهم أعماله: مدخل إلى مناهج تحليل الخطاب Initiation aux méthodes de l'analyse du discours ، التلفظ الأدبي L'énonciation littéraire ، من أجل تداولية للخطاب الأدبي Pragmatique pour le discours littéraire ، مدخل إلى اللسانيات الفرنسية Introduction à la linguistique française ، الخطاب الأدبي Le discours littéraire ، من أجل لسانيات للنص الأدبي Linguistique pour le texte littéraire

كاترين كبربات أوركويوني **Catherine Kerbrat-Orecchioni** (؟-.....) لسانية فرنسية من أصل روماني، تعمل حاليا أستاذة باحثة بجامعة ليون2، حيث تنتسب إلى مخبر البحث ICAR المتخصص في دراسة التفاعلات، المدونات، التعليمات، والتمثيلات) تهتم على وجه الخصوص بموضوع الحوار، وتسعى إلى بلورة مفهوم "المجاز الحوارية" الذي يتعلق بالكيفية التي ينطوي من خلالها الملفوظ الموجه إلى المعنى بالحوار، على مرسله موجهة إلى شخص آخر شاهد على هذا الحوار. أهم أعمالها: التلفظ - حول الذاتية في اللغة **L'énonciation : De la subjectivité dans le langage**، التفاعلات الشفوية **Les Interactions verbales**، الخطاب في حال التفاعل **Le discours en interaction**، أعمال اللغة في الخطاب، النظرية والاشتغال **actes de langage dans le discours : Théories et fonctionnement**

ميخائيل ميخايلوفتش باختين (1895-1975) علم روسي بارز في حقول متعددة: تاريخ الأدب ونظريته، التحليل النفسي، علم الجمال، علم الأخلاق. يعد مؤسس اللسانيات الاجتماعية. وقد عرف واشتهر بدراساته حول الرواية (أعمال دوستويفسكي وتولستوي وغيرهما). خالف في منهجه الشكلانيين الروس ونقدتهم مبينا محدودية نموذجهم التحليلي. أشهر ما ينسب إليه في حقل الدراسات الأدبية مفهومها الحوارية والتعدد الصوتي. أشهر أعماله: شعرية دوستويفسكي **Problèmes de la poétique de Dostoïevski - Esthétique et théorie du roman**

نورمان فايركلو **Norman Fairclough** (1941-...) أستاذ مميز في اللسانيات بجامعة لانكاستر. يعدّ أحد المؤسسين للتحليل النقدي للخطاب (CDA) في مجال الدراسات السوسiolسانية، وهو تخصص يعنى بدراسة كيفية ممارسة القوة من خلال اللغة. تأثر فايركلو بميخائيل باختين و ميخائيل هاليداي في طروحاتهما اللسانية، كما تأثر بكل من أ. غرامشي ول. ألتوسير وم. فوكو وب. بورديو في منظوراتهم السوسولوجية. أشهر أعماله: الخطاب والتغير الاجتماعي **Discourse and Social Change** (1992). - التحليل النقدي للخطاب **Critical Discourse Analysis** (1995). - الخطاب الإعلامي **Media Discourse** (1995).

هيربرت بول غرايس **Herbert Paul Grice** (1913-1988) فيلسوف بريطاني، بدأ حياته المهنية في بريطانيا، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة حيث قضى العشرين سنة الأخيرة من حياته. عرف بأبحاثه في فلسفة اللغة، إذ اهتم بالتداولية و اللسانيات. أهم المفاهيم التي اترحها، مفهوم التعاون، وحكم المحادثة، والاستلزامات التحادثية. أشهر أعماله: مقالة بعنوان "المعنى" المجلة الفلسفية **"Meaning," The Philosophical Review** 1957. - كتاب "المنطق والمحادثة" **Logic and conversation** 1975. - مفهوم القيمة **The Conception of Value** 1991.

هينينغ نولكه Henning Nølke: مختص في الأصواتية اللسانية. عمل أستاذا في معهد الدراسات التجارية العليا بأرهيس بالدانمارك سنة 1993، وانتقل منها إلى قسم اللغة الفرنسية بجامعة آرهيس سنة 2004، حيث شغل منصب أستاذ اللسانيات. يرأس فريق البحث السكندنافية في التعدد الصوتي اللساني والأدبي المعروف بـ *scapoline*. أهم أعماله: السكابولين النظرية السكندنافية للتعدد الصوتي اللساني *ScaPoLine, la théorie scandinave* *Le regard du locuteur* ، من أجل لسانيات للآثار التلفظية *de la polyphonie linguistique* ، نظرة المتكلم (بالاشتراك مع ك. فلوتوم، ك. نورن)، *pour une linguistique des traces énonciatives* ، من أجل لسانيات القالبية *Linguistique modulaire* ، من الشكل إلى المعنى *de la forme au sens*

فهرس الموضوعات

69 – 1	مدخل نظري: نظرية التعدد الصوتي
44-4	أ)الأصول التداولية لنظرية التعدد الصوتي
6	1- نظرية أعمال اللغة.....
17	2- تداولية التضمينات عند غرايس.....
30	3- نظرية الملازمة: التداولية العرفانية.....
37	4- التداولية المندمجة.....
69 - 45	ب) :التعدد الصوتي،نظرياته وجهازه المفاهيمي
45	مقدمة: المصطلح و الماهية.....
52	أولا :نظريات التعدد الصوتي.....
60	ثانيا:الجهاز المفاهيمي للتحليل الأصواتي.....
129 – 70	الفصل الأول:مدونة الرسائل من منظور أجناسي تداولي
71	- في التصنيف الأجناسي التداولي للخطابات
86	- إشكاليات التصنيف الأجناسي التداولي لخطاب الرسائل.....
102	- في التصنيف الأجناسي التداولي للخطاب الرسائلي عند الجاحظ.....
187 - 130	الفصل الثاني: التحليل الأصواتي اللساني
131	مقدمة.....
146-133	النفي الجدلي:

133 مفهومه واشتغاله أصواتيا
140 النفي الجدلي في خطاب الرسائل
161-147	الاستفهام/ السؤال البلاغي:
147 مفهومه واشتغاله أصواتيا
153 الاستفهام في خطاب الرسائل
175-162	ج) الروابط والعوامل الحجاجية:
162 مفهومها واشتغالها أصواتيا
167 الروابط والعوامل الحجاجية في خطاب الرسائل
187-176	د) الموجهات:
176	- مفهومها واشتغالها أصواتيا
179	- الموجهات في خطاب الرسائل
240-188	الفصل الثالث: التحليل الأصواتي النصي
189 مقدمة
192 (1) الإحاليات واشتغالها أصواتيا
199 (2) مستوى التنظيم النصي وإدراج الأصوات
224 (3) الواسمات الأصواتية ووجهات النظر التفاعلية
233 (4) استعادة وجهات النظر واستباقها
316-241	الفصل الرابع: التحليل الأصواتي الخطابي
243 أ) الآليات الأصواتية الخطابية واشتغالها أصواتيا
262 ب) ذوات الخطاب وذوات الواقع

282 (ج) هيمنة المتكلم / كاتب الرسائل على التلفظ.
287 (ب) تبني الأصوات ودحضاها.
299 (د) استحضار خطاب الآخر.
311 (هـ) إقحام القارئ في النص.
317 خاتمة.

361-321

فهارس وملاحق

322 فهرس نصوص المقتبسات المترجمة.
328 ثبت المصطلحات المترجمة.
336 فهرس مطابقة الإحالة إلى مدونة الرسائل.
343 مكتبة البحث.
354 ملحق التعريف بأهم الأعلام.
359 فهرس الموضوعات.

ملخص: تتناول هذه الأطروحة بالبحث الطابع التداولي الحواري للخطاب الرسائلي عند الجاحظ، الذي يختزن - كما هو معروف - محتويات ومكونات خطابية تنتمي إلى أنماط خطابية مختلفة، ولاسيما الخطاب الحجاجي. وهذا ما دفعنا إلى تبني المقاربة التداولية الأصواتية لمعالجة الإشكالية التي يطرحها موضوع هذه الرسالة.

لقد قمنا في البدء باستعراض الأسس النظرية للمقاربة التداولية الأصواتية، وأعقبناها بالكشف عن المفاهيم الإجرائية التي اعتمدها لإنجاز التحليل المفترض لمدونة الرسائل.

وفي الفصول التطبيقية التي جاءت بعد ذلك، وهي جوهر البحث، عمدنا إلى وصف الظواهر الأصواتية كما تجلت لنا في رسائل الجاحظ، متكئين على المفاهيم النظرية التي سبق عرضها. وقد تمثل ذلك في تحليل عدد من الأمثلة المقتطفة من مدونة الرسائل، توزعتها المستويات اللسانية الجمالية، والنصية، والخطابية

الكلمات المفتاحية: الكتابة - الإقناع - الرسائل - الجاحظ - التداولية - التعدد الصوتي - الحوارية - الحجاج - الواسمات الأصواتية - النفي - الدحض - السؤال البلاغي - الموجهات - الإحاليات - وجهات النظر - التنظيم النصي - الروابط الحجاجية - الخطاب المستحضر

Résumé: Cette thèse traite du caractère pragmatico-polyphonique de l'œuvre épistolaire jahizienne, qui est - comme on le sait - truffée de composantes appartenant à différents types de discours, en particulier le discours argumentatif. D'où l'adoption de l'approche pragmatico-polyphonique pour l'étude du thème de la présente thèse.

Ainsi, après avoir passé en revue des fondements théoriques de cette approche, nous nous sommes intéressé à présenter les procédés techniques avec lesquels nous avons analysé le corpus d'étude.

Ensuite, est venue l'investigation proprement dite, celle qui nous a conduit à la description des phénomènes polyphoniques, tels qu'ils se sont manifestés dans les épîtres d'El Jahiz, en nous appuyant sur les notions théoriques précédemment étalées. Cette phase nous a permis d'analyser un bon nombre d'exemples tirés du corpus, censés illustrer la polyphonie au niveau phrastique, textuel, et discursif.

Mots-clés : Ecriture- Persuasion-Epître-El Jahiz-Pragmatique- Polyphonie- Dialogisme-Argumentation- Marqueurs polyphoniques- Négation-Réfutation- Question rhétorique-modalités-abaphores- points de vues-organisation textuelle-connecteurs argumentatifs- discours représentés

Abstract: This thesis deals with the pragmatic nature of the jahizien's epistolary work, which is - as we know - full of components belonging to different types of discourse, especially argumentative discourse. Hence the adoption of the pragmatico-polyphonic approach to study the theme of this thesis.

Thus, after reviewing the theoretical foundations of this approach, we are interested in presenting technical processes with which we analyzed the corpus studied.

Then came the investigation itself, which led us to the description of polyphonic phenomena, as they are manifested in the epistles of El Jahiz, building on previous theoretical mentioned. This stage allowed us to analyze a number of examples picked out from the corpus, which are supposed to illustrate the polyphony at the phrasal, textual, and discursive levels.

Keywords: Writing-Persuasion-Epistle-El-Jahiz-Pragmatic - Argumentation - Polyphony-Dialogism- Polyphonic markers - Négation -Refutation-rhetorical question- anaphora- points of view -textual organization- argumentative connectors- represented discourse

الملخص

يسعى هذا البحث إلى الكشف عما تحتزنه الرسائل كخطاب أدبي من مؤشرات دلالية تداولية، تساعد على تبني رؤية جديدة لهذا الكم من النصوص التي درج الباحثون على التعاطي الاختزالي معها، بحيث يُتجاوز في النظر إليها مسلمةً الدونية التي ألصقت بها، وتُفتح آفاق البحث في إعادة تصنيفها من ناحية، وتُثمن قيمتها الأدبية والفكرية انطلاقاً من دراسة تستهدف استحضر المقامات التلفظية الترسلية التي أنتجتها، للوقوف على موثوقية النص ودلالاته على السياق الاجتماعي بمدلولاته الإيديولوجية المختلفة.

كما يحاول هذا البحث أن يستثمر دراسة الخطاب الرسائلي من منظور تلفظي أصواتي لتهيئة معطيات قد تساعد على معالجة أفضل لقضايا منهجية أثرت حول منهج الجاحظ في الكتابة، واستطراداته وموسوعيته، وتأرجحه بين بلاغة الشفوي والكتابي، وتفسير تناقض آرائه من مؤلف إلى آخر، ومن موضع إلى آخر في المؤلف الواحد.

كما يهدف هذا البحث أيضاً إلى إثارة بعض الإشكالات المتصلة بموثوقية النص، والتي نرى أن التحليل التلفظي الأصواتي كفيلاً بحصرها، وإضاءة الكثير من جوانبها، فدراسة مستويات التلفظ كشفت لنا كيف أن الناسخ يتدخل مراراً في فضاء الرسالة الكتابي تدخلاً صريحاً أحياناً، مما يدفع إلى التساؤل: ما الذي يمنعه من أن يتدخل تدخلاً غير صريح، أو تدخلاً من أي نوع كان؟

قسّمت البحث إلى مدخل و أربعة فصول، خصصت المدخل للمهاد النظري، وتولّيت في الفصول الأربعة تحليل المدونة اعتمادا على ما تقدّم عرضه في المهاد، مع إضاءات نظرية مضافة.

أدرجت في المدخل المخصّص للمهاد النظري الإضاءة النظرية الموسعة للبحث، من حيث أصوله التداولية الممثلة في النظريات التداولية الأكثر تأثيرا في الدراسات الأصواتية، وأعني بها: نظرية أفعال الكلام، ونظرية التضمينات التحادثية لغرايس، والنظرية التداولية العرفانية لسربر وولسن، ثم نظرية التداولية اللسانية المندمجة عند ديكر و أضرابه.

وأعقت ذلك بعرض تعريفي بنظريات التعدد الصوتي، وما اعتمده من ترسانات مفاهيمية، ومنظومات اصطلاحية، انتصب فوق أرضيتها نموذج التحليل الأصواتي في أحدث تجلياته عند المدرسة السكندنافية.

وفي الفصل الأول تعرضت إلى تجنيس الرسائل من منظور تحليل الخطاب عامة، ومن المنظور التداولي خاصة، فوجدتني مضطرا إلى الخوض في التصنيف الأجناسي للخطابات في عمومها، ثم في إشكاليات التصنيف الأجناسي للخطاب الرسائي، وفي المبحث الأخير قمت بتطبيق مفاهيم التصنيف الأجناسي التداولي على الرسائل الجاحظية.

أما الفصول الثلاثة المتبقية، والتي تولّيت فيه تحليل المدونة بصورة فعلية، فقد اشتملت على محاولات لتطبيق المفاهيم النظرية السابق عرضها على رسائل الجاحظ، تدرجت فيها من المستوى اللساني في الفصل الثاني، إلى المستوى النصي في الفصل الثالث، لآنتهي إلى المستوى الخطابي في الفصل الرابع والأخير.

هذا إجمال خطة البحث. وفيما يلي تلخيص مطول للمعالجات التي تضمنتها الفصول.

في المدخل بينا أننا اعتمدنا في دراستنا لمدونة الرسائل مقارنة تداولية تستثمر مفهوم الأصواتية أو التعدد الصوتي، الذي يتم تبنيه على نطاق واسع اليوم في دراسة شتى أنواع الخطابات، لاسيما في الخطابات ذات الطابع الحواري، كالخطاب السياسي، والخطاب الإعلامي، والخطاب البيداغوجي، وغيرها من أنماط الخطابات. ويتأسس هذا المفهوم كما تبلور في النظريات التي سنعرض لها لاحقاً على مبدأ التصاق خاصية الحوارية بكل خطاب طبيعي، وهو المبدأ الذي جاء به م. باختين (M.Bakhtine)، وطوّره بعده باحثون كثيرون، توزّعوا على مدارس وتيارات أغنت البحث التداولي الأصواتي للخطاب، بما وضعته من نظريات، واجترحته من مفاهيم، وأرسته من منهجيات بحث ونماذج تحليل.

فمن بحوث باختين حول روايات دوستويفسكي وتولستوي، وتطبيق مفهوم الحوارية عليها، إلى جهود ديكر (O.Ducrot) وأنكومبر (J.C.Anscombe) في

التأسيس اللساني لمفهوم الأصواتية، إلى إسهامات مدرسة جنيف الحوارية وفريق البحث السكندنافية، في توسيعها إلى التطبيقات الخطابية؛ استقر البناء النظري لهذه المقاربة التي ما انفكت تتطور، وتأتي بالجديد، وتقدم نموذجاً في التحليل غنياً بالاقتراحات، إن على المستوى النظري، أو التطبيقي.

من أجل التمهيد النظري لتطبيق هذه النظرية على مدونة الرسائل، وضحنا الجوانب النظرية التي نراها ضرورية لإضاءة مسارات البحث التطبيقي، وقد اخترنا أن نتناول في هذا الفصل النظري المدخلي، أولاً تبيان الصلة بين التداولية والنظرية الأصواتية، فتعرضنا لنشأة التداولية ونظرياتها الرئيسية المتمثلة في: نظرية أفعال الكلام لأوستين وسيرل، ونظرية التضمنات عند غرايس، ونظرية التداولية العرفانية عند ولسن وسبربر، ونظرية التداولية المندمجة عند أ. ديكرو وك. أكومبر.

وأعقبنا ذلك باستعراض جهود الباحثين والمدارس ومساهماتها في تطور النظرية الأصواتية، وهي المدارس الثلاثة المعروفة: مدرسة الأصواتية اللسانية التي يتزعمها أ. ديكرو، ومدرسة جنيف الحوارية التي تترأسها إ. رولي، والمدرسة الاسكندنافية المعروفة اختصاراً بالسكابولين، وأشهر أعلامها نولكه وفلوتوم ونورن.

وأتبعنا ذلك بعرض الجهاز المفاهيمي الذي سنتكئ عليه في الفصول التطبيقية، و يتكون هذا الجهاز من: أ) المتكلم/ منشئ الكلام (Locuteur (LOC ب) وجهات

النظر (pdv) Points de vue (ج) الذوات الخطابية الخطابية (Etres discursifs د)

الروابط التلفظية: Liens énonciatifs

في الفصل الأول تناولنا بالدراسة مدونة الرسائل من منظور أجناسي تداولي، وفرعنا هذه الدراسة لتشمل التصنيف الأجناسي التداولي للخطابات ، ثم إشكاليات التصنيف الأجناسي التداولي للخطاب الرسائل، وأخيرا التصنيف الأجناسي لخطاب الرسائل الجاحظي. في المبحث الأول ناقشنا صلة المبدأ الحوارية والعقد التواصلية الشامل بتصنيف الأجناس. وفي المبحث الموالي عرضنا لتحديد المقصود بالسمات الأجناسية الداخلية. وخصصنا المبحث الأخير للتصنيف الأجناسي من منظور التكوين النصي.

أما إشكاليات التصنيف الأجناسي التداولي للخطاب الرسائل ، فقد عالجنا ضمنها: إشكالية التسمية، وإشكالية "التفاعل" ، وإشكالية اللاتجانس الخطابية والأجناسي، وإشكالية الأدبية، متكئين في ذلك على آراء متنوعة لباحثين متعددي المرجعيات، مختلفي المدارس.

وعند تناولنا للتصنيف الأجناسي لخطاب الرسائل الجاحظي ، والينا معالجة القضايا التالية: السمات الخارجية المقامية لرسائل الجاحظ، تسمية الرسائل وتصنيفها / مصدر التسمية ودلالاتها، إكراهات المقام / الكتابة اختيارا لا اضطرارا، لاتجانس الخطاب الرسائل بين الأصواتية والحوارية، السمات الداخلية للخطاب الرسائل عند

الجاحظ، تصرّف الجاحظ في أقسام الرسالة، الخطاب الواصف والعناية بالقارئ العام، نظام التأشيريات الشخصية ، وأخيرا الوحدات النصية (المقاطع) وتراكبها في النص الرسائي الجاحظي.

في الفصل الثاني المخصص لتحليل الأصوات اللساني، تناولنا واسمات التعدد الصوتي على المستوى اللساني الجملي، وتمثل هذه الواسمات في : النفي الجدلي، الاستفهام/السؤال البلاغي، الروابط والعوامل الحجاجية، الموجهات.

فالتحليل الأصواتي اللساني ينحصر في مستوى الجملة، ويمثله في الدراسات اللسانية التداولية نموذج التحليل الذي يقترحه أ.ديكرو (O.Ducrot) ضمن نظريته المعروفة بالنظرية التداولية المندمجة، التي تمتاز عن غيرها من النظريات التداولية بالنظر إلى ظاهرة التعدد الصوتي كظاهرة لسانية يمكن دراستها وفحصها على مستوى البنية اللغوية للملفوظات، من خلال مكونات لغوية متعددة ومتنوعة تنطوي دلاليا على تعليمات تحيل إلى عملية التلفظ، وتدلّ على آثار الأصوات المتعددة التي يحملها الملفوظ، والتي تسند إليها أقوال متباينة وأحيانا متضادة، وتتوزع مسؤوليات كفالتها تلفظياً على عدة متلفظين.

ويقوم النموذج التحليلي الذي يقترحه أ.ديكرو على التمييز بين المتكلم (الناطق بالملفوظ أو منتجه) والمتلفظين، ومادام كل ملفوظ ينطوي على عدة أقوال (وجهات نظر)، يُسند كل قول إلى متلفظ، ثم ينظر إلى موقع المتكلم من هؤلاء المتلفظين عبر

فحص روابط المسؤولية الثلاثة (التماهي، الدحض، التقبل)، وتحدد هذه المسؤولية بحسب الواسم الأصواتي، والسياق التلفظي الذي يرد فيه الملفوظ، فبعض الواسمات تستنفر الأصوات وتُسند إليها أقوالا صريحة في الملفوظ، مثل روابط السببية والتعليل: "بما أن" و"مادام" و"لما كان"، وبعضها يستنفر أصواتا تُسند إليها أقوال تكون مضمرة في بنية الملفوظ، نستنتجها بواسطة الافتراضات المسبقة والتضمينات، مثل النفي والاستفهام.

وجاء الفصل الثالث ليشتمل على التحليل الأصواتي النصي الذي أتاح لنا معالجة قضايا من قبيل: الإحاليات واشتغالها أصواتيا، مستوى التنظيم النصي وإدراج الأصوات، استعادة وجهات النظر واستباقها

فبعد إنجازنا للتحليل الأصواتي على المستوى اللساني، والذي قمنا فيه بفحص اشتغال الواسمات الأصواتية على مستوى الملفوظ /الجملة، ننتقل في هذا الفصل إلى المستوى التالي في التحليل، وهو المستوى النصي لنحاول تبين اشتغال الواسمات الأصواتية منفردة أو مجتمعة في وحدة لغوية أكبر من الجملة، أي على مستوى المقاطع النصية، أو النصوص بكتلتها.

استعنا في هذا المستوى من التحليل بمفاهيم متعددة، منها ما سبق لنا تقديمه نظريا في القسم النظري من البحث، واستعادته في الفصل التطبيقي السابق، كالمفاهيم المتصلة بآليات التحليل اللساني من نفي، واستفهام، وروابط، وعوامل

حجاجية، وموجهات، أو تلك المتصلة بالجهاز المفاهيمي للتحليل الأصواتي، كالتشكيل الأصواتي، والمتكلم، والمتلفظ، ووجهات النظر، وغيرها؛ ومفاهيم جديدة لم نعرض لها سابقا، واستدعى التحليل التطبيقي الاستعانة بها، وضمّنا لعدة التحليل التي نواجه بها مهمات الدراسة الأصواتية لمدونة الرسائل، كمفاهيم وجهات النظر التفاعلية، والاستعادة، والاستباق، والمقاطع الأصواتية، وغيرها.

وقد أقمنا تصورنا لخطة التحليل في هذا الفصل على تدرّج نتناول عبره العناصر

التالية :

بدأنا بالتنظيم النصي ومدى تأثيره بظاهرة إدراج الأصوات التي تعد واحدا من إكراهات المقامات الترسلية لنصوص الرسائل، ونعني بذلك تحديدا أن الجاحظ توّسل الرسالة لممارسة كتابة الردود السجالية، ونقل مقالات الفرق وطروحاتهم الدينية والسياسية، والخوض في موضوعات اجتماعية كانت تشغل بال النخب في عصره.

و أعقبنا ذلك في مبحث ثان بفحص اشتغال الواسمات الأصواتية

Marqueurs polyphoniques على مستوى المقاطع النصية

Séquences textuelles، انطلاقا من افتراض أصبح معروفا في التحليل النصي،

وهو أن الروابط والعوامل الحجاجية وغيرها من الواسمات الأصواتية تؤدي دورا حاسما في اتساق النص وانسجامه، زيادة على وظيفتها النحوية التركيبية على مستوى الجملة، وهو ما تختص بدراسته لسانيات الجملة التي لا تعنى إلا بدراسة الجمل في حالة

استقلالها وتترك للسانيات النص الاشتغال على المقاطع النصية الأكبر حجماً، وعلى النصوص.

وخلصنا من معالجة قضايا التنظيم النصي، وما يتصل بها من تحديد لمستويات التلفظ، و كفالة الملفوظات، وموقع المتكلم (كاتب الرسالة) من وجهات النظر التي يستنفرها التعدد الصوتي على المستوى النصي، ودور الواسمات الأصواتية النصية في إنشاء الظواهر الأصواتية المتمثلة أساساً في وجهات النظر المتضادة في حالة التركيب الاحتوائي (وجهات النظر التفاعلية **Points de vue dynamiques**)؛ انتهينا من ذلك إلى فحص ظاهرة أصواتية نصية خاصة تفرزها الواسمات الأصواتية على المستوى النصي، وهي ظاهرة استعادة وجهات النظر **Reprise de points de vue**، أو استباقها **Anticipation de points de vue** في مواضع معينة من فضاء النص.

وكان ختام البحث بالفصل الرابع الذي تضمن التحليل الأصواتي الخطابي لمدونة الرسائل الجاحظية، وبه كانت تكملة دراسة مستويات التعدد الصوتي كما سطرناه في خطة البحث

فقد تبين لنا مما تقدّم في الفصلين السابقين، أن الواسمات الأصواتية هي آليات تقوم بإيجاد مستويات مترتبة من وجهات النظر، ومن جملة هذه الواسمات - كما رأينا- أدوات النفي والاستفهام، والروابط الحجاجية، والموجهات، والإحاليات، وهي ما يصطلح على تسميته الواسمات اللغوية اللسانية والنصية.

يوازي هذه الواسمات في التحليل الأصواتي نوع آخر لا يقل أهمية، هو الواسمات الخطابية، أو بين-الخطابية، Marqueurs interdiscursifs، وتتمثل في ظواهر بين-خطابية، مثل: الخطاب المستحضر Discours représenté، والأمثال Proverbes، والمشهورات Doxa، والافتراضات المسبقة Présupposé. وهي الظواهر التي سنعرض للتعريف النظري بها والتطبيق عليها في هذا الفصل.

وقد مكنتنا هذه الآليات الأصواتية الخطابية من دراسة قضايا عديدة تتصل بالمستوى الخطابي في مدونة الرسائل، منها: المطابقة بين ذوات الخطاب وذوات الواقع، ومدى هيمنة المتكلم / كاتب الرسائل على التلفظ في خطاب رسائله، وما يترتب على ذلك من تفاوت في كفاءة الملفوظات المكونة لهذا الخطاب. كما أتاح لنا ذلك الوفوف المتأني على ظاهرتي استحضار خطاب الآخر في صلتها مع الظواهر الخطابية المختلفة كحجاج السلطة، والاستشهاد، والدحض، وإقحام القارئ في النص.

ففيما يتعلق بالآليات الأصواتية الخطابية واشتغالها تعرضنا في هذا الفصل للتعريف بها لنقوم بالتطبيق عليها لاحقاً في تحليلنا الخطابي للمدونة. فعلى غرار الآليات اللسانية والنصية، تسهم الآليات الخطابية في إنشاء ظاهرة التعدد الصوتي على مستوى الخطاب، من خلال استنفارها لأصوات متعددة، يستحضر المتكلم خطاباً تصريحا أو تضميناً.

فقد تستحضر هذه الخطابات بواسطة واسمات لغوية، يعتمد عليها في إدراج الأصوات الأخرى المعبرة عن ذوات خطابية تحيل إلى ذوات حقيقية، تُعيّن هوياتها، أو تترك مغفلةً، كما تستحضر بواسطة إيجاءات وتلميحات لا تدل عليها أيّ واسمات لغوية. وعندها لا يتم الاهتداء إلى هذه الخطابات ولا تُرصد آثارها في الخطاب الأصل إلا عبر فحص السياق المقالي والمقامي، قصد استخلاص ما يحمله من تعليمات ومعطيات تكشف عن المواضيع التي يثوي فيها الخطاب المستحضر في النص المعني بالدراسة.

دأب محللو الخطاب على ربط ظاهرة التعدد الصوتي والحوارية في تمظهرهما الخطابي بظاهرة أوسع، هي ظاهرة التفاعل الخطابي، أو البين-خطابية - كما يسمّيها بعضهم - وهي مفهوم استقر في أدبيات تحليل الخطاب، وتكرّس تداوله واستعماله للدلالة على ما يعدّ خاصية جوهرية ملازمة لكل خطاب طبيعي؛ وهي أن كل خطاب لا بد أن يحمل في أطوائه بصورة من الصور خطابات أخرى سبقته، أو يفترض أنها ستكون لاحقة له، بحيث لا يمكننا أن نتصور خطاباً مُبرراً من التقاطع والتفاعل مع الخطابات الأخرى من جنسه، ومن غير جنسه.

وقد أسّس لهذا المفهوم م. باختين (M.Bakhtine) مؤكداً على جوهرية الظاهرة، بقوله: «إن التوجيه الحوارية هو بوضوح، ظاهرة مشخصة لكل خطاب، وهو الغاية الطبيعية لكل خطاب حي، يفاجئ الخطاب خطاب الآخر بكل الطرق التي تقود إلى غايته ولا يستطيع شيئاً سوى الدخول معه في تفاعل حاد وحي، " آدم " فقط

هو الوحيد الذي يستطيع أن يتجنب تماماً إعادة التوجيه المتبادلة هذه فيما يخص خطاب الآخر الذي يتبع في الطريق إلى موضوعه، لأن آدم كان يقارب عالماً يتسم بالعدرية، ولم يكن قد تكلم فيه وانتبهك بواسطة الخطاب الأول»⁽¹⁾

تعددت وتنوعت المقاربات التي سعى أصحابها إلى حصر الظاهرة وتقنينها قصد إخضاعها للدراسة العلمية الجادة. ولعل أشهر الدراسات في هذا الميدان، ما أنجزته الباحثة ج . أ روفيز (Jacqueline Authier-Revuz)، التي اجترحت مفهومي اللاتجانس المظهر، واللاتجانس التكويني . فماذا عنت بهما ؟ وما صلتهما بظاهرة التعدد الصوتي في المستوى الخطابي ؟

تميّز الباحثة بين نوعين من اللاتجانس الخطابي، اللاتجانس المظهر *Hétérogénéité montrée*، واللاتجانس التكويني *Hétérogénéité constitutive*؛ فتعني بالأول حضور خطاب الآخر في النص حضوراً يمكن تحديد موضعه.⁽²⁾ وتميز الباحثة في هذا النوع الأول بين أشكال موسومة (أو صريحة)، وأخرى غير موسومة؛ فتمثل للأشكال الموسومة التي يشار إليها بواسطة صريحة، بـ"الخطاب المباشر، والخطاب غير المباشر، والتنصيب، والخط المائل، والجمل المعارضة"، وتمثل للنوع الثاني بالأشكال غير الموسومة بـ"الخطاب غير المباشر الحر، والتلميحات، والتهكم، والمعارضة الساخرة... الخ"⁽³⁾ ولأجل التعرف عليها، تتطلب

(1) - نقلا عن: تودوروف. ترفيتان: ميخائيل باحتين المبدأ الحوارية، ص125

(2) - ب. شارودود. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص283

(3) - Jacqueline Authier-Revuz, *Hétérogénéité(s) énonciative(s)*, In: *Langages*, 19e année, n°73, 1984. pp. 98-111.p98

هذه الأشكال من المتلفظ الشريك» التوليف بنسب متغيرة بين رصد مؤشرات نصية، وهامشية نصية، وتنشيط ثقافته الشخصية»⁽⁴⁾

أما اللاتجانس التكويني فيمكننا الحديث عنه -في نظر الباحثة - « عندما يسيطر ما بين الخطابات على الخطاب؛ فالخطاب ليس فقط فضاء يتسرب إليه من الخارج خطاب آخر، فهو يتكون من خلال مناظرة مع الغيرية، مستقلا عن كل أثر ظاهر لشاهد أو تلميح»⁽⁵⁾ ويتوافق هذا مع تصور م. باختين (M.Bakhtine) لتجذر ظاهرة التفاعل الخطابي في الخطاب الطبيعي الذي ينتجه أي متكلم. وهو ما يعرف بنظرية التحوارية المعممة.⁽⁶⁾

نسعى في هذا المبحث إلى ضبط تصور للآليات الخطابية التي نقدّر أنها تستنفر ظاهرة التعدد الصوتي في خطاب الجاحظ الرسائلي. وهذه الآليات منها ما هو ناتج عن ظاهرة اللاتجانس الخطابي المعروف أو المظهر، مثل الخطاب المباشر المنقول، والخطاب غير المباشر المنقول، ومنها ما هو ناتج عن ظاهرة اللاتجانس التكويني، كالخطاب غير المباشر الحر، والافتراض المسبق، والمشهورات المضمنة في الملفوظات، والأمثال الشعبية المدججة في النسيج التركيبي للملفوظات، بعد إزالة التكلس عنها. وفي الأسطر التالية نحاول أن نقدّم إضاءة نظرية لبعض من هذه الآليات الخطابية .

وعند التطبيق على هذه المفاهيم قادنا التحليل إلى دراسة القضايا التالية

(4) - ب. شارودو ود. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 283

(5) - نفسه، ص 284

(6) - نفسه، ص ن

أ)ذوات الخطاب وذوات الواقع في الخطاب الرسائلي: حيث حاولنا الكشف عن مدى مطابقة ذوات الخطاب لذوات الواقع، والكيفيات التي تم بها تعيين الذوات نصيا في المستويين التلفظيين؛

- المستوى التلفظي 1: المتكلم(كاتب الرسائل)/ المتكلم له(المراسل)

(1)- المتكلم/كاتب الرسائل (2)- المتكلم له/المرسل إليه

وقد عكفنا في هذا المستوى على دراسة ظاهرتين بارزتين في الرسائل، هما: اطراد استخدام ضمير المخاطب المفرد ، وخلو صدور بعض الرسائل من ضمير الخطاب

-المستوى التلفظي 2: المتلفظون(الصوت الجماعي والفردى)/ المتلفظ لهم

وفي هذا المستوى عرضنا لتحديد موقع المتلفظين(الصوت الجماعي والفردى)، حيث برزت المسائل التي تتعلق بإحالة الضمائر، وهي:

ضمير المتكلم المفرد /اسم العلم الفردي - ضمير المتكلم الجماعي /اسم العلم الجماعي - الضمائر مبهممة الإحالة/الصوت الآخر - ضمير المتكلم /التسميات النعتية

كما عاجلنا في هذا المبحث كيفيات تعيين المتلفظ لهم Enonciataires، والشخص الثالث.

وإلى جانب قضية المطابقة بين ذوات الخطاب وذوات الواقع، استوقفنا ظواهر خطابية أخرى لا تقل أهمية، ترتبط بها وتتداخل كما ترتبط وتتداخل مع القضايا الخطابية المختلفة التي تبرز في الخطاب الرئاسي للجاحظ، ونعني بها: ظاهرة هيمنة المتكلم / كاتب الرسائل على التلفظ، وما يتداخل معها من ظواهر، كظاهرة كفاءة الملفوظات وتفاوت درجتها من رسالة إلى أخرى، وظاهرة استحضر خطاب الآخر باعتبارها تجلياً للتعدد الصوتي، يستدعيها في خطاب الرسائل موقف الحجاج والحجاج المضاد، وحجاج السلطة القائم على الاستشهاد بالقرآن الكريم و الحديث الشريف والحكمة و المثل والقول الشعري وضوت الحكمة الشعبية ممثلا في المواضيع المختلفة المعبرة عن المرسى من الأعراف والاعتقادات وقواعد السلوك السليم.

المقدمة والخاتمة

بالإنجليزية

Preface

So many years ago, people have considered Aljahiz books as a source of literature, wisdom and pure knowledge. Recently, they have said much in the plenty books written about him. Nowadays we still can say that Aljahiz is a teacher of intellect and literature, an issues creator and an owner of proposals that have no limits, because whenever the search reached the point, it starts again and tries to figure out the results that those issues and proposals have led to.

When you ask about Aljahiz contributions in the linguistic field you would be in front of an infinite studies that wrote down his efforts and tried hard to register and analyze them, as well as it showed up his preempts in so many concepts such as polyphony, vocabulary, grammar and lexicology. so far, Aljahiz had contributed in other fields especially Rhetoric and Eloquence, and all that concern both of them by creating concepts and supposing conceptions which are so similar to those found by contemporary searchers and semiologists. Even in Narration, theology, policy and epistemology; Aljahiz is there we can simply say that whenever an issue among, it's mentioned: Aljahiz had given a preemptive view or an initial opinion about it.

These were the motivations that made me (pushed me to) choose Aljahiz as a subject of work and theme of research. They are motivations that can never be neglected in any of works and

especially academic ones that take very hard and big efforts. In what concern the theme itself, I have focused on “epistles “his famous oeuvre, I have found that it deserves attention as well as his other oeuvres.

According to the Bibliographic questionnaire that I have done, I have realize that searchers gave it less attention than the other well-known books, such as : El bayane wa tabyine (Eloquence and demonstration) ; Albukhalaa (the scrooges) ; Alhayawane (the animal), these three books were the most studied in the last decades. This huge focus on the most important books has led to similar researches with a lot of repetition and ruminating, and this was another reason to choose “epistles “ as a theme of my PHD thesis (Doctorate thesis) for the second time after being the theme of my Master thesis, titled “ Epistemological Aesthetic perusal of the argumentative text according to Aljahiz (the epistles as model) “ which I’ve mentioned in its last chapter “ the Eloquence of argumentation in the epistles “ especially in what concern the polyphony, then came the Doctorate, so I had to confirm the rest of the work and go further in my researches about the polyphony phenomenon, in order to reach its two other levels : the textual level and the discursive one ; and I had to go deeper in my researches about all the issues that present the thesis conception. This deep research guided me to think about choosing the right theme which was in the end : “ Writing and persuasion bets – Pragmatism approach to Aljahiz epistles through the concept of polyphony.

The Objectives :

In this research, I'm looking to reveal what the epistles contain as a literary speech of Pragmatic semantic indicators that help to adopt a new vision for this huge quantity of texts. So as we overlook the theory of inferiority which was attributed to it, and we open prospects for reclassifying it, on the one hand, and for estimating its literary and intellectual value on the other.

I have tried to use the study of the epistolary discourse to prepare the facts that might help to find a better treating for the methodic issues raised over Aljahiz's writing method, his digression and encyclopedism, his fluctuating between oral and written eloquence, and the explanation of the contradictory of his opinions from a work to another, and from a position to another in the same work.

I wanted also in this research to raise some problematics about the text Authenticity that we all can see that it might be limited by the Polyphonic analysis in a convincing and satisfying way, and even enlighten all its sides, and because the study of polyphonic levels has discern to us that the scripiter intervenes frankly in the epistle scriptural space sometimes, what push us to wonder : what does it prevent it from intervening not in a frank way or any other way ?

Hypotheses :

The objectives conception mentioned in the text above has led me to definite the thesis Hypotheses and the problems raised over it, so was the first hypothesis about the **epistles** classification under the global noun “ epistles “ or any other relative noun either by dependency or division, and that this reductive classification is trying hardly to margin “ the epistles “ and give the impression that they are “First or second degree literary works “ and what proves all this is the few number of studies done about this subject, and here we are in front of a very important question : To which extent is “ the epistles “ depended classification applicable and right in a Pragmatic perspective ? and does this classification motivate the attention to the Epistles and uncover their educating and methodic worth.

Besides appears the hypothesis that consider that the epistles is often read as one type of discourse or similar textual type, what made us wonder : do the typical markers show us the difference between an epistle and another, in their beginnings and its ends and in the diversity of the discourse types ?

And do their content of discourses and texts show us the diversity of the discourse types that can be involved in each one of the epistles?

I have also hypothesized that each new perusal of the epistolary discourse is a new production of its semantics,

Because we have been in front of a lot of resultant opinions of previous perusals about Aljahiz, where is mentioned his Muatazilit Doctrinal engagement, his alliances and his disputes (arguments), and judge it differently, so I wanted through this Polyphonic Pragmatic perusal to answer the questions raised over that, like: How do the different enunciative markers show what Aljahiz took as stand from those he used their discourses, groups and individuals? And what are the markers? And to what extent can their executive efficacy confirm the widespread opinions about Aljahiz stand from the real persons he discourse with, in his epistles.

The actual situation of the research :

I have mentioned previously the poverty and the few number of the studies done about the epistles, in general, but especially those about the Pragmatic approach, so I can clearly say that I didn't get enough of references that may help me in my research, and enrich the process of “ Epistles chosen models and exemplars analysis , except for the valuable study done by SALIH BEN RAMDHANE about the literary epistles in the old Arabic literature, which was extremely useful and helpful in what concern “ the typical classification of the epistles discourse “ chapter, and also some few other studies that chose the epistles themselves as subject of research by different analyzing perspectives.

That was about the research theme references, but in what concern the depended method references titled the polyphonic Pragmatic method, I didn't touch a big difference, because

As much as it was easy to gather some considerable number of references in the two languages Arabic and French, it was difficult to find Arabic references in touch with the polyphony concept and its applications.

So I depended only on the French references of many searchers who belong to the polyphonic analysis schools, like : Linguistic polyphonic school (O.Ducrot); dialogical school of Geneva (E.Roulet) or the Scandinavian school known by” scapoline “(H. Nolke) and His colleagues.

Despite all those difficulties, I worked hard on getting the most possible aid from the other studies done about Aljahiz's others oeuvres, even just for consultation.

And for not missing any point, I have to signal its practical side and its depended analysis methods, so I say that the practical studies done in the francophonic space mentioned previously, have gave me a lot of enlightenments that guided me to construct the analysis models I have adopted in the application on the models token from the epistles.

The corpus regulation:

I have depended basically, on Aljahiz's epistles “ explained and presented by Ali Abu Melhim in the three parts “ as research corpus

for so many reasons, like the fact that it represent the most current detective (revision) work to present the epistles to the readers. As we can also that it contain detailed indexes, of the partial contents of the epistles, followed by margins that describe a lot of issues, as well as the epistles introductions placed at the beginning of each of the three parts and labeled respectively “ politic epistles”, “ literary epistles and the “ Verbal epistles”.

Even that I have depended basically on this text as a corpus, I have returned when necessary to the investigative texts, to compare and to confirm the information.

And the dealing with the corpus underwent of course to the research constraints, requirements and objectives, and the same did the epistles texts investment by following the research plan, then the examples has been selected from the epistles, and referred to, according to the gradual growth of the research idea, and also to the analysis processes, which I was called to mature them and go through them until the end. Some epistles has been present strongly, some less strongly, and others has not been presented at all for not containing the possibility of the analog citation of the polyphony phenomena.

- The epistle is mentioned for the first time with all its edition notices.
- The epistle is mentioned with its tittle, and the pert that belongs to, if it is mention more than once.

- The part title is mentioned just if the epistle is mentioned over the research text.

The research method

I have previously hinted at the method I depended on, in this research which is the polyphonic Pragmatic method. I have specialized the portal chapter of my thesis to classify its foundations, show its theories and simplify the definition of the conceptual package and its terms.

I would not detail this much if I did not want to clarify the method I depended on, in the corpus analysis, especially because this method has not been transferred to the Arabic language sufficiently, because I didn't find neither Arabic reference nor translated, that shows the polyphony theory and its conceptual package and its terminological system, not only in the electronic data bases but also in the bibliographic lists of the libraries I have visited. So I had to depend foreign language that I have noticed before some of their authors, and it took so much work to translate them, as it was difficult to suggest some terms translation especially those who don't exist in the Arabic studies I have already seen, neither the original ones nor the translated.

I see that it is so important to mention in this preface, that I have follow the steps of the Scandinavian school of the linguistic polyphony, in what concern the method, which gather many

different bents: the linguistic polyphonic bent of Ducrot, the discursive textual polyphonic bent of each one of (E Roulet) and his colleagues in the Swiss research crew (Team), and John Michel Adam, the combination formed to create an analyzing model able to show all the different polyphonic phenomena, whatever was its origin: phrasal linguistic, textual or discursive.

The analysis procedures :

The research method has pushed me to diversify the analysis procedures, and also to use the analysis models that refer to polyphonic pragmatic perspectives from different horizons, what made the linguistic analysis ask for the inspiration from Ducrot's analysis of the made-up terms for a testing purposes, with trying to make it effective in the studies of the original terms, that contain the linguistic polyphonic markers, of negation, question, modality, connection and anaphor.

I did the same for the analyzing model construction, that concern the textual markers, by following what E Roulet and John Michael Adam have done; and by following what Nolke and his colleagues have done in what concern the discursive markers.

The research plan:

It has been clear, through all what is mentioned previously, the general conception of the research plan, so what are its details?

I have divided the research into introduction and four chapters, as I have specialized the introduction to the theoretical foundations,

and I have worked on analyzing the corpus according to the theoretical enlightenments.

I have included in the introduction the theoretical enlightenments that detail more about the research pragmatic origins represented by the most effective pragmatic theories on the polyphonic studies ever, and I meant by this: speech acts theory, conversational implication theory of Grace, the cognitive pragmatic theory of Sperper and Welson, and finally the integrated linguistic pragmatic theory of Ducrot and his colleagues.

This was followed by the definitional presentation of Polyphony theories and its conceptual arsenals, and its terminological systems, that show clearly the polyphony analysis model in its latest manifestations upon the Scandinavian school.

In the first chapter the textual typology of the epistles come up from the perspective of discourse analysis in general, but especially from the pragmatic perspective, so I was compelled to delve into the textual typology of all the discourse types then in the textual typology of the epistolary discourse problematic, and in the end I chose to apply the semantic textual typology concepts on Alhariz's epistles.

And about the three other chapters, where I started to analyze the corpus in a real way, I tried to apply the concepts of the theory mentioned, in text above, on Aljahiz epistles, so I went from the linguistic level in the second chapter to the textual level in the third

one to end up with the discursive level in the fourth chapter in the last as well.

And this way the research circle is all most completed, and by the conclusion that contain all the results I worked hard to get it, the research will achieve its completion.

Annexes and indexes:

In addition to the subjects index and the bibliography, the research process had commanded to add more annexes and indexes to help more in the research evaluation and comprehension, and to explain what was missing in the research text and margins. And I wanted to achieve by them what is below:

- To reduce the margins volume in the search pages, so I kept a special annex to the translated excerpts, and another one to the most important professional masters in the dialogical and polyphonic studies field. And as it customary, these two types of notices should be presented at the margins.

- Ease the access to the corpus evidences by according the cross indexing among the adopted corpus which is “ Alhahiz’s epistles, presented and explained by Ali Bu Melhim “, “ Aljahiz’s epistles and the Othmania book, revised and explained by Abdessalam Haroun”, and “Tarbiaa wa tadwir book, revised and published by Charl Bilat. This is in order o permit the evaluator reader to check any of the sources.

- Enclose the translated terms including in the research text, and indicate their Arabic equivalent, in order to avoid the confusion that might occur sometimes in identifying the term semantic in its Arabic version.

The Difficulties and the horizons:

Before finishing this preface it's necessary to apologize for the flaws existing in this work, which I have worked hard to get rid of them as much I could, and even all that effort I still feel guilty about it, and I still have the feeling that I didn't do my best and I could do more.

In the end of this preface, I see that this research is not more than a raise of the issues and the problems related to the epistolary discourse of Aljahiz, and to the method adopted in its studying, because the issues such as the confidentiality of the epistles and its typological classification and discursive disharmony, seen by a polyphonic enunciative pragmatic perspective, are all in need to a investigator in-depth research that I hope I will keep on working on it as I hope that other searchers realize it too.

Finally I present all my sincere thanks and gratitude to Dr Be Yechou djillali for all his efforts, advices, and patience, and I present also my apologies for everything I have missed in this work.

Conclusion

Our purpose from this research is to examine a band of hypotheses and try to solve some problematic raised over the epistolary discourse of Aljahiz. And to realize that, I chose the the polyphonic pragmatic approach for containing conceptual frames and executive test and examination tools, which permit to us to figure out the different work mechanics of the epistolary discourse on the textual level and the discursive one as well. This approach has also guided us to find out how can the extern constraints and the intern typological textual ones effect the epistolary enunciation levels, and its combination, as it shows also how the epistolary discourse overtakes the constraint of the epistolary utterance and reaches to the The enunciative levels concept has discern the existence of two others levels.

That's why we were wondering about the necessity of revising the epistles typological classification.

From the hypotheses we had begun from, we have the argumentative content control on the epistles texts, what we could confirm it by the analyzing of the excerpts and the reactive points of view. This confirmation was supported by the epistles writer by using polyphonic markers with argumentative touch.

In another side, the **ecart** that characterize the pronominal indications using, and the ranging of its referring to the real persons, between the clarity and the mystery, showing and hiding, have both

show us the response of the speaking epistle writer to the utterance situation and its connectivity with the ideological an emotional stand of the writer from his interlocutors and society; because from an epistle to another, the use of pronouns changes between the plural and the singular , even if the hierarchy of the speaker and the listener doesn't change, what reflects the tensions of the communicative situation with its confusions and conditions.

Then comes the Clear enunciation phenomenon in the epistles to Reveal the distance that separates between the epistle writer and the utterance of persons he used their voices, and as much as he is neutral and discreet, his absence from the enunciative scene increases, and vice versa.

And that was based of course on the measure of the degree of ensure.

These phenomena give polyphonic Epistles pragmatic and dialogic character. This allows the speech enshrined in the epistles themselves as communicative space or hear a variety of voices emanating from the distant past, with everything that characterize differences and ideological and doctrinal differences, including the writer of epistles would both participant witness, as they can be taught to consider carrying a single message that can be summarized in one sentence: the difference of opinion should not affect the need to respect the other one.

المقالان

ISSN : 2170-0931

المعيان

مجلة دورية محكمة تصدر عن المركز الجامعي تيسمسيلت . الجزائر



العدد: 05. جواز 2012

المركز الجامعي تيسمسيلت - الجزائر- الهاتف/الفاكس: 046 47 56 18

منشورات



المعيار



مجلة دورية محكمة تصدر عن المركز الجامعي تيسمسيلت - الجزائر

جولن 2012 العدد 05

المركز الجامعي: تيسمسيلت - الجزائر - الهاتف / الفاكس: 046 / 47 / 56 / 18

ليعلمنا

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير
أ. مرسي رشيد

المركز الجامعي : تيسمسيلت - الجزائر
الهاتف/الفاكس : 046 47 56 18

البريد الإلكتروني :

Rachidmersi@yahoo.fr
ISSN 2170-0931

رئيس الهيئة: د . بن جامعة الطيب. مدير المركز الجامعي تيسمسيلت
المدير المسؤول عن النشر: د . بلحسين محمد. مدير مساعد مكلف بالدراسات.

رئيس الهيئة أ . دردار بشير.

رئيس التحرير أ . مرسي رشيد.

هيئة التحرير

أ . تواتي خالد

د . سامي حيلي

أ . لعقاب الجيلالي

أ . يعقوبي قدوية

أ . بلخياطي الحاج لونيس

الهيئة العلمية

أ.د محمد عباس. جامعة تلمسان.

د. بوسماحة الشيخ. جامعة ابن خلدون. تيارت.

أ.د مختار حيار. جامعة وهران.

أ.د شريط عابد، جامعة ابن خلدون. تيارت.

أ.د عبد الجليل مرتاض. جامعة تلمسان.

د. عبد القادر راجحي. جامعة سعيدة.

أ.د محمد بلوحي. جامعة سيدي بلعباس.

أ.د درواش مصطفى. جامعة مولود معمري تيزي وزو.

التنفيذ: التقني نورة عرجان

تصميم الغلاف: عبد القادر راجحي

فهرس العدد اللغة والأدب العربي

- كلمة العدد.

- 07 د. محمد بلحسين.....
- ثقافة العولة والحوار النقدي الحدائي. هل من استراتيجية؟
- 13 د. مصطفى درواش.....
- تداعيات الخصومة مع التاريخ، تصور المثقف والمتقف المضاد لطبيعة الحراك في المجتمع المغاربي.
- 35 د. عبد القادر رابحي.....
- دور الصورة البيداغوجي في العملية التعليمية
- 47 د. عبد القادر شاكر.....
- التحديدات المعرفية للصورة، المصطلح والدلالة.
- 61 أ. هامل شيخ.....
- تجنيس الخطاب الرسائلي بين المعيارية والانزياح.
- 71 أ. البشر دردار.....
- التكامل المعرفي بين الأسلوبية والبلاغة والنحو (الإشكالية والتطبيق).
- 85 د. السعيد حمودي.....
- الوضع اللغوي في الجزائر بين الازدواج والتعدد.
- 97 د. جيلالي بن يشو.....
- الفضاء الروائي وبنائية النص السردي.
- 113 أ. خالد تواتي.....
- جدلية الوطن والغربة في القصة الجزائرية الثورية. قراءة تحليلية بنوية في قصة "وجود.. ولكن" لعبد الله ركيبي.
- 121 أ. أوريدة عبود.....
- الفضاء الجغرافي والتحويلات النصية في الشعر الجزائري المعاصر.
- 131 د. محمد الصالح خرفي.....
- الانسجام النصي في قصيدة "جميلة" للشاعر عقاب بلخير.
- 143 أ. صالح غيلوس.....
- شعرية القصيدة العربية الكلاسيكية.
- 155 أ. محمد مصاييح.....
- ظواهر إيقاعية في غزل ابن زيدون.
- 169 أ. حفضر هدروق.....
- القراءة البنيوية والخطاب الشعري الجاهلي.
- 183 أ. خيرة بن ضحوى.....

- الاحتباك في الخطاب القرآني. قراءة في جمالية التماسك النصي.
- 193..... د. مختار بن قويدر.....
- تأويل المشكل النحوي في القرآن الكريم، قراءة علماء التراث في حل الإشكالات النحوية.
- 209..... أ. بلقاسم عيسى.....
- تجليات الأسطورة في القصيدة العربية المعاصرة
- 225..... أ. بدرية سفير.....
- دور المستشرقين في تدوين الموروث الشعري الشعبي في الجزائر "صوتك" نموذجاً.
- 235..... د. ليلى صديق.....
- تجليات المنهج البنيوي في تفكير عبد القادر الجرجاني.
- 245..... - مريم مزايقي.....

العلوم القانونية والإدارية

- البديل الإسلامي للدول العربية في تجاوز عدوى الأزمات المالية العالمية.
- 261..... د:بن داود براهيم.....
- أثر التنمية المستدامة على العقد الإداري في الجزائر
- 279..... د:عبد المنعم بن أحمد.....
- مشروعية الضرورة العسكرية في الموائيق والصكوك الدولية
- 293..... أ:روشو خالد.....
- الخاصية التكميلية للقانون العضوي ودورها في صيانة الدستور (دراسة مقارنة).
- 305..... أ:شتوحي مصطفى.....
- ماهية جرائم الإنترنت.
- 317..... أ: نبيلة هبة هروال.....
- الحق في السلامة الجسدية بين الطابع الفردي والاجتماعي.
- 337..... أ: يوسف بوشي.....
- أثر تدخل البنك الملزم لإنقاذ المشاريع المتعثرة على مسؤوليته المدنية.
- 361..... أ: نورة سعداني.....
- آلية الوساطة القضائية في حل النزاعات.
- 371..... أ: عبد القادر علاق.....
- الحماية الجنائية لسلامة المستهلك " جريمة الإخلال بنظافة المواد الغذائية" -نموذجاً-.
- 387..... أ: فاطمة بحري.....
- مواضع الشهادة في القرآن
- 401..... يوسف بن الشيخ.....
- الحق في التنمية.
- 415..... أ: محمد بلفضل.....

متفرقات

- بين العدوانية والعنف المدرسي-دراسة مقارنة-
أ: عيد القادر شعشوع..... 445
- الإسلام والتنشئة الاجتماعية.
أحمد دانة 435
- عوامل النفور من التعميم التقني والمهني-دراسة ميدانية-
د: عبد النور أرزقي..... 499

توزيعات غير موزعة

- 185
- 175
- 165
- 155
- 145
- 135
- 125
- 115
- 105
- 95
- 85
- 75
- 65
- 55
- 45
- 35
- 25
- 15

تجنيس الخطاب الرّسائلي بين المعيارية والانزياح

.. درع البشير

المركز الجامعي - تيسمسيلت

يفترض الخوض في موضوع تجنيس الخطابات الرّسائية التعرض لإشكالات متعددة ومتشابهة، قد لا نجد لها في معالجة أجناس خطابية أخرى. وتتعلق هذه الإشكالات بمستويات التحليل المختلفة؛ اللسانية والتلفظية والخطابية، في حال تمايزها كما في حال تداخلها وتفاعلها. ومما ينفرد به الجنس الرّسائلي من قضايا لا تزال تثير الجدل؛ قضية التسمية وتفلّت دلالاتها، وظاهرة اللاتجانس الخطابي والجنسي، ومشكلة الأدبية وحدود الاستدلال عليها، وقضايا أخرى عديدة، كخصوصية العقد التواصلية في الرّسائل، والإكراهات المتصلة به على الصعيدين المقامي والخطابي. ولَمَّا كانت الاستفاضة في معالجة كلّ هذه القضايا متعذّرة في هذا المقال، فسنتصر فيما يأتي على استثمار المفاهيم التداوئية الأساسيّة في إبراز الخصائص التّجنيسية (الخارجيّة/ المقاميّة)، و(الدّاخليّة/ الخطابيّة والنّصيّة للجنس الرّسائلي).

1- الخصائص التّجنيسية الخارجيّة للخطاب الرّسائليّ

يلفت انتباهنا اسم الجنس الرّسائليّ ممثلاً في لفظ (رسالة) إلى خاصية مميّزة قد لا توجد في غيره من أسماء الأجناس، حين نطلق في مقاربتها دلاليًا من منظور الحوارية الباختينية القائلة بوجود هرميّة أجناسيّة ذات طبقتين كبيرين، طبقة الأجناس الأوّليّة التي تندرج فيها أجناس الخطابات العادية التي تنتج في يوميات الناس العادية، وضمن أوضاع الحياة الواقعيّة، فتشمل أنواعاً من السّرد، والحجاج، والوصف⁽¹⁾... وغيرها، وطبقة الأجناس الثّانويّة التي تحتضن الخطابات المعنى بصياغتها والتي ترتبط بمقامات خاصّة ومؤسسية، كأصناف الخطاب الأدبي، والخطاب العلمي، والخطاب الإيديولوجي... الخ⁽²⁾.

فالخاصيّة المميّزة لاسم الجنس الرّسائليّ هو أنّ الاسم نفسه يغطّي الأجناس الأوّليّة للرّسالة والأجناس الثّانويّة، بصورة تجعل الدّلالة الاصطلاحية لهذا الاسم ضعيفة وغير دقيقة. ولعلّ هذا ما سبب في الماضي ظاهرة الإعراض عن الاعتراف بالأجناس

الرسائلية الثانوية عند الغربيين، على غرار ما فعل (غوستاف لانسون) Gustave (Lanson) الذي استبعدها من تصنيف الأجناس الأدبية، بدعوى أنها مجرد محادثات مكتوبة، وأصرّ على موقفه ذلك، حتى في موقف الحكم على رسائل الأدباء عندما قال: «إنها أعمال ليس لها من الرسائل إلا الاسم»⁽³⁾. والوجه الآخر من إشكالية اسم الجنس الرسائلي هو استعصاء الأجناس المدرجة تحته على التصنيف، لكثرة عددها وتنوع خصائصها المقامية والخطابية والنصية⁽⁴⁾، فقد أُحصي في العصر القديم بأوربا «ليس أقل من تسعة وأربعين شكلاً من الرسائل، دون حساب الأجناس المتعددة للمراسلات المهنية»⁽⁵⁾. وفي أدبنا العربي القديم ولّد اسم الجنس الرسائلي إشكالا من نوع آخر، هو وقوع الدارسين العرب المعاصرين في مأزق التصنيف العشوائي للرسائل، كما يذهب إلى ذلك صالح بن رمضان، منبها إلى أن ذلك التصنيف «قد حجب... إمكانات أخرى يمكن أن تعتمد في تصنيف الرسائل، منها أجناس الخطاب وخصائص التلطف»⁽⁶⁾ التي من شأنها أن تساعد على ضبط تصنيف أوفى من حيث دلالاته على خصائص كل جنس من الأجناس الفرعية التي يجمعها.

1-1- "التفاعل الرسائلي ومقتضيات التماقد التواصلي" يدي كثير من الباحثين تحفظهم على إمكانية وجود "تفاعل" تواصلي عبر الكتابة⁽⁷⁾، ويتأسّف آخرون على ما جنته اللسانيات الشكلية على أجناس من الخطاب قدرها ألا تتحقق إلا من خلال الكتابة⁽⁸⁾. فيسعون إلى إيجاد توليفات من المفاهيم علّها تسعفهم في دراسة هذا النوع من الخطابات دون الإخلال بالشروط العلمية للبحث الأكاديمي، كما فعل (دومينيك مانغونو) (Dominique Maingueneau) في كتابه (Pragmatique pour le discours littéraire) عندما اجترح مفهوم (القراءة باعتبارها تلفظا) دعما وتكملة لمفهوم (التعاقد الأدبي)⁽⁹⁾. فضمن أيّ تصوّر يمكننا مقارنة خاصة (التفاعل) ونسبتها إلى الخطاب الرسائلي؟ وما هي الإكراهات المقامية التي تنتج عن هذا التفاعل في حال إقرارنا بوجوده؟

لمحاولة مقارنة موضوع (التفاعل) في الجنس الرسائلي، نستعين بالمقارنة التي أجزتها ك.ك. أوركويوني (Catherine kerbrat-Orechionni) بين التفاعل الرسائلي والتفاعل الشفوي (في المحادثة) في مقال لها بعنوان (L'interaction épistolaire)، إذ انتهت الباحثة إلى إبراز الفروق التالية:

- التباعد الزماني والمكاني يتيحان للمرسل الكاتب فسحة من الوقت لصياغة أقواله بعناية، ويعطيانه فرصة إعادة النظر فيها وتصحيحها وتنقيحها بالزيادة والنقصان والحذف والإضافة، وهو ما لا يتاح في المحادثة.

- الاختلاف المتعلق بالمؤثرات الصوتية غير اللغوية والحركات والإيماءات التي تغيب في التواصل الكتابي، والتي يحاول الكتاب تعويضها دون نجاح كبير من خلال علامات الترقيم، والعبارات ذات الوظيفة التنبيهية... الخ.

- غياب التفاعل بمعناه الاصطلاحي الدقيق لتعذر التلقي الآني لكلام المحاور في التواصل الكتابي، فيقتصر التواصل على التحدث دون التحدث⁽¹⁰⁾، مما حدا بالباحثين إلى الحديث عن تفاعل مؤجل إلى حين قراءة الرسالة (القراءة باعتبارها تلفظاً، عند د. مانغونو⁽¹¹⁾)، وينتج عن هذا الإكراه المقامي تأثيرات على المستوى الخطابي والنصي، تؤدي إلى اصطناع الكاتب لمواقف وردود أفعال يتوقعها وينسبها إلى المخاطب، وتحوّل من أدوار الكلام المترامنة إلى أدوار الكتابة المتعاقبة زمنياً.

- افتقاد المقام التواصلية المشترك، وينتج عنه في الرسالة حرص على تعيين هوية المرسل والمكان والزمان، وينعكس ذلك بالضرورة على التكوين النصي من حيث استخدام الإشارات المكانية والزمانية وأزمنة الأفعال⁽¹²⁾.

ويذهب صالح بن رمضان في نفس الاتجاه مؤكداً على الإكراهات المقامية التي تنعكس تأثيراتها على المستوى النصي والخطابي، مع نزوع إلى إبراز ما اختص به الخطاب الرّسائلي العربي القديم من خصائص مقامية. ففيما يخص إكراهات المقام الرّسائليّ يشير الباحث إلى الإكراهات التي تتعلّق بكل من المتكلم والمخاطب، ثم إلى تلك المتصلة بالزمان والمكان.⁽¹³⁾ فالمتكلم يعفى من ضغوط تتصل بالمواجهة والارتجال وعمل الذاكرة، وبالمقابل يُطالب بتضمين رسالته قدراً من المعارف والاستشهادات، وإحكام بناء الرسالة وتقسيمها، في حين لا يستفيد المخاطب من حضور المتكلم في فضاء المواجهة وما يحمله من تعابير غير لغوية صوتية وحركية، ويعفى من ضغط التلقي المباشر الذي يحتم رداً آنياً⁽¹⁴⁾. والمخاطب قد يكون فرداً معيّناً أو متعدداً، وقد يكون معيّناً ويخاطب من ورائه عامة القراء «وقد يجتمع الوضعان في بعض أنماط الترسل فيكون المخاطب مزدوجاً، أحدهما مصرح به في النص، مذكور في المقدمة، كابن القارح في رسالة الغفران، ولكنه يتخذ مطية لمخاطبة قارئ عام»⁽¹⁵⁾، كما أن للتفاوت بين زمن الإنشاء وزمن التلقي - في نظر الباحث - آثار تتجلى في بروز حوارية أو أصواتية في حمل الرسالة للمفوضات المخاطب، يستحضرها المتكلم في خطاب رسالته، إلى جانب الإشارة إلى زمن الكتابة وربما زمن تلقيها. وهذان الأثران لا يكونان بنفس الصورة في التواصل الشفوي⁽¹⁶⁾.

يضاف إلى ما تقدم في أطروحة صالح بن رمضان حول الإكراهات المقامية للجنس الرّسائلي آثار التباعد المكاني، إذ «تنطوي خصائص التخاطب من حيث التعبير

عن التباعد في المكان على تناقض محتوم: فهي ترمي إلى إلغاء التباعد ولكنها تعمقه في الآن نفسه»⁽¹⁷⁾. ويُلمحاً إلى تجاوز التباعد المكاني في الخطاب الرسائلي بإدراج عناصر سياقية نصية تتعلق بمتابعة المرسل أحوال المرسل إليه، وتوقعها. وهي العناصر التي تساعد القارئ غير المعني مباشرة، على تأويل الخطاب الرسائلي وحسن التفاعل معه. كما تساهم سمة التباعد في «كسر التخاطب الثنائي الذي تقوم عليه المراسلات ومن مجاوزته إلى تخاطب منفتح على عامة القراء»⁽¹⁸⁾ ويمكننا أن نسمي ذلك إضاءة السياق التواصلي الذي يتم من خلال مسرحة الأصوات المستحضرة في الرسالة:

2.1- اللاتجانس الخطابية والجنسية في الرسائل: من الخصائص التجنيسية الخارجية البارزة في الخطاب الرسائلي خاصية اللاتجانس الخطابية والجنسية⁽¹⁹⁾، إذ يتسع هذا الخطاب لحمل شتى أنواع الملفوظات بحسب المقام الذي ينتج ضمنه، وهي خاصية عامة تميز كل الخطابات وفق التصور الباختييني، وينفرد الخطاب الرسائلي -وهو حوارى بطبيعته- بحضور خطاب المخاطب فيه إما عن طريق الاستحضار المظهر الصريح أو عن طريق المضمرة والافتراضات المسبقة. كما أن الخطاب الرسائلي من الطواعية والمرونة بحيث يستوعب أشكالاً لا حصر لها من اللاتجانس الأجناسي، إذ «تستطيع الرسالة التي هي جنس محدد من خلال مقصدها الخاص، أن تكون شعراً أو نثراً، ويمكنها أن تمتلك الموضوعات الأكثر تنوعاً دون أن تتوقف مع ذلك، عن أن تكون رسالة»⁽²⁰⁾ وهذه الظاهرة يسميها باحثون آخرون بتداخل الأجناس، كأن يُحمّل خطابُ الرسالة في جنس آخر، أو يكون هو حاملاً لأجناس أخرى، كالقصة أو الموعظة، أو المناظرة... وغيرها من الفنون النثرية والشعرية. وقد لاحظ صالح بن رمضان «أن لحضور الرسائل في أدب الأخبار والسير وانفتاحها على أجناس السرد الذاتي واحتضانها لمقاصد الخطابة والشعر صلات أدبية تمثل جميعها وجوها من التداخل بين الرسائل وهذه الأجناس»⁽²¹⁾.

ونخلص مما تقدم إلى أن هذه الخصائص المقامية التي عرضنا لها بإيجاز، ميرزين ما ينجم عنها من إكراهات تمارس تأثيراً مؤكداً على ما أسماه (د. مانغونو) (D.Mainguenu) التعاقد الأدبي باعتباره انزياحاً عن العقد التواصلي الكلي الذي نادى به شارودو⁽²²⁾. فمجمّل الإكراهات التي أتينا على ذكرها، ولاسيما تلك التي تعدّل صورة التفاعل مقامياً وتلفظياً في الخطاب الرسائلي، تفرض تصور تعاقد يأخذ في الحسبان تأجيل التلقي، ومن ثم تعليق إنهاء عملية التلفظ واكتمالها إلى حين قراءة نص الرسالة، فيكون التعاقد الأدبي - في حالة الرسائل الأدبية- متضمناً لقواعد تتصل بتعويض المؤثرات المقامية التي يغيبها التباعد المكاني والتفاوت الزمني، كما يتضمن

اتفاقا ضمنيا بين الكاتب ومخاطبه المعني بالرسالة، وربما جمهور القراء من ورائه حول مسارات التأويل التي ينبغي أن يسلكوها جميعا، أو كلاً حسب مقام التلفظ/القراءة الذي يخصه. يقول (د. مانغونو) (D. Mainguenu): «إننا إذن حيال نموذج استراتيجي للقراءة، لا نموذج خطي. فالكاتب يتعين عليه أن يضع فرضيات حول فك شفرات نصه، وأن يفترض أن القارئ كما يتصوره يشاركه فهم أنظمة التشفير (الثقافية واللغوية) التي يعتمد عليها. وبالمقابل يكون على القارئ أن يبتني لنفسه تمثلاً لما ستكون عليه سيرورة النص، مفترضا أن الكاتب يخضع لنظام تشفيري معين»⁽²³⁾ وهو ما يكفل له نظريا تأويلا له درجة ما من المقبولية.

2- السمات التجنيسية الداخلية لخطاب الرسائل:

إن استخدام الكتابة في التواصل عامة تترتب عليه آثار تمس الجوانب التكوينية النصية للخطاب، إذ يوصف المكتوب عادة بأنه ملفوظ مستقل عن مقامه، مما يجعله ينغلق تدريجيا على نفسه «ويبني مجموعة من الرواسم الداخل نصية؛ وتنتشر فيه التوابع التركيبية بأكثر ما يكون من الضبط»⁽²⁴⁾. وينطبق هذا أكثر ما ينطبق على الخطاب الرسائلي لكونه النموذج الذي يمثل التواصل الكتابي بامتياز. ويأخذ ذلك صورة تَنَاطُرٍ في العديد من الجوانب صورة التواصل الشفوي، وهو ما يحفز الباحثين على فحص كلا النمطين من التفاعل من خلال مقارنته بالآخر. فيقابل احتضان السياق للتفاعل في المحادثة الشفوية غيابه في المراسلة، وتقابل آنية التلقي وتداخله مع البث في المحادثة تعليقه وتأجيله وتمييزه في المراسلة... وهكذا مع الكثير من جوانب التواصل المقامية والخطابية والنصية⁽²⁵⁾.

1-2- أقسام الرسالة/ القاعدة والاستثناء: يشير (ج.م. أدام) (J. M. Adam)

وهو يحلل البنية التكوينية للشكل الرسائلي، إلى التقليد القروسطي الأوربي، الذي يهيكل الرسالة ضمن خمسة أقسام: التحية، الاستمالة الطوعية، السرد/العرض، الطلب، الخاتمة. ثم يعقبه بعرض التقليد الكلاسيكي الغربي الذي يجعلها ثلاثة فقط: الاتصال بالمرسل إليه، عرض الموضوع ومعالجته، وإنهاء الرسالة⁽²⁶⁾. أما من منظور تداولي ونصي، فينبغي الانطلاق -في نظره- من وجود وحدة نصية كبرى هي (النص الحوارى الثنائي) الذي يتضمن تخطيطا نصيا إكراهيا: مقاطع تنبيهية في المقدمة والخاتمة من جهة، ومقاطع تفاوضية تشكل جسم التفاعل من ناحية أخرى⁽²⁷⁾. ليخلص من ذلك إلى أنه ينبغي أن نميز في البنية الشكلية لكل نص رسائلي المخطط النصي القاعدي التالي⁽²⁸⁾:

صدر أو افتتاح <i>Ouverture</i>	مخاطبة استهلاكية <i>Exorde</i>	متن أو جسم الرسالة <i>Corps de la lettre</i>	تخلص <i>Péroraison</i>	خاتمة أو اختتام <i>Clôture</i>
ذكر العنوان والتاريخ والمكان <i>Termes d'adresse & indication de lieu et de temps</i>				إنهاء الرسالة والإمضاء <i>clausule et signature</i>
1	2	3	4	5

والملاحظة التي يمكننا أن نبديها حول هذا المخطط هو أن التقليد العربي، كما يتجلى في نصوص الرسائل التي وصلتنا يهمل في الغالب الأعم ذكر المكان والزمان، رغم ما تضمنته بعض الرسائل من الإشارة إليه والمؤاخذه على تركه⁽²⁹⁾. ويعلل صالح بن رمضان ذلك بـ: «أن التخاطب الثنائي حَمَلَ الكِتَابَ في رسائل كثيرة على إهمال هذا العنصر، إذ كانوا يعولون على معرفة المخاطب بمكان صدور الرسالة وزمنه، فيكتفون باستعمال الإشارات المكانية والزمانية من قبيل هنا وهناك، وهذا البلد أو الإشارة إلى أحداث ووقائع معينة... الخ»⁽³⁰⁾. والمفارقة هي أن التقليد الغربي كما يوضح أدام ذلك، يتسامح في القسمين (2) المخاطبة الاستهلاكية و(4) التخلص، مخالفاً بذلك التقليد العربي الذي يبالي في العناية بهما. ومردّ ذلك - في نظره - إلى أنهما فضاءان خطايان انتقاليان (مقدمة للتهيئة، وتدريج نحو الختام) يقعان بين لحظتي الابتداء والانتهاء من جهة، وجسم الرسالة من جهة ثانية. وهما اختياريان لأنهما يؤديان وظيفة تهيئية، أي تهيئة تلقي التبادل بصيانة وجه الآخر (المخاطب) من خلال إدراج الموضوع والتمهيد له، ثم تلخيص الإقناع وإنهائه، عبر اللجوء إلى الإثارة الانفعالية (جرعات انفعالية تأثيرية) تهيئ للتفاعلات المستقبلية مع المرسل إليه⁽³¹⁾.

يختلف التقليد العربي القديم إذن عن التقليد الغربي في الأقسام التي يمكن الاستغناء عنها، أو لنقل فيما هو اختياري وما هو ضروري من هذه الأقسام. إلا أن هذه الملاحظة ينبغي أن تردف بالإشارة إلى أن التقليد الغربي في هذه المسألة يخص كل الأجناس الرسائية، أما ما قلناه عن التقليد العربي القديم فلا يعني سوى الرسائل التي عدها مؤرخو الأدب ودارسيه ضمن الموروث الأدبي.

أما جسم الرسالة فهو القسم الأقل خضوعاً للتنميط، فليس بالمستطاع حصر خصائصه الماثرة، ولا وصفها بالاطراد والثبات. ولذلك أسباب تتعلق أساساً بتنوع المقامات التي ترتبط بها أنماط لا حصر لها من الرسائل، الأمر الذي يتولد عنه على

المستوى التكويني طوعية جسم الرسالة لحمل مضامين متنوعة عبر تنوعات نصية تتناسب مع المكون المهيمن والمقاطع التي يتركب منها.

يذهب أدام إلى أن جسم الرسالة قد يتضمن مقاطع وصفية، أو سردية، أو تفسيرية- تبريرية، أو حجاجية، كما يمكنه أن يقتصر على تحضير فعل خطابي بسيط (شكر، طلب، تعزية). وكل هذه الخيارات التكوينية متاحة في الرسالة دون قيود تذكر. فبحسب أجناس الرسالة نستطيع التنقل بدرجة معينة من الحرية، من موضوع إلى آخر في جسم الرسالة. وهذا التنوع يفسر التخطيط الطبع لجسم الرسالة والإمكانات الوفيرة لتقطيعه، إذ يكفل الانتقال من فقرة إلى فقرة القفز من موضوع إلى موضوع آخر⁽³²⁾.

2-2- الخطاب الواصف في صدور الرسائل وخواصها: يسم الخطاب الواصف

المحمول في خطاب الرسائل المقام التلفظي الذي أنتج فيه، من خلال توظيف العناصر التأشيرية، التي تؤدي وظائف متعددة، ومنها على الأخص الوظيفة التنبهية. ويتجلى ذلك أحيانا في كثرة الإحالات إلى الإطار المكاني والزمني، بصورة تعكس الإكراه المقامي الذي يسعى كاتب الرسالة إلى تجاوزه، عبر استحضار المقام ونصبه في النص متوسلا إلى ذلك بالخطاب الواصف، الذي يكشف المفارقة التي تميز الخطاب الرسائلي، فهو بقدر ما يوهم بالحضور يؤكد الغياب⁽³³⁾.

تؤكد ك. ك. أوركيوني في وصفها للخصائص التكوينية للصدور (الافتتاحيات) والخواص، على أن الاستراتيجيات فيها تتمثل فيما يلي:

- لا تشمل افتتاحيات الرسائل من حيث المبدأ على عبارات التحية، إذ تحمل محلها العبارات الدالة على العنوان.

- تختلف الجداول الإبدالية لعبارات النداء المستعملة في الكتابة عنها في المشافهة (عزيزي فلان...) للتخفيف من التأثيرات السلبية للتباعد المكاني.

- في أعقاب النداء قد ترد عبارات تمنّ تحضر ومستقبل المرسل إليه بالنسبة لزمان كتابة الرسالة.

- ترد في الافتتاح غالبا تعليقات على الإطار الفضائي الذي يوجد فيه الكاتب/ المرسل، أو المرسل إليه أحيانا، أو كلاهما. وقد تردف بعبارات الشكر من جانب المرسل إليه في رده.

- تغلب على الرسالة الأساليب الإنشائية، لاسيما الطلبية منها كالأمير والتمني⁽³⁴⁾.

أما في الاختتام فانتهدت الباحثة إلى رصد الخصائص التالية:

- قد يحدث خرق لقواعد التخلص/ ما قبل الاختتام، فيكون استثنائياً، كأن يحدث فيه استئناف غير متوقع للكلام، لأجل إضافة أو تصحيح وما شابه.
- يُلجأ أحياناً في الخواتم إلى تبرير إنهاء الرسالة بالمشاغل، أو نفاذ القول في الموضوع، أو غير ذلك من التبريرات. وقد تشتمل على عبارات تلطيفية (أسف، وعد، الخ)
- استعمال ملفوظات إنجازية Performatifs مثل (أتوقف هنا)، (أتركك)، (أو مصحوباً بموجه أخلاقي (يجب أن أتركك)).

- استخدام ملفوظات تحدد طبيعة العلاقة الاجتماعية العاطفية
- قد تشتمل الخواتم على عبارات الشكر، والتمنيات (الدعاء) المختلفة، كتمني اللقاء، أو دوام الصحة والعافية، أو طلب الجواب.⁽³⁵⁾
ولأجل الوقوف على خصوصية الخطاب الرسائلي العربي القديم، فيما يتصل بصدور الرسائل وخواتمها، نحاور الدراسة القيمة التي أنجزها صالح بن رمضان حول هذا الخطاب في الأسطر التالية.

ينطلق الباحث من القول بأن الدعاء في الرسائل قول أدبي "يحمل خصائص التلفظ في مقام الرسالة الخاص وسياقها اللغوي المتصل بأوضاع التخاطب"، وتتنوع صيغ إدراجه ووظائفه بحسب مقتضيات المقام الأدبي للترسل، كالعلاقات السياقية التي تربطه بأقسام الرسالة، أو العلاقات المقامية التي تربطه بمراتب المخاطبين. ثم يقف عند ممارسات الكتاب، فيشير إلى وجود تنازع بين الرسائل

الأدبية كممارسات خطابية والتقنيات التي وضعها منظرو الخطاب الرسائلي القدماء لأسلوب الرسائل، وما نجم عن ذلك من خرق لهذه المواضع أحياناً للتوفيق بين السنن الاجتماعية الثابتة والمتطلبات الأسلوبية والخطابية المتغيرة لخطاب الرسائل⁽³⁶⁾.
وإذا كان لا بد من التفصيل والتمثيل، فإن الباحث يتعرض إلى تحديد صيغ الدعاء في صدور الرسائل وخواتمها وتقييدها بقواعد صارمة، ومثل لذلك بما فعله كاتبان ممن نظروا لكتابة الترسل قديماً، وهما: إبراهيم بن المدبر (ت 279هـ) وسليمان بن وهب (ت 272هـ) بحيث وضعاً صيغاً للدعاء تعكس مراتب المخاطبين وأغراض الرسائل، بل و تناسب أقسام الرسالة أيضاً. يقول ابن المدبر على سبيل المثال موجهها الكتاب: "وليكن ما تحتم به فصولك في موضع ذكرى البلوى (...): "نسأل الله دفع المحذور، ونسأل الله دفع السوء"⁽³⁷⁾، أما وظائف الدعاء فمتعددة منها مثلاً التلطيف في رسائل شكوى الزمن، كما أن للدعاء وظائف خطابية مثل وقف دفع الكتابة والتهيئة لإنهاء التخاطب الرسائلي، وله وظيفة اجتماعية هي إقرار وتثبيت التراتبية الاجتماعية. وقد عمل على ترسيخ هذه الطقوسية كتاب الدواوين، وأكثرهم من مشاهير كتاب

الرسائل⁽³⁸⁾، لما كانوا يضطلعون به من مهام إدارية رسمية، انطلاقاً من الإيظوس المستعلي لكاتب الديوان المقرّب من السلطة. إلا أن الكتاب لم يلتزموا بهذه الصيغ الطقوسية الثابتة التزاماً كاملاً، فقد تمرد عليها الكثير منهم، ومنهم من دعا صراحة إلى ترك الكاتب يتصرف فيها وفق مقتضيات مقام التخاطب وسياق النص. يقول محمد بن عبد الغفور الكلاعي: "مما يجب على الكاتب أن يتحرى في الدعاء الألفاظ الرائقة، والمعاني اللاتفة، ويتوخى من ذلك ما يناسب الحال ويشاكل المعنى ويوافق المخاطب". وهذا بالفعل ما طبقه بعضهم فحرق قواعد الاستعمال التي تحدث عنها ابن المدبر وأمثاله، فوجدنا إبراهيم الصولي يستعمل صيغة "جعلت فداك" في رسالة استعطاف إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المتوكل. وكذلك فعل الجاحظ في رسائل المدح الجاد والعتاب الساخر (رسالة الجد والهزل، ورسالة في مدح أبي الفرج بن نجاح مثلاً⁽³⁹⁾). وفي هذا النوع من الانزياح الخطابي ما يكشف عن استعصاء التصنيف الصارم للخصائص التكوينية للجنس الرسائلي، حتى في أقسامه الأكثر خضوعاً للطقوس الخطابية.

3-2- الضمائر وتعيين المرادف التوصل: يعد طرفا التواصل أو أطرافه عناصر

أساسية في المقام التواصل، ويتم تعيينها من وجهة نظر لسانية تلفظية، بواسطة المصطلحات التالية: المتكلم والمخاطب، أو المتلفظان الشريكان، أو المرسل والمرسل إليه. أما على المستوى النصي فيتم الإرجاع إليهما بواسطة الإشارات الشخصية التي تشترك مع باقي عناصر النظام التأشيري⁽⁴⁰⁾ في ربط الخطاب بمقامه التلفظي، ومن ثم تهيئة شروط تلقيه وتأويله اعتماداً على التعليمات التي يتضمنها الوسم اللغوي للمشاركين في التلفظ وزمانه ومكانه وسائر عناصر السياق المقامي والنصي.

وتسمى هذه الوحدات اللغوية، ومنها الضمائر أيضاً واصلات لأنها تقوم بوظيفة ربط الملفوظ بمقام التلفظ. فتبرز بذلك الانعكاسية الجوهرية في النشاط اللغوي، إذ يتحدد الملفوظ بالتلفظ، كما يتحدد التلفظ بواسطة الملفوظ. هذا على المستوى اللساني النظري، أما إذا انتقلنا إلى تطبيقات التحليل النصي، فتطرح الواصلات ومنها الضمائر بطبيعة الحال، مشاكل عدة، خاصة في ذلك النوع من النصوص الذي يتحول فيه فضاء النص إلى فضاء إحالة للنص نفسه، أو في حالة تضمن النص لعدة أنظمة متراكبة لرصد العناصر المقامية، كحالة الخطاب المستحضر. لذلك ينبغي تحليل الواصلات باعتبار مشهد التلفظ الذي أسسه الخطاب⁽⁴¹⁾.

في حالة الخطاب الرسائلي، تحضر الإشارات الشخصية بقوة، وخاصة ضمائر المتكلم والمخاطب، باعتبارهما من الخصائص التكوينية المائزة لهذا الجنس من الخطاب،

وبالتحديد في أقسام الرسالة ذات الوظيفة التنبهية والإحالية التي تربط الخطاب بمقام التلطف كتابة وقراءة. كما قد يعدل في بعض أجناس الرسائل إلى استخدام ضمائر أخرى، كضمائر الغياب، أو ضمائر جماعة المتكلمين والمخاطبين، استجابة لمقتضيات بعض المقامات الخاصة المرتبطة بالتراتبية الاجتماعية، أو بطبيعة العلاقة الاجتماعية والعاطفية بين المتخاطبين... وهكذا.

وقبل الخوض في مسألة توظيف الضمائر في الخطاب الرسائلي العربي القديم، يحسن بنا أن نقف عند الجانب النظري النحوي المتصل بالوظائف التداولية لهذا النوع من العناصر الإشارية. فالضمائر في العربية تنقسم حسب حضورها في المقام أو غيابها عنه «(أي حسب مشاركة الأشخاص المشار إليهم في عملية التلطف أو عدم مشاركتهم فيها) إلى فرعين كبيرين متقابلين هما: ضمائر الحضور وضمائر الغياب؛ ثم تنفرع ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام الإشاري وهو الباث، وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه، وهو المتقبل؛ وكل مجموعة منها تنقسم بدورها حسب الجنس والعدد إلى أقسامها المعروفة. أما ضمائر الغياب فمعيار التفصيل فيها لا يتجاوز الجنس والعدد؛ فضمائر الحضور أكثر تفصيلاً من ضمائر الغياب، وهذا يرتبط (...). بأولوية الشخص المشاركة في عملية التلطف»⁽⁴²⁾ ويؤكد هذه الأولوية وتفصيل أدق النحاة العرب القدماء فيما يعرف بمفهوم الأخصية. يقول ابن عقيل: «ضمير المتكلم أخص من ضمير الغائب، وضمير المخاطب أخص من ضمير الغائب»⁽⁴³⁾.

ويعيدنا هذا إلى طرح السؤال مجدداً: هل يوجد تطابق بين اشتراطات الوضعية التواصلية والسمات الشكلية للجنس الرسائلي؟ فإذا كانت الرسالة تعرف من حيث التحنيس الخطابي بسمات الكلام المكتوب الموجه إلى شخص آخر (مرسل إليه محدد)، فهي تعرف أيضاً بسمات تركيبية ودلالية: وجود ضمير الشخص الثاني، إلى جانب الشخص المعين بضمير المتكلم، وهو كاتب الرسالة⁽⁴⁴⁾. هذه هي السمات القاعدية التي يفترض أن لا تخلو منها رسالة. غير أن الممارسات الخطابية تنحو ككل خطاب إلى التكيف مع المقامات وإكراهاتها، ولا سيما في الرسائل التي تدرج ضمن دائرة الأجناس الأدبية. فما هي أصناف التصرف في البنية الإشارية الضمائية التي يمكننا استخلاصها من فحص مدونة الرسائل الأدبية القديمة؟ يبيننا عن هذا السؤال صالح بن رمضان في كتابه (الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم)، بما فحواه أن هناك تنوعاً في استعمال الضمائر في الخطاب الرسائلي القديم، إذ الأصل في الرسائل أن تتخاطب فيها يكون بين طرفين. لذلك تستعمل فيه الضمائر في الصور التالية التي نجدتها في أجناس خطابية كثيرة:

أ) متكلم مفرد ومخاطب مفرد، أو غائب مفرد (أنا/أنت، أو أنا/ هو)، وتستعمل أيضا "القص ضمن الحوار السردي، والحديث الباطني، والحديث المنقول، وفي المسرح حوارا صرفا، وفي الوصايا... والمفاخرات الفردية" وهذه الصورة أعلق بالرسائل، والذي يهمننا هنا هو بيان عدول الكاتب عن ضمير المخاطب إلى الغائب. يقول القلقشندي: «ثم راعى الكتاب في تعظيم المكتوب إليه أن عدلوا عن خطابه بالكاف عن نظير خطاب المواجهة إلى معنى الغيبة فقالوا: له وإليه وعنده ونحو ذلك»⁽⁴⁵⁾. وتحولت هذه الصيغة التي كانت استثناء إلى قاعدة في القرن الرابع الهجري، فضاقت بها الكتاب هي أيضا ورجعوا في العدول عنها. يقول الشريف الرضي: «وأسأله -أيده الله- أن يحتمل لي في الخطاب العدول عن الهاء إلى الكاف»⁽⁴⁶⁾.

ب) متكلم مفرد ومخاطب بصيغة الجمع (أنا/أنتم): ونجده إلى جانب الرسائل في القص، والخطب، والوصايا العامة. ومثلها في مقام الترسل، رسالة سهل بن هارون إلى بني عمه، أو رسالة الخوارزمي إلى شيعة نيسابور⁽⁴⁷⁾.

ج) متكلم بصيغة الجمع ومخاطب بصيغة الجمع (نحن/أنتم): ويشيع كذلك في المفاخرات القبلية شعرا ونثرا وفي بعض الخطب. وتمثل في مقام الترسل برسائل المفاخرات عند الجاحظ، ورسائل المفاخرات بين الأندلسيين والقيروانيين⁽⁴⁸⁾.

د) متكلم بصيغة الجمع ومخاطب مفرد (نحن/أنت) وهو قليل، وإذا وجد يكون ضمير المتكلم الجمع عائدا على مفرد. وتلمي هذا الاستعمال مقتضيات المقام الخاصة بالجنس الأدبي في حالات مخصوصة⁽⁴⁹⁾.

يتبين لنا مما تقدم أن التخاطب الثنائي Dialogal تشترك فيه عدة أجناس أدبية، لكن الأجناس الرسائية تتميز عنها جميعا بأنها تجمع بين نمط التخاطب الثنائي وتباعد مكان المتخاطبين، مما يجعلها أجناسا حوارية بامتياز.

- 1- تزفيتان تودوروف وميخائيل باختين، المبدأ الحوارية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1996، ط.2، ص.156.
- 2- م.ن.ص.ن.
- 3 - J. M. Adam, Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives, Dans: La lettre entre réel et fiction, Sous la direction de Jurgen Siess, Ed. SEDES, 1998, p.51.
- 4- جان ماري شيفر، ما الجنس الأدبي؟ تر. غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، 2005، ص.88.
- 5- م.ن.ص.ن.
- 6- صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، دار الفارابي، منوبة، تونس، 2001، ط.1، ص.64
- 7 - Catherine kerbrat-Orechionni, L'interaction épistolaire, Dans: La lettre entre réel et fiction, Sous la direction de Jurgen Siess, Ed. SEDES, 1998, p.p.15-16.
- 8-Francoise-voisin Atlani: L'instance de la letter, Dans: La lettre entre réel et fiction، Sous la direction de Jurgen Siess, Ed, SEDES 1998, p88-89
- 9 - D. Mainguenu, Pragmatique pour le discours littéraire, Ed. Armand Colin, 2005, p.122.
- 10 - Catherine kerbrat-Orechionni, L'interaction épistolaire, Dans: La lettre entre réel et fiction, p.p. 16-17.
- 11- يقول مانغونو إنه بالرغم من أن الخطاب الأدبي لا يخضع لقوانين كتلك التي يخضع لها الخطاب العادي القائم على التفاعل المباشر، حيث لا يستطيع المتلقي التدخل في نص اكتمل إنجازاً، إلا أن خضوع الخطاب الأدبي لقوانين الخطاب، كقانون التعاون، أو قانون الجهة لا يمكن إنكاره، وإن كان يتم بطرق خاصة بهذا الخطاب، في إطار تعاقد أو اتفاقية خفية " Convention tacite"، يعرف المتلقي بموجبه كيف يهيكل انتظاراته، آخذاً في الحسبان الاعتبارات المتصلة بالجنس الأدبي أو جنس الخطاب الذي يدعى إلى التفاعل معه.
- 12 -Catherine kerbrat-Orechionni: L'interaction épistolaire, p17-18
- 13- صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، ص 124.
- 14- م.ن.ص.ن.
- 15- م.ن. ص 124-125
- 16- م.ن. ص 138-139
- 17- م.ن. ص 139
- 18- م.ن. ص 140
- 19- يتم التفريق بين نوعين من اللاتجانس؛ اللاتجانس المظهر Hétérogénéité montrée، واللاتجانس التكويني Hétérogénéité constitutive، فالخطاب من حيث تكوينه النصي يحمل بطبيعته مقاطع نصية متنوعة، ومظاهر جهية متباينة، وتداخل لأجناس وسجلات لغوية متعددة، تعكس وجود

- مستويات التلفظ ومصادره المختلفة، وفقا لمبدأ التعدد الصوتي أو الحوارية الملازمة لكل خطاب، فما كان من هذه العناصر مصراحا بمصدره التلفظي، أو ملمحا إليه من خلال واسمات لغوية، فهو من مظاهر اللاتجانس الخطابي المظهر، أو المعروض. وما كان مضمرا في الخطاب، شأن الافتراض المسبق، والضمنيات التحادثية، فهو من قبيل اللاتجانس الخطابي التكويني. (ينظر: ب. شارودو ود. مانغونو: معجم مصطلحات تحليل الخطاب، ترجمة: صمادي حمود وعبد القادر المهيري، د.ط، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، ص.ص 282-283)
- 20- جان ماري شيفر، ما الجنس الأدبي؟، تر غسان السيد، ص 78.
- 21- صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، ص 89.
- 22- يعرفه شارودو بأنه «مجموعة الشروط التي تحدد رهان التبادل التواصلية، و التي بدون أن تبينها أطراف التواصل يتعذر عليهم كلية فهم بعضهم بعض» ينظر:
- Charaudeau Patrick: « Visées discursives, genres situationnels et construction textuelle» in Analyse des discours, Textes, types et genres, Actes du colloque de Toulouse, 2-5 décembre 1998, Éditions Universitaires du Sud, 2001, p. 12.
- 23-D.Mainguenu, Pragmatique pour le discours littéraire, p.50.
- 24- ب. شارودو ود. مانغونو، معجم مصطلحات تحليل الخطاب، تر: صمادي صمود وعبد القادر المهيري، ص. 196.
- 25- تمثل لهذا النوع من البحوث بمقال ك.ك.أوركويو المعنون: L'interaction épistolaire، والذي سبقت الإحالة إليه في هذا المقال.
- 26- J. M. Adam, Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives, p.41.
- 27 - J. M. Adam, Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives, p.p. 41-42.
- 28- Ibid. p.p.41-42.
- 29- مثل الفضل بن الحباب الجمحي الذي لام إبراهيم الصولي على إغفاله ذكرهما: "وصل كتابك مبهم الألوان مظلم المكان، فأدى خيرا ما القرب فيه أولى من البعد" صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، ص. 153.
- 30- صم.ن.ص.ص. 153-154.
- 31 - J.M. Adam, Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives, p.42.
- 32- Ibid. p.43.
- 33 - Catherine kerbrat-Orechionni, L'interaction épistolaire, p.17.
- 34- Ibid, p.p.19-23.
- 35- Ibid. p.p.23-27.
- 36- صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، ص.ص 540-541.
- 37- م. ن. ص 530.
- 38- م. ن. ص.ص 530-531.
- 39- م. ن. ص.ص 532-533.

40- يعني مفهوم إشارية (Deixis) تعيين مكان وهوية الأشخاص، والأشياء، والعمليات، والأحداث، والأنشطة، بالنسبة إلى السياق المكاني - الزماني الذي أنشأه و أبقاه عمل التلفظ"، وتقسم الإشارات غالبا إلى ثلاثة أقسام: شخصية، مكانية، وزمانية، في تحليل الخطاب وكيف المفهوم ليتناسب مع الجنس الخطابي المعني بالدراسة، لذلك يقترح مانغونو مفهوم إشارية خطابية حتى يتناسب مع المقام الخطابي "الذي يبينه الخطاب نفسه والذي يزعم انطلاقا منه الإعراب عن مشهد تلفظه"، ويتم التفريق بين مشيرات مباشرة أو شفافة مثل: أنا، أنت، هنا، الآن، وأخرى غير مباشرة وغير شفافة مثل: هذا، ذاك، وهذه الأخيرة لا يتم التعرف على مرجعها مباشرة، كما يميز المشيري من العائدي على مستوى الوظيفة الإحالية، بكون الأول يحيل إلى وضعية التواصل المباشرة (سياق المقام)، أما الثاني فيحيل إلى مرجع موجود في النص (سياق النص)، ب. شارودو ود. مانغونو، معجم مصطلحات تحليل الخطاب، تر. حمادي صمود وعبد القادر المهيري، ص.ص. 156-157.

41- نفسه، ص. 206.

42- الأزهر الزناد، نسيج النص، البحث في ما يكون الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء، بيروت، 1993، ط.1، ص. 117.

43- أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية (دراسة في الوظيفة والبنية والنمط)، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010، ط.1، ص.115.

44- جان ماري شيفر، ما الجنس الأدبي؟ تر. غسان السيد، ص. 90.

45- صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، ص. 142.

46- م.ن. ص. ن.

47- م.ن. ص. 141.

48- م.ن. ص. ن.

49- م.ن. ص. 142.

AL MI'YAR

Revue périodique publiée par le Centre Universitaire de Tissemsilt Algerie

N° 5. Juin 2012

شارك في العدد

مصطفى دراوش، عبدالقادر رايجي، عبد القادر شاكر، هامل الشيخ، البشير دربان، السعيد حمودي،
الجيلالي بن يشق، خالد تواتي، أوريدو عبود، محمد الصالح خرفي، صالح غيلون، محمد مصابيح،
لخص هدروق، خيرة بن ضحوة، مختار بن قويدن، بلقاسم عيسى، ليلى صديق، مريم مزليتي، بدرية
سفين، براهيم بن داود، بن أحمد عبد المنعم، خالد روشو، مصطفى شتوحي، نبيلة هبة هر وال، يوسف
بوشي، نورة سعداني، عبدالقادر علاوق، فالصمة بحري، يوسف بن شيخ، محمد بلفضل، عبدالقادر
شعشوع، أحمد دانة، عبد النور أرزقي.

Centre Universitaire de Tissemsilt Algerie .Tel / fax: 046 47 56 18

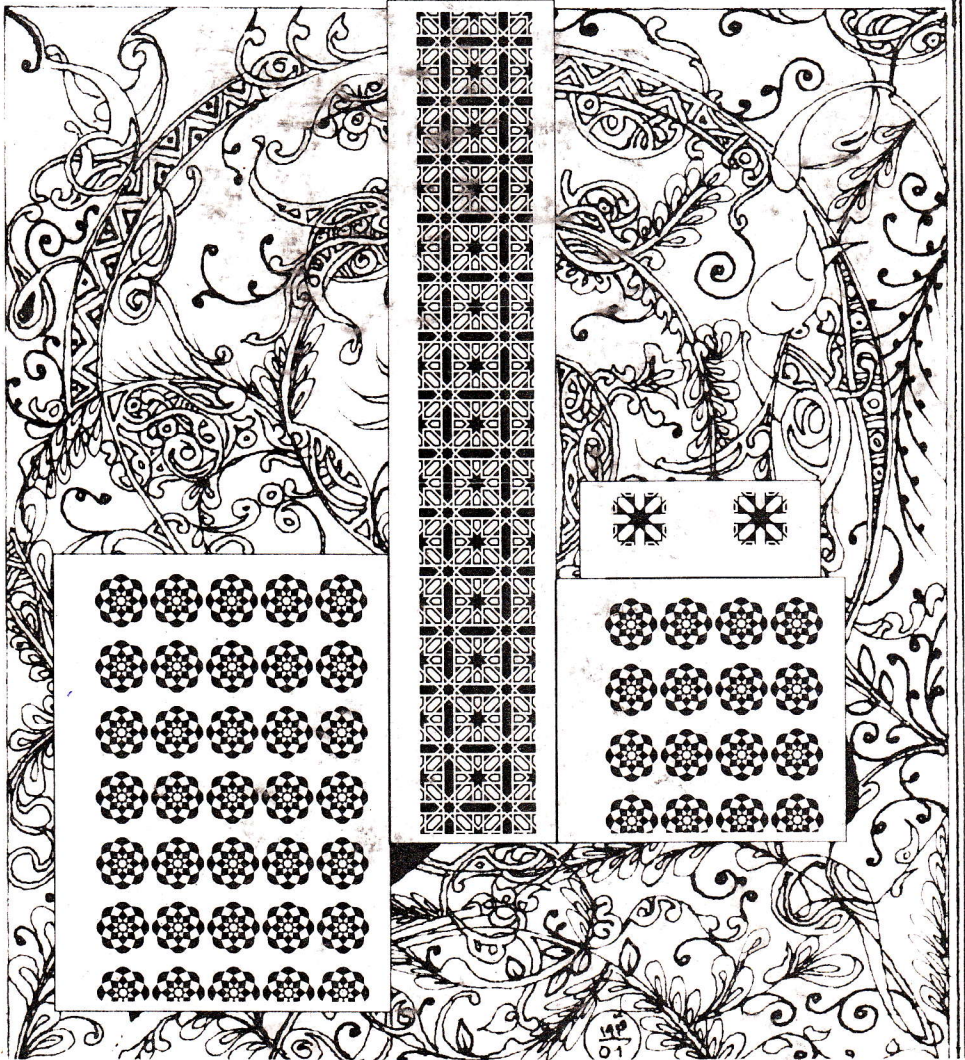


دولم

العدد

25
2012

مجلة محكمة يصدرها اساتذة من قسم اللغة العربية وادابها جامعة - السانية - وهران



القلم

مجلة لغوية أدبية دورية أكاديمية محكمة

يصدرها :

- الأستاذ الدكتور: المختار بوحناني
- الأستاذ الدكتور: مكي دزار
- الأستاذة الدكتورة: صفية مطهري

من قسم اللغة العربية وآدابها.

كلية الآداب واللغات والفنون.

جامعة - السانية - وهران

العدد الرابع (25)، والعشرون جويلية 2012م

الإيداع القانوني 2006 - 920

ISSN : 1112.69.06

بريد المجلة : URLZOHRA@gmail.com

فهرس موضوعات

مجلة القلم. العدد - 25 - جويلية 2012م

صفحة	عنوان المقال	الكاتب
ص 01	أثر المصطلحات الكوفية في فكر مهدي المخزومي	حدوارة عمر
ص 14	الاغتراب النفسي والاجتماعي في الشعر الجاهلي	بوعلامات أمينة
ص 23	الرموز الشعرية الموظفة في ديوان صفاء الأزمنة الخائفة لعلي ملاحى	شبرو عبد الكريم
ص 34	البعد التداولي في الخطاب الشعري الموجه للأطفال - قراءة في ديوان أهازيج الفرخ لحسن دواس	علاوي العيد
ص 44	منهج العلامة محمد بن شنب في التحقيق والتصنيف	محروق إسماعيل
ص 53	تراث أبي العلاء بين الإنصاف والإجحاف - قراءة في النقد القديم -	بربارة مصطفى
ص 60	المقاربات التواصلية وديداكتيكية اللغات الفصحى نموذجاً	زحاف الجيلالي
ص 70	الوقع الجمالي لدى فولفغانغ ايزر	مولاي حورية
ص 79	مقومات شعر الحنين إلى الأندلس في القرن السابع الهجري	مقدم صديق
ص 92	المعتقدات الشعبية في الخطاب الروائي الجزائري قراءة فنية في روايتي اللال والزلزال للطاهر وطار	محي الدين رشيد
ص 96	القرآن المكي من منظور الاستشراق	بوضياف محمد الصالح
ص 103	ظواهر تركيبية في النحو العربي	بوراس سليمان
ص 114	المعجم اللغوي عند عبد الرحمن الحاج صالح من خلال مدونته الموسومة بـ: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية	بن نافلة يوسف
ص 124	فاعلية السياق في عملية التأويل النحوي	ميس سعاد

ص 131	ملاحح نظرية التلقي في النقد العربي القديم - من منظور النقاد المعاصرين-	ابن عيني عبد الله
ص 137	دواعي النظم ومُهَيَّنَاتِه عند حازم القرطاجني	كوشنان محمد
ص 144	تعليمية القراءة في ضوء الاستراتيجية البنائية	حميدات مسكجوب
ص 153	انفتاح الدلالة في القرآن الكريم	غربي بكاي
ص 163	ظاهرة الاقتراض اللغوي تأصيلها وكيفية إثرائها	بن نابي قدور
ص 169	زمنية التفاعل بين الصوتيات واللسانيات في ضوء التلاحح النظري والتطبيقي	روقاب جميلة
ص 176	الاستعارة القرآنية خلال كتاب نهاية الإيجاز لفخر الدين الرّازي	صغير فاطمة
ص 185	وظيفة التكرار الفنية ودلالته في شعر عز الدين ميهوبي	عبد اللاوي محمد
ص 192	تلمسان في رحلات المغاربة ومؤلفاتهم	عزوزي عبد الصمد
ص 204	المقاربة بالكفايات بين التأصيل والميدان	حقوق فاطمة
ص 211	الدلالات الرمزية في الخطاب الروائي الجزائري - دراسة في المتون النقدية	حميدي بلعباس
ص 214	أثر القرآن في فكر البشير الإبراهيمي	قرل عبد المالك
ص 223	نظرات عَجلى في فنّ العبث	دلوي نصر الدين
ص 232	التجليات الدينية والخلقية في شعر الحوفي التلمساني	عبدلي وهيبه
ص 240	مصطلح الحضارة والمدنية ودلالته في مقدمة ابن خلدون	مرزوقي بدر الدين
ص 248	أعلام عائلة الحسين الطولقي وإنتاجهم	مجيدي كمال
ص 256	رؤية الواقع وإشكالية المعرفة في رواية: كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج	بن دحمان عبد الرزاق
ص 266	ظاهرة الهمز في القراءات القرآنية	بزاوية مختار
ص 273	المصطلح بين المفسرين والأسلوبيين ودلالته	بن قويدر مختار
ص 282	القراءة والنص	بن لحسن عبد الرحمن

291ص	الصورة الفيلمية وإشكالية السرد السينمائي	يخلف فايزة
301ص	جمالية الدلالة في العدول القرآني التعبير بالماضي عن المستقبل أنموذجا	مرازي حكيمة
310ص	الصياغة الجديدة للتشبيه	شعيب يحيى
219ص	تداخل الأجناس الأدبية والتلقي	شناوي علي
324ص	اثر القراءات في تأويل الآيات القرآنية	بلقاسم عيسى
331ص	قراءة في رأيي ابن الجزري وجولدنسيهز من خلال تعدد أوجه القراءات	بوسغادي حبيب
337 ص	الفاصلة القرآنية ودلالاتها	رقيق كمال
344 ص	الصورة الإشهارية والتواصل	عويقب فتيحة
350 ص	التوجيه النحوي لمشكل القراءات بين أحكام اللسان ورسم القرآن.	وهابي نصر الدين
360 ص	توظيف التراث الشعبي في المسرح المغربي	شريط سنوسي
370 ص	الصناعة النحوية والتأويل	رزايقية محمود
379 ص	الاستدلال في رسائل الجاحظ قراءة ابستمولوجية لتوظيف قياس الغائب على الشاهد	ردار البشير
388 ص	المفارقة الدرامية في شعر أمل دنقل	جريو خيرة
397 ص	المتلقي بين التجلي والغيب قراءة في عيار الشعر لابن طباطبا العلوي (ت322هـ)	بوخال لخضر
408 ص	دلالة السؤسن في شعر ابن الأبار القضاعي	لقمان شاكر
417 ص	شجاعة اللغة العربية في مواجهة الزعيق الحضاري	داودي الخثير
427 ص	منهج محمد مصايف في النقد الروائي	جوادي فاطمة
439 ص	تجليات التناس في ربح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة	قوراري سليمان
446 ص	الأغونيمية الأمازيغية بتلمسان	حاج محمد الحبيب
453 ص	اضطرابات النطق واللغة لدى الطفل	براهمي فاطمة
459 ص	اللغة الشعرية بين المحدثين والحداثيين	مناعي البشير

2

2

2

2

2

28

	مقاربة نقدية	
ص 469	الحياة الفكرية والثقافية بفاس خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر - دراسة في عوامل ازدهارها ومظاهرها	بنيرد حاج
ص 481	الأبنية المعتلة لدى المازني - دراسة في المنهج	بوعناني مختار
ص 510	تعليمية الفلسفة بين التحدي والتردي	مذكور مليكة
ص 519	باب الاشتغال. منظومة تحويية	خالد خوجة بغدادي
ص 522	مفردات الكتاب العزيز من القاموس المحيط للشيخ أبي بكر بن العربي الماضي الوهراني (1902م - 1994م) تحقيق بابي: الذال والذال	بوعناني مختار
ص 559	حسام الدين لقطع أصل شبه المرتدين تأليف: الأمير عبد القادر الجزائري (1300هـ، 1883م) - تحقيق -	بوعناني مختار
ص 600	الوقف عند الكلمة الواحدة في القرآن الكريم	بوعناني مختار

إدارة المجلة

مدير المجلة: الأستاذ الدكتور المختار بوعناني

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور مكي درار

مديرة النشر: الأستاذة الدكتورة صفية مطهري

التنسيق والإخراج: الأستاذ الدكتور المختار بوعناني

الاستدلال في رسائل الجاحظ

قراءة إبستمولوجية لتوظيف قياس

الغائب على الشاهد

الأستاذ: دردار البشير

المركز الجامعي بتسيمسيلت

مقدمة: يستند الجاحظ في رسائله ذات المضمون الحجاجي إلى النظام المعرفي الاعتزالي بأركانه الثلاثة؛ المرجعية الفكرية المؤسسة على مقولات الأصول الخمسة وامتداداتها المفاهيمية، والمنهج الجدلي باعتباره آلية لإنتاج الأفكار وتوليدها وإنضاجها، والوسطية منظوراً إليها كوصف معياري لما ينتجه الجدل من أحكام ومواقف حينما يتأطر بالمرجعية المعتزلية، ويعمل ضمنها. (1)

هذا النشاط الفكري المنتج للآراء والأفكار في النص الجاحظي المعتمد على الجدل والمناظرة المنافحة عن المرجعية المعتزلية، يقوم في الأساس على الحجاج، ويتوخى الإقناع، ولا سبيل إلى الإقناع إلا بالاستدلال إثباتاً ونفيًا، إثبات الدعوى، ونفي الاعتراضات. هذه هي طبيعة الخطاب الحجاجي، بل لنقل طبيعة كل خطاب طبيعي، إذ لا يمكننا تصور أي ممارسة للغة الطبيعية مجردة من بنيتها الاستدلالية، أي من القياس، المعادل الموضوعي لالتباسية الخطاب الطبيعي وقابليته للتأويل. (2)

ومن ثم تكون خاصية الاستدلال أو القياس أبرز في الخطاب الحجاجي الذي نصنف ضمنه المناظرات أو المجادلات، لأنبائه على الخلاف في الباعث، وعلى الجدل في الوسيلة، وعلى الإقناع في الغاية (3). ونحن نفترض هنا تصنيف الرسائل محل الدراسة والاستشهاد، ضمن الخطابات ذات المضمون الجدلي، أي ضمن ما يعرف بالمناظرات.

لذلك يكون من الضروري في التحليل الإبستمولوجي للرسائل أن نتناول بالبحث مسألة الاستدلال، لما لها من أثر حاسم في بلورة التصورات، وصياغة الأحكام، ونظم العلاقات بين المكونات المعرفية في نصوص الرسائل. ذلك أن المرجعية المعتزلية للجاحظ والتي نتبنى بموجبها التصور الذي يصادر على أنه يلتزم

بها في كل ما يصدر عنه من أحكام لدى تعرضه لدراسة مختلف القضايا؛ أن هذه المرجعية تفرض عليه انتهاجا واعيا للاستدلال كوسيلة لإثبات صحة ما يدعوا إليه، وإبطال ما يأخذه على خصومه، تماما كما تفرض عليه من حيث المنطلقات الفكرية المقولات الخمس، بكل ترسانتها من المفاهيم والمعتقدات المرجعية (4).

ينبغي علينا بعد هذه المقدمة أن نطرح سؤالا يهيئ لنا الدخول في صلب الموضوع، وليكن هذا السؤال: ما نوع الاستدلال الذي اعتمده الجاحظ في رسائله؟

يقع التمييز في مجال البحث الإستمولوجي بين الاستدلال الأصولي-ومنه الاستدلال الكلامي- والقياس المنطقي، (5) فعلى الرغم من التشابه الموجود بينهما في الانتقال من جزئي إلى جزئي، بناء على ملاحظة الحكم المشترك بينهما الثابت للأول، والمراد نقله إلى الثاني. إلا أن هناك اختلافات عميقة بينهما. ففي حين يؤدي القياس المنطقي الأرسطي إلى اليقين، لا يوصل الاستدلال الأصولي - وهو هنا الاستدلال الكلامي أيضا- إلا إلى الظن عند الأصوليين، وإلى العلم - وهو أدنى درجة من اليقين- عند المتكلمين، ومنهم المعتزلة. كما يختلفان أيضا في أمر جوهري، فالقياس المنطقي (التمثيل عند أرسطو) ينطلق من مقدمات يقينية عقلية إلى نتائج تلزم عنها بواسطة الاستنتاج، في حين يعتمد الاستدلال الأصولي والكلامي (أو البياني كما يسميه الجابري) على الاستنباط من أصل مقرر هو النص أو ما تأسست شرعيته على النص (6).

يطلق اسم الاستدلال الأصولي على كل أنواع الاستدلال التي عرفها حقل الثقافة العربية الإسلامية قديما (في علم أصول الفقه، وعلم الكلام، والعلوم اللغوية، وخاصة النحو والصرف) (7) إذ لا يختلف مفهوم الاستدلال الكلامي عن القياس الأصولي الفقهي، ولا يختلفان هما معا عن القياس اللغوي إلا في التفاصيل التي تقتضيها مواعمة المصطلح، وضبط عملية التنفيذ الإجرائي للقياس أو الاستدلال. فإذا كان القياس الفقهي يمارس فاعليته من خلال تسوية فرع (ما لا يوجد له حكم في الشرع) بأصل (ما له حكم في الشرع) لعدة (سبب الحكم تحريما وتحليلا) جامعة بينهما، فإن الاستدلال الكلامي يحافظ على هذه العناصر الأربعة، غير أنه يعكس اتجاه الاستدلال، فهو يستدل بالشاهد (الإنسان أو الطبيعة) على الغائب (الله تعالى) لينقل حكما مقررا ضرورة للشاهد (الصفات، كاستدلالنا بالعلم على العالمية) للغائب (صفات الله تعالى التي هي عين ذاته عند المعتزلة) والملاحظة التي يجدر بنا إبدائها هنا، هي تحول الأصل في القياس الكلامي إلى فرع، وكون الفرع المقيس أولى بالحكم من الأصل المقيس عليه (8)*.

عودنا الجاحظ في رسائله على المزج بين النظري والتطبيقي، مدفوعا إلى ذلك بسيطرة الهاجس الإستمولوجي عليه، ونزوعه القوي إلى أن تكون كتاباته مضاءة على الدوام بتوضيحات منهجية، فيما يمكن أن نسميه أيضا بالروح البيداغوجية التي يعهد إليها بمرافقة القارئ، والتكفل بحاجاته (9) ولعل أحسن ما ينطبق عليه هذا

الوصف من المفاهيم المنهجية التي نظر لها الجاحظ ومارسها، مفهوم الاستدلال وما يتعلق به.

فمن بين الوقفات التي يخصصها الجاحظ للتبرير المنهجي، ما نجده في قوله التالي المقتطف من رسالة "حجج النبوة": «إن كل منطيق محجوج، والحجة حجتان: عيان ظاهر، وخبر قاهر. فإذا تكلمنا في العيان وما يفرع منه فلا بد من التعارف في أصله وفرعه منه، ولا بد من التصديق والتعارف في فرعه، فالعقل هو المستدل، والعيان والخبر هما علة الاستدلال وأصله، ومحال كون الفرع مع عدم الأصل، وكون الاستدلال مع عدم الدليل. والعقل مضمن بالدليل والدليل مضمن بالعقل، ولا بد لكل واحد منهما من صاحب، وليس لإبطال أحدهما وجه مع إيجاب الآخر، والعقل نوع واحد والدليل نوعان: أحدهما شاهد عيان يدل على غائب، والآخر مجيء خبر يدل على صدق»⁽¹⁰⁾.

إن ما يقدمه الجاحظ هنا هو بالضبط ما يقوم عليه الاستدلال الكلامي الشهير بـ"قياس الغائب على الشاهد"، فهو يصف عملية الاستدلال من حيث بنيتها وسيورتها، إذ لا بد للقياس من أصل هو العيان، أي المعرفة الضرورية الحاصلة بواسطة الحس، أو خبر توفر له شرط التواتر المحقق للصدق (=النص)، وهذا الأصل هو الشاهد في عرف المتكلمين، والفرع وهو موضوع الاستدلال، وقد أشار إليه الجاحظ صراحة باعتباره محل عمل الدليل، وسماه الغائب، وإن كان يفرق بين دلالة العيان، ودلالة الخبر، فيعتبر الاستدلال في هذا الأخير انعكاسيا، بمعنى أن ما يدل عليه الخبر هو صدق مجيئه (= صحة سنده)⁽¹¹⁾ ليرتفع إلى مستوى العيان، فيكون صالحا لقياس عليه قياس الغائب على الشاهد، وهذا ما سنوضحه بعد قليل في تناولنا لمفهوم الخبر عند الجاحظ. أما العلة أو الدلالة - كما يسميها المتكلمون - فيعبر عنها ضمنا في تحديده لدور العقل في عملية الاستدلال، الدور الذي يؤدي ضمن العلاقة الجدلية للمستدل (=العقل الذي يدرك نفسه بواسطة الدليل، أي الأصل عيانا أو خبرا) بالدليل (وهو في الأوان ذاته الأصل والعلة أو الدلالة، أي الأصل كما تصوره العقل).

تغتبي نصوص الرسائل بالاستدلالات التي تمثل لحمتها وسداها، وهو أمر طبيعي حين ننطلق من المسلمة التي مؤداها أن كل خطاب طبيعي قياسي بالضرورة، وأن المناظرة خطاب قياسي بامتياز لتوفره على الشروط المقتضية للقياس.⁽¹²⁾ إلا أننا لا نعني بكل الاستدلالات، فبعضها قد يرد إلى المسلمات بحكم الطابع التاريخي، وبعضها قد لا تبرز فيه قيمة الاستدلال لاندراجه ضمن المتعارف عليه في المنظومة المعرفية السائدة في بينتنا. ومن ثم سيكون أكثر ما نعرض له من نماذج الاستدلالات متصلا بالمسكوت عنه، والقضايا الخلافية، والآراء المثيرة للجدل التي نجد لها تناظرات في قضايانا المعاصرة.

وقبل عرضها لا بد من توضيح المسلك الذي سنسير فيه، رعا للجانب المنهجي الضروري لكل بحث. لذلك نقول: لقد اخترنا أن نصنف نماذج الاستدلالات

ضمن صنفين، أقيم التقسيم فيها باعتبار نوعية الدليل من حيث موقع العقل فيه، فبدأنا بالدليل العقلي الخالص الذي يمارس فيه العقل دور التأصيل، واتبعناه بالدليل النصي الذي يتحول فيه العقل إلى التأويل⁽¹³⁾.

أ) الدليل العقلي الخالص / التأصيل:

من المسلم به اعتداد المعتزلة بالعقل، وصدورهم عن مقولة "العقل قبل ورود السمع". ولئن كان الجاحظ يقول باضطرارية المعرفة، وبعجز العقل عن معرفة الله وحده، دون استعانة بالوحي المنزل على الرسل، فإنه يميز بين مستويات هذه المعرفة، فيجعل للعقل دورا حاسما في تنقية العقائد الإيمانية من شوائب التشبيه، وفي تمحيص الاجتهادات الفقهية وتخليصها من أخطاء التقدير، فهو لا يفتأ يذكر بما للعقل من دور في تحصيل المعرفة، وتمييز الحق من الباطل. يقول ممهدا للاسترسال في الاحتجاج على النابذة «وبعد، ففي حجج العقول أن الله لا يشبه الخلق بوجه من الوجوه، فإذا كان مرنيا فقد أشبهه في أكثر الوجوه»،⁽¹⁴⁾ ويجعل العقل أصلا قائما بذاته ضمن أصول الفقه، مستقلا عن القياس «المقاييس المصيبة»⁽¹⁵⁾. لذلك يلجأ في استدلالاته كثيرا إلى الاستعانة ببديهيات العقل، ومفاهيمه الكلية⁽¹⁶⁾، وحقائق العلم، يتخذها أدلة على صحة آرائه في العقيدة وفي الفقه من ناحية، وفي السياسة والاجتماع من ناحية أخرى.

ففي مجال العقيدة يسعى إلى إلزام خصومه من النابذة الحجة، فيعمد إلى مفهوم رياضي يتخذه دليلا على ما يقعون فيه من التشبيه من حيث يشعرون أولا يشعرون. يقول: «ولو أن زاعما زعم أن أحدا لا يكون مشبها وإن زعم أن الله يرى بالعيون، ويوجد ببعض الحواس، حتى يزعم أنه يرى كما يرى الإنسان، ويدرك كما تدرك الألوان كان كمن قال: لا يكون العبد لله مكذبا، وإن زعم أنه يقول ما لا يفعل، حتى يزعم أنه يكذب. ولا يكون العبد لله مجورا، وإن زعم أنه يعذب من لم يعطه السبب الذي ينال طاعته، حتى يزعم أنه يجور.

ولو أن رجلا قال لفلان: عندي جذر مائة، كان عندنا كقوله: لفلان عشرة. وكذلك إذا قال: فلان ناقض في كلامه، فهو عندنا كقوله: فلان قد أحال في كلامه.

ولو قال: ناقض ولم يحل، له عندي جذر مائة وليس له عندي عشرة، كان كالذي يقول: ركبت عيرا ولم أركب حمارا، وشربت المدامة ولم أشرب خمرا».⁽¹⁷⁾

فهو يقيس كلامهم الذي يحمل دلالة التشبيه دون لفظه، على التعبير الرياضي الذي يدل على قيمة عددية (عشرة) بواسطة الجذر (جذر مائة)، ليستنبط أن مساواة العدد الطبيعي للجذر، تدل على مساواة الزعم برؤية الله بتشبيهه في تلك الصفة بالبشر، وكذلك في تسوية القول بخلق الله لأفعال العباد بالقول إنه يجور ويظلم.

قلعبرة في نظر الجاحظ بدلالة العبارات؛ لأن الذي يرى في عالم الشهود ويدرك بالعين ليس إلا مخلوقا، والذي يحمل على فعل الشيء دون غيره ليس مسؤولا، ولا محاسبا عليه، ويسمى الذي يحمله على ذلك جائرا وظالما. فكما ثبتت صفة المخلوقية للشاهد (الإنسان) الذي يرى بالعين، فهي تثبت للغائب (الله) الذي يرى حسب النابذة، وهذا محال في نظر الجاحظ لمخالفته القياس، ومحكم القرآن، وهو عين التشبيه الذي ينبغي أن ينزه الله تعالى عنه.

وفي مجال الفقه - وهو المجال الأولي بالقياس - يسلك الجاحظ في الاستدلال الطريقة المسماة "بطلان الدليل مؤذن ببطلان المدلول"، حين يعترض على تحريم الغناء، ويقول بإجرائه مجرى الكلام. يأتي إلى علة التحريم والتي حصرها فقهاء النابذة في الإلهاء عن ذكر الله، فيبطلها بقوله " فإن كان إنما يحرمه لأنه يلهي عن ذكر الله فقد نجد كثيرا من الأحاديث والمطاعم والمشارب والنظر إلى الجنان والرياحين، واقتناص الصيد، والتشاغل بالجماع وسائر اللذات، تصد وتلهي عن ذكر الله. ونعلم أن قطع الدهر بذكر الله لمن أمكنه أفضل؛ إلا أنه إذا أدى الرجل الفرض فهذه الأمور كلها له مباحة، وإذا قصر عنه لزمه الإثم" (18)، فتعليق التحريم بالإلهاء عن ذكر الله ليس علة صحيحة، وإلا فسيدخل في هذا الباب كثير مما يأتيه الناس من الأفعال التي هي ضرورية لهم في معاشهم.

ب - الدليل النقلي / التأويل:

جابه المعتزلة مشكلة التناقض الظاهري في دلالات النص القرآني، أو لنقل واجهتهم هذه المشكلة بسبب آرائهم في مجال العقيدة، والتي تقوم أساسا على فكرة التنزيه المطلق لله تعالى عن مشابهة خلقه، خلافا لما كان يقول به خصومهم من أهل السنة والجماعة - النابذة كما يسميهم الجاحظ (19) - والذين كانوا يستدلون بالآيات التي يدل ظاهرها على إثبات الصفات، وما يلزم عنها من تشبيه في نظر المعتزلة. لذلك اضطر المعتزلة إلى الاعتماد على التأويل، لتجاوز هذا التناقض الظاهري بين الآيات المحكمة التي تفيد مطلق التنزيه والآيات التي يدل ظاهرها على التشبيه. فما مدى شرعية هذا التأويل؟ وعلى أي قاعدة إبستمولوجية يتأسس؟

ينتبه الجاحظ إلى أهمية التأويل وضرورته، فيكاشفنا بالحاجة الماسة إليه في فهم النص القرآني. يقول معلقا على سوء التأويل الذي أدى إلى إفساد عقائد اليهود وتحريفها: « إن القوم إنما أتوا من قلة المعرفة بوجوه الكلام، ومن سوء الترجمة، مع الحكم بما يسبق إلى القلوب. ولعمري لو كانت لهم عقول المسلمين ومعرفتهم بما يجوز في كلام العرب، وما يجوز على الله، مع فصاحتهم بالعبرانية، لوجدوا لذلك الكلام تأويلا حسنا، ومخرجا سهلا، ووجها قريبا». (20)

التأويل إذن عند الجاحظ عملية استدلال، ينطلق فيها المؤول من فحص الشاهد (الأصل باعتباره المعنى الحقيقي المعطى للفظ حسب المواضع الأولى)، ثم قياس الغائب (الفرع وهو المعنى المجازي الذي أنشأه سياق الخطاب وفق مواضع جديدة)

المستخلص بواسطة الظن، للتأكد من دلالة الأول على الثاني، اعتمادا على إثبات علاقة دلالية تسمح بالانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، ويستدل على هذه العلاقة عادة بما قالته العرب، أي بتوسعها في استعمال هذا اللفظ أو ذلك لدواع بلاغية، يفرضها مقام التخاطب⁽²¹⁾.

بأ الجاحظ في مواضع كثيرة من الرسائل إلى التأويل كسند لفهم النص المراد توظيفه في الحجاج، فاقتضاه ذلك أن يستدل ليستدل، وأن يخرج من قياس عمله بغرض بناء فهم للنص أو تأويله، ليحصل على نص مهيا صالح للدمج في عملية استدلال أخرى، تكون هي الحجة المستخدمة في الدعاوى أو الاعتراضات. ولا يسعنا هنا أن نقدم كل الفقرات التي مارس فيها الجاحظ التأويل في الرسائل، فهي من الكثرة بحيث لا تتسع لها الصفحات المخصصة لهذا المقال. لذلك سنكتفي بإيراد أمثلة نعلق عليها بما يجلي مسألة اعتماد التأويل كطريقة من طرق الاستدلال في النص الحجاجي عند الجاحظ.

تصادفنا في رسالة الرد على المشبهة فقرات طويلة، عرض فيها الجاحظ رده على دعاوى المشبهة في إمكان رؤية الله تعالى يوم القيامة، كما يدل ظاهر الآية القرآنية الكريمة «وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ»⁽²²⁾، وفي التجسيم الذي يدل عليه أيضا ظاهر الآية «وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا»²³. يعترض الجاحظ على هذا الفهم الذي يلزم عنه التشبيه بالضرورة، ويقول بتأويل هذه الآيات لتتناسب مع محكم القرآن الصريح في دلالاته على التنزيه، فيؤسس رده المتضمن وجوب أعمال المجاز، على قياس يضع في إحدى طرفيه الآيات الدال ظاهرها على التشبيه (كفرع أو غائب مختلف فيه) والآيات التي خاطب الله تعالى فيها الصم البكم الذين لا يعقلون في الطرف الآخر (كأصل أو شاهد متفق على دلالاته)⁽²⁴⁾، ليعلق بعد ذلك بقوله: «فإن قالوا إن العرب قد تسمى المتعمى أعمى، والمتصامم أصم، ويقولون لمن عمل عمل من لا يعقل...، وإنما الكلام محمول على كلام. وذلك أن المتعمى إذا تعامى، صار في الجهل كالأعمى، فلما أشبهه من وجه سمي باسمه.

قلنا قد صدقتم، ولكن ليس الأصل. والمستعمل في تسميتهم بالعمى إنما هو الذي لا ناظر له. فإذا قالوا ذلك، قلنا: فلم زعمتم أن له ناظرا، وأخذتم بالمجاز والتشبيه، وتركتم الأصل الذي هذا الاسم محمول عليه؟»⁽²⁵⁾.

واضح من هذا الشاهد أن الجاحظ يستخدم التأويل استخداما بارعا، فهو لا يخرج في قياسه اللغوي من دائرة النص القرآني وما تضمنه من استعمالات لغوية مجازية، ليكسب هذا القياس شرعية أكبر وحجية أقوى في مواجهة من ينفي المجاز كلية عن لغة القرآن الكريم.

على هذا النحو، وبهذه الصورة يستعين الجاحظ بالتأويل في حاجه، يبني به دعاواه على أساس متين، وينقض به حجج الخصوم، كلما عرض لنص يناقض ظاهره أحد مبادئ المعتزلة التي يؤمن بها. وقد اقتصرنا هنا على إبراد أمثلة عن التأويل الذي تبناه الجاحظ صراحة، واجتنبنا المواضيع التي أورد فيها التأويل ضمن حجج الفرق المتناظرة.

الخاتمة: لقد اتضح مما تقدم أن الجاحظ كان حريصا على استكمال عدته من أدوات الاستدلال المختلفة، فهولا يتحكم فقط في الاستدلال العقلي البحت الذي يعتمد على بديهيات العقل والمعارف الضرورية والمفاهيم العقلية اليقينية، بل إن ترسانته من أدوات الاستدلال لتغتنى بمعارف العلوم المختلفة الدينية واللغوية، والتي يستحضرها عند مواجهة أي مشكلة لا يعرف باطلها من حقها، ولا يميز صدقها من كذبها، فقد رأيناها يقتحم ميدان الفقه، فيباري أهله في مناقشة الأصول، وفي ضبط القياس وتصحيحه، وفي الاعتراض على نتائج قياسهم، كما رأيناها يرد على خصوم المعتزلة في مجال العقائد متوسلا بالتأويل القائم على معرفة واسعة باللغة، مستعينا بثقافة اتسعت لأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وعلم بالحديث ضم الجرح والتعديل وتراجم الرواة من كل الفرق. ويرتاد مجال الصراعات السياسية، فينصب نفسه قاضيا عادلا، يضع النظريات بناء على دراسة مقارنة للفكر السياسي المنتج في عصره عند كل الفرق الإسلامية، ثم يطبقها بحياد ونزاهة على المتخاصمين، فيعطي كل ذي حق حقه، في توسط واقتصاد، هودليل وفائه لمذهبه المعتزلي والتزامه به.

الهامش :

- 1 - الطابع الجدالي الحجاجي بارز في كل كتابات الجاحظ ،وبخاصة في الرسائل. وقد لاحظ ذلك كثير من الدارسين. ينظر: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي. ط9. دار المعارف. القاهرة. بدون تاريخ ، ص173؛وعبد السلام هارون : قطوف أدبية،دراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث، ط1، مكتبة السنة الدار السلفية لنشر العلم،القاهرة 1988، ص180.وحديثا جداً صدر كتاب خصصه صاحبه للحجاج في رسائل الجاحظ، هو: سلمان. علي محمد علي: كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج(رسائله نموذجاً)، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت -لبنان 2010
- 2 - طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ط2. المؤسسة الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع. الدار البيضاء. المغرب. 2000، ص115؛ وينظر له أيضا: اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي. ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت. 1998، ص228-229
- 3 - المرجع نفسه: ص : 38 و44 و78-82

- 4 - ينظر: الجاحظ ، رسالة " صناعة علم الكلام" ضمن الرسائل الكلامية، ت وش علي بوملحم، دار مكتبة الهلال. بدون تاريخ، ص53-54
- 5 - يرى محمد عابد الجابري أن الاستدلال الأصولي هو النموذج الاستدلالي الذي بني عليه الاستدلال البياني الذي يشمل الاستدلال اللغوي والاستدلال الكلامي كما مارسه المعتزلة والأشاعرة، مقابل الاستدلال البرهاني (الفلاسفة المسلمون) والاستدلال العرفاني الشيعي (ينظر: بنية العقل العربي. ط3. مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . 1990، ص137).
- 6 - المرجع نفسه ، ص 113.
- 7 - المرجع نفسه: ص 137.
- 8 - محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، ص142-145.
- *لا نريد الخوض هنا في الحكم على صلاحية الاستدلال الكلامي، ولا في استعراض المشكلات التي واجهته، ويكفي أن نشير إلى أن المعتزلة احتاطوا لمسألة التشبيه التي قد يؤدي إليها اعتماد المذهب الأصولي كما هو، فاستعاضوا عن الأصل بالشاهد، وعن الفرع بالغائب، واجتنبوا مصطلح العلة، وعوضوه بالدليل.
- 9 - عبد السلام هارون: قطوف أدبية، دراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث، ص177
- 10 - ضمن الرسائل الكلامية، ص 126-127.
- 11 - يؤكد قوله في الرسالة نفسها: « فأما الإنكار فليس بحجة كما أن الإقرار ليس بحجة، ولا تصديقنا للنبي صلى الله عليه وسلم حجة على غيرنا ولا تكذيب غيرنا له حجة علينا، وإنما الحجة في المجيء الذي لا يمكن في الباطل مثله» ضمن الرسائل الكلامية، ت وش علي بوملحم، ص142
- 12 - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص35-38
- 13 - استوحينا هذا التقسيم من تصنيف محمد عابد الجابري للأصل، أو المقيس عليه، حين يجعله ثلاثة أصناف : (1) التفكير إنطلاقاً من أصل (2) التفكير انتهاء إلى أصل (3) التفكير بتوجيه من "الأصل"، فأخذنا الصنفين الأول والثاني وأجلنا تناول الصنف الثالث (ينظر: تكوين العقل العربي. ط7. مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . 1998، ص113-116).
- 14 - الجاحظ : الرد على المشبهة، ضمن الرسائل الكلامية، ت وش علي بوملحم، ص232.
- 15 - الجاحظ : الشارب والمشروب، ضمن الرسائل الأدبية، ت وش علي بوملحم، ص285.
- 16 - المفاهيم الكلية تعادل المبادئ الكلية والضرورية . يشرحها لالاند بما يلي : "في عبارة "مبادئ كلية وضرورية" المطبقة غالباً على أركان العقل، تستعمل صفة الكلي في آن بالمعنى (الذي يشمل العالم بأسره)، وبالمعنى ب، (2) المشترك بين كل العقول)" موسوعة لالاند الفلسفية، تع: خليل أحمد خليل، ط2، دار عويدات للنشر والتوزيع، بيروت-باريس 2001، ص1508

- 17 - الرد على المشبهة، ضمن الرسائل الكلامية، ت وش علي بوملحم، ص 229.
- 18 - كتاب القيان، ضمن الرسائل الكلامية، ت وش علي بوملحم، ص 73-74
- 19 - أعطيت هذه التسمية عدة تفسيرات، ينظر: طه الحاجري، الجاحظ. حياته وآثاره. د. ط. دار المعارف بمصر. 1962، ص 190)
- 20- الرد على النصارى، ضمن الرسائل الكلامية، ص 273-274.
- 21 - نصر حامد أبوزيد : النص، السلطة، الحقيقة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت 1995، ص 175، 273.
- 22 - الآية 22 و 23: من سورة القيامة.
- 23 - الآية 22: من سورة الفجر.
- 24 - الرد على المشبهة ، ضمن الرسائل الكلامية، ت وش علي بوملحم، ص 230-235.
- 25 - المصدر نفسه: ص 235.

القلم

بين يديك أيها القارئ الكريم العدد الخامس

(25) والعشرون من مجلة القلم التي تسعى

جادة لتلبي ما جادت به قريحة كتابها.

فالعدد يقدم لقرائه الكرام مادة متميزة جادة

في مختلف العلوم الإنسانية لباحثين جامعيين

داخل الوطن وخارجه؛ منهم من نقرأ له لأول مرة،

ومنهم من عرفه القراء أكثر من مرة.

ف القلم جادة لتأخذ بيد كتابها الجدد،

ليصلوا إلى المستوى المرغوب فيه.

كثير رواد مجلة القلم، ولله الحمد، وهي تنتظر

منهم الجديد والجاد في حقل المعارف الإنسانية.

إن القلم تتفرد لتقديم لقرائها التراث

الجزائري محققا لأول مرة.

المطير